جواهر السلوك

في أمر الخلفاء والملوك

لابن إياس

تحقيق وتعليق

الدكتور محمد زينهم

الدار الثقافية للنشر

عنوان الكتاب : جواهر السلوك
Gawahr Asolook

المؤلف : ابن إياس الحنفى
Ebn Iyas Al Hanafee

اسم المحقق : د. محمد زينهم
Dr. M. Zenhom

17 X 24 سم . 512 ص
17 x 24 cm.512 p.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 19816 /2004
ISBN: 977 - 339 - 156 - 6

اسم الناشر : الدار الثقافية للنشر

الطبعـــة الأولـــى

1426هـ / 2006م

الدار الثقافية للنشر - القاهرة

ص. ب. 134 بانوراما أكتوبر 11811 - تليفاكس 4035694 ـ 4172769

Email: nassar@hotmail.com



وبـــه نستعين

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل خلق الله الصادق الأمين وصاحب السيرة الزكية وعلى آله وصحبه ومن تبع الهدى، وبعد :

تفخر أمتنا العربية بتراثنا الكبير، هذا التراث ملئ فى متاحف أوروبا وأمريكا وخاصة المخطوطات، هذا التراث أيضًا أثار دهشة العالم على مختلف العصور. ومن الأعمال التراثية المهمة كتاب "جواهر السلوك فى أمر الخلفاء والملوك" لابن إياس. وسوف نتطرق نظرة عامة على ابن إياس والتاريخ فى عصره وما ذكره المؤرخون وكتاب التاريخ عنه.

وحول ابن إياس المصرى ومنهجه فى البحث التاريخى يقول الأستاذ الدكتور الفاضل عبد اللطيف الخالدى: كان لانقطاع سلسلة المؤرخين العباسيين الكبار إثر سقوط بغداد بأيدى المغول وزوال الخلافة العباسية أن أخذ زمام المبادرة لوصل ما انقطع من تلك السلسلة مؤرخون آخرون ينتمون إلى أقطار شتى من العالم الإسلامى.

وقد واصل أولئك المؤرخون الأفذاذ نشاطهم العلمى فى حركة رائعة تشكل أعمالهم مع أعمال من سبقوهم من المؤرخين الصورة التى بلغها العالم العربى والإسلامى من النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية حتى بداية العصر الحديث.

ولعل أبرز سمات حركة التدوين التاريخى فى القرون المتأخرة التى أعقبت سقوط بغداد ـ ويمكن حصرها فيما بين القرنين الثامن والعاشر للهجرة ـ الرابع عشر والسادس عشر للميلاد ـ ظهور طائفة من المؤرخين كتبوا مؤلفاتهم على طريقة

الحوليات. وتدل وفرة المعلومات التى دونوها على جهد عظيم فى البحث والمراجعة والنقل والتأليف.

والواقع فالبلاد المصرية استأثرت أكثر من غيرها فى عدد المؤرخين الحوليين والموسوعيين الذين ظهروا فيها وبخاصة فى العصر التركى المملوكى. ولكن بدخول الأتراك العثمانيين القاهرة فإن سلسلة هؤلاء المؤرخين تنقطع وعلى الأخص بموت أحد كبار مؤرخى هذا العصر وهو أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفى. ومن المؤرخين المصريين الذين عاشوا فى العصر التركى المملوكى وسجلوا أحداثه ووقائعه بيبرس الدوادار فى "زبدة الفكرة" وابن دقماق فى "الجوهر الثمين" وابن أيبك الدوادار فى "الدرر الفاخرة" والمقريزى فى "السلوك" والسخاوى فى "التبر المسبوك" وأبو المحاسن فى "النجوم الزاهرة" والسيوطى فى "تاريخ الخلفاء" والعينى فى "عقد الجمان" وابن إياس فى بدائع الزهور فى وقائع الدهور.

وينفرد ابن إياس عن غيره من مؤرخى ذلك العصر فى أنه عاش عصرين وشهد أحداث جيلين: أواخر العصر التركى المملوكى ومستهل العصر التركى العثمانى، لذلك فإن لكتاباته أهمية خاصة، فهو يكاد يكون المؤرخ المصرى الوحيد الذى عاصر تلك الفترة الحاسمة فى تاريخ مصر. وكان شاهد عيان لما وقع فيها من أحداث وتمتد هذه الفترة التى أرخ وقائعها من سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م إلى سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م.

فضلاً عن أن هذه الفترة تشكل حلقة مهمة فى سلسلة تاريخ مصر فى عصر المماليك، تلك السلسلة التى تتوالى حلقاتها فى كتاب "السلوك" للمقريزى و "التبر المسبوك" للسخاوى و"النجوم الزاهرة" لأبى المحاسن. وتنتهى ببدائع الزهور لابن إياس.

تذكر المصادر التى تناولت شخصية ابن إياس أن اسم المؤرخ هو: محمد بن أحمد بن إياس الحنفى وأنه ينحدر من أصل تركى مملوكى يرجع إلى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى، فأبوه أحمد كان متصلاً بالأمراء ورجال الدولة وتوفى فى شعبان من سنة ٩٠٨هـ وجده الأمير إياس الفخرى الظاهرى كان من مماليك الظاهر برقوق وعين بوظيفة دوادار ثان فى دولة الناصر فرج بن برقوق. أما مولد مؤرخنا ابن إياس وكما تشير إليه هذه المصادر، فكان فى السادس من ربيع الأخر سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٧٨م ولم يؤثر عن ابن إياس أنه كان موظفًا فى دولة المماليك أو تقاضى مرتبًا من دواوين الحكومة أو وصل بجائزة نقدية أو عينية

من حكام ذلك العصر أو كانت له صلة بقصورهم، فقد عاش المؤرخ من موارد إقطاعه الذى ورثه عن أسرته تلك الموارد التى أعانته طوال حياته على التفرغ للتأليف وكتابة التاريخ ونظم الشعر أو سواها من الأعمال الأخرى.

ولعل هذه الظروف التى ذكرتها فضلاً عن ظروف نشأته الأولى وصحبته لبعض شيوخ عصره ممن تلقى عنهم تعليمه كانت من العوامل التى بلورت شخصيته وجعلت منه مؤرخًا يتحرى الحقيقة فيما يكتب وفيما يصدره من أحكام على معاصريه من السلاطين والأمراء.

وتأتى شهرة ابن إياس من كتابه التاريخى الكبير المعروف "بدائع الزهور فى وقائع الدهور" وهو بلا شك أهم مؤلفاته ويحتل مكانة مرموقة بين كتب التاريخ التى صنفت فى العصر المملوكى وبخاصة الأجزاء المعاصرة، وتزداد القيمة العلمية للكتاب عندما يصف المؤلف وقائع الفتح العثمانى لمصر والسنوات القليلة التى عاشها المؤلف فى ظل النظام السياسى الجديد فالجزء الأخير من كتابه "بدائع الزهور" كان المصدر العربى الوحيد عن تاريخ مصر فى تلك الفترة الحاسمة من تاريخ الشرق العربى وعن تطور العلاقات بين العرب والأتراك العثمانيين.

يستهل المؤلف كتابه التاريخى هذا ـ الذى وصل فيه إلى حوادث سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م ويختمه فى الجزء الحادى عشر ـ بالحديث عن مصر منذ أقدم العصور، فهو يذكر أخبار مصر، وما ورد فيها من الآيات وما خصت به من المحاسن والعجائب. وما قيل فيها، ومن حكمها وما قامت عليها من الدول إلى نهاية عصر الأيوبيين، يذكر المؤلف تلك الأخبار باختصار تمهيدًا للدخول فى تاريخ مصر فى عصر المماليك حيث يشرع المؤلف فى كتابة هذه الفترة بالتفصيل.

والدارس لتاريخ ابن إياس يلحظ أن المؤلف اعتمد كثيرًا على كتب التاريخ وخاصة حين كتب عن تاريخ مصر قبل عصر المماليك فيذكر أنه قرأ نحو سبعة وثلاثين مؤلفًا فى ذلك. فمن بين المؤرخين الذين قرأ لهم: المسعودى والطبرى وابن عبد الحكم والواقدى والذهبى والجاحظ والصولى وابن زولاق وابن الداية وابن خلكان وابن عساكر وابن الجوزى وابن شداد وابن الأثير والكندى والقضاعى وأبو شامة وابن كثير وأبو الفدا وسبط ابن الجوزى وابن فضل العمرى وابن وصيف شاه وغيرهم.

أما فـى القسـم الذى كتب فيه عن تاريخ مصر فى عهد المماليك فيبدو أن ابن إياس قرأ لمؤرخين كثيرين ولعل هؤلاء كانوا أنفسهم من المماليك أو من موظفى الدولة التركية المملوكية أو مـن سـواهم فمـن بـين هـؤلاء: ابـن واصـل وابن الشحنة وابن أيبك الدوادار وابن الفرات والسـيوطى والديـار بكـرى وابـن دقمـاق وبيبرس الدوادار وابن الطولونى والعينى وخليل بن شاهين الصفوى والصيرفى والسخاوى وأبو المحاسن وغيرهم من مؤرخى العصر.

كتـب ابـن إياس مؤلفه التاريخى على طريقة الحوليات وهى الطريقة التى كانت شائعة بـين مؤرخـى ذلـك العصر، فكان يدون الحوادث شهرًا بعد شهر فى الأجزاء غير المعاصرة، ثـم يومًـا بعد يوم فى الأجزاء الأخيرة، ويشبه منهجه فى ذلك كثيرًا منهج ابن الجوزى فى كـتابه "المنـتظم فـى تـاريخ الملـوك والأمم"، فالمعروف عن كتاب المنتظم أن مؤلفه كان يدون أخباره على هيئة تقارير شهرية أو يومية حيث تتضمن أهم الوقائع السياسية والمراسيم التى تصـدرها الحكومة العباسية بتعيين أو عزل كبار موظفى الدولة على إختلاف ألقابهم، فضلاً عن الأخبار التى تتصل بمظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كالوفيات وحفلات الـزواج والأعـياد وانتشـار الأوبـئة والمجاعات والرخاء وارتفاع الأسعار والنقود وبناء المدارس والمسـاجد والـربط أو وصفه الظواهر الطبيعية كالخسوف والكسوف وفيضانات الأنهار وظهور المذنبات وهبوب الرياح وسقوط الأمطار وغيرها من الأمور التى تتصل بحياة الأفراد والأرصاد الجوية.

لقـد كـان كـتاب "بدائع الزهور" من هذا الطراز من المدونات فهو من هذه الناحية عظيم الفـائدة لـن يبحـث فـى تـاريخ مصـر عصر المماليك والعصر العثمانى فى النواحى السياسية والاقتصـادية والاجتماعـية والإداريـة والثقافـية فقـد كتـب عن دولة المماليك وعن السلاطين والأمـراء والخلفـاء الذيـن عاشـوا فـى ظـلهم، ووصف المنازعات التى كانت تقوم بين الأمراء المماليك عـلى السلطة وما كان يصحب ذلك من إراقة للدماء ودمار للبلاد كذلك وصف فساد الإدارة فـى العصـر المملوكـى واسـتيلاء الجـند عـلى المـتلكات الخاصة والعامة واعتداءاتهم المتكررة على المواطنين من أفراد الشعب المصرى واغتصابهم لأراضى الفلاحين وتوزيعها على شكل إقطاعات على أمراء الجند وكبار موظفى الدولة.

وفـيما يخـص الـنظم الحربية والعسـكرية الـتى كانت قائمة فى مصر فى عصر المماليك يذكـر ابـن إيـاس معلومات قيمة عن طبيعة هذه النظم وعن الوظائف المدنية والعسكرية التى

تتصل بالنظام السياسى المملوكى لا يمكن أن يجدها الباحث فى أى مصدر تاريخى سواه، فمن بين الوظائف التى ذكرها المؤلف، وكان يشغلها الأتراك الذين كانت تعج بهم دواوين الدولة: الحسبة والولاية والجمدارية والخاصكية والوزارة والأستادارية وإمرة المجلس وإمرة السلاح والخازندارية الكبرى ووكالة بيت المال والأتابكية والنظر فى الخزينة والنظر فى الجيش والنظر فى الكسوة والنظر فى الأسطبل وكتابة السر والزردكاشية الكبرى والرأس نوبة الكبرى وولاية الشرطة وشادية الشرابخانة ورأس نوبة الثانية وأمير أخور ثانى والدوادارية ومقدم ألف ومشير مملكة وغيرها من الوظائف التى تحمل أسماء وألقابًا فارسية وتركية ومغولية.

أما الوظائف التى ذكرها ابن إياس وكان يشغلها مصريون فهى الوظائف التى تتصل بالدين والشريعة منها: النظر فى الأوقاف والقضاء، وكان للمسلمين فى مصر فى عصر المماليك: أربعة قضاة على أربعة مذاهب سنية وخطباء المساجد والأئمة وشيوخ الربط والمدارس وغيرها من الوظائف التى لها علاقة بأمور الأفراد الدينية.

وعن الأحوال الاقتصادية فى مصر فى عصر المماليك كتب ابن إياس فى كثير من يومياته عن مظاهر هذه الأحوال فأشار إلى مما كانت تسببه الكوارث الطبيعية من أضرار اقتصادية ويحتل منسوب نهر النيل أهمية بالغة فى حوليات المؤرخ ومدى تأثيره فى أسعار المحاصيل كما أشار المؤلف إلى التعامل النقدى وإلى أنواع المسكوكات وقيمة كل نوع منها تبعا للحالة الاقتصادية فى البلاد وذكر عمليات تزييف النقود وأضرارها وموقف السلطة من القائمين بأمرها، كذلك ذكر فى مواضع متعددة أنواع الضرائب التى كان يفرضها الحكام على المواطنين والأساليب اللا إنسانية التى كان يلجأ إليها موظفو الحكومة لاستيفائها.

وحول الأحوال الاجتماعية فى مصر فكتب ابن إياس عن الأعياد والمواسم والحفلات الشعبية ومواكب الخلفاء والسلاطين والأمراء واستقبال سفراء الدول وما يرتبط بذلك من خلع وهدايا ورسائل. ولم يخل تاريخ ابن إياس من الإشارة ـ وفى مواضع كثيرة من كتابه الكبير ـ إلى ظواهر الطبيعة: كالجفاف وهبوب الرياح وسقوط الأمطار وانخفاض وارتفاع درجة الحرارة أو إلى الخسوف والكسوف وغيرها من الظواهر أو إلى ما أنشئ من محال ومبان ومساجد وربط ومدارس وقباب ومدافن أو الإشارة إلى أخبار العلماء والأدباء والشعراء والأعيان وتراجم من توفى منهم.

وبالنسبة لمصادر ابن إياس فهو مؤرخ صادق يستقى معلوماته عن العصر المملوكى المتأخر أوثق المصادر وأكثرها صلة بالأحداث الجارية فى مصر وقتذاك فهو على علاقة جيدة من رجال الدولة وكتاب السر وخواص السلطان فضلاً عن أن أخيه الجمالى يوسف كان يعد من كبار موظفى الدولة المملوكية إذ تولى وظيفة زردكاش فى القلعة فكان يزوده بالكثير مما يحتاج إليه من مواد رسمية أو سرية لتدوين حولياته.

وابن إياس لا يتحرج فى ذكر مساوئ حكام عصره فكما يذكر محاسنهم لا يجد حرجًا فى تعرية تصرفاتهم وإظهار عيوبهم وتعداد مثالبهم ومثالب خواصهم من الموظفين وعلى الرغم من أنه كتب الجزء الأخير من كتابه فى ظل السيادة العثمانية وإنتمائه إلى العنصر التركى فهو لا يتردد فى تسخيف الأتراك والتعبير عن احتقاره أياهم ولا يرقى ابن إياس من حيث اللغة والقدرة البلاغية إلى مرتبة مسكوية وبخاصة فى تأليف المناظر الجديرة بالتصوير المفزعة وتصوير الشخصيات التى يستطيع القارئ أن يتخيلها وتبقى واضحة فى ذهنه فأغلب تفاصيله أجف وأقل من أن تحقق هذا الغرض، ولكن التأثير الذى يتركه بالرغم من قصوره فى هذه الناحية، تأثير راوية أمين لحقائق مكتشفه ومكتشف واع يلاحظ ويدون الأمور التى تدل على معرفتها على قيمتها.

وكثيرًا ما استعان ابن إياس بأشعاره أو أشعار غيره من شعراء ذلك العصر للتعبير عن الانفعالات التى كانت تتولد فى أعماقه بسبب حالة سياسية أو اجتماعية معينة، ومن يطفح بالكثير من الأبيات والمقطوعات الشعرية فهو يبدو من خلال أشعاره أنه عاش فردًا متتبعًا عن كثب حوادث المجتمع الذى تقلب فيه وليس ذلك بصفته مؤرخًا معنيًا بتدوين الوقائع والأخبار، بل لأنه كان إنسانا يتأثر بما حوله وبما كان يجرى فى دولة بدت عليها مخايل الاحتضار والزوال فحين توفى نور الدين على بن رحاب سنة ٨٩٦هـ، وكان ابن رحاب واحدًا من أشهر المطربين المصريين عصر ذاك، رثاه ابن إياس بقوله:

توفى نزهة الأسماع طرا
وصار العيش منا فى ذهاب
وناحت بعده الآلآت حزنا
وأظهرت الصراخ مع انتحاب
وأبدى الدف والماصول زعقا

كمــــن جـــاء المـــأتم فـــى المصـــاب

وأضـــحى الـــناس فـــى قلـــق ولم لا

وقد ضـــــــــاق الوجـــــود بلا رحـاب

كذلك هجا ابن إياس أحد رؤساء ديوان بيت المال ويعرف بركات الصالحى، وكان هذا الموظف المملوكى ظلومًا فى جبايته للضرائب من أقواله فيه بعد وفاته.

بــــركات زاد الظـــلم فـــى أيامـــه

وعــلى الــورى قــد جــار فــى توكــيله

مـن أجلـــــه كان الــــــهلاك بعامـــة

فمشـــــى إلى نــــار الجحــــيم برجله

وعـندما غمرت المصريين موجة من الغضب والاستنكار بسبب ما فرضه السلطان قايتباى سنة ٨٩٦هـ من ضرائب وعزمه على جباية سبعة أشهر على ما بحوزتهم من الممتلكات على أن يدفـع القسـط الأول عـن شـهرين، ويدفـع القسـط الـثانى عن خمسة أشهر دفعة واحدة. وصـف ابـن إيـاس هذه الحادثة نثرًا وضمنها أبياتًا لشاعر معاصر للتعبير عما كان يستشعره الناس من هم وألم وقلق، وقال الشاعر المعاصر فى ذلك:

فعرفت شهرين عن أجرة مكانى أمس

وأصبحت مغموسًا فى بحر المغارم غمس

اقسم ورب الخلائق والقمر والشمس

وما طقت شهرين كيف أقدر أطيق الخمس

هـذه بالإضـافة إلى أشعار كثيرة نظمها ابن إياس أو اقتبسها عن شعراء معاصرين تتناول مخـتلف المناسـبات وتصـلح كمصـدر مهـم يفيد مؤرخى الأدب كما يفيد الباحثين فى تاريخ مصـر فـى العصـر التركـى المملوكى من وجوه كثيرة. وأخيراً لابد من أن نشير إلى اللغة التى كتـب بهـا ابن إياس تاريخه والإشـارة إلى لغة المؤلف أمر يتصل بالحضارة ويكشف عن عمق المؤثـرات الأجنبـية ثم هو صورة لفعاليات شعبية أو فولكلور، فضلاً عن الفائدة التى يجنيها الباحـث فـى دراسـة تطـور اللغة وعلاقة اللهجة المصرية بالفترة الزمنية التى كتب بها ابن إياس تاريخه.

والواقع فاللغة التى كتب بها ابن إياس لغة سهلة وبسيطة أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى وهذه اللغة كانت شائعة بين مؤرخى العصر المملوكى، كما أن لغة ابن إياس كانت تحف بالكثير من الألفاظ التى لا تضمها معاجم اللغة فضلاً عن وجود عدد كبير من الألفاظ والمصطلحات الأجنبية وبخاصة الألفاظ والمصطلحات التركية التى لاتزال اللهجة المصرية المعاصرة تضم عددًا كبيرًا منها، كالبعثات الدبلوماسية لدولة سلاطين المماليك كما وصفها ابن إياس يقول الأستاذ الدكتور حسن أحمد محمود: إن أسلوب المؤرخ مرآة صادقة تعكس ثقافته وانفعاله بعصره بل يكشف عن أصالته وصدقه أو ضحالته وزيغه. فإلى أى حد كان مؤرخنا ابن إياس أصيلاً وصادقًا؟

من هذا المنطلق نظرنا فيما نقله ابن إياس عن السفارات المتبادلة بين مصر ودول العالم الأخرى لعلنا نستطيع أن نلقى مزيدًا من الضوء على شخصية المؤرخ العظيم ابن إياس.

وأول ما نلاحظه ذلك الإلتزام الدقيق بالأمانة فى النقل والرواية وهذا ما اسميه بالانضباط التاريخى وتحرى الخبر إلى قاعه وتتبعه إلى جميع تفاصيله وهو سعى حقيقى إلى الكشف عن الحقيقة كاملة فى كثير من الأناة والصبر وكأنه مراسل صحفى بآلة تصوير يصور كل شىء، فهو إذا أشار إلى حضور القصاد أعنى الرسل ذكر موعد حضورهم باليوم والشهر والسنة بل فى أغلب الأحيان يذكر أسماء الوافدين وألقابهم ويذكر وسيلة حضورهم بالبر أو البحر ويصف طريقهم إلى القاهرة وموكبهم واستقبال السلطان لهم والحفاوة بهم ويصف بالتفصيل الهدايا التى يحملونها كما يصف خلع السلطان وهداياه وأنواعها وطريقة توديعهم للسفر حتى عودتهم لبلادهم، بل يحدد المهمة التى جاء الوفد من أجلها وهل صادفت نجاحًا أو إخفاقًا.

وهو مثلاً يتحدث عن وفد الحبشة سنة ٨١٦هـ لتولية أحد البطاركة ووفد البنادقة سنة ٩١٧هـ لفتح كنيسة القيامة أمام الأفرنج ثم وفد أهل الأندلس لدفع الضغط عن غرناطة وفك حصارها ووفد الشاه إسماعيل الصفوى لإزالة التوتر مع سلاطين مصر. ووفد قبرص الذى جاء مستنجدًا ووفد تيمور لنك سنة ٨٠٣هـ لتبادل الأسرى، ووفد بغداد مستنجدًا من الشاه إسماعيل ووفد الهند الذى يطلب النجدة ضد البرتغال سنة ٩١٦هـ الأمر الذى يدل على أن سلاطين المماليك بلغوا الغاية من الدبلوماسية، بل يمضى ابن إياس أبعد من هذا فى تحرى الدقة، فإذا أرسلت مصر سفارة إلى بلد أخر روى ابن إياس الخبر بطريقته المعهودة فى

تحديد ساعة الرحيل ووسيلته ويصف الأزياء والأشكال، بل يشير أحيانًا إلى انطباع الناس او انطباع البلاط. فقد وصف رسول البنادقة إلى مصر سنة ٩١٧هـ بأنه رجل شيخ بذقن بيضاء وهو جسيم وعليه وقار. كما وصف رسل الشاه إسماعيل الذين حضروا إلى مصر فى سنة ٩١٣هـ وأن على رؤوسهم طراطين حمر ليس عليهم رونق، بل هو يقارن بين رسل إيران ورسل العثمانيين بين غلظة هؤلاء ورقة أولئك وتلطفهم، بل تمضى به الدقة فى الوصف إلى أبعد من ذلك فيسجل انطباع الناس أنفسهم، فقد عرض لرسول الشاه إسماعيل وجماعته وأنه فى غاية الغلاسة.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن ابن إياس كان مقربًا من بلاط السلطان وإن لم يتول وظائفه وأنه يستقى المعلومات من مصادرها الأصلية من ديوان الإنشاء أو رجال القصر أنفسهم، الأمر الذى يعطى روايته قيمة تاريخية عظيمة ويدعونا بحق إلى أن نمعن النظر فى حولية ابن إياس فاحصين مدققين، ناحية أخرى تنعكس صورتها بعمق من رواية ابن إياس وهى المكانة الدولية الرفيعة التى ظلت مصر تحتلها فى العالم الإسلامى حتى الفتح العثمانى فتتجه إليها أبصار المسلمين تطلب المشورة حينا أو النجدة حينا أخر.

يصور ابن إياس هذه المكانة من خلال روايته عن الرسل إلى مصر ويصدر تعليقات قيمة جدًا تدل على ثقافته الواسعة ومعرفته العميقة بالعلاقات الدولية وباتجاهات السياسة المصرية رواية رجل ذواقه لا يروى الخبر لمجرد الرواية إنما يرويه عن علم وخبرة.

لهذا حرصت على إجراء توزيع جغرافى يصور دائرة العلاقات الدولية للمماليك عن طريق إحصاء للسفراء الوافدين أو الصادرين بل اقتبست من الحولية نصًا مهمًا جدًا يصور مكانة الدولة فى عصر ابن إياس فهو يقول فى أحداث سنة ٩١٧هـ.

ومن العجائب أنه فى هذا الشهر اجتمع عند السلطان نحو من أربعة عشر قاصدًا "رسولا" وكل قاصد من عند ملك، قاصد شاه إسماعيل الصفوى ـ قاصد ملك الكريج ـ قاصد ابن رمضان أمير التركمان ـ قاصد ابن عثمان ـ قاصد يوسف الصوفى ـ قاصد صاحب تونس ـ قاصد من مكة ـ قاصد الملك محمود ـ قاصد ابن درغل أمير التركمان ـ قاصد ملك الفرنج الفرانسة ـ قاصد البنادقة.

وإليكم هذا التوزيع الجغرافى:

المغرب: الحدة زوجة ملك المغرب.

قبرس: حصور جاكم ابن ملك قبرس وطلب نجدة فأرسلت إليه بقيادة يونس الدوادار.

إيطاليا: في سنة ٨٨٣هـ أرسل السلطان الخواجا محمد بن محفوظ المغرب إلى ملك القليات الافرنجي.

البندقية: في سنة ٩١٧هـ رسول ملك الإفرنج البنادقة ومعه هدية عظيمة لفتح كنيسة القيامة أمام الأفرنجي.

الأندلس: في سنة ٨٩٣هـ سفارات من بلاد الأندلس يطلب تجريدة تعينهم على قتال الأفرنج عندما أشرفوا على أخذ غرناطة واضطر السلطان إلى الكتابة إلى أساقفة القدس لمراسلة صاحب أشبيلية ليكفه عن ذلك وإلا منع الأفرنج من الحج إلى بيت المقدس السفارة الأفريقية.

وفى سنة ٨٨٦هـ رسول ملك الحبشة لتوليه أحد البطاركة ومعه هدية عظيمة.

وفى سنة ٩١٢هـ وفد ملك النوبة إلى مصر ومعه الهدايا.

التكرور: حضور موسى ملك التكرور ومعه الهدايا العظيمة فى طريقه إلى الحج.

البلاد الآسيوية: سفارة أحمد بن أويس صاحب بغداد لينحدر من تيمورلنك ويفضى بأخباره، ثم اتصال أخر بالقاهرة لإبلاغها بالقضاء على أحد الخارجين وعودة الحج العراقى.

ثم عاودت بغداد الاتصال مرة أخرى فى سنة ٩١٣هـ عندما استصرخ مراد خان بن يعقوب بن حسن الطويل ضد الشاه إسماعيل الصفوى.

العلاقات مع المغول

فى ٧٩٩هـ رسول تيمورلنك بإطلاقه أحد الأسرى.

فى ٨٠٣هـ تيمور لنك يطلب الصلح وإطلاق سراح القواد الذين أسروا فى عهد برقوق وكان تيمور لنك حريصًا على الصلح ويعرض تبادل الأسرى.

العلاقات مع الإمارات الإسلامية فى الهند

علاقات متصلة من سنة ٨٧٦هـ إلى ٩١٩هـ.

ففـى ٨٧٦هــ رسول صاحب الهند ومعه هدية عظيمة للسلطان وطلب تقليدًا من الخليفة العباسـى، وفـى سنة ٨٨٤هـ سفارة أخرى من الهند وفى سنة ٩١٦هـ محمود شاه من ملوك الهند لإرسال تجريدة إلى جهات الهند بسبب عبث الفرنج هناك وشرعوا فى أخذ البلاد.

الـيمن: فـى ٧١٢هــ رسـول صـاحب اليمن ومعه هدايا عظيمة وفى سنة ٧٩٩هـ رسول الملك الأشرف محمد بن الفضل ومعه أحد تجار الكارمه ومعه هدية عظيمة.

إيران: العلاقات مع الشاه إسماعيل الصفوى: فى سنة ٩١٣هـ عندما أرسل وفدًا يعتذر عن الإغارة على بعض الأطراف، ثم عاود الاتصال مرة أخرى سنة ٩١٧هـ. وهنا يشير ابن إياس إلى أن السلطان لم يكن مرتاحًا لعلاقته بالشاه إسماعيل، ويشير إلى بداية العلاقات السيئة مع الشاه إسماعيل وإلى أن رسل مصر قاسوا الشدائد والمحن، أن للمؤرخ أحيانًا اهتمامات خاصة بناحية معينة تشد انتباهه ويركز عليها أضواءه كلها ويعطينا فيها المزيد من الوضوح. وأقصد هنا للعلاقات المملوكية العثمانية فقد ظل ابن إياس حريصًا على التأريخ لها حتى تم الفتح. فهو يذكر أن السفارات تبودلت منذ سنة ٧٩٥هــ بدأت بيزيد بن مراد بك حذر مصر من خطر تيمورلنك وبعث فى طلب طبيب حاذق. وظلت العلاقات ودية سنة حتى سنة ٨٠٣هـ. وفى سنة ٨٥٨هـ أرسل ملك العثمانيين بخبر بفتح القسطنطينية العظمى وكان الفتح فى يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى ودقت البشائر بالقلعة ونودى فى القاهرة بالزينة.

وكـان العثمانيون حريصين كل الحرص على إبلاغ المماليك بأن فتحًا جديدًا يفتح عليهم بل طلبوا المحالفة سنة ٨٧٧هـ ضد حسن الطويل الذى أراد الاستنجاد بالفرنج.

شفاعة العثمانيين

بـل كـان العثمانـيون أحـيانًا يطلبون الشفاعة لأمير مملوكى يلجأ إليهم كما حدث سنة ٨٧٩هــ بل يطلعنا ابن إياس على جانب أخر من تاريخ هذه العلاقات فيذكر فى سنة ٨٩٠ هــ بأن تقليدًا من الخليفة العباسى أرسل فى هذه السنة لابن عثمان بتوليته على بلاد الروم وما يفتحه الله من البلاد الكفارية، أول احتكاك بين العثمانيين والمماليك فى سنة ٨٩٤هـ.

سـاءت العلاقـات وداود باشـا وزيـر بـنى عـثمان يشـير عـلى السـلطان بإرسال مبعوث لمصـالحة السـلطان ولكـنه اشـترط إطلاق سـراح المماليك الذين استولى عليهم ورد القلاع. وفى سـنة ٨٩٥هــ تحولـت العلاقـات إلى عمليات عسكرية إلى أن توسط سنة ٨٩٦هـ على جلبى قاضى بروسة فى الصلح بين المماليك والعثمانيين ورد مفاتيح القلاع وتبودل الأسرى.

لكـن الأمر الذى يدعو إلى الملاحظة حقًا فى تاريخ هذه العلاقات أنه ابتداء سنة ٩٠٨هـ والسـلطنة المملوكية تسرف فى الحفاوة برسل آل عثمان حفاوة قلما قابلت بها سفراء آخرين وأرى فى ذلك مظهر فزع من ناحية المماليك من هذه القوة النامية التى يطرد ظهورها ومظهر ضـعف مـن ناحـية المماليك ومدارة هذا الضعف بهذا الملق الظاهر ولم تنقطع السفارات إما طلـبًا لشراء الأخشاب أو الحديد والبارود حتى أن السلطان العثمانى سنة ٩١٦هـ رفض أخذ ثمـن البضـاعة وأرسـلها هديـة لمصـر. وفـى سـنة ٩٢٠هـ السلطان سليم يراسل سلطان مصر ويشـير إلى قرب محاربة شاه إسماعيل، الصفوى ويطلب محالفة ضده ثم يبلغ السلطان خبر انتصـاره عـلى الشاه إسماعيل والانطباع الذى نخرج به من حولية ابن إياس أن التحول من الصـداقة إلى العـداوة ومـن الحلـف إلى الفـتح كـان تحـولاً مفاجـئًا وليسـت له جذور قديمة ولنبحث عن جذوره فى أحوال نواب المماليك ببلاد الشام وصراعاتهم على السلطة.

مكانة ابن إياس بين مؤرخى مصر فى العصور الوسطى

تقـول الدكـتورة سيدة إسماعيل كاشف: حين قدم العرب إلى مصر فى بداية القرن الأول الهجـرى "السـابع المـيلادى" فـاتحين محـررين لهـا من الروم بدأت مصر تفتح عينها على العروبة والإسلام وأخذت تندمج فى مجموعة الشعوب العربية الإسلامية.

وأنجبـت مصـر مـنذ أواخر القرن الثانى الهجرى "الثامن الميلادى" وأوائل القرن الثالث الهجـرى "التاسـع المـيلادى" رجـال أدب وديـن ومؤرخـين انـتجوا بالعربـية كمـا لو كانوا أبـناءها، وكـان عـلماء مصـر أسـاتذة لعـلماء أفريقـية والأندلـس بوجـه خـاص والمعروف أن المسـلمين أقبلوا على كتابة تاريخهم إقبالاً شديدًا وكان للمؤلفات التاريخية نسبة مرتفعة من تـراث الشـعوب العربـية الإسـلامية. وقـدم الـتاريخ الإسلامى أكبر ما يمكن من نتائج العلوم والفـنون وسـائر المعرفة كما ساعد على شدة التمسك بالتراث الحضارى للإسلام، وعلى إبقاء التراث القومى لمختلف الشعوب العربية الإسلامية حيا لا يستطيع الزمن مهما طال أن يبعد بين ماضى الأمة العربية والإسلامية وبين حاضرها.

وكـان للديـن الإسـلامى أثـر كـبير فـى نشـأة علم التاريخ عند العرب وتطوره حتى فاق المسـلمون فـى هـذا العـالم غيرهم من الأمم. فالقرآن الكريم نبه الناس إلى التاريخ الماضى وإلى تاريخ الأنبياء والرسل.

كذلك كان التاريخ عند المسلمين يهدف فى البداية إلى دراسة سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأعمال الصحابة والجماعة الإسلامية الناشئة وأخبار الغزوات والجهاد وكانت معرفة التاريخ فى الإسلام هى سمة الثقافة العامة سواء بين أصحاب النفوذ السياسى أو العلماء أو النشء أو العامة.

وأنتجت مصر انتاجًا وفيرًا فى الثقافة الأدبية الإسلامية فى العصور الوسطى وكان إنتاج المصريين فى الدراسات التاريخية وفيرًا لم تضارعهم فيه أية أمة أخرى من أمم الدولة العربية الإسلامية وكتب المؤرخون المصريون فى التاريخ السياسى وفى التراجم وفى الخطط والآثار. وحسبنا لنعرف إزدهار المدرسة المصرية فى التاريخ فى العصور الوسطى أن نذكر ابن عبد الحكم وابن الداية والكندى وابن زولاق وابن أبى اصيبعة وابن الراهب القبطى وابن خلكان والعماد الأصفهانى وأبا شامة وابن واصل والقفطى وابن شداد والذهبى والمقريزى وأبا المحاسن وأبا الفدا والسخاوى وابن إياس.

أما أبو البركات محمد بن أحمد بن أحمد بن إياس المصرى الحنفى فقد ولد فى القاهرة فى ٦ ربيع الآخر سنة ٨٥٢هـ - ٨ يونية ١٤٤٨م أى بعد وفاة المقريزى عمدة مؤرخى مصر الإسلامية بحوالى سبع سنوات وقبل وفاة أبى المحاسن بن تغرى بردى بحوالى اثنين وعشرين عامًا. أما وفاة ابن إياس فكانت بعد فتح العثمانيين لمصر بأكثر من ست سنوات أى فى سنة ٩٣٠هـ - ١٥٢٣م.

ابن إياس والفتح العثمانى

مؤرخان قدر لكل منهما أن يشهد فتحًا من الفتوحات العثمانية المدمرة، سقطت فى كل منهما إمبراطورية مؤثلة، وسحقت حضارة عظيمة هما خاتمة المؤرخين البيزنطيين، جورجيوس فرانتزا أوفرانتريس والمؤرخ المصرى محمد بن أحمد بن إياس.

شهد أولهما فتح الترك العثمانيين للقسطنطينية فى سنة ١٤٥٣م وما ترتب عليه من اختتام الإمبراطورية الرومانية وسحق الحضارة البيزنطية، وشهد ثانيهما بعد ذلك بنحو سبعين عامًا، فتح الترك العثمانيين لمصر فى سنة ١٥١٦م وما ترتب عليه من سقوط إمبراطورية السلاطين المصرية الشامخة، وسحق الحضارة الإسلامية التى تأثلت بمصر مدى قرون.

شهد فرانتزا سائر حوادث الحصار التركى للقسطنطينية، وهو يومئذ وزير لقسطنطين باليولوجوس آخر القياصرة، وشهد دخول الجند الظافرين عاصمة القياصرة، التى أباحها لهم السلطان الفاتح محمد الثانى، ثلاثة أيام كاملة، ووعدهم بأن الغنائم كلها ستكون من نصيبهم وأنه يهبهم سائر الأسرى وكنوز المال والجمال، كما شهد ما ارتكبوه خلال ذلك، من أعمال السفك والاغتصاب والتدمير وشنيع الاعتداء على الأنفس والأموال والأعراض ودون ذلك كله فى مذكراته.

وسقط فرانتزا وأسرته أسرى فى أيدى الغزاة ولكنه تمكن بعدئذ من الفرار إلى المورة تاركًا زوجته وأولاده رهن الإسار. ثم لجأ فى أواخر حياته إلى دير طار شنيوتس فى جزيرة كورفو، وهنالك كتب تاريخه الشهير عن آل باليولوج أخر الأسر الإمبراطورية البيزنطية من سنة ١٢٥٨م إلى سنة ١٤٧٦م وضمنه سائر فظائع الفتح العثمانى، فى صور تنفطر لها الأفئدة روعًا وتأثرًا. ثم توفى سنة ١٤٧٧هـ وقد جاوز الخامسة والسبعين.

ومازالت رواية فرانتزا حتى يومنا أعظم وأوثق مصدر يرجع إليه عن حوادث الفتح العثمانى المروعة لعاصمة الدولة الشرقية.

وشهد مؤرخنا ابن إياس حوادث الفتح العثمانى لمصر، بعد أن اجتاحت الجيوش العثمانية الشام وفلسطين، وشهد القسم الأخير من المأساة عند دخولهم القاهرة، وما ارتكبوه فيها من فظائع السفك والتقتيل والتخريب، ودون لنا عنها فى تاريخه صورًا لا تقل فى روعتها عما دونه لنا فرانتزا.

كان ابن إياس خاتمة هذه المدرسة المصرية التاريخية الزاهرة التى افتتحها المقريزى أعظم أساتذتها بخططه وآثاره الخالدة، والتى برز فيها أبو المحاسن بن تغرى بردى والسخاوى وبدر الدين العينى، ولكن ابن إياس مع اقتفائه لتقاليد هذه المدرسة الزاهرة، فى التوفر على كتابة تاريخ مصر، لم يوهب كثيرًا من كفايتها الباهرة، سواء من حيث الطرافة أو الإفاضة أو البيان. ولو لم يقدر لابن إياس أن يشهد حوادث الفتح العثمانى، وأن يدونها بإسهاب وإفاضة، لما كان لأثره عن تاريخ مصر، كبير قيمة أو أهمية. ولكن رواية ابن إياس عن الفتح العثمانى، وهى ثمرة المتابعة والمشاهدة الشخصية تسبغ على أثره قيمة كبرى.

والحقيقة أن مجهود ابن إياس التاريخى، يتركز قبل كل شىء فى الفترة التى عاصرها، والتى يعنى عناية خاصة بالاحاطة بتدوين حوادثها، ولا سيما حوادث الأعوام

القلائل التى سبقت الفتح العثمانى، ثم حوادث الفتح ذاته، ثم الأعوام القلائل التى تلته، حتى وفاة المؤلف فى سنة ٩٣٠هـ - ١٥٢٣م. ففى هذا النطاق تبدو أهمية مجهود ابن إياس التاريخى، ولا سيما على ضوء ما ظفر به البحث الحديث من نصوص جديدة. مكملة لهذا القسم الأخير من تاريخ ابن إياس المسمى "بدائع الزهور فى وقائع الدهور" وكانت ساقطة فى النص المختصر الذى نشرته مطبعة بولاق من تاريخه. وتشمل هذه الفترة التى كانت ساقطة من تاريخ ابن إياس، حوادث خمس عشرة سنة من سنة ٩٠٦هـ إلى آخر سنة ٩٢١ هـ (سنة ١٥٠٠م - ١٥١٦م) وهى مدة سلطنة السلطان الغورى آخر ملوك مصر المستقلة. وفى هذا النص الجديد الذى ظهر من تاريخ ابن إياس والذى نشرته جمعية المستشرقين الألمانية فى مجلد ضخم، يتناول ابن إياس عصر السلطان الغورى، منذ بدايته باسهاب ويدون حوادثه شهرًا فشهرًا ويومًا فيومًا تقريبًا، ويتحدث عن كل ما يتعلق بالسياسة والحرب، والبلاط والحكومة والأمن والقضاء والشئون المالية والاقتصادية، ويتتبع بالأخص علائق البلاط القاهرى بالبلاط العثمانى، ويبدو جليًا من روايته، أن بلاط القاهرة كان يشعر بأن خطر الفتح التركى لمصر، غدًا قريب الانقضاض ويصانع بلاط قسطنطينية ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وكان سلطان الترك سليم الأول من جانبه يخادع سلطان مصر ويهاديه ويراسله. على أن بلاط القاهرة لم يخدع ولم يطمئن، بل كان الغورى دائب الأهبة والاستعداد. ولكن الانحلال كان يسود شئون مصر يومئذ. وكانت الثورات الداخلية تفت فى نظمها وأهبتها. وكان الفساد يقضم أسس نظمها العامة سواء فى الإدارة أو القضاء أو تنظيم الدفاع عن البلاد.

أجل لقد كانت حكومة السلاطين بعد عصور طويلة من المجد والسلم والرخاء، قد شاخت يومئذ، وانحدرت إلى نوع من الفتور والدعة وذلك بالرغم مما كان يساورها من التوجس والخوف من خطر انسياب تلك القوة الإسلامية الجديدة الصاعدة الجارفة - قوة الدولة العثمانية، وكانت الدولة العثمانية منذ فتح قسطنطينية الذى كان مسرحًا لتجارب سلاح المدفعية الجديد، تعنى بتزويد جيوشها بهذا السلاح المدمر بصورة تضمن لها التفوق على أية قوة خصيمة ولم يكن باستطاعة حكومة السلاطين أن تجاريها فى تلك الأهبة العسكرية العظيمة. ويتحدث ابن إياس عن مقدمات الفتح، ويقص علينا كيف أن أميرًا مصريًا من الأمراء المماليك، نقم على السلطان وفر إلى القسطنطينية. ونقل إلى سليم الأول

أخبار مصر وأحوالها وأطلعه على مبلغ قوتها وأسرار دفاعها، وحدثه عما يسودها من الاضطراب والضعف وقصور الأهبة والتسليح. ثم يقول: فعندئذ طمعت آمال ابن عثمان بأن يملك مصر، والله تعالى غالب أمره، وهو مما يدلى بأن المجتمع القاهرى كان يشعر بدنو النكبة وانقضاضها.

كانت حوادث الفتح العثمانى آخر ما دون قلم ابن إياس، فهو يصل فى روايته حتى خاتمة سنة ٩٢٨هـ - ١٥٢٢م بعد الفتح بنحو ستة أعوام. ونحن نعرف أن المؤرخ توفى بعد ذلك بنحو عامين فى سنة ٩٣٠هـ. ورواية ابن إياس عن الفتح العثمانى هى كما قدمنا أهم وأنفس مافى أثره. وإن كان بيانه لم يسبغ عليها كل ما يجب من دقة وقوة. فهو يترك لنا من هذه الحوادث الشهيرة الحاسمة فى تاريخ مصر وتاريخ الإسلام سجلا يوميًا مسهبًا. يستند إلى تحقيق المعاصرة والمشاهدة وهو لا يمهد فيه إلى الحوادث ولا يعنى بربطها، بل يدونها مرسلة كما وقعت، ويحصى آثارها إحصاء من رأى وسمع.

ويضيف الأستاذ محمد عبد الله عنان فى ندوته فى الجمعية التاريخية عن ابن إياس والعصر العثمانى فيقول:

وما كان لابن إياس أن يمهد أو يكثر التعليق، فى رواية انقلاب مفاجئ صعقت مصر لحوادثه السريعة المدهشة، وقضت من بعده حينا بين التصديق والتكذيب، والرجاء واليأس. وكل ما هنالك أن ابن إياس يطلق العنان لشعوره وعواطفه، بالاستناد إلى الحوادث دائما. فنراه يحمل على السفاكين والظلمة، فى عبارات شديدة، وأحيانا مؤثرة، ويغتبط بمصرعهم، ويعنى بالافاضة فى سرد فظائع الترك وجرائم الفاتح، ويشيد ببطولة طومان باى، آخر الزعماء المدافعين عن استقلال مصر ضد الغزاة، ويبكى مصرعه ومصرع أعوانه وجنده، ويرسل عبارات التأثر والسخط، أو الغضب أو الاشفاق كلما عن له ذلك. على أن قصور بيانه. كثيرًا ما يعجزه عن أن يسبغ على هذه البوادر النفسية كل ما يجب من القوة والوضوح. وهذا القصور فى البيان، ينتقص كثيرًا، من قيمة الرواية التى تركها لنا ابن إياس عن حوادث الفتح العثمانى وهذا بعكس ما نراه فى رواية فرانتزا، عنَّ فظائع الترك فى قسطنطينية، من قوة البيان وروعة التصوير. والحقيقة أن ابن إياس كان بحاجة إلى بيان كبيان جيبون، ليستطيع إخراج الصور التى يقدمها إلينا، فى أثوابها الرائعة. وليصف لنا فظائع الغزاة فى القاهرة، وما جنوا على الأنفس والأموال والنظم، كما وصف جيبون بقلمه

الجبار، فظائعهم فى قسطنطينية. وما جنوا على الحضارة البيزنطية العظيمة. من صنوف الدمار والمحو. غير أن ابن إياس لم يكن مصورا بارعا للحوادث. ولم يكن بالأخص ناقدا قوى التعليل، يقرأ فى الحوادث غير نواحيها المادية. ولكن كثيرًا من الافاضة وقليلا من التأمل، وطرفا من الملاحظة القوية. تعوض عن هذا النقص فى كثير من المواقف. وتقدم إلى النقدة مادة لا بأس بها.

وقد بينا أن مصر كانت ترجف لشبح هذا الفتح قبل وقوعه. وكيف أن المؤرخ كان يستشعر النكبة ولكن مصر لم تكن تتوقع أن يسحق استقلالها ومجدها التالد فى لمحة صاعقة. فكانت "مرج دابق" مفاجأة مروعة، ذهلت لها مصر وصعقت، ويبدو أثر هذا الروع واضحا فى أول صرخة تبدر من المؤرخ فى ذكر النكبة إذ يقول: "وفى يوم السبت السادس عشر من شعبان أشيع خبر هذه الكائنة العظيمة، التى طمت وعمت، وزلزلت لها الأقطار". ولا غرو فقد خرج السلطان الغورى إلى شمال الشام قاصية الحدود المصرية يومئذ. بجيشه الزاهر ليرد عادية الغزاة عن مصر، فكانت مرج دابق قبرًا له ولحريات مصر. يقول المؤرخ: "وزال ملك الأشرف الغورى فى لمح البصر، فكأنه لم يكن، فسبحان من لا يزول ملكه". ويفيض بعد ذلك فى تفاصيل الموقعة الهائلة التى نشبت بين الغزاة وبين الجيش المصرى فى "مرج دابق" فى الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ٩٢٢هـ (أغسطس سنة ١٥١٦م) وما أوقعه الغزاة بمعسكر مصر من سفك ونهب، ويصف صدى النكبة فى القاهرة. وكيف كان نعى السلطان فى ذلك اليوم، ونعى الأمراء والأعيان الذين قتلوا. وصار فى كل حارة وزقاق وشارع من القاهرة صراخ وبكاء.. ورجت القاهرة. وضجت الناس، واضطربت الأحوال، وكثر القيل والقال. ثم يقف المؤرخ قليلا ليصف الغورى وخلاله، ويعدد مآثره ومثالبه، ويختتم ابن إياس حديثه عن الغورى. وعن عصره وأعماله، بإيراد زجل طويل مؤثر لصديقه بدر الدين الزيتونى وهو من أشهر أدباء هذا العصر، وفيه يصف النكبة، ويرثى الغورى فى مقاطيع مبكية نقتبس منها ما يأتى:

غربت شمس دولة الغورى   وابن عثمان نجمو طلع ساير
وبهذا رب السما قد حكم   والفلك دار ولم يزل داير
والعجائب فى قتلة الغورى   راح برجلو لقتلتو خاطر

وحسبنا كل الحساب إلا ما جرى لو ما مر بالخاطر
دمعة العين منى على الغورى من دماها تجرى لحزنى عين
كان عليه ترقب زمان ملكو والسعادة حتى أصابوا عين
ذى العساكرشبهتها روضة فيها أغصان فرسان عليها زهور
واللبوس من الحديد تحكى ورد أحمر بين الرياض منثور
والأمارة تحكى شجر مثمر فى رياض نشروا غدًا عاطر
والمدافع ترمى سفرجل كبار ول رمان يحكى من الفحول فاخر
كم اسلى قلبى على الغورى وأقلوا يا قلب من تفكر
كل حادث بأمر القديم راحل والاقامة للأول الآخر

* * *

يا للذى جا يسمع عقود نظمه خذ وحر عنو بديع نقلوا
وان أتى من يطلب التاريخ والوقايع عن الملوك قلوا
غربت شمس دولةالغورى وابن عثمان نجوا طلع ساير
وبهذا رب السما قد حكم والفلك دار ولم يزل داير

ويتتبع ابن إياس حركات الغزاة بإفاضة منذ "مرج دابق" حتى قدومهم إلى القاهرة فى أواخر شهر ذى الحجة ٩٢٢هـ (ديسمبر سنة ١٥١٦م) ويصف أهبة السلطان طومان باى، لمقاومة الفاتح، بحماسة، وينوه بهمته العالية، فى إعداد وسائل الدفاع، ويجيد شرح الوقائع الهائلة، التى نشبت متعاقبة بين الجيش التركى وعلى رأسه سليم الأول. وبين الجيش المصرى وعلى رأسه طومان باى والمماليك، وكيف عبس القدر لمصر وجيشها، فهزم طومان باى مرارا فى أنحاء القاهرة وضواحيها، ولكنه استمر فى دفاعه جلدًا مستبسلا، حتى انفض عنه معظم أنصاره وجنده، ففر إلى الصعيد، يجمع هناك أشتات جيشه، وعتاده، وقد كان من الواضح أن تفوق الترك فى السلاح، ولا سيما فى المدفعية، كان له أكبر الأثر فى هزائم القوات المصرية المتوالية، هذا إلى سريان التفكك والفوضى، والخيانة بين الأمراء والقادة. وكان من المتعذر بعد هزيمة مرج دابق الساحقة أن تجتمع القوات المصرية مرة أخرى، فى جيش كثيف متماسك، يستطيع صد الغزاة.

وانقض الغزاة على القاهرة كالضوارى المفترسة، فأوقعوا فى سكانها السفك الذريع. وأمعنوا فى الآمنين قتلاً وعبثًا وهتكًا ونهبًا. ودامت هذه المذبحة الهائلة أيامًا أربعة، وذلك من ثامن المحرم سنة ٩٢٣هـ (أوائل فبراير ١٥١٧م) ويصفها ابن إياس "بالمصيبة العظمى التى لم يسمع بمثلها فيما تقدم من الزمان، ثم يقول: "إن الجثث كانت مرمية فى الطرقات من باب زويلة إلى الرميلة ومن الرميلة إلى الصليبة، إلى قناطر السباع، إلى الناصرية، إلى مصر العتيقة، ويقدر القتلى بأكثر من عشرة آلاف ويقدر من قتل من المماليك فقط بثمانمائة، ويقدر البعض الآخر ضحايا هذه الجريمة الشائنة بخمسة وعشرين ألفا، ولم يمض على ذلك أسابيع قلائل حتى أمر سليم الأول بإعدام من بقى من الأمراء المماليك. وكان قد احتال عليهم، ووعدهم بالأمان حتى ظهروا، وعددهم أربعة وخمسون أميرًا وقائدًا، وقبض على نسائهم وفرضت عليهن الغرامات الفادحة. ثم كانت الموقعة الأخيرة والفاصلة فى السادس من ربيع الأول (أبريل سنة ١٥١٧م) بين الغزاة وبين جيش طومان باى. فإن هذا الأمير الجلد الشجاع، عاد بقواته على مقربة من الجيزة يحاول مرة أخرى إنقاذ الوطن من براثن الوندال ولكن القدر ظل على عبوسه له، فهزم للمرة الخامسة وغاص كل أمل فى إنقاذ حريات مصر واستقلالها. كان طومان باى قرين قسطنطين باليولوج، أخر القياصرة الرومان. يكافح وحياته تهتز فى يده، ويطلب الموت كما كان يطلبه أخر القياصرة، ولا يشعر بأى أمل حقيقى فى دفع الغزاة. وقد ظفر الفاتح بعد ذلك بطومان باى، وأمر بإعدامه فشنق على باب زويلة، أمام أعين ذلك الشعب الذى كان مليكه قبل ذلك بأشهر قلائل، والذى أحبه وقدر خلاله وبطولته. ويرثيه المؤرخ فى قوله: "صرخت الناس عليه صرخة عظيمة، وكثر عليه الحزن والأسف. وكان شجاعًا بطلاً، تصدى لقتال ابن عثمان، وثبت وقت الحرب بنفسه، وفتك فى عسكر ابن عثمان، وقتل منهم مالا يحصى، ووقع منه فى الحرب أمور لم تقع من الأبطال العناترة.. وقاسى شدائد ومحنًا، وحروبًا وشرورًا وهجاجًا. ولم يسمع بمثل هذه الوقعة فيما تقدم من الزمان، أن سلطان مصر شنق على باب زويلة قط".

ولبث سليم الأول فى القاهرة زهاء ثمانية أشهر، يذيق وجنده المصريين أشنع ألوان السفك والظلم والمصادرة، ويجمع من تراث مصر وثرواتها الفنية، كل ما وصلت إليه يده، ويخرب المساجد والآثار الخالدة لينتزع منها نفائسها الفنية، ويبعث بها إلى قسطنطينية. ويقبض على أكابر مصر وزعمائها وعلمائها، ورجال المهن والفنون فيها، ومهرة الصناع والعمال، ويحشدهم أكداسًا فى السفن ويبعث بهم إلى قسطنطينية وكان فى مقدمة هؤلاء

المتوكل على الله أخر خلفاء بنى عباس بمصر وأفراد أسرته وجماعة كبيرة من الأمراء والقواد والقضاة. وكان الفاتح يرمى بذلك إلى غرضين: الأول تجريد مصر من أكابرها وزعمائها ليحطم بذلك عصبيتها، ويقتل قواها المعنوية، والثانى نقل تراث مصر الفنى والفكرى والصناعى، وهو الذى تكدس بالقاهرة مدى قرون طويلة إلى قسطنطينية. ويقول ابن إياس معلقًا على ذلك: " وكانت هذه الواقعة من أشنع الوقائع المنكرة التى لم يقع لأهل مصر قط مثلها" ثم يعقد فصلاً خاصًا يذكر فيه أسماء كل من نفى إلى قسطنطينية من أكابر مصر وأعيانها ومفكريها وفنانيها.

ويفيض المؤرخ فى سرد أعمال الفاتح وجوره. وما أصاب شعب مصر من بطشه وعسفه. حتى مغادرته مصر. ثم يتتبع أخباره بعد ذلك حتى وفاته عام ٩٢٦هـ (١٥٢٠م) ويترجمه بهذه المناسبة ويرثيه بأبيات من نظمه. ومن الغريب أن ابن إياس يبدى فى عواطفه نحو الفاتحين ترددًا واضطرابًا فنراه يحمل على سليم الأول، ويعدد جرائمه ومثالبه فى حق وطنه، ثم نراه فى نفس الوقت يلقبه بالملك المظفر، ويترحم عليه حين يذكر نبأ وفاته، ويدعو بالنصر لولده وخلفه السلطان سليمان. ومن الصعب أن نضبط عواطف المؤرخ. فى هذا الموقف، وفى كثير غيره. ومن الصعب أيضًا أن نتعرف حقيقة المؤثرات التى ربما دفعت قلم المؤرخ، بما قد يخالف حقيقة عواطفه. فلعله هو ينحدر من أصل شركسى أو تركي. يتأثر هنا بنوع من عصبية الجنس. ومن جهة أخرى فقد كان ابن إياس"يدون روايته، فى عهد اضطراب وفتنة، وربما كان هذا التردد بين المديح والذم، نوعًا من حرية التقدير والنقد عن ابن إياس.

هذه هى رواية ابن إياس عن حوادث الفتح العثمانى- وهى وثيقة تستمد قيمتها رغم ضعف بيانها، من المعاصرة والمشاهدة. بيد أنه يجب ألا نبالغ فى تقدير مدى هذه المشاهد ـ فإن ابن إياس لم يكن جنديًا يخترق الصفوف، ولم يكن من رجال الدولة أو القادة. والظاهر أيضًا أنه كان قليل الطواف والتنقل فى تلك الأيام العصيبة التى يدون لنا حوادثها، فهو مثلاً لم يحاول أن يرى سليم الأول بالرغم من إقامته فى القاهرة عدة أشهر، وهو لذلك يعتمد فى وصف شخصية على صديق رآه، ولا غرو فقد كان ابن إياس فى ذلك الحين شيخًا يجاوز السبعين. وربما لحقته أوصاب المرض. غير أن ابن إياس كان أديبًا ومفكرًا كبيرًا، يتصل بأكابر عصره ـ وكان فى وسعه أن يتحرى من المصادر والجهات المطلعة. وكان يشهد بعينيه كثيرًا من المناظر والآثار المادية لما يدون من الحوادث. ومن ثم كانت أهمية روايته ونفاستها.

وإذا كانت رواية ابن إياس عن حوادث الفتح العثمانى لمصر، تقل فى عرضها ووصفها، من حيث البيان والتصوير، عن رواية قرينه فرانتزا عن حوادث الفتح العثمانى للقسطنطينية، وتخلو من التعليقات النقدية التى تمتاز بها رواية فرانتزا، فإنها مع ذلك. تبقى إلى جانب الرواية البيزنطية، قرينتها الوحيدة من حيث التماثل والقيمة التاريخية. فى تاريخ الفتوحات العثمانية.

صفوة القول أن ابن إياس أخر المؤرخين الذين أرخوا تاريخ مصر بدقة وتفاصيل حيث سيبقى اسمه إلى قيام القيامة لما تركه من مؤلفات ومصنفات يشيد بها كل الناس فى جميع الأمصار والأقطار، فلهذا حرصت كل الحرص على إبراز عمل جديد لهذا المؤرخ وهو "جواهر السلوك فى أمر الخلفاء والملوك" وقد قمت بتصوير هذه المخطوطة من معهد المخطوطات العربية رقم ٢٠٥ تاريخ ويقع فى ١٦٥ ورقة. فالمخطوطة بخط المؤلف وبها بعض الصفحات القليلة مطموسة الأسطر. فرجعت إلى بعض المصادر وقمت بتكملتها ووضعت بعض التعليقات والهوامش وضبط الأعلام والمواقع الجغرافية والقبائل والبطون والفرق والمذاهب، إلى جانب تخريج الآيات والأحاديث والأشعار وإضافة الكتب والمصادر الموجودة فى النص. فالكتاب هو تلخيص لمصنفات ومؤلفات ابن إياس وخاصة كتاب "بدائع الزهور" مع إضافة معلومات جديدة لم تذكر فى الكتاب السابق ذكره، إلى جانب تصحيح بعض التواريخ كان قد ذكرها فى مصنفاته. فابن إياس صاحب المدرسة التاريخية المعروفة على مر العصور. فالكتاب "جواهر السلوك" مصدر مهم للدارسين والباحثين فى العلوم الإنسانية فهو يشمل علم التاريخ والجغرافيا والفلسفة والفقه والحديث والأدب وعلم النفس والطب والكيمياء والطبيعة والفلك والرياضيات إلخ.

وفى النهاية أرجو من الله عز وجل أن ينال هذا العمل رضاء الله والباحثين والدارسين وعشاق التاريخ ومصر، والله المعين، يا أرحم الراحمين.

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

القاهرة فى غرة المحرم ١٤٢٦هـ
الموافق ١٠ فبراير ٢٠٠٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

[ق ٢ أ]

وبه الإعانة والتوفيق

مقدمة المؤلف

ذكر من تولى على مصر بعد فتحها فى الإسلام

وقد تولى عليها جماعة كثيرة فى أيام الخلافة(١) الأموية وفى أيام الخلافة(٢) العباسية وكانوا يسمون عمال الخراج(٣) لمصر، يقيم الواحد مدة يسيرة ثم يعزل ويتولى غيره. وكان يتولى منهم جماعة كثيرة فى مدة يسيرة، وكانوا يتولونها نيابة من تحت أيدى الخلفاء إلى أن تولى عليها خلفاء بنى عبيد(٤) الفاطميين ولا بأس بإيراد شيء من أمرهم، وذلك على سبيل الاختصار مما يحسن إيراده من ذلك.

---

(١) وردت فى الأصل "الخلفاء".

(٢) وردت فى الأصل "الخلفاء".

(٣) وَالْخَرْجُ وَ الْخَرَاجُ واحد وهو شيء يُخْرِجُهُ القوم فى السنة من مالهم بقدرٍ معلوم. وقال الزَّجَّاج: الْخَرْجُ المصدر، والْخَرَاجُ اسم لما يخرج، والْخَرَاجُ غلة العبد والأمة، والخَرج والخَرْاجُ والخُراجُ: الإتاوة تؤخذ من أموال الناس.

انظر المزيد فى : لسان العرب لابن منظور – طبعة دار المعارف – القاهرة المجلد الثانى ١١٢٦ ــ ١١٢٧.

(٤) هو عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم الفاطمى العلوى، من ولد جعفر الصادق، مؤسس دولة العلويين فى المغرب وجد العبيديين الفاطميين أصحاب مصر وأحد الدهاة. فى نسبه خلاف طويل، كان يسكن سلمية بسورية ومولده بها أو بالكوفة سنة ٢٥٩هـ /٨٧٣م. وكان أبوه قد أرسل الدعاة، وأعظمهم أبو عبد الله الحسين بن أحمد الملقب بالعَلَم والشهير بالشيعى، فمهد له بيعة المغرب، وفتح بلدانًا وناصرته قبائل كتامة، ووعدها بقرب ظهور "المهدى" إمام الزمان. ووصلت إلى المهدى رسل أبى عبد الله تدعوه، فبلغ خبره المكتفى بالله العباسى، فطلبه، ففر من سلمية إلى العراق، ثم لحق بمصر فالإسكندرية، ومنها إلى المغرب، واستفحل أمره حتى بويع =

أقول أخر من ملك مصر فى الديار المصرية ملوك القبط وغيره فكان أخرهم المقوقس[1] عظيم القبط بن بطران بن جريج بن منياهى. فلما فتحت مصر فى أيام عمر بن الخطاب[2] رضى الله عنه على يد عمرو بن العاص[3] وذلك فى يوم الجمعة مستهل المحرم من سنة عشرين من الهجرة النبوية.

= فى القيروان بيعة عامة سنة ٢٩٧هـ، واستوطن "رقادة" عاصمة أواخر ملوك الأغالبة، وبعث الولاة إلى طرابلس وصقلية وبرقة، واستولى على تاهرت وحاول أمتلاك مصر، فقصدها مرتين ولم يظفر. وقيل دخل الإسكندرية وعاد إلى المغرب فاختط مدينة المهدية سنة ٣٠٣هـ وأتخذها قاعدة لملكه. ومات بها سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م بعد حكم دام أربعًا وعشرين سنة وأخباره كثيرة.

انظر المزيد فى : الكامل ٨/ ٩٠، تاريخ ابن خلدون ٤/ ١١ و٣٠ ــ ٤٠، اتعاظ الحنفا ١٧ــ ١٠٧، وفيات الأعيان ١/ ٢٧٢، تاريخ الخميس ٢/ ٣٨٥، عبيد الله المهدى لحسن إبراهيم حسن، الفاطميون فى مصر، الدولة الفاطمية. أيضًا لحسن إبراهيم حسن

(١) ورد له ذكر وترجمة فى فتوح مصر لابن عبد الحكم والخطط للمقريزى، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى.

(٢) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبو حفص العدوى الفاروق، وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أيد الله به الإسلام، وفتح به الأمصار، وهو الصادق المحدث الملهم، وهو الذى سن للمحدثين التثبت فى النقل. مات سنة ٢٣هـ على يد أبى لؤلؤة المجوسى غلام المغيرة بن شعبة.

انظر المزيد فى : أسد الغابة ٤/ ١٤٥، الإصابة ٢/ ٥١١، تاريخ الخلفاء ١٠٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٥، خلاصة تذهيب الكمال ٢٣٩، شذرات الذهب ١/ ٣٣، طبقات الفقهاء ٣٨، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٥٩١، العبر ١/ ٢٧، مروج الذهب ٢/ ٣١٢، النجوم الزاهرة ١/ ٧٨.

(٣) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمى القرشى أبو عبد الله، فاتح مصر ، وأحد عظماء العرب ودهاتهم، وأولى الرأى والحزم والمكيدة فيهم، كان فى الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم فى هدنة الحديبية وولاه النبى صلى الله عليه وسلم إمرة جيش "ذات السلاسل" وأمده بأبى بكر وعمر، ثم استعمله على عمان، ثم كان من أمراء الجيوش فى الجهاد بالشام فى زمن عمر، وهو الذى افتتح قنسرين، وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية. وولاه عمر فلسطين ثم مصر فافتتحها وعزله عثمان. ولما كانت الفتنة بين على ومعاوية كان عمرو مع معاوية، فولاه معاوية على مصر سنة ٣٨هـ، وأطلق له خراجها ست سنين فجمع أموالاً طائلة، وتوفى بالقاهرة سنة ٤٣هـ/ ٦٦٤م، أخباره كثيرة. وفى البيان والتبيين: كان عمر بن الخطاب إذا رأى الرجل يتلجلج فى كلامه قال: خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد، وله فى كتب الحديث ٣٩ حديثًا وكان مولده سنة ٥٠ ق هـ/ ٥٧٤م. =

فلما فتحها عمرو بن العاص فولاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه عليها نيابه عنه.

نكته لطيفة

قيل إن القبط كانوا يجتمعون فى يوم معلوم من السنة عند عامود السوارى الذى بالإسكندرية ويلعبون بالأكرة وكان يجتمع فى هذا الملعب الخالد أنهار من الناس فلا يمسون فيهم أحد إلا وهو ينظر فى وجه صاحبه عند وقع الأكرة، وكانوا يتلقونها باكمامهم ولا يقع فى حجر واحد من الحاضرين إلا ملك مصر.

فاتفق أن عمرو بن العاص حضر فى بعض السنين يوم الملعب فوقعت الأكرة فى حجره. فقال القبط : ما كذبنا هذه الأكرة قط إلا فى هذه المرة. أترى هذا الأعرابى يملك مصر، فلا يكون هذا أبدًا فلازال حتى ملكها فى الإسلام فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما تقدم.

ولما افتتح عمرو بن العاص الديار المصرية كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: أما بعد "فإني فتحت مدينة لا أقدر [أن] [1]أصف لك ما فيها، غير أنى وجدت فيها أربعة آلاف دار بأربعة آلاف حمام، ووجدت بها أربعين ألف يهودى قد وجبت عليهم الجزية، ووجدت بها أربعة آلاف بقال يبيعون البقولات بعد العصر".

وبلغ خراج مصر فى أيام عمرو بن العاص اثنى عشر ألف ألف دينار. واستمر عمرو بن العاص على مصر حتى توفى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وتولى الإمام عثمان بن عفان[2] رضى الله عنه فعزل عمرو بن العاص عن مصر

= انظر المزيد فى : الإصابة ٢/ ٥٠١، تاريخ الإسلام ٢/ ٢٣٥ــ ٢٤٠، المغرب فى حلى المغرب ١/ ١٣ــ ٥٤، جمهرة أنساب العرب ١٥٤.

(١) إضافة من عندنا.

(٢) هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان أبو عمرو الأموى ذو النورين، ومن جمع الأمة على مصحف واحد بعد الاختلاف، ومن افتتح نوابه اقليم خراسان واقليم المغرب. هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة. وروى جملة كثيرة من العلم. وكان من السابقين الصادقين المنفقين فى سبيل الله. مات يوم =

وولى ابن أبى سرح [1].

ذكر ولاية عبد الله بن أبى سرح العامرى

وكان أخا للإمام عثمان بن عفان من الرضاعة، فلما تولى على مصر، كانت جباية خراجها فى تلك السنة أربعة عشر ألف ألف دينار، فنظر الإمام عثمان بن عفان إلى عمرو بن العاص وكان عنده بالمدينة فقال له الإمام عثمان: درت اللقمة بعدك يا عمرو. فقال: نعم [ق ٢ ب] ولكن أجاعت أولادها وهذا الذى جباه عبد الله بن أبى سرح إنما هو على الجماجم عن كل رأس دينار خارجًا عن الخراج، فحصل الضرر لأهل مصر فى تلك السنة. وكانت ولاية عبد الله بن أبى سرح على

= الجمعة ثامن عشر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة، وعاش بضعًا وثمانين سنة.

انظر المزيد فى : أسد الغابة ٣/ ٥٨٤، الإصابة ٢/ ٤٥٥، تاريخ الخلفاء ١٤٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٨، خلاصة تذهيب الكمال ٢٢١، شذرات الذهب ١/ ٤٠، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٥٠٧، طبقات الفقهاء ٤٠، طبقات القراء للذهبى ١/ ٢٩، العبر ١/ ٣٦، مروج الذهب ٢/ ٣٤٠، النجوم الزاهرة ١/ ٩٢.

(١) هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى العامرى، من بنى عامر بن لؤى، من قريش، فاتح إفريقية وفارس بنى عامر من أبطال الصحابة، أسلم قبل فتح مكة وهو من أهلها وكان من كتاب الوحى للنبى صلى الله عليه وسلم وكان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر. وولى مصر سنة ٢٥هـ بعد عمرو بن العاص، فاستمر نحو ١٢ عامًا زحف فى خلالها إلى إفريقية بجيش فيه الحسن والحسين ابنا على وعبد الله بن عباس وعقبة بن نافع ولحق بهم عبد الله بن الزبير، فافتتح ما بين طرابلس الغرب وطنجة، ودانت له إفريقية كلها، وغزا الروم بحرًا وظفر بهم فى معركة "ذات الصوارى" سنة ٣٤هـ وعاد إلى المشرق ثم بينما كان فى طريقه بين مصر والشام علم بمقتل عثمان وان عليًا أرسل إلى مصر واليًا آخر "هو قيس بن سعد بن عبادة" فتوجه إلى الشام، قاصدًا معاوية واعتزل الحرب بينه وبين على "بصفين" ومات بعسقلان فجأة وهو قائم يصلى سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧ م، وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاع، وأخباره كثيرة.

انظر المزيد فى: أسد الغابة ٣/ ١٧٣، بدائع الزهور ١/ ٢٠٦، الاستقصا ١/ ٣٥، معالم الإيمان ١/ ١١٠، الروض الأنف ٢/ ٢٧٤، البيان المغرب ١/ ٩، تهذيب ابن عساكر ٧/ ٤٣٢، البداية والنهاية ٧/ ٢٥٠، فتح العرب للمغرب ٧٧ــ ١٠٧، الكامل فى التاريخ ٣/ ١١٤، النجوم الزاهرة ١/ ٧ ــ ٩٤.

مصر فى سنة خمس وعشرين وكانت وفاته فى سنة ست وثلاثين من الهجرة وقيل مات بفلسطين.

ثم تولى بعده قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى[1] الأنصارى وكان من الصحابة تولى فى سنة سبع وثلاثين من الهجرة. ثم تولى من بعده مالك بن الحارث المخزومى الأسدى[2]، وكان من الصحابة من تولى فى خلافة الإمام على[3] رضى

(١) هو قيس بن سعد بن دليم الأنصارى الخزرجى المدنى وال، صحابى من دهاة العرب، ذوى الرأى والمكيدة فى الحرب والنجدة، وأحد الأجواد المشهورين، كان شريف قومه غير مدافع، ومن بيت سيادتهم وكان يحمل راية الأنصار مع النبى صلى الله عليه وسلم ويلى أموره. وفى البخارى أنه كان بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم بمنزلة الشرطى من الأمير. وصحب عليًا فى خلافته، فاستعمله على مصر سنة ٣٦هـ ـ ٣٧هـ وعزل بمحمد بن أبى بكر وعاد إلى على، فكان على مقدمته يوم صفين ثم كان مع الحسين بن على حتى صالح معاوية، فرجع إلى المدينة توفى بها سند ٦٠هـ/ ٦٨٠م فى أخر خلافة معاوية، وقيل هرب من معاوية سنة ٥٨هـ وسكن تفليس فمات فيها. له ١٦ حديثًا ولم يكن فى وجهه شعر. وكان أطول الناس ومن أجملهم.

انظر المزيد فى : نهاية الأرب ١٩/ ٦١، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٩٥، المحبر ١٥٥، تاريخ الدول ١٨٥، بدائع الزهور ١/ ٢٦، صفة الصفوة ١/ ٣٠٠، الجرح والتعديل ق ٢ ٣/ ٩٩، النجوم الزاهرة ١/ ٨٣، الكامل ١/ ٢٠٠، رغبة الآمل ٥/ ٤١ ـ ٤٣ ثم ٧/ ١٧٨، تهذيب الأسماء ٢/ ٦٢.

(٢) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعى المعروف بالأشتر أمير، من كبار الشجعان، كان رئيس قومه، أدرك الجاهلية، وأول ما عرف عنه أنه حضر خطبة "عمر" فى الجابية، وسكن الكوفة، وكان له نسل فيها. وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها. وكان ممن ألب على "عثمان" وحضر حصره فى المدينة وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي. وولاه على مصر فقصدها، فمات فى الطريق سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م فقال على "رحم الله مالكاً فلقد كان لى كما كنت لرسول الله". وله شعر جيد ويعد من الشجعان الأجواد العلماء الفصحاء.

انظر المزيد فى : تهذيب التهذيب ١٠/ ١١، الولاة والقضاة ٢٣ـ ٢٦، سمط اللآلى ٢٧٧، المؤتلف والمختلف ٢٨، معجم الشعراء ٣٦٢، التبريزى ١/ ٧٥.

(٣) هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أبو الحسن الهاشمى قاضى الأمة وفارس الإسلام جاهد فى الله حق جهاده، ونهض بأعباء العلم والعمل استشهد فى سابع عشر رمضان من عام ٤٠ وسنه ٦٠ عامًا.

انظر المزيد فى : أسد الغابة ٤/ ٩١، الإصابة ٢/ ٥٠١، تاريخ بغداد ١/ ١٣٣، تاريخ الخلفاء ١٦٦، تذكرة الحفاظ ١/ ١٠، خلاصة تذهيب الكمال ٢٣٢، شذرات الذهب ١/ ٤٩، طبقات =

الله عنه، وقيل مات عنده أخر عبده فى سوق شربة فمات، فلما بلغ خبره إلى الإمام على تأسف عليه وتألم لمصابه. وقال: كان لى كما كنت لرسول الله عليه الصلاة والسلام.

ثم تولى من بعده الأمير محمد بن أبى بكر الصديق[1] رضى الله عنه. تولى على مصر فى سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، وقتل فى تلك السنة، فكانت ولايته على مصر خمسة أشهر وقد تقدم ذلك فى أول الكتاب.

ثم تولى من بعده عمرو بن العاص ثانيًا وذلك فى خلافة معاوية بن أبى سفيان[2] وذلك فى سنة ثمان وثلاثين بعد قتله محمد بن أبى بكر رضى الله عنه.

= الفقهاء ٤١، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٥٤٦، طبقات القراء للذهبى ١/ ٣٠، العبر ١/ ٤٦، مروج الذهب ٢/ ٣٥٨، النجوم الزاهرة ١/ ١١٩.

(١) هو محمد بن عبد الله (أبى بكر) بن عثمان بن عامر التيمى القرشى أمير مصر وابن الخليفة الأول أبى بكر الصديق، كان يدعى "عابد قريش" ولد بين المدينة ومكة سنة ١٠هـ/ ٦٣٢م فى حجة الوداع، ونشأ بالمدينة فى حجر على بن أبى طالب، "وكان قد تزوج أمه أسماء بنت غميس بعد وفاة أبيه" وشهد مع على وقعتى الجمل وصفين، وولاه على إمارة مصر، بعد موت الأشتر فدخلها سنة ٣٧هـ. ولما اتفق على ومعاوية على تحكيم الحكمين فات عليًا على أن يشترط على معاوية ألا يقاتل أهل مصر، وانصرف على يريد العراق، فبعث معاوية عمرو بن العاص بجيش من أهل الشام إلى مصر فدخلها حربًا بعد معارك شديدة، واختفى ابن أبى بكر، فعرف معاوية بن حديج مكانه، فقبض عليه وقتله وأحرقه لمشاركته فى مقتل عثمان بن عفان وقيل: لم يحرق ودفنت جثته مع رأسه فى مسجد يعرف بمسجد "زمام" سنة ٣٨هـ / ٦٥٨م خارج مدينة الفسطاط.

قال ابن سعيد: وقد زرت قبره فى الفسطاط ومدة ولايته خمسة أشهر.

انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ٢٦ ــ ٣١، الكامل ٣/ ١٤٠، تاريخ الطبرى ٦/ ٥٣، المغرب فى حلى المغرب ج١ ق الخاص بمصر ٦٩، بدائع الزهور ١/ ٢٦.

(٢) هو معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى مؤسس الدولة الأموية فى الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، كان فصيحًا حليمًا وقورًا، ولد بمكة سنة ٢٠ ق هـ/ ٦٠٣م وأسلم يوم فتحها سنة ٨هـ وتعلم الكتابة والحساب، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتابه. ولما ولى أبو بكر ولاه قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبى سفيان، فكان على مقدمته فى فتح مدينة صيداء وعرقة وجبيل وبيروت. ولما ولى عمر جعله واليًا على الأردن ورأى فيه حزمًا وعلمًا فولاه دمشق بعد موت أميرها يزيد (أخيه) وجاء "عثمان" =

وعمرو بن العاص هذا هو الذى بنى الجامع الكبير لمصر العتيقة سنة ثلاثة وعشرين ولما مات عمرو بن العاص خلف ولدًا يسمى عبد الله[1] وكان يقارب معه فى العمر حتى قيل كان بينه وبين ابنه فى السن ثلاثة عشر عامًا، وهذا من العجائب، وهو الذى أنشأ مدينة الفسطاط فى أول الإسلام عندما فتح مصر. وكان أولها من خدرة بن قمحة وآخرها عند الرصد، وآثارها باقية إلى الآن وأقام عمرو بن العاص فى ولايته هذه مدة إلى أن مات فى سنة ثلاث وأربعين من الهجرة وذلك

= فجمع له الديار الشامية كلها وجعل ولاة أمصارها تابعين له. وقتل عثمان فولى على بن أبى طالب فوجه لفوره بعزل معاوية، وعلم معاوية بالأمر قبل وصول البريد، فنادى بثأر عثمان واتهم عليًا بدمه، ونشبت الحروب الطاحنة بينه وبين على، وانتهى الأمر بإمامة معاوية فى الشام وإمامة على العراق، ثم قتل على وبويع بعده ابنه الحسن، فسلم الخلافة إلى معاوية سنة ٤١هـ، ودامت لمعاوية الخلافة إلى أن بلغ سن الشيخوخة، فعهد بها إلى ابنه يزيد ومات فى دمشق سنة ٦٠ هـ ٦٨٠م. له ١٣٠ حديثًا اتفق البخارى ومسلم على أربعة منها وانفرد البخارى بأربعة ومسلم بخمسة. وهو أحد عظماء الفاتحين فى الإسلام، بلغت فتوحاته المحيط التلانطيقى، وافتتح عامله بمصر بلاد السودان سنة ٤٣هـ وهوأول مسلم ركب بحر الروم للغزو. وفى أيامه فتح كثير من جزائر يونان والدردنيل وحاصر القسطنطينية برًا وبحرًا سنة ٤٨هـ. وهو أول من جعل دمشق مقر خلافة، وأول من اتخذ المقاصير" الدور الواسعة الحصينة" وأول من أتخذ الحرس والحجاب فى الإسلام وأول من نصب المحراب فى المسجد، كان يخطب قاعدًا. وكان طوالاً جسيمًا أبيض إذا ضحك انقلبت شفته العليا، وضربت فى أيامه دنانير "عليها صورة أعرابى متقلد سيفًا" وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إذا نظر إليه يقول: هذا كسرى العرب.

انظر المزيد فى: الكامل ٤/٢، تاريخ الطبرى ٦/ ١٨٠، منهاج السنة ٢/ ٢١٠ـ ٢٢٦، تاريخ اليعقوبى ٢/ ١٩٢، تاريخ الخميس ٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٦، البدء والتاريخ ٦/ ٥، معجم الشعراء ٣٩٣، مروج الذهب ٢/ ٤٢، خلاصة تذهيب الكمال ٣٢٦، الإسلام والحضارة العربية ٢/ ١٤٦ ـ ١٦١، الذهب المسبوك ٢٤.

(١) هو عبد الله بن عمر بن العاص العالم الربانى أبو محمد وأبو عبد الرحمن القرشى أحد من هاجر هو وأبوه قبل الفتح، كتب عن النبى صلى الله عليه وسلم كثيرًا. وكان يعترف له أبو هريرة بالإكثار من العلم. مات بمصر سنة ٦٥هـ.

انظر المزيد فى : أسد الغابة ٣/ ٣٤٨، الإصابة ١/ ٣٤٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٤١، خلاصة تذهيب الكمال ١٧٦، شذرات الذهب ١/ ٧٣، طبقات الفقهاء ٥٠، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٤٣٩، العبر ١/ ٧٢، النجوم الزاهرة ١/ ١٧١.

فى خلافة معاوية بن أبى سفيان، وقيل لما اعتل عمرو بن العاص عند موته أحضر ما حصله من الأموال فى مصر فكانت مائة وأربعين شيكارة من الدنانير، فقال لابنه عبد الله إذا أنا مت فأردد إلى كل ذى حق حقه من هذا المال. فلما بلغ معاوية ذلك، قال: نحن أحق بذلك وأرسل ثم أخذ الأموال وأدخلها فى بيت مال المسلمين.

وسبب جمع هذه الأموال التى جمعها عمرو بن العاص من مصر، قال الأستاذ إبراهيم بن وصف شاه[1] فى أخبار مصر: إن عمرو بن العاص لما افتتح مصر جمع من فيها من القبط، وقال لهم كل من كان عنده كنز وهمنى خبره قتلته، فقيل لعمرو بن العاص إن قبطيًا من أهل الصعيد [ق ٣ أ] يقال له بطرس[2] عنده كنز. فأرسل إليه عمرو، فلما حضر بين يديه قال له: بلغنى أن عندك كنزًا، فأنكر ذلك بطرس وصمم على إنكاره، فحبسه عمرو فى السجن، وقال للموكلين به هل تسمعونه يسأل عن أحد من أصحابه. فقالوا له: قد سمعناه يسأل عن راهب فى مدينة الطور[3]، فأرسل عمرو بن العاص إلى بطرس وهو فى السجن وأمره أن ينتزع خاتمه من أصبعه، فنزعه فأرسله عمرو إلى ذلك الراهب الذى فى الطور وهو يقول له الوديعة التى عندك احضرها، فأرسل ذلك الراهب حقه مختومة بالرصاص. ففتحها عمرو بن العاص فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها أن أموالكم تحت الفسقية الكبيرة فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط الذى تحتها فوجدها مخبأ فيها ذهب سلب، فكان قدره اثنين وخمسين أردبًا ذهبًا دنانير. فأرسل عمرو وأحضر بطرس وضرب عنقه عند باب الجامع الكبير، فخاف جميع القبط على أنفسهم من القتل، وصار كل من كان عنده كنز أظهره وإلا صار مثل بطرس، فهذا كان سببًا لجمع الأموال التى وجدت عند عمرو بن العاص.

وكانت وفاة عمرو بن العاص فى أخر يوم من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين من الهجرة، ومات وله من العمر خمس وتسعون سنة، فأخرجه ابنه عبد الله فى

---

(١) ورد ذكره فى بدائع الزهور لابن إياس.

(٢) هذا ما أثبته المقريزى فى الخطط.

(٣) وهى بالقرب من مصر عند موضع يسمى مدين، جبل يسمى الطور ولا يخلو من الصالحين. انظر: معجم البلدان ٦/ ٦٧.

يوم عيد الفطر إلى المصلى القديمة التى كانت بمصر ووضعه فى المحراب حتى تكاملت الناس وصلى بهم العيد ثم صلى على أبيه ودفنه فى مقابر مصر على طريق الحجاج كما أوصى رضى الله عنه.

ثم تولى بعده عتبة بن أبى سفيان[1] وهو أخو معاوية بن أبى سفيان وذلك فى سنة ثلاث وأربعين من الهجرة فلم تطل أيامه فكانت ولايته أشهر قلائل ومات.

ثم تولى من بعده عقبة بن عامر الجهنى[2] صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورديفه، وراوى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. تولى على مصر فى سنة أربع وأربعين من الهجرة، وأقام بها إلى أن مات شهيدًا فى يوم النهروان. فكانت ولايته على مصر سنتين وثلاثة أشهر، ومات فى سنة سبع وأربعين من الهجرة، ودفن بالقرافة الكبرى وقبره يزار إلى الآن.

ثم تولى مسلمة بن مخلد[3] بعد عقبة بن عامر فى سنة سبع وأربعين من الهجرة.

---

(١) هو عتبة بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس أمير مصر، وليها من قبل أخيه معاوية،فقدمها سنة ٤٣هـ ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطًا فابتنى دارًا فى حصنها القديم وتوفى بها سنة ٤٤هـ / ٦٦٤م. كان عاقلاً فصيحًا مهيبًا من فحول بنى أمية، شهد مع عثمان يوم الدار، وشهد يوم الجمل مع عائشة وفقئت عينه وحج بالناس سنة ٤١هـ وسنه ٤٢ عامًا. قال الأصمعى: الخطباء من بنى أمية عتبة بن أبى سفيان وعبد الملك بن مروان.

انظر المزيد فى: السيرة الحلبية ٢/ ١٣٨/ نسب قريش ١٢٥، ١٥٣، النجوم الزاهرة ١/ ١٢٢ — ١٢٤، رغبة الأمل ٤/ ٣٣ ثم ٨/ ١٥٩ و٢٧١.

(٢) هو عقبة بن عامر الجهنى، كان فقيهًا علامة قارئًا لكتاب الله بصيرًا بالفرائض فصيحًا مفوهًا شاعرًا كبير القدر، ولى إمرة مصر لمعاوية ثم عزله وأغزاه البحر سنة ٤٧هـ.

انظر المزيد فى: أسد الغابة ٣/ ٥٢، الإصابة ٢/ ٤٨٢، تذكرة الحفاظ ١/ ٤٢، خلاصة تذهيب الكمال ٢٢٧، شذرات الذهب ١/ ٦٤، طبقات الفقهاء ٥٢، العبر ١/ ٦٢.

(٣) هو مسلمة بن مخلد بن صامت الأنصارى الخزرجى، من كبار الأمراء فى صدر الإسلام، وفد على معاوية قبل أن يستتب له الأمر، وشهد معه معارك صفين، فولاه إمارة مصر سنة ٤٧هـ ثم أضاف إليها المغرب فأقام بمصر وسير الغزاة إلى المغرب فى البر والبحر. ولما توفى معاوية أقره يزيد فاستمر =

ثم تولى من بعده سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدى[1] تولى بها فى سنة اثنتين وستين من الهجرة.

ثم تولى من بعده الأمير عبد الرحمن بن جحدم[2] الفهرى القرشى تولى فى أيام عبد الله بن الزبير[3] فى [ق٣ب] سنة أربع وستين من الهجرة فلم تطل أيامه بها.

ثم تولى من بعده الأمير عبد العزيز بن مروان[4] ولاه أبوه مروان[5] على مصر وهو أخو عبد الملك بن مروان، قيل لما تولى عبد العزيز بن مروان وقع بها الطاعون.

= فى الإمارة إلى أن توفى بالإسكندرية، وقيل بالمدينة سنة ٦٢هـ / ٦٨٢م، وهو أول من جعل بنيان المنائر التي هي محل التأذين فى المساجد. وكان قد ولد سنة ١هـ/ ٦٢٢م.

انظر المزيد فى: الكامل ٤/ ٤٤، تحفة ذوى الأرب ١٠٦، الولاة والقضاة ٣٨ — ٤٠.

(١) فلم تطل أيامه فكان مدة ولايته بمصر دون السنتين وعزل.

انظر: الولاة والقضاة للكندى.

(٢) فأقام بمصر مدة سنتين ووثب عليه مروان بن الحكم الأموى، فقاتل عبد الرحمن فانهزم وهرب نحو الصعيد وملك مروان مصر وولى بها ابنه عبد العزيز.

انظر المزيد فى : الولاة والقضاة للكندى.

(٣) هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى أبو بكر، فارس قريش فى زمنه، وأول مولود فى المدينة بعد الهجرة، حيث ولد سنة ١هـ/ ٦٢٢م، شهد فتح إفريقية زمن عثمان وبويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ عقيب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة حتى سيروا إليه الحجاج الثقفى فى أيام عبد الملك بن مروان، فانتقل إلى مكة وعسكر الحجاج فى الطائف، ونشبت بينهما حروب أتى المؤرخون على تفصيلها انتهت بمقتل ابن الزبير فى مكة سنة ٧٣هـ / ٦٩٢م بعد أن خذله عامة أصحابه وقاتل قتال الأبطال وهو فى عشر الثمانين. وكان من خطباء قريش المعدودين، يشبه فى ذلك بأبى بكر. مدة خلافته تسع سنين. وكان نقش الدراهم فى أيامه بأحد الوجهين: "محمد رسول الله" والآخر "أمر الله بالوفاء والعدل" وهو أول من ضرب الدراهم المستديرة، له فى الصحيحين ٣٣ حديثًا. وكانت الأعمال البهنساوية بمصر طائفة من بنيه: هم بنو بدر وبنو مصلح وبنو نصارة.

انظر المزيد فى: الكامل ٤/ ١٣٥، فوات الوفيات ١: ٢١٠، تاريخ الخميس ٢/ ٣٠١، حلية الأولياء ١/ ٣٢٩، تاريخ اليعقوبى ٣/ ٢، صفة الصفوة ١/ ٣٢٢، تاريخ الطبرى ٧، ٢٠٢، تهذيب ابن عساكر ٧/ ٣٩٦، شذور العقود ٦، جمهرة الأنساب ١٣٣— ١٤٤. =

فخرج عبدالعزيز بن مروان من مدينة الفسطاط إلى حلوان فنزل بها. فكان ابن خديج[1] يرسل في كل يوم إلى عبد العزيز بن مروان ويخبره بما يحدث في البلد

= (٤) هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو الأصبغ أمير مصر. ولد في المدينة وولى مصر لأبيه استقلالاً سنة ٦٥هـ، فسكن حلوان وأعجبته، فبنى فيها الدور والمساجد وغرس بها كرامًا ونخيلاً وتوفى فيها سنة ٨٥هـ / ٧٠٤م. فنقل إلى الفسطاط كان يقظًا عارفًا بسياسة البلاد، شجاعًا جوادًا، تنصب حول داره كل يوم ألف قصعة للآكلين، وتحمل مائة قصعة على العجل إلى قبائل مصر، واستمر إلى أن توفى.

انظر المزيد فى: خزانة البغدادى ٣/ ٥٨٣، ولاة مصر للكندى ٤٩، خطط مبارك ١٠/ ٧٦، الكامل ٤/ ١٩٧، تاريخ الطبرى ٨/ ٥٣، معجم الشعراء ١٤٣.

(٥) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو عبد الملك خليفة أموى، هو أول من ملك من بنى الحكم بن أبي العاص، وإليه ينسب "بنو مروان" ودولتهم "المروانية" ولد بمكة سنة ٢هـ/ ٦٢٣م ونشأ بالطائف وسكن المدينة فلما كانت أيام عثمان جعله فى خاصته وأتخذه كاتبًا له. ولما قتل عثمان خرج مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة، يطالبون بدمه وقاتل مروان فى وقعة الجمل قتالاً شديدًا، وانهزم أصحابه فتوارى، وشهد "صفين" مع معاوية ثم أمنه على، فأتاه فبايعه وانصرف إلى المدينة، فأقام إلى أن ولى معاوية الخلافة، فولاه "المدينة" سنة ٤٢هـ وأخرجه منها عبد الله بن الزبير، فسكن الشام، ولما ولى يزيد بن معاوية الخلافة وثب أهل المدينة على من فيها من بنى أمية فأجلوهم إلى الشام. وكان فيهم مروان ثم عاد إلى المدينة وحدثت فتن كان من أنصارها وانتقل إلى الشام مدة ثم سكن تدمر، ومات يزيد وتولى ابنه معاوية بن يزيد ثم اعتزل معاوية الخلافة، وكان مروان قد أسن فرحل إلى الجابية فى شمالى حوران ودعا إلى نفسه، فبايعه أهل الأردن سنة ٦٤هـ ودخل الشام فأحسن تدبيرها، وخرج إلى مصر وقد فشت فى أهلها البيعة لابن الزبير، فصالحوا مروان فولى عليهم ابنه عبد الملك وعاد إلى دمشق فلم يطل أمره، وتوفى فيها بالطاعون سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م. وقيل غطته زوجته "أم خالد" بوسادة وهو نائم فقتلته، ومدة حكمه تسعة أشهر و١٨ يومًا، وهو أول من ضرب الدنانير الشامية وكتب عليها "قل هو الله أحد" وكان يلقب "خيط باطل" لطول قامته واضطراب خلقه.

انظر المزيد فى : أسد الغابة ٤/ ٣٤٨، تهذيب التهذيب ١٠/ ٩١، الجمع ٥٠١، الكامل ٤/ ٧٤، تاريخ الطبرى ٧/ ٣٤ ــ ٨٣، البدء والتاريخ ٦/ ١٩، تاريخ الخميس ٢/ ٣٠٦، معجم الشعراء ٣٩٦، معجم قبائل العرب ٣/ ١٠٧٨.

(١) هو معاوية بن خديج بن جفنة بن قنبر أبو نعيم الكندى ثم السكونى الأمير الصحابى قائد الكتائب "كما نعته الذهبى" والى مصر كان ممن شهد حرب "صفين" فى جيش معاوية بن أبى سفيان. وولاه معاوية إمرة جيش جهزه إلى مصر، وكان الوالى عليها محمد بن أبى بكر الصديق، من قبل على بن =

من أمر الموت وغيره. فما مر قليل حتى مات عبد العزيز بن مروان وهو بحلوان، ونقل إلى مدينة الفسطاط وقد تغيرت رائحته، فكان حول نعشه مجامر النار وفيها العود لتخفى تلك الرائحة الكريهة منه.

قال ابن عفير[1]: كان لعبد العزيز بن مروان في كل يوم ألف جفنة نظيف حول داره للفقراء والمساكين، وكان له مائة وست تحمل على عجل من كبرها ويطاف بها على القبائل واستمر ذلك في كل يوم إلى أن مات.

ثم تولى من بعده عبد الله بن عبد الملك بن مروان[2] تولى على مصر في سنة ثلاث وثمانين من الهجرة.

ثم تولى من بعده قرة بن شريك العبسي[3] في سنة تسعين من الهجرة، فلم تطل أيامه بها.

= أبي طالب، فقتل محمدًا، وأخذ بيعة أهل مصر لمعاوية. ثم ولى إمرة مصر يزيد وولى غزو المغرب مرارًا آخرها سنة ٥٠هـ واستولى على صقلية، وفتح بنزرت، وأعيد إلى ولاية مصر، وعزل عنها سنة ٥١هـ وتوفى بها. وبقيت فيها ذريته إلى القرن الثامن للهجرة. له فى إفريقية أثار، منها آبار فى القيروان تعرف بآبار حديج وهى خارج باب تونس منحرفة عنه إلى الشرق، وكان أعور، ذهبت عينه يوم دهقلة ببلاد النوبة، عاقلاً حازمًا واسع العلم، مقدامًا وهو ابن كبشة بنت معدى كرب الشاعرة. مات سنة ٥٢هـ /٦٧٢م.

انظر المزيد فى: دول الإسلام ١/ ٢٧، الاستقصا ١/ ٣٦، فتح العرب للمغرب ١١٥ـ١٢٧، البيان المغرب ١/ ١٧، رياض النفوس ١/ ١٧، الولاة والقضاة ١٨٥، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٠٣، المحبر ٢٩٥.

(١) هو سعيد بن كثير بن عفير الأنصارى مولاهم المصرى الحافظ. روى عن مالك والليث وابن لهيعة وابن وهب وطائفة. وعنه ابناه عبيد الله وأسد والذهلى والبخارى وآخرون. قال ابن عدى: هو عندنا صدوق ثقة، وقد حدث عنه الأئمة من الناس. وقال ابن يونس: كان أعلم الناس بالأنساب والأخبار وأيام العرب والتواريخ، أديبًا فصيح اللسان حاضر الحجة لا تمل مجالسته، ولد سنة ١٤٦هـ ومات سنة ٢٢٦هـ.

انظر المزيد فى: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٧١، تهذيب التهذيب ٤/ ٧٤، خلاصة تذهيب الكمال ١٢٠، العبر ١/ ٣٩٦، ميزان الاعتدال ٢/ ١٥٥.

(٢) ورد ذكره فى حسن المحاضرة للسيوطى.

(٣) هو قرة بن شريك بن مرثد العبسى الغطفانى المضرى القنسرينى أمير. ولى نيابة مصر فى زمن الوليد الأموى فى أوائل سنة ٩٠هـ وأنشأ جامع الفسطاط وزخرفه. وكان جبارًا صلبًا مخوفًا، تعاقد نحو =

ثم تولى من بعده عبد الملك بن رفاعة الفهمى[1] تولى فى سنة ست وتسعين، تولى بمصر مرتين.

ثم تولى من بعده أيوب بن شرحبيل الأصبحى[2] فى سنة إحدى ومائة من الهجرة.

ثم تولى من بعده بشر بن صفوان[3] تولى على مصر ثلاث مرات إلى أن عزل عنها بعد الولاية الثالثة فى سنة ثمان وعشرين ومائة.

= مائة من الشراة فى الإسكندرية على قتله، فعلم بهم، فقتلهم جميعًا، واستمر فى الإمارة بمصر إلى أن مات سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م، ومؤرخوه فى العصر العباسى وما بعده يرمونه بالفسق والظلم، ويأتون بقول ينسبونه إلى عمر بن عبد العزيز: "الوليد بالشام، والحجاج بالعراق، وعثمان المزنى بالحجاز وقرة بمصر؟ امتلأت الدنيا والله جورًا.

انظر المزيد فى : دول الإسلام ١/ ٤٨، تاريخ الطبرى ٨/ ١١٢، الولاة والقضاة ٦٣، النجوم الزاهرة ١/ ٦٩ و١٢٧.

(١) هو عبد الملك بن رفاعة بن خالد الفهمى أمير مصر، كان على شرطتها سنة ٩١هـ وولى إمارتها سنة ٩٦هـ واستمر إلى سنة ٩٩هـ وعزل، فرحل إلى الشام وأعيد فى أول ١٠٩هـ فدخل مصر، وهو مريض فلبث ١٥ ليلة وتوفى سنة ١٠٩هـ / ٧٢٧م. كان عادلاً عفيف النفس فاضلاً. من كلامه "إذا دخلت الهدية من الباب خرجت الأمانة من الطاق" ينهى الموظفين عن قبول الهدية.

انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ٦٤ ــ ٦٧، النجوم الزاهرة ١/ ٢٣١، و٢٦٤.

(٢) هو أيوب بن شرحبيل بن أبرهة الأصبحى من بنى الصباح أمير من النبلاء الصلحاء، ولى مصر لعمر بن عبد العزيز " أول سنة ٩٨هـ وحسنت أحوالها فى أيامه، واستمر إلى أن توفى فيها سنة ١٠١هـ ومدة إمارته سنتان ونصف سنة.

انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ١/ ٢٣٧، الولاة والقضاة ٦٧.

(٣) هو بشر بن صفوان الكلبى أمير المغرب وأحد الشجعان ذوى الرأى والحزم ولى مصر أولاً سنة ١٠١هـ من قبل يزيد بن عبد الملك، ثم جاءه كتاب يزيد بتأميره على إفريقية سنة ١٠٢هـ، فخرج إليها وأقام فى القيروان وغزا صقلية وغيرها، ومات بالقيروان سنة ١٠٩هـ/ ٧٢٧م.

انظر المزيد فى : الخلاصة النقية ١٣، البيان المغرب ١/ ٤٩، النجوم الزاهرة ١/ ٢٤٤، تاريخ ابن عساكر ٢/ ٢٤٢، الاستقصا ١/ ٤٧، الولاة والقضاة ٦٩.

ثم تولى من بعده أخوه حنظلة بن صفوان الفهمى[1] وهو الذى نقلت بنى قيس إلى مصر فى أيامه وذلك فى سنة سبع وعشرين ومائة، ولم يكن بها قبل ذلك أحد من بنى قيس. وتوفى حنظلة هذا فى سنة تسع وعشرين ومائة.

ثم تولى من بعده محمد بن عبد الملك بن مروان[2] فكان ولايته على مصر سبعة أشهر وخمسة أيام.

ثم تولى من بعده حنظلة بن صفوان أيضًا تولى على مصر ثلاث وعزل عنها.

ثم تولى الحر بن يوسف[3].

---

(١) هو حنظلة بن صفوان الكلبى أبو حفص أمير من القادة الشجعان من أهل دمشق، استخلفه أخوه بشر على إمارة مصر سنة ١٠٣هـ، وأقره يزيد بن عبد الملك. فلما مات يزيد وخلفه هشام بن عبد الملك صرف حنظلة سنة ١٠٥هـ ثم أعاده هشام إليها سنة ١١٩هـ فأقام إلى سنة ١٢٤هـ ونقل إلى إفريقية واليًا عليها، وثورة البربر مندلعة فيها، فقمعها. وأرسل إلى الأندلس فدانت له، واستقر إلى أن اضطرب أمر الخلافة فى الشام فأخرجه أهل إفريقية سنة ١٢٩هـ فعاد إلى الشام ومات سنة ١٣٠هـ ٧٤٨م.

انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ٧١ و ٨٠، الاستقصا ١/ ٥١، البيان المغرب ١/ ٥٨، تهذيب ابن عساكر ٥/ ١٢.

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى أمير من بنى أمية فى الشام، له رواية للحديث، أخذ عنه الأوزاعى وآخرون، ولى الديار المصرية لأخيه هشام وقال لهشام: أنا إليها على أنك إن أمرتنى بخلاف الحق تركتها. فقال: لك ذلك وأقام فيها شهرًا (سنة ١٠٥هـ) فأتاه كتاب لم يعجبه، فرفض العمل وانصرف إلى الأردن وكان منزله بها فى قرية يقال لها ريسون. ولما قتل الوليد ابن معاوية سنة ١٣٢هـ استقل محمد بالأردن، وظفر به عبد الله بن على العباس الهاشمى يوم نهر أبى فطرس، قرب الرملة بفلسطين فذبحه صبرًا سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م.

انظر المزيد فى : تاريخ الإسلام ٥/ ٢٩٧، النجوم الزاهرة ١/ ٣٢٣، الولاة والقضاة ٧٢ـ ٧٣، معجم البلدان ٨/ ٣٣٣.

(٣) هو الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم الأموى أمير مصر ثم الموصل ولاه هشام بن عبد الملك مصر سنة ١٠٥هـ، فثار القبط فأصلح أمرهم وانكشف النيل فى أيامه عن أرض جديدة بنيت فيها "قيسارية هشام" وصرفه هشام عن مصر سنة ١٠٦هـ وولاه الموصل فقصدها وأجرى فيها نهرًا كان أكثر شربها منه، استمر العمل فى حفره عدة سنين وعليه كان "شارع النهر" وبنى لسكناه دارًا كانت تسمى "المنقوشة" لكثرة ما فيها من نقوش الساج والرخام والفصوص الملونة (الفسيفساء) =

ثم تولى من بعده حفص بن الوليد العامرى[1].

ثم تولى من بعده عبد الملك بن رفاعة[2]. ثم أخوه الوليد. ثم الوليد بن رفاعة.

ثم تولى عبد الرحمن بن خالد الفهمى[3]. ثم تولى من بعده الأمير حسان بن

= وخربت قبل عصر المؤرخ ابن الأثير، واستمر الحر فى إمارته إلى أن توفى سنة ١١٣هـ / ٧٣١م. وكان عاقلاً فاضلاً محبًا للخير والعمران. قال ابن تغرى بردى: كان أجل أمراء بنى أمية شجاعة وكرمًا وسؤددًا.

انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ٧٣، الكامل ٥/ ٤٩، النجوم الزاهرة ١/ ٢٥٨.

(١) هو حفص بن الوليد بن يوسف الحضرمى أمير من الولاة، ولى مصر لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٨هـ وصرف فى السنة نفسها وأعيد سنة ١٢٤هـ، فبقى إلى أيام مروان، واضطربت حال الدولة فاستعفى فأعفى سنة ١٢٧هـ وولى مكانه حسان بن عتاهية فلم يكد يستقر حتى ثار عليه أهل مصر وأخرجوه من دار الإمارة وأعادوا حفصا وهو كاره، فعزله مروان أول سنة ١٢٨هـ وولى حوثرة بن سهيل فقدم مصر واجتمع الجند إلى حفص يسألونه أن يمنعه فأبى واعتزل الفتنة ودخل حوثرة فجاءه حفص مسلمًا، فقبض عليه ثم ضرب عنقه.

انظر المزيد فى : تهذيب التهذيب ٢/ ٤٢١، تهذيب ابن عساكر ٤/ ٣٨٦، الولاة والقضاة ٨٢ ـ ٩٠.

(٢) هو الوليد بن رفاعة بن خالد الفهمى أمير. كان يلى الشرطة (قوى الأمن) بمصر ونحى عنها سنة ٩٧هـ ثم قلده هشام بن عبد الملك سنة ١٠٩هـ وأقبلت قبائل قيس على سكنى مصر. ومن الحوادث فى أيامه أنه أذن فى ابتناء كنيسة بالحمراء، عرفت بعد ذلك بأبى مينا، فثار وهيب اليحصبى وقتل فخرج القراء بالفسطاط غضبًا لمقتله فأصلح ابن رفاعة الأمر بالقبض على قتلة وهيب وسكنت الفتنة واستمر واليًا إلى أن توفى سنة ١١٧هـ ٧٣٥م وحمدت سيرته.

انظر : الولاة والقضاة ٦٦، ٧٥ ـ ٧٩ النجوم الزاهرة ١/ ٢٠٠.

(٣) هو عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمى المصرى أبو الوليد، وال من رجال الحديث الثقات. كان على شرطة مصر سنة ١١٩هـ ثم ولى مصر لهشام بن عبد الملك سنة ١١٨هـ وعزل سنة ١١٩هـ ومدة إمارته سبعة أشهر وخمسة أيام، وكان سبب عزله نزول الروم ببعض نواحى مصر فى أيامه وأسرهم منها خلقًا كثيرًا.

انظر المزيد فى: تهذيب التهذيب ٦/ ١٦٥، النجوم الزاهرة ١/ ٢٧٧، الولاة والقضاة ٧٦ ـ ٨٠، الجمع بين رجال الصحيحين ٢٩١.

عتاهية التجيبى[1]. تولى بها فى أيام مروان الحمار[2] إلى أن قتل بمصر.

ثم تولى من بعده الحوثرة بن سهيل الباهلى[3]، فأقام بها نحو ثلاث سنين وعزل عنها.

---

(١) ورد ذكره فى حسن المحاضرة.

(٢) هو مروان بن محمد بن الجعدى مروان بن الحكم الأموى أبو عبد الملك القائم بحق الله ويعرف بالجعدى والحمار، أخر ملوك بنى أمية فى الشام. ولد بالجزيرة ٧٢هـ / ٦٩٢م وأبوه متوليها وغزا (سنة ١٠٥هـ) فافتتح "قونية" وغيرها. وولاه هشام بن عبد الملك على أذربيجان وأرمينية والجزيرة (سنة ١١٤هـ) فافتتح فتوحات وخاض حروبًا كثيرة، ولما قتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ وظهر ضعف الدولة فى الشام، دعا الناس وهو بأرمينية إلى البيعة له، فبايعوه فيها، وزحف بجيش كثيف فى أيام إبراهيم بن الوليد، قاصدًا الشام، فخلع إبراهيم واستولى على عرش بنى مروان سنة ١٢٧هـ. وفى أيامه قويت الدعوة العباسية، وتقدم جيش قحطبة بن شبيب الطائى إلى طوس، يريد الإغارة على الشام، فسار إليه مروان بعسكره ونزل بالزاب (بين الموصل وإربل" وتصاول الجمعان فانهزم مروان، ففر إلى الموصل، ومنها إلى حران فحمص فدمشق ففلسطين، وانتهى إلى بوصير (من أعمال مصر) فقتل فيها (قتله عامر أو عمرو بن إسماعيل المرادى الجرجانى) وحمل رأسه إلى السفاح العباسى. وكان مروان حازمًا مدبرًا شجاعًا، إلا أن ذلك لم ينفعه عند إدبار الملك وانحلال السلطان. ويقال له "الحمار" أو "حمار الجزيرة" لجرأته فى الحروب، واشتهر بمروان الجعدى نسبة إلى مؤدبه "الجعد بن درهم" وكان أبيض، ضخم الهامة بليغًا له "رسائل تجمع ويقتدى بها". كما قال بعض مؤرخيه وخلافته إلى أن بويع السفاح خمس سنين وشهر، وإلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر.

انظر المزيد فى: الكامل ٥/ ١١٩ و١٥٨، تاريخ اليعقوبى ٣/ ٧٦، تاريخ ابن خلدون ٣/ ١١٢ و ١٣٠، تاريخ الطبرى ٩/ ٥٤ و١٣٣، تاريخ الخميس ٢/ ٣٢٢، مروج الذهب ٢/ ١٥٥، الأخبار الطوال ٣٥٠، تاريخ الإسلام ٥/ ٢٩٨، النجوم الزاهرة ١/ ١٩٦، ٢٥٤ و٢٧٣ و ٢٨٦ و٣٠٢ و٣٢٢، معجم البلدان ٨/ ١٩٦.

(٣) هو حوثرة بن سهيل الباهلى قائد، فيه جفوة الأعراب، ممن ولى مصر فى عهد بنى مروان. أصله من قنسرين وكان بدويًا قحًا، فصيح اللسان، سفاكًا للدماء ولى مصر سنة ١٢٨هـ لمروان بن محمد، إثر فتنة قامت بها، فجاءها وقتل كثيرًا من الزعماء والروساء بتهمة الاشتراك فيها، فلم يرض مروان عن عمله فصرفه سنة ١٣١هـ ووجهه إلى العراق مددًا ليزيد بن عمر بن هبيرة، فجعله يزيد على مقدمة جيشه فقاتل أشياع العباسيين إلى أن استسلم ابن هبيرة، بعد مقتل مروان، فاستسلم حوثرة معه، فقتلهما السفاح العباسى سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م.

انظر المزيد فى : الكامل ٥/ ١٦٦، الولاة والقضاة ٨٨.

ثم تولى من بعده المغيرة بن عبيد الله بن المغيرة بن مسعدة [ق ٤ أ] الفزارى[١] فأقام بها سنتين وأشهر ثم عزل عنها.

ثم تولى من بعده عبد الله بن مروان[٢] وشهرته ولى لحم فأقام بها نحو ثلاث سنين وعزل عنها. فكان أخر من تولى على مصر من تحت أيدى الخلفاء الأموية الذين كانوا فى دمشق، فلما انقرضت دولتهم وابتدت دولة بنى العباس فتولى فى أيامهم جماعة كثيرة أكبر ممن تولى فى دولة الأمويين وكانوا يسمون عمال الخراج، وقيل كان الخلفاء يشترطون عليهم فى تقليدهم ضيافة العسل النحل المصرى من عسل بنها وهى من ضياع مصر.

---

(١) هو المغيرة بن عبيد الله بن المغيرة بن عبد الله بن مسعدة الفزارى، وال، من وجوه العصر المروانى. ولاه مروان بن محمد إمارة مصر سنة ١٣١هـ فمكث عشرة أشهر، وعاجلته الوفاة فيها سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م. وكان دينًا فاضلاً محببًا للرعية. قال ابن تغرى بردى : هو أجل أمراء بنى أمية، وولى لهم الأعمال الجليلة.

انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ١/ ٣١٤، الولاة والقضاة ٩٢.

(٢) ورد ذكره فى الولاة والقضاة للكندى.

ذكر من تولى على مصر من دولة بنى العباس

فأول من تولى فى دولتهم على مصر: صالح بن على بن عبد الله[1] تولى بها فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فتولى على مصر مرتين.

ثم تولى من بعده أبو عون عبد الملك الأزدى[2] فلم تطل أيامه بها.

ثم تولى من بعده موسى بن كعب[3] أبو عيينة فى سنة إحدى وأربعين ومائة.

---

(١) هو صالح بن على بن عبد الله بن العباس الهاشمى الأمير عم السفاح والمنصور، وأول من ولى مصر من قبل الخلفاء العباسيين، تعقب مروان بن محمد لما فرَّ من الشام وقتله ببوصير سنة ١٣٢هـ، فولاه السفاح مصر فى أوائل سنة ١٣٣هـ فأقام سبعة أشهر وأيامًا، فتك فيها بكثيرين من أشياع بنى أمية. وضمت إليه ولاية فلسطين فانتقل إليها. ثم ورد كتاب بولايته على مصر وفلسطين وإفريقية، فعاد إلى مصر سنة ١٣٦هـ وولى الخلافة أبو جعفر المنصور فى هذه السنة، فأمره بالعودة إلى فلسطين ثم جعل ينقله إلى أن أقره بالجزيرة، فكانت له الديار الشامية كلها. وأنشأ مدينة أذنة (فى الأناضول) وكسر الروم فى وقائع مرج دابق. وكانوا نحو مائة ألف وكان شجاعًا حازمًا. مولده بالشراة سنة ٩٦هـ / ٧١٤م ووفاته بقنسرين سنة ١٥١هـ / ٧٦٨م.

انظر المزيد فى : دول الإسلام ١/ ٧٩، النجوم الزاهرة ١/ ٣٢٣ ـ ٣٣١، تهذيب ابن عساكر ٦/ ٣٧٦، الولاة والقضاة ٩٧ ـ ١٠٢ ـ رغبة الأمل ٥/ ٢٠٠.

(٢) هو أبو عون عبد الملك بن يزيد مولى هناءة من الأزد، وهو من أهل جرجان استخلف مصر صلاتها وخراجها سنة ١٣٣هـ.

انظر المزيد فى : الولاة والقضاة ١٠١ ـ ١٠٢

(٣) هو موسى بن كعب بن عيينة التميمى أبوعيينة وال من كبار القواد، وأحد الرجال الذين رفعوا عماد الدولة العباسية وهدموا أركان الدولة الأموية، كان مع أبى مسلم فى خراسان وجعله محمد ابن على فى جملة النقباء الأثنى عشر فى عهد بنى أمية، فأقام يبث الدعوة لبنى العباس. وشعر به أسد ابن عبد الله البجلى القسرى (والى خراسان) فقبض عليه وألجمه بلجام فتكسرت أسنانه ثم انطلق، فوجهه أبو مسلم (قبل ظهور الدعوة العباسية) إلى أبيورد فافتتحها ثم شهد الوقائع الكثيرة. وكان مع السفاح حين ظهوره بالكوفة، وهو أول من بايعه بالخلافة وأخرجه إلى الناس. ولما ولى المنصور ولاه شرطته وأضاف إليه ولاية الهند ومصر، فأرسل موسى نائبين عنه إلى ذينك القطرين، وأقام مع المنصور وكانت ولاية الشرطة للخلفاء تعدل قيادة الجيش العامة فى عرفنا اليوم. وأغدق عليه العباسيون النعم، فكان يقول كانت لنا أسنان وليس عندنا خبز. ولما جاء الخبز ذهبت الأسنان ورحل إلى مصر فى عام وفاته فأقام سبعة أشهر وأيامًا وصرف عن إمرتها، فعاد إلى بغداد و لم يلبث أن توفى سنة ١٤١هـ / ٧٥٨م وهو على شرطة المنصور وعلى الهند، وخليفته فى الهند ابنه عيينة. =

ثم تولى حميد بن قحطبة[1].

ثم تولى يزيد بن حاتم[2].

ثم تولى عبد الله بن عبد الرحمن[3].

ثم تولى محمد أخو عبد الرحمن[4].

= انظر المزيد فى: الكامل ٦/ ١٤١، الولاة والقضاة ١٠٦، النجوم الزاهرة ١/ ٣٤٢ ــ ٣٤٥، تاريخ الطبرى ٩/ ١٧٧، المحبر ٣٧٤ و ٤٦٥.

(١) هـو حميد بن قحطبة بن شبيب الطائى أمير من القادة الشجعان، ولى إمرة مصر سنة ١٤٣هـ ثم إمـرة الجزيرة، ووجه لغزو أرمينية سنة ١٤٨هـ، ولغزو كابل سنة ١٥٢هـ ثم جعل أميرًا على خراسان فأقام إلى أن مات فيها سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٦م.

انظـر المـزيد فى :الكامل ٦/ ١٤٢ ــ ١٥٩، دول الإسلام ١/ ٨٣، النجوم الزاهرة ١/ ٣٤٩، تهذيب ابن عساكر ٤/ ٤٦٢، الولاة والقضاة ١١٠.

(٢) هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى أبو خالد أمير من القادة الشجعان فى العصـر العباسـى، ولى الديار المصرية سنة ١٤٤هـ للمنصور، فمكث سبع سنين وأربعة أشهر وصـرفه المنصور سنة ١٥٢هـ ثم ولاه إفريقية سنة ١٥٤هـ. فتوجه إليها وقاتل الخوارج واستقر والـيًا بها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر، قضى فى خلالها على كثير من فتن البربر وغيرهم. وتوفى بـالقيروان سـنة ١٧٠هـ / ٧٨٧م. وكان جوادًا ممدوحًا شديد الشبه بجده "المهلب" فى الدهاء والشجاعة.

انظـر المزيد فى : وفيات الأعيان ٢/ ٢٨١، النجوم الزاهرة ٢/ ١، الاستقصا ١/ ٥٨، تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٩٣، البيان المغرب ١/ ٧٨ ــ ٨١ ، الولاة والقضاة ١١١، خزانة البغدادى ٣/ ٥١ ــ ٥٣، مطالع البدور ١/ ١٥، مرآة الجنان ١/ ٣٦١ و٣٩٦، رغبة الأمل ٥/ ٢٠٣ ــ ٢٠٤.

(٣) هـو عـبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج التجيـبـى أمير، كان هو وأبوه من أكابر المصريين من أعوان بنى أمية، وولى مصر للمنصور العباسى سنة ١٥٢هـ، وهو أول من خطب فى رداء أسود، استمر فى ولايته إلى أن توفى سنة ١٥٥هـ / ٧٧٢م.

انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٢/ ١٧ ، الولاة والقضاة ١١٧.

(٤) هـو محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج التجيبـى أحد من ولى إمرة مصر، كان فيها مع أخـيه عبد الله، وله مواقف واستخلفه عليها أخوه سنة ١٥٥هـ فأقره الخليفة أبو جعفر المنصور، فأقام ثمانية أشهر ونصف الشهر. وتوفى وهو على الولاية سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م.

انظر المزيد فى : الولاة والقضاة ١٠١ و ١١٦ و ١١٨، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٣.

ثم تولى موسى بن على اللخمى[1].

ثم تولى عيسى بن لقمان[2].

ثم تولى واضح المنصورى[3].

ثم تولى منصور بن يزيد[4].

ثم تولى يحيى بن داود من بعده[5].

ثم تولى سالم بن سوادة[6]، قتل فى ولاية يزيد بن حاتم المهلبى فى سنة سبع وأربعين ومائة.

---

(١) هـو موسى بن على بالتصغير ابن رباح اللخمى أبو عبد الرحمن أمير مصر، كان أبوه من رجال مروان بن الحكم، وولد هو بإفريقية سنة ٩٠هـ / ٧٠٨م وسكن مصر. ولما توفى أميرها محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج سنة ١٥٥هـ استخلف موسى عليها فاستمر فى ولايته لها ست سنين وشهرين (١٥٥هـ ـ ١٦١هـ) ومات بالإسكندرية سنة ١٦٣هـ ٧٨٠م. وكان صالحًا من ثقات المصريين فى الحديث.
انظر المزيد فى : تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٦٣، الجرح والتعديل ج ٤ ق ١ ١٥٣، الولاة والقضاة ١١٨ ـ ١٢٠.

(٢) هـو عيسى بن لقمان بن محمد الجمحى أمير. ولى مصر سنة ١٦١هـ لمحمد المهدى و لم يستمر أكثر من خمسة أشهر وعزل سنة ١٦٢هـ / ٧٧٩م.
انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٢/ ٣٧١، الولاة و القضاة ١٢٠.

(٣) ثم وليها واضح مولى أبى جعفر من قبل المهدى على صلاتها وخراجها، دخلها يوم الثلاثاء لست بقين من جمادى الآخرة سنة ١٦٢هـ ثم صرف عنها فى شهر رمضان سنة ١٦٢هـ.
انظر المزيد فى : الولاة والقضاة ١٢١.

(٤) ثم وليها منصور بن يزيد الرعينى وهو ابن خال المهدى من قبل المهدى على صلاتها، فوليها يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ١٦٢هـ، ثم صرف عنها فى ذى القعدة سنة ١٦٢هـ وكان مقامه عليها شهرين وثلاثة أيام.
انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ١٢١ ـ ١٢٢.

(٥) هو يحيى بن داود الخرسى الشهير بابن ممدود من قبل المهدى على صلاتها وخراجها.
انظر : الولاة والقضاة ١٢٢ ـ ١٢٣.

(٦) ثم وليها سالم بن سوادة التميمى من قبل المهدى على الصلاة ، ثم صرف عنها سنة ١٦٤هـ. وليها سنة.
انظر: الولاة والقضاة ١٢٣.

ثم تولى من بعده محمد بن الأشعث الخزاعى[1]، تولى على مصر تلك السنة فلم تطل أيامه بها.

ثم تولى من بعده إبراهيم بن صالح العبسى[2] وتولى على الديار المصرية أيام هارون الرشيد[3] .

---

(١) هو محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعى وال، من كبار القواد فى عصر المنصور العباسى، ولاه المنصور مصر سنة ١٤١هـ ثم أمره باستنقاد إفريقية من بعض المتغلبة بعد مقتل حبيب بن عبد الرحمن الفهرى فوجه إليها جيشًا بقيادة الأحوص العجلى، فهزمه الثائر أبو الخطاب، فسار ابن الأشعث فى ٤٠ أو ٥٠ ألفا سنة ١٤٢هـ فقتل أبا الخطاب سنة ١٤٤هـ ودخل القيروان سنة ١٤٦هـ وانتظم له الأمر فى إفريقية، فثار عليه عيسى بن موسى بن عجلان (أحد جنده) فى جماعة من قواده وأخرجوه من القيروان سنة ١٤٨هـ فعاد إلى العراق، ثم غزا بلاد الروم مع العباس ابن عم المنصور، فمات فى الطريق مات سنة ١٤٩هـ / ٧٦٦م.

انظر المزيد فى: الخلاصة النقية ١٨، الولاة والقضاة ١٠٨، دول الإسلام ١/ ٧٨، النجوم الزاهرة ١/ ٣٤٦ و ٢/ ١٢.

(٢) هو إبراهيم بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس أمير هاشمى، كان يوصف بالعقل والدهاء، ولاه المهدى العباسى إدارة مصر ثم الجزيرة وأخيرًا عهد إليه بإمارة دمشق وما يليها والأردن وما حوله وجزيرة قبرص، فبقى إلى أن مات المهدى سنة ١٦٩هـ وخلفه الهادى فأقر إبراهيم على أعماله. ومات الهادى سنة ١٧٠هـ فولى الخلافة هارون الرشيد، فعزله وولى غيره مدة سنتين شبت فى خلالهما نار الفتن بين القيسية واليمانية فأعاده إلى إمارته، فأقر الأمن وأعيد إلى ولاية مصر سنة ١٧٦هـ / ٧٩٢م فتوفى فيها.

انظر المزيد فى : الولاة والقضاة ١٢٣ و ١٣٥، تهذيب ابن عساكر ٢/ ٢١٩، البداية والنهاية ١٠/ ١٦٩.

(٣) هو هارون الرشيد بن محمد المهدى بن المنصور العباسى أبو جعفر خامس خلفاء الدولة العباسية فى العراق، وأشهرهم، ولد بالرى سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م، لما كان أبوه أميرًا عليها وعلى خراسان ونشأ فى دار الخلافة ببغداد وولاه أبوه غزو الروم فى القسطنطينية، فصالحته الملكة إيرينى (Irene) وافتدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار تبعث بها إلى خزانة الخليفة فى كل عام وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادى سنة ١٧٠هـ فقام بأعبائها وازدهرت الدولة فى أيامه. واتصلت المودة بينه وبين ملك فرنسا كارلوس الكبير الملقب بشارلمان (Charlemagne) فكانا يتهاديان التحف. وكان الرشيد عالمًا بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه، فصيحًا له شعر أورد "صاحب الديارات" نماذج منه، وله محاضرات مع علماء عصره شجاعًا كثير الغزوات، يلقب بجبار بنى العباس حازمًا =

وكان الرشيد زوج إبراهيم بن عبد الملك[1] بابنته الغالية وولاه على مصر وذلك فى سنة خمس وستين ومائة.

ثم تولى من بعده موسى بن مصعب[2] مولى خثعم[3] تولى فى سنة سبع وستين ومائة ولم تطل أيامه بها.

ثم تولى من بعده عسامة بن عمرو المعافرى[4]، تولى على مصر فى سنة تسع وستين ومائة.

= كريمًا متواضعًا، يحج سنة ويغزو سنة، لم ير خليفة أجود منه. و لم يجتمع على باب خليفة ما اجتمع على بابه من العلماء والشعراء والكتاب والندماء، وكان يطوف أكثر الليالى متنكرًا. قال ابن دحية: "وفى أيامه كملت الخلافة بكرمه وعدله وتواضعه وزيارته العلماء فى ديارهم". وهو أول خليفة لعب بالكرة والصولجان. له وقائع كثيرة مع ملوك الروم، و لم تزل جزيتهم تحمل إليه من القسطنطينية طول حياته، وهو صاحب وقعة البرامكة وهم من أصل فارسى، وكانوا قد استولوا على شئون الدولة، فقلق من تحكمهم، فأوقع بهم فى ليلة واحدة وأخباره كثيرة جدًا. ولايته ٢٣ سنة وشهران وأيام. توفى فى "سناباذ" من قرى طوس وبها قبره سنة ١٩٣هـ / ٨٠٩م.

انظر المزيد فى: البداية ١٠/ ٢١٣، تاريخ اليعقوبى ٣/ ١٣٩/ الذهب المسبوك ٤٧ ــ ٥٨، الكامل ٦/ ٦٩، تاريخ الطبرى ١٠/ ٤٧، ١١٠، تاريخ الخميس ٢/ ٣٣١، معجم المرزبانى ٤٨٤، البدء والتاريخ ٦/ ١٠١، ثمار القلوب ٨٨، النبراس ٣٦ــ ٤٢، مروج الذهب ٢/ ٢٠٧ ــ ٢٣١، تاريخ بغداد ١٤/ ٥، تراجم إسلامية ١١، الديارات ١٤٤ ــ ١٤٦، مختصر تاريخ العرب ٢٠٤ ــ ٢١٧.

(١) هناك عدة روايات حول هذا الوالى.
انظر الولاة والقضاة

(٢) هو موسى بن مصعب الخثعمى أمير من القواد فى العصر العباسى ولى مصر سنة ١٦٧هـ للمهدى، وتشدد فى طلب الخراج، فنقم عليه الجند والناس. ثم ثار بعض أهل مصر، فقاتلهم بالجند، فانهزم جنده وقتل هو فى مكان يسمى "العرير" كان ظالمًا غاشمًا من شر ملوك مصر.
انظر المزيد فى : الولاة والقضاة ١٢٤، النجوم الزاهرة ٢/ ٥٤.

(٣) ورد هذا فى الولاة والقضاة ١٢٤ ــ ١٢٨.

(٤) هو عسامة بن عمرو بن علقة المعافرى أبو داجن أمير مصر مولده ووفاته بها سنة ١٧٦هـ / ٧٩٢، ولى شرطتها عدة مرات واستخلفه موسى بن مصعب سنة ١٦٨هـ فأقره المهدى العباسى أميرًا عليها. ثم عزل بعد ثلاثة أشهر وأيام. وأعيد إلى ولايتها بالنيابة وأقيل، وكان من ذوى الرأى والشجاعة.

انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٢/ ٥٧، الولاة والقضاة ١٢٨.

ثم تولى من بعده ولاة الذين تقدموا جماعة كثيرة من أقارب الخلفاء العباسيين، حذفت أسماؤهم خوف الإطالة فى ذلك، ولكن نذكر منهم بعض جماعة ممن تولى على مصر.

فمنهم: الفضل بن صالح العباسى[1]، ومنهم على بن سليمان[2] ثم موسى بن عيسى العباسى[3]، ثم تولى من بعدهم مسلمة بن يحيى الأخمسى[4]، تولى فى سنة

---

(١) هو الفضل بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس الهاشمى العباسى أبو العباس أمير استخلفه المنصور على إقامة الحج سنة ١٣٨هـ، وولى مصر للمهدى فى أواخر سنة ١٦٨هـ وكان فى العراق، وتوفى المهدى فى أول ١٦٩هـ قبل أن يرحل الفضل إلى مصر فأقره الهادى بن المهدى، فقصد مصر وكان أمرها مضطربًا، فأخضع عصاتها وقتل زعيمهم دحية بن مصعب الأموى، ولم يكد يستقر حتى ورد البريد بعزله. وكانت ولايته أقل من سنة. وولى إمرة دمشق، فعمر أبواب جامعها، والقبة التى فى صحن الجامع، وكان من شجعان الأمراء شاعرًا فصيحًا أديبًا.

انظر المزيد فى: النجوم الزاهرة ٢/ ٦٠، المحبر ٣٤، الولاة والقضاة ١٢٩.

(٢) هو على بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس الهاشمى العباسى أبو الحسن أمير من الولاة، ولى مصر لموسى الهادى سنة ١٦٩هـ وكان فى العراق فرحل إليها وحسنت سيرته. ومات الهادى وولى الخلافة هارون الرشيد، فأقره على الإمارة وطمع على بالخلافة وفاتح بعض أهل مصر بذلك فكتبوا إلى الرشيد فعزله سنة ١٧١هـ وعاد إلى العراق، فولاه الرشيد بعض الأعمال فى الجيش، واستمر مكرمًا إلى أن مات سنة ١٧٨هـ / ٧٩٤م.

انظر المزيد فى: النجوم الزاهرة ٢/ ٦١، الولاة والقضاة ١٣١.

(٣) هو موسى بن عيسى بن موسى بن محمد العباسى الهاشمي أمير من آل عباس، كان جوادًا عاقلاً. ولى الحرمين للمنصور والمهدى مدة طويلة. ثم ولى اليمن للمهدى وولى مصر للرشيد سنة ١٧١هـ وكان سلفه فيها على بن سليمان قد هدم الكنائس المحدثة بمصر، فرفع إليه أمرها، فاستشار خاصته، فقالوا: هى من عمارة البلاد، واحتجوا بأن عامة الكنائس التى بمصر ما بنيت إلا فى الإسلام، فى زمن الصحابة والتابعين، فأذن فى بنائها فبنيت كلها، وأقام على الولاية سنة وخمسة أشهر ونصف الشهر وصرف عنها سنة ١٧٢هـ فعاد إلى العراق، فولاه الرشيد الكوفة فدمشق ثم أعيد ثانية إلى إمرة مصر سنة ١٧٥هـ فأقام ببغداد إلى أن توفى سنة ١٨٣هـ ٧٩٩م.

انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ١٣٢ ـ ١٣٧، النجوم الزاهرة ٢/ ٦٦.

(٤) هو مسلمة بن يحيى بن قرة البجلى الخراسانى قائد من الولاة فى العصر العباسى، أصله من خراسان، قال ابن تغرى بردى: كان من أكابر القواد، ولاه الرشيد إمرة مصر سنة ١٧٢هـ =

اثنتين وسبعين ومائة، ثم تولى من بعده محمد بن زهير الأزدى[1]، ثم تولى من بعده داود بن يزيد المهلبى[2]، تولى هو ومحمد بن زهير الأزدى فى [ق ٤ ب] سنة واحدة وهى سنة ثلاث وسبعون ومائة.

ثم تولى إبراهيم بن صالح العباسى ثانى مرة ومات بمصر سنة ست وسبعين ومائة. ثم تولى من بعده عبد الله بن المسيب الضبى[3].

ثم تولى من بعده إسحاق بن سليمان العباسى[4] فى سنة سبع وسبعين ومائة.

= فدخلها ومعه ١٠ آلاف من الجند، وانتشرت الفتن فى أيامه فعزل سنة ١٧٣هـ، وولايته ١١ شهرًا، مات بعد سنة ١٧٣هـ ٧٩٠م.

انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ١٣٢، النجوم الزاهرة ٢/ ٧١.

(١) هو محمد بن زهير الأزدى أمير ولاه الرشيد العباسى مصر سنة ١٧٣هـ، فأقام خمسة أشهر إلا أيامًا وعزله الرشيد، فعاد إلى بغداد وجعل فى جملة القواد، مات سنة ١٨٠هـ / ٧٩٢م.

انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٢/ ٧١ ـ ٧٤، ٧٥، الولاة والقضاة ١٣٣.

(٢) هو داود بن يزيد بن حاتم المهلبى الطائى من أبناء المهلب بن أبى صفرة أمير من الشجعان العقلاء، كان مع أبيه بإفريقية واستخلفه أبوه عليها فتولاها بعد وفاته سنة ١٧٠هـ فأحسن تدبيرها، وبقى فى إمارتها إلى أن استعمل الرشيد عليها عمه روح بن حاتم سنة ١٧٢هـ، وولى داود إمرة مصر فى أواخر ١٧٣هـ فقدمها فى أوائل ١٧٤هـ. كان أمرها مضطربًا، فهدأت فى أيامه، واستمر سنة ونصف شهر، وعزل سنة ١٧٥هـ ثم ولاه الرشيد السند (سنة ١٨٤هـ) فاتسقت له أمورها وتوفى فيها سنة ٢٠٥هـ / ٨٢٠م.

انظر المزيد فى: النجوم الزاهرة ٢/ ٣ و٧٥ ـ ١١٦، الولاة والقضاة ١٣٣.

(٣) هو عبد الله بن المسيب بن زهير الضبى، من أمراء الدولة العباسية. ولاه الرشيد مصر سنة ١٧٦هـ، واستمر نحو ١٠ أشهر وعزل، فأقام بها إلى أن وليها استخلافًا عن عبد الملك بن صالح العباسى سنة ١٧٨هـ. نحو الشهرين، وصرف بعزل عبد الملك ولزم بيته واستخلفه ثانيًا عبيد الله ابن المهدى سنة ١٧٩هـ وصرف عنها، فلزم داره إلى أن مات سنة ١٧٩هـ ٧٩٥م.

(٤) هو إسحاق بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس الهاشمى العباسى، من أمراء الدولة العباسية، ولى إمرة المدينة سنة ١٧٠هـ للرشيد. ثم تولى السند ومكران سنة ١٧٤هـ وولى الإمارة بمصر سنة ١٧٧هـ فاستمر سنة وأيامًا وصرف عنها، فتوجه إلى الرشيد ومات بعد سنة ١٧٨هـ / ٧٩٤م.

ثـم تـولى مـن بعـده هـرثمة[1] بـن أعـين فـى سـنة ثمـان وسـبعين ومائـة فلم يعلو سنة وعزل عنها.

ثـم تـولى مـن بعـده عـبد الملك بـن صـالح العباسـى[2] فـتولى فـى سـلخ السـنة المذكورة ومات عقبها.

ثـم تـولى مـن بعـده عـبد الله[3] ابـن أمـير المؤمـنين المهـدى العباسـى تـولى فـى سـنة تسع وسبعين ومائـة ثم عـزل عـنها. وتـولى مـن بعـده موسـى بـن عيسـى العباسى المقدم

---

(١) هو هرثمة بن أعين أمير من القادة الشجعان. له عناية بالعمران، بنى فى "أرمينية" و "إفريقية" وغيرهما. ولاه "الرشيد" مصر سنة ١٧٨هـ ثم وجهه إلى إفريقية إخضاع عصاها فدخل "القيروان" ولقى من أهـلها مـا يحب، فأحسن معاملتهم وتقدم فى جيش كثيف إلى "تيهرت" فقاتله ابن الجارود، وظفر هـرثمة وأطاعته قبائل البربر، فعاد إلى القيروان. وبنى فيها القصر المعروف بالمنستير (على يد زكريا بن قادم) وبنى سور طرابلس الغرب، واستمر واليًا على إفريقية سنتين ونصف السنة. وطلب من الرشيد أن يعفـيه، فنقله سنة ١٨١هـ وعقد له على خراسان، فأقام فيها، وولاه غزوة الصائفة (سنة ١٩١ هـ) ثم ولاه ما كان لابن ماهان (على بن عيسى) فانتقل إلى مرو (سنة ١٩٢هـ) ولما بدأت الفتنة بـين الأمـين والمأمون، انحاز إلى المأمون، فقاد جيوشه وأخلص له الخدمة حتى سكنت الفتنة بمقتل الأمين، وانتظمت الدولة للمأمون فنقم عليه أمرًا، قيل اتهمه بممالاة إبراهيم بن المهدى أو بالتراخى فى قتال الطالبيين وأبى السرايا، فدعاه إليه وشتمه وضربه وحبسه وكان الفضل بن سهل (الوزير) يبغضه، فدس إليه من قتله فى الحبس سرًا. بمرو سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٦م.

(٢) هو عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس أمير من بنى العباس ولاه الهادى إمرة الموصل سنة ١٦٩هـ وعزله الرشيد سنة ١٧١هـ ثم ولاه المدينة والصوائف وولاه مصر مدة قصيرة، فلم يذهب إليها وولاه دمشق فأقام فيها أقل من سنة وبلغه أنه يطلب الخلافة، فحبسه ببغداد سنة ١٨٧ هـ ولما مات الرشيد أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة سنة ١٩٣هـ، فأقام الرقة أميرًا إلى أن توفى سنة ١٩٦هـ/ ٨١١م، كان من أفصح الناس وأخطبهم، له مهابة وجلالة.

انظـر المـزيد فى: فوات الوفيات ٢/ ١٢، النجوم الزاهرة ٢/ ٩٠ و١٥١، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٢٦، الكامل ٦/ ٨٥، زبدة الحلب ١/ ٦٤، رغبة الأمل ٥/ ١٢٥.

(٣) هـو عبد الله بن محمد بن إبراهيم الهاشمى العباسى أبو محمد المعروف بابن زينب أمير للرشيد سنة ١٨٩هـ وعزل بعد ثمانية أشهر و١٩ يومًا فعاد إلى بغداد، فجعله الرشيد فى جملة قواده، يوجهه فى المهمات إلى أن مات سنة ٢٠٠هـ.

انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ١٤١، النجوم الزاهرة ٢/ ١٣٣.

ذكره فتولى على مصر ثلاث مرات، وأقام بها إلى سنة ثمانين ومائة، ثم أعيد عبد الله ابن الخليفة المهدى ثانى مرة وأقام بها إلى سنة إحدى وثمانين ومائة وعزل عنها.

وقد تقدم أن الذين كانوا يتولون على مصر فى أيام الخلفاء يقيمون مدة يسيرة ويعزلون عنها، ويتولى غيرهم فلا يزالون على ذلك فى أيام الخلفاء.

ثم تولى من بعده إسماعيل بن صالح العباسى(١)، وتولى من بعده إسماعيل بن عيسى(٢) العباسى تولى فى سنة اثنتين وثمانين ومائة.

ثم تولى من بعده الليث(٣) بن الفضل الأبيوردى فى سنة أربع وثمانين ومائة.

ثم تولى من بعده أحمد بن إسماعيل العباسى(٤). تولى فى سنة تسع وثمانين ومائة.

---

(١) هو إسماعيل بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس الهاشمى العباسى أمير من الخطباء العظماء ولاه الرشيد إمرة مصر سنة ١٨٢هـ ثم عزله بعد تسعة أشهر إلا أيام. وكان شجاعًا فصيحًا عاقلاً أديبًا. قال ابن عفير: ما رأيت على هذه الأعواد ــ يعنى المنابر ــ أخطب من إسماعيل بن صالح. مات نحو سنة ١٩٠هـ / ٨٠٥.

انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٢/ ١٠٩.

(٢) هو إسماعيل بن عيسى بن موسى العباسى الهاشمى أمير ولاه الرشيد إمرة مصر سنة ١٨٣هـ فقدمها وأقام ثلاثة أشهر إلا أيامًا وصرف، فتوجه إلى الرشيد فأكرمه وبقى عنده وحج معه، ثم وجهه الرشيد إلى الغزو وعاد فاستقر إلى أن مات نحو ١٩٠هـ /٨٠٥م.

انظر المزيد فى: النجوم الزاهرة ٢/ ١٠٥.

(٣) هو الليث بن الفضل الأبيوردى من ولاة العصر العباسى . أصله من أبيورد (بخراسان) ولى إمرة مصر للرشيد سنة ١٨٣هـ واستمر أربع سنوات و٧ أشهر. وكان شجاعًا شديد البطش، خرج عليه أهل الحوف بشرقى مصر، وساروا إلى الفسطاط فقاتلهم فى أربعة آلاف من جند مصر، وانهزم جنده، فبقى هو فى نحو المائتين من أصحابه، فحمل بهم على أهل الحوف فظفر، وقتل كثيرين، وبعث إلى مصر بثمانين رأسًا، وهدأت الحال، فطلب من الرشيد جيشًا يتقوى به، فلم يأذن الرشيد وصرفه عن الإمارة سنة ١٨٧هـ فعاد إلى بغداد، ومات بعد سنة ١٨٧هـ / ٨٠٣م.

انظر المزيد فى: النجوم الزاهرة ٢/ ١١٣، الولاة والقضاة ١٣٩.

(٤) هو أحمد بن إسماعيل بن على بن عبد الله بن عباس الهاشمى العباسى أمير ولاه الرشيد على مصر سنة ١٨٧هـ، فاستمر سنتين و٤٥ يومًا. وكان عاقلاً حازمًا. مات بعد سنة ١٨٩هـ/١ ٨٠٥م.
انظر: النجوم الزاهرة ٢/ ١٤٢.

ثم تولى من بعده عبد الله بن محمد العباسى[1] الذى يقال له ابن زينب تولى فى سنة تسع وثمانين ومائة.

ثم تولى من بعده الحسين بن جميل العباسى[2] فى السنة المذكورة أيضًا.

ثم تولى من بعده مالك بن دلهم الكلبى[3] فى سنة اثنتين وتسعين [ومائة].

ثم تولى من بعده ابن التختاخ[4] فى سنة ثلاث وتسعين ومائة.

ثم تولى من بعده حاتم بن هرثمة بن أعين[5] وعزل عنها.

ثم تولى من بعده جابر بن الأشعث الطائى[6] فى سنة خمس وتسعين ومائة.

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن إبراهيم الهاشمى العباسى أبو محمد المعروف بابن زينب أمير من بنى العباس. ولى مصر للرشيد سنة ١٨٩هـ، وعزل بعد ثمانية أشهر و١٩ يومًا، فعاد إلى بغداد فجعله الرشيد فى جملة قواده، يوجهه فى المهمات إلى أن مات نحو سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م.
انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٢/ ١٣٣، الولاة والقضاة ١٤١.

(٢) هو الحسين بن جميل مولى أبى جعفر المنصور ممن ولى مصر أرسله الرشيد واليًا عليها سنة ١٩٠ هـ، فأقام سنة و٧ أشهر وأيامًا وصرف سنة ١٩٢هـ. وكانت له عناية بالإصلاح.
انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٢/ ١٣٤، الولاة والقضاة ١٤٢.

(٣) هو مالك بن دلهم بن عيسى الكلبى ممن ولى مصر، ولاه الرشيد سنة ١٩٢هـ،واستمر عامًا وخمسة أشهر إلا أيامًا. مات سنة ٢٠٠هـ/ ١٨٥م.
انظر المزيد فى: النجوم الزاهرة ٢/ ١٣٧ ـ ١٤١، الولاة والقضاة ١٤٤.

(٤) ثم وليها الحسين بن جميل من قبل الرشيد على صلاتها، قدمها يوم الخميس لعشر خلون من رمضان سنة ١٩٠هـ وصرف عنها لثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأخر سنة ١٩٢هـ.
انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ١٤٢ ـ ١٤٤.

(٥) هو حاتم بن هرثمة بن أعين وال من القادة فى الدولة العباسية، ولى شرطة مصر سنة ١٧٨هـ فى ولاية أبيه عليها. وصرف عنها، فعاد إلى العراق، فأعاده الأمين العباسى أميرًا عليها سنة ١٩٤هـ، فقصدها نزل ببلبيس وطلب أهل الأحواف فجاؤوه وعاهدوه على تأدية الخراج. ثم نقضوا عهدهم، فبعث إليهم جيشًا فقاتلوه، فظفر بهم، وانتقل إلى الفسطاط ومعه رهائن منهم، وسكنت مصر فى أيامه، وابتنى فيها القبة التى كانت تعرف بقبة الهواء، وعزله الأمين سنة ١٩٥هـ بعد ١٨ شهرًا إلا أيام من ولايته. مات سنة ١٩٥هـ / ٨١١م.
انظر المزيد فى: النجوم الزاهرة ٢/ ١٤٤، الولاة والقضاة ١٤٧.

(٦) هو جابر بن الأشعث بن يحيى الطائى من ولاة مصر فى عهد العباسيين. ولاه إمرتها الأمين سنة ١٩٥هـ واتصلت فتنة الأمين والمأمون بأهل مصر، فتعصب للمأمون بعضهم ووثبوا على جابر، فقاتلوه وأخرجوه من ديارهم، بعد ولايته نحو عام واحد.
انظر المزيد فى: النجوم الزاهرة ٢/ ١٤٨، الولاة والقضاة ١٤٧.

ثم تولى من بعده عباد بن محمد[1] فى سنة ست وتسعين ومائة.

ثم تولى من بعده المطلب بن عبد الله الخزاعى[2] فى سنة ثمان وتسعين ومائة.

ثم تولى من بعده العباس بن موسى العباسى[3] فلم تطل أيامه وعزل عنها. ثم أعيد المطلب ثانى مرة فى سنة تسع وتسعين ومائة.

ثم تولى من بعده السرى بن الحكم[4] فى سنة مائتين.

---

(١) هو عباد بن محمد بن حبان البلخى، أبو نصر من موالى كندة: وال من ضحايا فتنة الأمين والمأمون، كانت إقامته بمصر ووليها للمأمون سنة ١٩٦هـ فأقام بالفسطاط، وكتب الأمين إلى ربيعة بن قيس الحوفى بالولاية على مصر، وأن يحارب عبادًا فنشبت معارك بين الأميرين وأنصارهما، انتهت بالقبض على عباد وإرساله إلى الأمين، فقتله ببغداد سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م.

(٢) هو المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعى وال. كان فى مكة، وولى إمرة مصر للمأمون سنة ١٩٨ هـ فقدم إليها والثورات قائمة وأهلها فريقان فريق من حزب الأمين وفريق من حزب المأمون فقاسى الشدائد، وعزل بعد نيف وسبعة أشهر من ولايته. وأمر المأمون بالقبض عليه، فحبس مدة، وثار أهل مصر فى أيام خليفته (العباس بن موسى) فأطلقوا المطلب وأعادوه إلى الإمارة فى أوائل سنة ١٩٩هـ فأحسن السياسة وأقره المأمون إلى سنة ٢٠٠هـ وعزله، فأوقد الفتنة فلم يفلح، فخرج هاربًا إلى مكة. مات بعد سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م.
انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٢/ ١٥٧ و ١٦٢، الخطط ١/ ١٧٢ ــ ١٧٣، الولاة والقضاة ١٥٢ ــ ١٥٤.

(٣) هو العباس بن موسى بن عيسى العباسى الهاشمى أمير ولى الديار المصرية للمأمون سنة ١٩٨هـ ، فأرسل ابنه "عبد الله" نائباً عنه وتشدد هذا، فثار عليه أهل مصر فقاتلهم، فأخرجوه وأعادوا أميرهم الذى كان قبله "المطلب بن عبد الله" وعلم العباس بما وقع لابنه، فقصد مصر ١٩٩هـ ونزل ببلبيس ثم مضى إلى الحوف، فمرض وهو يقاتل رجال المطلب فعاد إلى بلبيس فمات فيها سنة ١٩٩هـ ٨١٥م.
انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ١/ ١٦١، الولاة والقضاة ١٥٣.

(٤) هو السرى بن الحكم بن يوسف أمير من الولاة. كان مقدامًا فاتكاً فيه دهاء أصله من خراسان، دخل مصر فى أيام الرشيد. ولما مات الرشيد ودعا المأمون إلى خلع الأمين، قام السرى بالدعوة فى مصر فارتفع شأنه، وكان شجاعًا فأحبه الجند، وولى مصر سنة ٢٠٠هـ فأقام ستة أشهر وثار عليه بعض قواد الجند، فخلعوه سنة ٢٠١هـ وانتهبوا منزله فأعاده المأمون إلى الولاية فى السنة نفسها، فتتبع آثار القائمين بالثورة فقتل وصلب كثيرين وأباد أهل الحوف، وامتنع عليه جمع من الجند، فتغلب عليهم وأخرجهم فى مركب بالنيل، ومعهم أخ له فأغرقهم جميعًا، وأقام فى ولايته إلى أن توفى سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م.

انظر المزيد فى : الخطط ١/ ١٧٩، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٠٠، الولاة والقضاة ١٦١ و١٦٧.

ثم تولى محمد بن السرى[1]. ثم عبيد الله بن السرى[2] أيضًا.

وفى ولاية المطلب فى سنة تسع وتسعين ومائة توفى القاضى بكار بن قتيبة[3] وكان من كبار الحنفية ودفن بمصر.

ثم تولى من بعده [ق٥ أ] عبد الله بن طاهر الخزاعى[4] وكان حذاق عمال الخراج.

---

(١) هو محمد بن السرى بن الحكم الضبى البلخى أبو نصر، أحد أمراء مصر. وليها للمأمون بعد وفاة أبيه السرى (سنة ٢٠٥هـ) وكانت فتنة "ابن الجروى" مشتعلة فيها، فأحسن السياسة وأحبته الرعية، وعاجلته الوفاة شابًا وهو على الإمارة. مات سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢٢م.

انظر المزيد فى : خطط المقريزى ١/ ١٧٩، النجوم الزاهرة ٢/ ١٧٨.

(٢) هو عبيد الله بن السرى بن الحكم أمير مصر وابن أميرها، بايع له الجند سنة ٢٠٦هـ، وأقره المأمون العباسى ثم عقد المأمون لخالد بن يزيد الشيبانى على بعض أعمال مصر، فامتنع عبيد الله عن قبوله وقاتله، فنشبت فتنة انتهت بفشل خالد ثم أقبل عبد الله بن طاهر مارًا بالشام حتى بلغ مصر، موفدًا من قبل المأمون، فدافعه عبيد الله مدة، وجاءه أمان المأمون سنة ٢١١هـ، على الصلح بينه وبين ابن طاهر، فلما التقيا خلع عليه ابن طاهر وأمره أن يخرج إلى المأمون، فخرج وأقام فى العراق إلى أن توفى بسر من رأى سنة ٢٥١هـ/ ٨٦٥م، وكان حازمًا شجاعًا.

انظر المزيد فى : الولاة والقضاة ١٧٣.

(٣) هو بكار بن قتيبة بن أسد أبو بكرة من بنى الحارث بن كلدة الثقفى، قاض فقيه محدث، ولى القضاء بمصر للمتوكل العباسى سنة ٢٤٦هـ. ولما صار الأمر إلى أحمد بن طولون بمصر، أمره بخلع الموفق من ولاية العهد، فامتنع بكار فأعتقله فأقام فى السجن يقصده الناس ويروون عنه الحديث ويفتيهم وهو باق على القضاء إلى أن توفى فى سجنه بمصر سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٤م ومولده بالبصرة سنة ١٨٢هـ/ ٧٩٨م، له كتب منها الوثائق والعهود فى الفقه.

انظر المزيد فى : الولاة والقضاة ٤٧٧ و٥٠٠، الجواهر المضيئة ١/ ١٦٨، تهذيب ابن عساكر ٣/ ٢٨٢، وفيات الأعيان ١/ ٩١.

(٤) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعى بالولاء أبو العباس، أمير خراسان، ومن أشهر الولاة فى العصر العباسى، أصله من باذغيس بخراسان، وكان جده الأعلى "زريق" من موالى طلحة بن عبد الله "المعروف بطلحة الطلحات" وولى إمرة الشام، مدة ونقل إلى مصر سنة ٢١١هـ، فأقام سنة ونقل إلى الدينور ثم ولاه المأمون خراسان وظهرت كفاءته، فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والرى والسواد وما يتصل بتلك الأطراف. واستمر إلى أن توفى =

قـال: لمـا قلدنـى الخليفة المتوكل[1] عـلى الله ولايـة مصـر قـال لى: يـا عـبد الله قـد قلدتـك أمـر مصـر، وهـى سـلة الخـبز. وكـان تـولى أيـام الرشـيد عـلى مصـر مـرتين فـلا تهـاون فـى أمـر الخـراج. ثـم أعـيد السـرى بـن الحكـم ثانـيًا عـلى مصـر فـى سنة إحدى ومائتين.

ثـم تـولى مـن بعـده محمـد بـن السـرى[2] فـى سـنة خمـس ومائـتين. ثـم تولى من بعده

= بنيسابور سنة ٢٣٠هـ ـ ٨٤٤م وقيل بمرو، وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه. قال ابن الأثير: كان عبد الله من أكثر الناس بذلاً للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشعراء فيه مراث كثيرة. وقال ابـن خلكان: كان عبد الله سيدًا نبيلاً عالى الهمة شهمًا، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه، وقال الذهـبى. فى كتابه دول الإسلام: كان عبد الله من كبار الملوك. وقال الشابشتى: كان المأمون تبناه ورباه.

انظـر المـزيد فى: ابن دقماق ٤/ ٦٥، المحبر ٣٧٦، الكامل ٧/ ٥، تاريخ الطبرى ١١/ ١٣، وفيات الأعيان ١/ ٢٦٠، تاريخ بغداد ٩/ ٤٨٣، الولاة والقضاة ١٨٠، الديارات ٨٦ ـ ٩١، التاج ٨/ ٢.

(١) هو جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد أبو الفضل خليفة عباسى ولد بـبغداد سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م وبويع بعد وفاة أخية الواثق سنة ٢٣٢هـ وكان جوادًا ممدحًا محبًا للعمـران، من آثاره "المتوكلية" ببغداد، أنفق عليها أموالاً كثيرة وسكنها. ولما استخلف كتب إلى أهـل بغـداد كتابًا قرئ على المنبر بترك الجدل فى القرآن، وأن الذمة بريئة ممن يقول بخلقه أو غير خلقه، ونقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق، فأقام بهذه شهرين، فلم يطب له مناخها، فعاد وأقام فى سامراء، إلى أن اغتيل فيها ليلاً بإغراء ابنه "المنتصر" ولبعض الشعراء هجاء فى المتوكل لهدمه قبر الحسين وما حوله سنة ٢٣٦هـ. وكثرت الزلازل فى أيامه، فعمر بعض ما خربت، وكان يلبس فى زمن الورد الثياب الحمر ويأمر بالفرش الأحمر، ولا يرى الورد إلا فى مجلسه وكان يقول: أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا أولى بصاحبه.

انظـر المزيد فى: الدول الإسلامية ٢٠، تاريخ الخميس ٢/ ٣٣٧، تاريخ بغداد ٧/ ١٦٥، النبراس ٨٠ ـ ٨٥، ثمار القلوب ١٤٩، تاريخ اليعقوبى ٣/ ٢٠٨، الكامل ٧/ ١١ و ٢٩، تاريخ الطبرى ١١/ ٢٦ و ٦٢، مروج الذهب ٢/ ٢٨٨.

(٢) هـو محمد بن السرى بن الحكم الضبى البلخى أبو نصر أحد أمراء مصر، وليها للمأمون بعد وفاة السـرى سـنة ٢٠٥هـ، وكانت فتنة ابن الجروى مشتعلة فيها فأحسن السياسة وأحبته الرعية وعاجلته الوفاة شابًا وهو على الإمارة سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢٢م.

انظر المزيد فى الخطط ١/ ١٧٩، النجوم الزاهرة ٢/ ١٧٨.

أخـوه عبـيد الله بـن السـرى[1] فـى سـنة سـت ومائـتين. قـيل وفـى أيـام عبـيد الله بـن السـرى هـذا توفيـت السـيدة نفيسـة[2] رضـى الله عـنها بنـت الأمـير الحسـن أمـير المدينة عـلى زيـن العـابدين بـن الحسـين بـن عـلى بـن أبـى طالـب، توفيـت فـى شـهر رمضـان سـنة ثمـان ومائـتين وأدركـت أيـام الإمـام الشـافعى[3] محمـد بـن إدريـس رضـى الله عنهم

---

(١) هـو عبـيد الله بن السرى بن الحكم أمير مصر وابن أميرها، بايع له الجند سنة ٢٠٦هـ وأقره المأمون العباسى ثم عقد المأمون لخالد بن يزيد الشيبانى على بعض أعمال مصر، فامتنع عبيد الله عن قبوله وقاتله، فنشبت فتنة انتهت بفشل خالد ثم أقبل عبد الله بن طاهر مارًا بالشام حتى بلغ مصر، موفـدًا من قبل المأمون فدافعه عبيد الله مدة، وجاءه أمان المأمون سنة ٢١١هـ على الصلح بينه وبين ابن طاهر، فلما التقيا خلع عليه ابن طاهر، فلما التقيا خلع عليه ابن طاهر وأمره أن يخرج إلى المـأمون، فخـرج وأقام فى العراق إلى أن توفى بسرمن رأى سنة ٢٥١هـ/ ٨٦٥م وكان حازمًا شجاعًا.

انظر المزيد فى : الولاة والقضاة ١٧٣.

(٢) هـى نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب صاحبة المشهد المعروف بمصر، تقية صالحة، عالمة بالتفسير والحديث، ولدت بمكة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م ونشأت فى المدينة وتزوجت إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق وانتقلت إلى القاهرة فتوفيت فيها سنة ٢٠٨هـ ٨٢٤م. حجت ثلاثين حجة. وكانت تحفظ القرآن وسمع عليها الإمام الشافعى. ولما مات أدخلت جنازته إلى دارها وصلت عليه. وكان العلماء يزورونها ويأخذون عنها، وهى أمية ولكنها سمعت كثيرًا من الحديث. وللمصريين فيها اعتقاد عظيم.

انظر المزيد فى : فوات الوفيات ٢/ ٣١٠، وفيات الأعيان ٢/ ١٦٩، خطط مبارك ٥/ ١٣٥.

(٣) هو الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف القرشى المطلبى المكى، نزيل مصر إمام الأئمـة وقدوة الأمة. ولد بغزة سنة خمسين ومائة وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين. روى عن عمه محمـد بن على وأبى أسامة وسعيد بن سالم القداح، وابن عيينة ومالك وابن علية وابن أبى فديك وخلـق. وعنه ابنه أبو عثمان محمد والإمام أحمد بن حنبل وأبو ثور وأبو عبيد القاسم وأبو الطاهر ابن السرح والمزنى وحرملة بن يحيى والحسن بن محمد الزعفرانى والربيع بن سليمان المرادى والربيع ابـن سليمان الجيزى وأبو الوليد المكى وأبو يعقوب البويطى ويونس بن عبد الأعلى وخلق كثير. وكان الحميدى يقول: حدثنا سيد الفقهاء الشافعى. قال ابن مهدى: ما أصلى صلاة إلا وأنا أدعو للشافعى فيها. مات فى أخر رجب سنة أربع ومائتين. =

ومات الإمام الشافعي في سنة أربع ومائتين، وقيل إن السيدة نفيسة صلت على الإمام الشافعي لما مات، كما أوصى بذلك رضى الله عنه.

ثم تولى من بعده عبد الله بن طاهر وتقدم ذلك أولاً. ثم تولى على مصر فى سنة أربعة عشرة ومائتين.

ثم تولى من بعده عيسى بن يزيد الجلودى[1] فى سنة ثلاثة عشرة ومائتين.

ثم تولى من بعده عمير بن الوليد[2] التميمى فى سنة أربعة عشرة ومائتين فى خلافة المعتصم بالله[3]. ثم أعيد عيسى بن يزيد ثانى مرة على ولاية مصر.

= انظر المزيد في: ارشاد الأريب ٦/ ٣٦٧، الأنس الجليل ١/ ٢٩٤، البداية والنهاية ١٠/ ٢٥١، تاريخ بغداد ٢/ ٥٦، تاريخ الخميس ٢/ ٣٣٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦١، ترتيب المدارك ٢/ ٣٨٢، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٤٤، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٥، حسن المحاضرة ١/ ٣٠٣، حلية الأولياء ٩/ ٦٣، خلاصة تذهيب الكمال ٢٧٧، الديباج المذهب ٢٧٧، الرسالة المستطرفة ١٧، شذرات الذهب ٢/ ٩، صفوة الصفوة ٢/ ٩٥، طبقات الحنابلة ١/ ٢٨٠، طبقات الفقهاء ٧١، طبقات القراء لابن الجزرى ٢/ ٩٥، طبقات المفسرين للداودى ٣/ ٩٨، طبقات ابن هداية الله ١١، العبر ١/ ٣٤٣، الفهرست ٢٠٩، اللباب ٢/ ٥، مرآة الجنان ٢/ ١٣، النجوم الزاهرة ٢/ ١٧٦، الوافى بالوفيات ٢/ ١٧١، وفيات الأعيان ١/ ٤٤٧.

(١) هو عيسى بن يزيد الجلودى من ولاة الدولة العباسية. ناب فى إمرة مصر عن عبد الله بن طاهر، أيام ولايته لها، سنة ٢١٢هـ، وأقره المأمون على الإمارة، فاستمر سنة و٧ أشهر وأيامًا، وعزل مدة شهرين. ثم أعيد فأقام ثمانية أشهر إلا أيامًا واشتد أهل "الحوف" فى أيامه، واتسعت ثورتهم حتى فتك بهم المعتصم وهو ولى عهد أخيه المأمون، وأصلح أحوال مصر وعزل فى أواخر سنة ٢١٤ هـ/ ٨٢٩م، ثم مات بعد فترة وجيزة.

انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٢/ ٢٠٤ و٢٠٨، الولاة و القضاة ١٨٤ و١٨٧.

(٢) هو عمير بن الوليد الباذغيسى الخراسانى التميمى: وال من الأجواد الرؤساء ولى مصر سنة ٢١٤ هـ وعاجلته ثورة قام بها أهل "الحوف" القيسية واليمنية، فخرج لقتالهم. وكانت له معهم معارك، قتل فيها بعد شهرين من ولايته سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩م ، ورثاه أبو تمام وغيره.

انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٢/ ٢٠٧، الولاة والقضاة ١٨٥.

(٣) هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدى بن المنصور أبو إسحاق المعتصم بالله العباسى خليفة من أعاظم خلفاء هذه الدولة، بويع بالخلافة سنة ٢١٨هـ، يوم وفاة أخيه المأمون وبعهد منه، وكان بطرسوس، وعاد إلى بغداد بعد سبعة أسابيع "فى السنة نفسها". وكان قوى الساعد، يكسر زند =

ثم تولى من بعده عبدويه بن جبلة[1] فى سنة خمسة عشرة ومائتين.

ثم تولى من بعده عيسى بن منصور الرافقى[2] تولى فى أيام الخليفة المأمون، وفى أيام عيسى هذا خرج قبط مصر على الطاعة وامتنعوا عن وزن الخراج وطردوا العمال عن البلاد، وكانت فتنة عظيمة بمصر حتى كادت مصر أن تخرب، وقدم الخليفة المأمون إلى مصر حتى أصلح بينهم وعزل عنهم عيسى بن منصور وذلك فى سنة سبعة عشرة ومائتين وقد تقدم ذلك.

= الرجل بين أصبعيه ولا تعمل فى جسمه الأسنان. وكره التعليم فى صغره، فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أميًا وهو فاتح عمورية من بلاد الروم الشرقية فى خبر مشهور، وهو بانى مدينة سامراء (سنة ٢٢٢هـ) حين ضاقت بغداد بجنده، وهو أول من أضاف إلى اسمه اسم الله تعالى من الخلفاء، فقيل المعتصم بالله، وكان لين العريكة رضى الخلق، اتسع ملكه جدًا. وكان له سبعون ألف مملوك، خلافته ٨ سنين و٨ أشهر. خلف ٨ بنين و٨ بنات، وعمره ٤٨ سنة، توفى بسامراء سنة ٢٢٧ هـ/ ٨٤١م. وكان أبيض أصهب حسن الجسم مربوعًا طويل اللحية.

انظر المزيد فى: الكامل ٦/ ١٤٨ ــ ١٧٩، تايخ اليعقوبى ٣/ ١٩٧، فوات الوفيات ٢/ ٢٧٠، تاريخ بغداد ٣/ ٢٤٢، مروج الذهب ٢/ ٢٦٩ ــ ٢٧٨، البدء والتاريخ ٦/ ١١٤، تاريخ الطبرى ١١/ ٦، تاريخ الخميس ٢/ ٣٣٦، النبراس ٦٣ ــ ٧٣.

(١) هو عبدويه بن جبلة من قواد بنى العباس، أصله من الأبناء، كان أكثر عمله فى مصر ولى شرطتها فى إمارة عبد الله بن طاهر سنة ٢١٠هـ ثم ولى إمارتها فى أول سنة ٢١٥هـ بالنيابة عن "المعتصم" حين كان وليًا لعهد المأمون وأميرًا على مصر. واستمر سنة واحدة عاد فى خلالها بعض أهل الحوف من القيسية واليمانية إلى الثورة، وقاتلهم عبدويه إلى أن صرف عن الإمارة ومات سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م.

انظر المزيد فى : الولاة والقضاة ١٨٣ ــ ١٨٩، النجوم الزاهرة ٢/ ٢١٢.

(٢) هو عيسى بن منصور الرافقى من ولاة مصر، كان والى الحوف (بمصر) وظهرت فيه كفاءة، فولى الديار المصرية مستهل سنة ٢١٦هـ. وانتقضت فى أيامه العرب والقبط، فأخرجوا العمال وأظهروا العصيان. فقاتلهم عيسى وأعانه الأفشين، وقدم المأمون سنة ٢١٧هـ فسخط على عيسى وأمر بحل لوائه. وقال: لم يكن هذا الحدث العظيم إلا عن فعلك وفعل عملك، حملتم الناس مالا يطيقون وكتمتمونى الخبر. وظل عيسى مبعدًا عن الولاية حتى كانت أيام الواثق بالله، فأعيد إليها سنة ٢٢٩ هـ وأقام إلى سنة ٢٣٣هـ فصرفه عنها المتوكل، فتوفى على الأثر بمصر سنة ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م.

انظر المزيد فى: الولاة و القضاة ١٩٢، النجوم الزاهرة ٢/ ٢١٥ و٢٥٥.

ثم تولى من بعده نصر السعدى المسمى بكيدر[1].

ثم تولى من بعده ابنه المظفر بن كيدر.

ثم من بعده أعيد عيسى بن منصور الرافقى ثانى مرة وذلك فى سنة تسع عشرة ومائتين.

ثم تولى من بعده موسى بن أبى العباس وذلك فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

ثم من بعده تولى موسى بن على[2] فأقام بها شهرًا وعزل عنها.

ثم تولى من بعده مالك بن كيدر[3] فى سنة أربع وعشرين ومائتين.

---

(١) هو نصر بن عبد الله أبو مالك المعروف بكيدر والى مصر فى أواخر أيام المأمون العباسى، أصله من الصفد، ولى مصر سنة ٢١٧هـ وتوفى المأمون، وهو فى الإمارة فأقره المعتصم وجاءه كتابه يأمر بإسقاط من فى الديوان من "العرب" وقطع أعطياتهم ففعل ذلك كيدر، فخرج عليه يحيى بن الوزير الجروى فى جمع لخم وجذام فتجهز لحربهم، فعاجلته منيته سنة ٢١٩هـ/ ٨٣٤م.

انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٢/ ٢١٨، الولاة والقضاة ١٩٣.

(٢) هو موسى بن على بن رباح اللخمى أبو عبد الرحمن أمير مصر، كان أبوه من رجال مروان بن الحكم، وولد سنة ٩٠هـ/ ٧٠٨م بإفريقية وسكن مصر. ولما توفى أميرها محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج سنة ١٥٥هـ، استخلف موسى عليها فاستمر فى ولايته لها ست سنين وشهرين (١٥٥هـ ــ ١٦١هـ) ومات بالإسكندرية وكان صالحًا، من ثقات المصريين فى الحديث. قال أبو نعيم: رأيت عليه سوادًا "والسواد شعار العباسيين، يلبسه من ولى لهم عملاً" فقلت له: لِمَ دخلت فى العمل. فقال: أكرهنى عليه أبو جعفر المنصور، وما فرقت (أى ما خشيت) أحدًا كفر فى إياه، و لم يكن رآه. وكان وهو أمير مصر يذهب إلى المسجد ماشيًا، ويجلس فيحدث وهو فى داخل المقصورة والناس وراءها. وكان يكره تسمية أبيه عليا "بالتصغير" مات سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م.

انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ١١٨ ــ ١٢٠، تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٦٣، الجرح والتعديل ج٤ ق ١ ١٥٣.

(٣) هو مالك بن نصر الملقب بكيدر عبد الله الصفدى من كبار القواد والولاة فى العصر العباسى. أصل أبيه من الصفد، ونشأ هو فى بيت رياسة قال ابن تغرى بردى: كان ساكنًا عاقلاً مدبرًا سيوسًا وقورًا فى الدول، تنقل فى خدمة الخلفاء وولى الأعمال الجليلة وآخرها إمرة مصر، ووليها سنة ٢٢٤هـ واستمر سنتين و١١ يومًا. وصرف عنها وتوفى بالإسكندرية سنة ٢٣٣هـ/ ٨٤٨م.

انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ١٩٥، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٣٢ ــ ٢٣٩ و ٢٤٥.

ثم تولى من بعده على بن يحيى الأرمنى[1] سنة خمس وعشرين ومائتين.

ثم تولى بعده هرثمة بن نصر الجبلى[2].

ثم ابنه حاتم[3]، ثم إسحاق بن يحيى[4]، ثم الأمير عبد الواحد بن يحيى[5] المسمى حوط وهو مولى خزاعة [ق ٥ب] تولى فى سنة ست وثلاثين ومائتين.

---

(١) هو على بن يحيى الأرمنى أبو الحسن قائد من الأمراء فى العصر العباسى أصله من الأرمن، استعرب أبوه، فنشأ فى بيئة عربية وولى الثغور الشامية ثم أرمينية وأذربيجان ومصر. وكان شديد الوطأة على الروم، له فيهم غزوات وفتوح. وقتل فى إحدى وقائعه معهم بالثغور الجزرية سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م.

انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٢/ ٣٤٥ و٢٧٩.

(٢) هو هرثمة بن نصر أو النضر الجيلى أو الجبلى: وال، قال ابن تغرى بردى: كان أميرًا جليلاً مدبرًا سيوساً ولى إمرة مصر سنة ٢٣٣هـ وفى أيامه ورد كتاب الخليفة المتوكل إلى مصر بترك الجدال فى القرآن، وانتهت المحنة التى كان المأمون قد بدأ بها فتباشر الناس بولاية هرثمة وعاجلته الوفاة بعد ١٥ شهرًا و٨ أيام. من ولايته وهو ثانى "هرثمة" ولى مصر فى الدولة العباسية، مات سنة ٢٣٤هـ ٨٤٩م.

انظر المزيد فى : الخطط ١/ ٣١٢، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٦٥، الولاة والقضاة ١٩٧.

(٣) هو حاتم بن هرثمة بن نصر (النضر) الجيلى: وال ممن ولى مصر للعباسيين وهو غير حاتم بن هرثمة بن أعين: استخلفه أبوه على ولاية مصر سنة ٢٣٤هـ وأقره الخليفة و لم تطل مدته، كانت ولايته ٤٣يومًا وعزل. قال ابن تغرى بردى: كان حاتم هذا جليلاً نبيلاً وعنده معرفة وحسن تدبير و لم أقف على تاريخ وفاته.

انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٢/ ٢٧٤.

(٤) هو إسحاق بن يحيى بن معاذ: وال من كبار القادة فى العصر العباسى، ولى دمشق فى أيام المأمون والمعتصم والواثق، ثم ولاه المتوكل إمرة مصر فى أواخر سنة ٢٣٥هـ فقدم إليها وأحبه أهلها، وكان جوادًا عاقلاً حسن التدبير والسياسة، شجاعًا محبًا للأدب، مدحه كثير من الشعراء. وأمره المنتصر (العباسى) بإخراج العلويين من مصر، فأخرجهم بلطف ورعاية، فساء المنتصر ذلك فعزله سنة ٢٣٦هـ قبل أن يكمل العام بمصر فأقام فيها وتوفى فى العام التالى سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١م.

انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ١٩٨، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٨٣.

(٥) هو عبد الواحد بن يحيى بن منصور الخزاعى بالولاء وال، من رجال الدولة العباسية، ولى إمرة مصر للمنتصر سنة ٢٣٦هـ وعزله سنة ٢٣٨هـ ــ فى أولها ــ فكانت ولايته ١٥ شهرًا و٧ أيام. وهو ابن عم طاهر بن الحسين.

انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٢/ ٢٨٨، الولاة والقضاة ١٩٩ و ٤٦٤.

ثم تولى من بعده العنبسة بن إسحاق بن شمر[1] تولى في سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

وفي أيام العنبسة هذا نزل بني الأصفر على دمياط وأعمالها وقتلوا جماعة من المسلمين. خرج إليهم العنبسة في يوم عيد النحر ومن معه من عساكر الفسطاط وتحاربوا معهم وكانوا نحو مائتين مركب فانهزموا بإذن الله، ونصر الله المسلمين عليهم وذلك في سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

ثم تولى من بعده يزيد بن عبد الله التركي[2]، وكان من الموالي، ولي على مصر في سنة اثنتين وأربعين ومائتين وهو الذي بني المقياس الموجود الآن بالروضة وقد تقدم ذلك في خلافة المتوكل على الله جعفر.

ثم تولى من بعده شخص يسمى مزاحم بن خاقان[3].

---

(١) هو عنبسة بن إسحاق بن شمر بن عبيد من بني حنبل بن بحالة الضبي أبو حاتم، أمير من قواد بني العباس، من أهل البصرة، ولاه المأمون إمرة الرقة مدة، ثم ولاه المنتصر مصر سنة ٢٣٨ فقدمها وحمدت سيرته وصرف عنها سنة ٢٤٢هـ فعاد إلى العراق سنة ٢٤٤هـ فتوفي فيها سنة ٢٤٦ هـ. قال بن تغري بردي: كان عنبسة خارجيًا، يتظاهر بذلك، ولما ولي مصر أنصف الناس غاية الإنصاف. وقال ابن حزم: لم يل مصر لبني العباس مثله، كان من أعدل الناس، يتهم بمذهب الخوارج لشدة عدله وتحريه للحق، وهو آخر عربي ولي مصر، وأخر أمير صلى بالناس وخطب.
انظر المزيد في: النجوم الزاهرة ٢/ ٢٩٣ ـ ٣٠٠، الولاة والقضاة ٢٠٠، جمهرة أنساب العرب ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) هو يزيد بن عبد الله بن دينار أبو خالد من ولاة العباسيين وقوادهم ، تركي الأصل من الموالي، ولي الإمارة بمصر سنة ٢٤٢هـ للمنتصر العباسي، فقدم إليها من بغداد ومهد أمورها. وفي أيامه بني "مقياس النيل" بالجزيرة المعروفة بالروضة، وأبطل النداء على الجنائز. ومنع الرهان على سباق الخيل، وأصيب العلويون منه بضيق شديد واستمر عشر سنين و٧ أشهر وأيامًا. وعزل في أيام المعتز ابن المتوكل سنة ٢٥٣هـ وعاد إلى العراق سنة ٢٥٥هـ.
انظر المزيد في : الولاة والقضاة ٢٠٢، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٠٨.

(٣) هو مزاحم بن خاقان بن عرطوح أو (أرطوج) أبو الفوارس ، قائد من ولاة العباسيين تركي الأصل، بغدادي المنشأ، أرسله المعتز العباسي في جيش كبير من العراق سنة ٢٥٢هـ لإخماد ثورة نشبت في الإسكندرية على أمير مصر (يزيد بن عبد الله) فقدمها وقمع الثورة، فولاه المعتز إمرة الديار المصرية (سنة ٢٥٣هـ) وتتابعت في أيامه الفتن، وكان شديدًا صلبًا وأبطل كثيرًا من البدع وعاقب عليها وتوفي بمصر وهو في الإمارة سنة ٢٥٤هـ ٨٦٨م.
انظر المزيد في : النجوم الزاهرة ٢/ ٣١٤ و ٣٣٧، والولاة والقضاة ٢٠٨.

ثم بعده ابنه أحمد[1] فلم تطل أيامهما.

ثم تولى من بعده شخص تركي يسمى أرخور وذلك كله إلى سنة أربع وخمسين ومائتين وقد تلاشى أمر الديار المصرية إلى الخراب وانحط خراج مصر فى تلك الأيام انحطاطًا فاحشًا وانتهكت حرمة الديار المصرية فى أيام من تولى عليها من ولاتها الذين تقدم ذكرهم إلى أن تولى أمر الديار المصرية الأمير أحمد بن طولون وكانت ولايته على مصر وأعمالها فى سنة أربع وخمسين ومائتين وذلك نيابة عن الخليفة المتوكل على الله.

(١) ورد ذكره فى الولاة والقضاة.

١ـ ولاية أحمد بن طولون

قال إبراهيم[1] بن وصيف شاه: كان أحمد بن طولون أصله من بنى الأتراك. وكان أبوه تركيا من مماليك الخليفة المأمون وكان أحمد رجلاً شجاعًا بطلاً له همة عالية ولازالت الأقدار تساعده حتى تولى على مصر، وكان الخلفاء يخشون منه. فلما تولى أمر مصر استقل بخراجها وخرج على طاعة الخلفاء.

وقيل لما دخل أحمد بن طولون إلى مصر كان فى ضيق حال يحتقر برأيه، وكان بمصر رجل يقال له على بن معبد البغدادى، وكان من أكابر أهل مصر فى السعة والغناء، فلما بلغه حضور الأمير أحمد بن طولون خرج إلى ملتقاه وسلم عليه ثم أرسل إلى الأمير أحمد بعشرة آلاف دينار وكتب إليه فى رقعة ليستعين الأمير بهذا القدر فى أموره. قال: اتسعت يده وزد على هذا القدر قبلته منه وإن لم يرده فهو فى حل من ذلك فلما حضر ذلك بين يدى أحمد بن طولون فحسن موقعه عنده إلى الغاية وقبلها منه وحظى عنده على بن معبد وقدمه على سائر أهل البلد وكان يأخذ رأيه ويفضى إليه بأسراره.

وكان أحمد بن طولون يركب إلى دار على بن معبد ويعوده إذا مرض [ق ٦ أ]، وكانت له عنده منزلة عظيمة، فاتفق أن سعر القمح تشحط فى أيام أحمد بن طولون، فجمع أعيان الناس من أهل مصر وشاورهم فى أن يسعر القمح. فقال له على بن معبد: لا تفعل ذلك أيها الأمير. "فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أن يسعر القمح فأبى، وقال "السعر بيد الله، أنى لا أحب أن يأتى يوم القيامة وأحد منكم يطالبنى بدينار ولا درهم"[2].

فاغتاظ أحمد بن طولون على علي بن معبد مع وجود مكانته عنده، وقال: أنا أدعك وأدع الناس مع هذا الحديث إلى مثل اليوم، فاشتعل قلبه على بن معبد وخاف على نفسه منه، فلم يمض ثلاثة أيام حتى أقلب الله السعر ونقص منه الضعف فازداد قدر على بن معبد عند أحمد بن طولون وعظمت منزلته عنده.

---

(١) انظر المزيد ف: الولاة والقضاة ٢١٢ ــ ٢٣٢، النجوم الزاهرة ٣/١، بدائع الزهور ١/ ٣٧، تاريخ ابن خلدون ٤/٢٩٧، الكامل ٧/ ١٣٦، وفيات الأعيان ١/ ٥٥.

(٢) ورد ف مفتاح كنوز السنة.

وقيل: إن أحمد بن طولون ركب يومًا إلى الصيد فبينما هو فى البرية إذ غاصت رجل فرسه فى مكان، فأمر بكشفه فكشف فوجده مطليا مملوءًا ذهبًا فنقله إلى خزانته، واتسع حاله به، واستكثر من الجند حتى قيل بلغت عدة عساكره بمصر أربعة وعشرين ألف غلام تركى، وأربعين ألف عبد أسود، وسبعة آلاف من شنائرة العرب، حتى كانت تخشاه خلفاء بنى العباس وتخاف من سطوته، حتى أن الخليفة المعتضد[1] بالله تزوج بابنته الست قطر الندى[2]. وبلغ خراج مصر فى أيامه أربعة آلاف دينار وثلاثمائة ألف دينار بعدما كان قد انحط خراج مصر إلى ثمانمائة ألف دينار فى أيام أحمد بن مدبر عامل خراج مصر.

وكان أحمد بن طولون فى آخر دولته جادًا فى حق الرعية إلى الغاية وأظهر فيهم العدل حتى قيل: أبيع القمح فى أيامه كل خمسة أرادب بدينار، وقد عم الرخاء فى أيامه أهل مصر إلى الغاية.

وهو الذى أنشأ الجامع الكبير الطولونى وقيل إنه أنفق على بنائه مائتى ألف دينار، وكان بناؤه فى سنة تسع وخمسين ومائتين. وأنشأ بمصر مارستانًا ولم تكن بمصر قبله مارستان غيره، وكان منفق الجامع والمارستان كل شهر برسم الصدقات ثلاثة وعشرين ألف دينار.

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن الموفق أبى أحمد بن المتوكل، فصلحت به الأحوال وأقام العدل وبذل الأموال وغزا وحج وجالس المحدثين وأهل الفضل والدين وعمر البلاد، رفق بالرعية وحكم بالسوية.

انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٣/ ١٢٨، شذرات الذهب ٢/ ١٩٩، فوات الوفيات ١/ ٤٥، الكامل ٧/ ١٤٧ ــ ١٦٩، تاريخ الطبرى ١١/ ٣٧٣، الأغانى ١٠/ ٤١، تاريخ الخميس ٢/ ٣٤٣، مروج الذهب ١٢/ ٣٦١ ــ ٣٨٢، تاريخ بغداد ٤/ ٤٠٣.

(٢) هى أسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون من شهيرات النساء عقلاً وجمالاً وأدبًا تزوجها المعتضد العباسى سنة ٢٨١هـ وجهزها بجهاز لم يعمل مثله، توفيت ببغداد سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م. ودفنت فى قصر الرصافة.

انظر المزيد فى : وفيات الأعيان ١/ ١٧٤.

وقيل: كان أحمد بن طولون يحب جماعة العلماء والفقهاء ويحضر مجالسهم ويحضر جنائز وجوه أهل البلد ويتولى الصلاة عليهم بنفسه، وكان كثير الإنعام على أصحابه وحاشيته وكان يقول: إنى لأجد فى فهم الرجل عنى إذا خاطئته من اللذة ما لا يجده مجامع الحسناء فى جماعة.

قال الحسن بن حماد: وكان من أكابر العلماء: كنت راقدًا فى منزلى وإذا بالباب يدق، فنظرت من الطاق، فإذا مشاعل رجال عند بابى. فقلت: من تريدون؟ فقالوا: الحسن بن حماد [ق ٦ب] فخرجت إليهم فأرتعدت أعصابى ثم قمت فركبت وسرت معهم إلى أن وصلت إلى دار الأمير أحمد بن طولون فدخلت وسلمت ووقفت بين يديه فقال "اجلس"، فجلست فقال: لأى شىء تصلح هذه القبة؟ وكانت قبة لطيفة، يجلس فيها نحو أربعة أنفس، فقلت: تصلح للفكر، وتلاوة القرآن ومطالعة العلم، ومنادمة المحبين". فتبسم ثم قال: ماذا تقول فى هذه المسألة؟ قلت: يقول الأمير عبد الله أيده الله بنصره.

فقال: ما تقول فيمن سلط على شىء ففعله فهل يعذب عليه؟ قال الحسن: فعلمت أنها مسألته لا محالة. فقلت: على الفور من غاز فكر، لو كان مسلطًا معذبًا لكان ملك الموت أشد الناس عذابًا يوم القيامة، فاستوى الأميرأحمد بن طولون جالسًا وقال: أعد ما قلته، فقلت: أصلح الله الأمير لو كان كل مسلط معذبًا لكان ملك الموت أشد الناس عذابًا يوم القيامة. ثم قال لى: انصرف فخرجت من عنده وأنا لم أصدق بذلك فتبعنى الحاجب ودفع إلىَّ مائتى دينار، وانصرفت إلى منزلى وقد ردت إلىَّ روحى.

واستمر أحمد بن طولون فى ولايته على مصر إلى أن مرض وسلسل فى المرض وأشرف على الموت، فعند ذلك خرج أهل مصر إلى الصحراء ومعهم المصاحف وخرج اليهود ومعهم التوراة والنصارى ومعهم الأناجيل وخرجوا بالأطفال من الكتاتيب وتوجهوا إلى الصحراء يدعون له بالعافية فلا يزال مريضًا حتى مات.

قيل فى أيام أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين تهدم المقياس الذى بالروضة، فركب أحمد بن طولون وتوجه إلى هناك ودخل إلى المقياس وكان معه القاضى بكار بن قتيبة فأمر أحمد بن طولون للمقياس بألف دينار ليصلحوا بها

ما تهدم منه. وقيل بنى أحمد بن طولون مقياسًا إلى جانب هذا المقياس وكان عليه العمل عند كثرة المياه وترادف الأمواج ثم بطل فعله.

وكان ولايته على مصر نحو اثنتى عشرة سنة. ولما مات خلف من الأولاد ثلاثة وثلاثين ولدًا من ذكور وأناث. وخلف من المماليك أربعة وعشرين ألف مملوك مشتراواته وخمسة وأربعين ألف عبد أسود وسبعة [ق ٧ أ] آلاف فرس وسبعمائة بغل وألفين وستمائة جمل. وخلف من المال والتحف ما لا يحصى عدده، وهذا على سبيل الاختصار من أخبار الأمير أحمد بن طولون. ولما مات عهد إلى ولده أبى الجيوش خمارويه.

٢ـ ذكر ولاية الأمير أبى الجيوش خمارويه بن الأمير أحمد بن طولون(١)

تولى على مصر بعد موت أبيه أحمد بن طولون فى سنة سبعين ومائتين. وكان ماشيًا على مشى أبيه أحمد، واستكثر من العساكر وبلغ خراج مصر فى أيامه ألف ألف دينار مع رخاء الأسعار بمصر. كان مولعًا بالعمائر وغرس الأشجار، قيل إنه جدد عمارة الميدان الكبير الذى كان أبوه أحمد أنشأه عند الجامع، وحمل إليه الأشجار من سائر البلاد حتى من بلاد الهند ومن خراسان ومن مكة ومن سائر الأراضى، وزرع فى هذا الميدان سائر الرياحين حتى الزعفران والقرنفل والكادى وزرعها كالسطور تقرأ، وكان لها أقوام موكلون بها وبأيديهم مقاريض من الذهب والفضة يصلحون بها مايفسد منها من الأوراق ويخرج عن قالب الإعتدال وصنع فى ذلك البستان فسقية كبيرة وملأها من الزئبق، وكان يفرش على هذه الفسقية فراشًا من أديم ناعم. قيل: إنه كان من جلد الحيات وكان يمتلئ بالريح ويشدقاد ويطرح على ذلك الزئبق وينام عليها الأمير خمارويه. وقيل كان يعتريه ضربان المفاصل فيصنع ذلك ليجد له راحة حتى ينام.

وقيل: إنه اخترع ذلك البستان حتى ألبس قوائم الأشجار الكبار بالنحاس الأصفر المطلى بالذهب، فكانت الشمس إذا طلعت عليها لا يقدر أحد أن ينظر

---

(١) انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ١/ ١٧٤، النجوم الزاهرة ٢/ ٤٧٥، بدائع الزهور ١/ ٤٠، الولاة والقضاة ٢٣٣، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٣٠٥.

إليها من شدة اتقادها، وكان يسحق المسك والكافور وينثره على تلك الرياحين والأزهار. وكان يحب الجياد من الخيل وأتخذ منها ما ضاقت به الاسطبلات، وكان عنده خيل لها أنساب كأنساب الناس مثبوتة فى الدواوين. ولها سواس يخدمونها، ودام الأمير خمارويه مستوليًا على مصر حتى مات بها.

٣ـ تولى الأفضل أمير جيش بدر الجمالى[١]

ثم تولى من بعده ابنه الأفضل أمير جيش بدر الجمالى وهو صاحب سوق مرجوش. وقيل إن الأفضل هو الذى حفر خليج أبى المنجا وكان المتولى على حفره أبى المنجا شعيا اليهودى فعرف به يومئذ. وقيل هو الذى بنى المسجد المعروف بالرصد المطل على بركة الحبش. وإنما سمى الرصد قيل كان فوقه أكرة من نحاس أصفر وزنها قنطار مركبة على أعمدة من الرخام لأجل رصد الساعات فعرف من حينئذ بالرصد. وهذا المسجد من قبل وجود الحاكم بأمر الله الفاطمى بمدة طويلة.

وكانت ولاية الأفضل أمير جيش [ق ٧ ب] ابن خمارويه على مصر فى سنة ثمانين ومائتين، واستمر على ذلك حتى مات بها. ذكر ذلك تقى الدين المقريزى[٢] فى كتاب الخطط ونسبه للأفضل.

---

(١) انظر المزيد فى: الكامل ١٠/ ٨١، النجوم الزاهرة ٥/ ١٤١، شذرات الذهب ٣/ ٣٨٣.

(٢) هو أحمد بن على بن عبد القادر أبو العباس الحسينى العبيدى تقى الدين المقريزى مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك فى أيامه) ولد سنة ٧٦٦ هـ/١٣٦٥م ونشأ ومات فى القاهرة سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م وولى فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، واتصل بالملك الظاهر برقوق، فدخل دمشق مع ولده الناصر سنة ٨١٠هـ وعرض عليه قضاءها فأبى وعاد إلى مصر. له عدة تآليف منها "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" ويعرف بخطط المقريزى و"السلوك فى معرفة دول الملوك" و"تاريخ الأقباط" و"البيان والإعراب عما فى أرض مصر من الأعراب" و"التنازع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم" و"تاريخ الحبش" و"شذور العقود فى ذكر النقود" وغيرها.

انظر المزيد فى: التبر المسبوك ٢١، خطط مبارك ٩/ ٦٩، آداب اللغة ٣/ ١٧٥، البدر الطالع ١/ ٧٩.

ثـم تـولى مـن بعـده ابـنه هـارون[1] فكانـت ولايـته ثمانـية أشـهر. ثـم تـولى من بعده شـيبان بـن أحمـد بـن طولـون وكـان يكـنى بـأبى القاسـم تـولى مصـر فـى سـنة اثنـتين وتسـعين ومائـتين فـلم تطـل أيامـه بهـا وعـزل عـنها. ثـم مـن بعده تولى عيسى النوشرى[2] فـى السـنة المذكـورة وعـزل عـنها. وتـولى شـخص "تكـين"[3] وعـزل عـنها فـى السـنة المذكـورة. ثـم تـولى بعـده شـخص يسـمى أبـى الحسـن ذكـا الأعـور[4] تـولى فـى سنة ثلاث وثلاثمائـة ثـم أعـيد تكـين ثـانى مـرة وعـزل عـنها، ثـم تـولى مـن بعـده شـخص يسـمى هـلال بن بدر[5] فى سنة تسع وثلاثمائة.

(١)انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ٢٤٢، النجوم الزاهرة ٣/ ٩٣، صلة تاريخ الطبرى ٦ ــ ٧.

(٢) هو عيسى بن محمد النوشرى أبو موسى، من ولاة الدولة العباسية المقدمين، استعمله المنتصر على دمشــق سنة ٢٤٧هــ، فمكث زمنًا وولى إمرة أصبهان فانتقل إليها ثم ولاه "المعتضد" بلاد فارس سنة ٢٨٧هــ، فأحسن السياسة فى ولاياته كلها، ولما انقرضت الدولة الطولونية بمصر ولاه المكتفى بــالله إمارة مصر سنة ٢٩٢هــ فسار إليها، ولم يزل فيها إلى أن توفى وحمل إلى القدس فدفن فيها ســنة ٢٩٧هــ/ ٩١٠م وكان من أجلاء الأمراء، شجاعًا عارفًا بتدبير الأمور. وفى أوائل ولايته بمصر كانت ثورة الخلنجى واستيلاؤه على مصر ثمانية أشهر إلا أيامًا ثم أزيل وعاد النوشرى.

انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ٢٥٨ ــ ٢٦٢ و ٢٦٧، النجوم الزاهرة ٣/ ١٤٥، الكامل ٧/ ٣٤ و١٦٧.

(٣) ورد ذكره فى الولاة والقضاة.

(٤) ثم وليها ذكا الأعور من قبل المقتدر بالله على صلاتها، ودخلها يوم السبت لثنتى عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٣٠٣هــ وتوفى بها سنة ٣٠٧هــ.

انظر المزيد فى: الولاة والقضاة ٢٧٣ ــ ٢٧٦.

(٥) هو هلال بن بدر أبو الحسن وال من القواد فى عصر المقتدر العباسى كان فى بغداد، وولاه المقتدر إمــرة مصر سنة ٣٠٩هــ فقدم إليها ولم يسلس له قيادها، فكانت أيامه فيها سلسلة فتن وشرورًا وعــزله المقــتدر سنة ٣١١هــ ومدة إمارته فيها سنتان وأيام، وولاه إمرة دمشق سنة ٣١٣هــ/ ٣١٦هــ.

انظــر المزيد فى : أمراء دمشق فى الإسلام ٩٣ ــ ٩٥، الولاة والقضاة ٢٧٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٠١.

الدولة الإخشيدية

ثم ابتدأت من بعد هؤلاء الدولة الإخشيدية فتولى منهم جماعة، فأولهم شخص يسمى أحمد بن كيغلغ[1] وعزل عنها. ثم تولى تكين ثالث مرة وذلك في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة متوليًا في سنة واحدة، ثم تولى بعده محمد بن طغج[2] الفرغاني. فلم تطل أيامه وعزل عنها وأعيد أحمد بن كيغلغ ثاني مرة. وأقام بها مدة ثم عزل عنها، وأعيد محمد بن طغج ثاني مرة، وتولى من بعده أبو القاسم على[3] الإخشيدى تولى فى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

وقيل: كل من تولى على مدينة فرغانة يسمى الإخشيدى، ثم تولى من بعده الأمير أبى بكر بن محمد بن طغج الإخشيدى فأقام بها إلى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة. وكان فى غاية الضخامة والشهامة. قيل: بلغت عدة عساكره بمصر والشام نحو أربعمائة ألف مقاتل يشتمل على عدة طوائف من الأجناس، وبلغ خراج مصر فى أيامه ألفين ألف دينار، غير الضياع التى كانت فى ملكه. والأمير أبى بكر هذا هو الذى رتب الرواتب وأفرض الجوامك للعسكر على قدر مراتبهم.

---

(١) هـو أحمد بن كيغلغ (بن إبراهيم) أبو العباس من أمراء العصر العباسى تركى الأصل، ولد سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م ونشأ ببغداد وارتقى إلى مرتبة القواد، فكان مع محمد بن سليمان فى قتاله القرامطة بالشام سنة ٢٨٣هـ فى عهد المكتفى، وقدم مصر سنة ٢٩٢هـ و٣٠٢هـ فى بعض جيوش المكتفى لقمع ثورات نشبت فيها، وكان أميرًا على دمشق والأردن سنة ٣٠٠هـ واستقر فى بغداد سنة ٣٠٣هـ وولاه المقتدر إمرة مصر سنة ٣١١هـ فأقام فيها نحو سبعة أشهر واضطربت عليه فصرف عنها وولى أصبهان سنة ٣١٩هـ وأعاده القاهر العباسى إلى مصر سنة ٣٢١هـ فدخلها سنة ٣٢٢هـ واستمرت إمارته نحو ٢١ شهرًا وخالفه محمد بن طغج فسلم إليه من غير قتال، وعزل سنة ٣٢٣هـ. وقال الثعالبى فى اليتيمة: " أحمد بن كيغلغ من أولاد أمراء الشام، شاعر أديب" وأورد له أبياتًا رقيقة. مات سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م.

انظر المزيد فى : النجوم الزاهرة ٣/ ١٠٩ و٢٠٦، الولاة والقضاة ٢٧٩ ــ ٢٨٦، الكامل ٨/ ١٠٥، يتيمة الدهر ١/ ٦٥.

(٢)انظر المزيد فى: النبراس لابن دحية ١١٥، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٠٥، وفيات الأعيان ٤٢/١، تجارب الأمم ٦/ ١٠٤، الكامل ٨/ ١٥٠، تاريخ ابن الوردى ١/ ٢٦٧ ــ ٢٧٩، تاج العروس ٢/ ٣٤٣.

(٣) انظر: الولاة والقضاة ٢٩٢.

وكـان وزيـره يسـمى ابـن كلاقـد. قـيل إن ابـن كلاقـد كـان يعمـل لأولاده فـى يـوم الغطـاس فوانـيس شمـع مزهـر، ومـن جملـتها شمعـة تحمـل عـلى عجلـة. فكـان مصـروفها سـبعين دينـارًا، واسـتمر الأمـير أبـو بكـر فـى ولايـته عـلى مصـر إلى أن مـات. ثـم تـولى مـن بعـده أبـو المسـك كـافور الإخشـيدى الخصـى. ولما تـولى كـافور أمـر الديـار المصرية فاستنجد بها من عدة من العبيد البربر.

وكـان كـافور كـريمًا كالمياه، قـيل كـان راتـب مطبخه فـى كـل يـوم ألفـين رطـل من لحـم بقـرى وسـبعمائة رطـل لحـم ضـانى. ومائـة طـير أوز، وثلاثمائـة طـير دجـاج، وثلاثمائـة فـرخ حمـام، وعشـرين فـرخ سمـك كـبار، وعشـرين رميسـا رضـعا، وثلاثمائـة صـحن حلـوى، وسـبعة أفـراد فاكهـة، وألـف [ق ٨أ] كـوز فقـاع، ومائـة قـرابة، وعشـرة قـناطير سـكر، وألف كماجـة مـن الخـبز، وخمسـة أفـراد بقـولات. وكـان إذا مـد هـذا السماط يأكل منه الخاص والعام.

وكـان كـافور يعطـى العطايـا الجـزيل للشـعراء وغيرهـم. فـاتفق أن زلـزلة وقعـت بمصـر فى أيامه فدخل عليه محمد بن عاصم الشاعر فأنشده قصيدة منها هذا البيت:

ما زلزلت مصر من خوف يراد بها   لكنها رقصت من عدله طربا

فأجـازه عـلى هـذه القصـيدة بـألف ديـنار وهـذه الجائـزة هـى الـتى هجـت أبـى الطيـب المتبـنى[1] حـتى دخـل إلى مصـر وامـتدح كـافور بقصـائد سـنية وهـى ثابـتة فـى ديوانه إلى الآن.

---

(١) هـو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى الكوفى الكندى أبو الطيب المتنبى الشاعر الحكيم، ولد سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م وأحد مفاخر الأدب العربى، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعـانى المبـتكرة، وفى علماء الأدب من يعده أشهر الإسلاميين، ولد فى الكوفة فى محلة تسمى "كندة" وإليها نسبته، ونشأ بالشام ثم تنقل فى البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس، وقال الشعر صبيا وتنبأ فى بادية السماوة(بين الكوفة والشام) فتبعه كثيرون وقبل أن يستفحل أمره خرج إلـيه لؤلـؤ (أمير حمص ونائب الإخشيد) فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه ووفد على سيف الدولة الحمدانى صاحب حلب سنة ٣٣٧هـ فمدحه وحظى عنده ومضى إلى مصر فمدح كـافور الإخشـيدى وطلب منه أن يوليه، فلم يوله كافور فغضب أبو الطيب وانصرف يهجوه وقصـد العراق فقرئ عليه ديوانه وزار بلاد فارس فمر بأرجان ومدح فيها ابن العميد وكانت له معـه مساجلات ورحل إلى شيراز فمدح عضد الدولة بن بويه الديلمى وعاد يريد بغداد فالكوفة، =

قيل: لما مات كافور الإخشيدى[1] اختل نظام مصر وقلت الأموال عن الجند، فكتب جماعة من أهل مصر إلى المعز، بأن يحضر هو القائد ومعه مائة فارس إلى مصر، أو يرسل لهم عسكرًا ليسلموا إليه مصر، فأرسل المعز لهم جوهر القائد[2] ومعه مائة فارس. وكانت ولاية كافور على مصر فى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وأقام بها كافور إلى أن مات فى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، فكانت

= فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدى فى الطريق بجماعة من أصحابه ومع المتنبى جماعة أيضًا، فاقتتل الفريقان، فقتل أبو الطيب سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م وابنه محمد وغلامه مفلح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول (فى الجانب الغربى من سوار بغداد).

انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ١/ ٣٦، معاهد التنصيص ١/ ٢٧، تاريخ ابن الوردى ١/ ٢٩٠، لسان الميزان ١/ ١٥٩، تاريخ بغداد ٤/ ١٠٢، المنتظم ٧/ ٢٤.

(١) هو كافور بن عبد الله الإخشيدى أبو المسك الأمير المشهور صاحب المتنبى كان عبدًا حبشيًا اشتراه الإخشيد ملك مصر سنة ٣١٢هـ فنسب إليه، ولد سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م وأعتقه فترقى عنده، ومازالت همته تصعد به حتى ملك مصر سنة ٣٥٥هـ ،وكان فطنًا ذكيًا حسن السياسة، أخباره كثيرة، توسع صاحب النجوم الزاهرة فى بيانها وقال: إن مدة إمارته على مصر اثنان وعشرون سنة، قام فى أكثرها بتدبير المملكة فى ولاية أبى القاسم ثم أتى أبى الحسن ابنى الإخشيد وتولاها مستقلاً سنتين وأربعة أشهر. وكان يدعى له على المنابر بمكة ومصر والشام إلى أن توفى سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م بالقاهرة، وقيل حمل تابوته إلى القدس فدفن فيها وكان وزيره ابن الفرات. قال الذهبى: كان عجبًا فى العقل والشجاعة.

انظر المزيد فى: دول الإسلام ١/ ١٧٣، الولاة والقضاة ٢٩٧،وفيات الأعيان ١/ ٤٣١، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٣١٤، النجوم الزاهرة ٤/ ١ — ١٠.

(٢) هو جوهر بن عبد الله الرومى أبو الحسن القائد بانى مدينة "القاهرة"والجامع "الأزهر" كان من موالى المعز العبيدى (صاحب إفريقية)، وسيره من القيروان إلى مصر بعد موت كافور الإخشيدى فدخلها سنة ٣٥٨هـ وأرسل الجيوش لفتح بلاد الشام وضمها إليها ومكث بها حاكمًا مطلقًا إلى أن قدم مولاه المعز (سنة ٣٦٢هـ) فحل المعز محله، وصار هو من عظماء القواد فى دولته وما بعدها إلى أن توفى بالقاهرة سنة ٣٨١هـ/ ٩٩٢م. وكان كثير الإحسان، شجاعًا، لم يبق بمصر شاعر إلا رثاه، وكان بناؤه القاهرة سنة ٣٥٨هـ وسماها "المنصورية" حتى قدم المعز فسماها "القاهرة" وفرغ من بناء "الأزهر" فى رمضان سنة ٣٦١هـ.

انظر المزيد فى : معجم البلدان ٧/ ١٩، وفيات الأعيان ١/ ١١٨، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٨، تاريخ ابن عساكر ٣/ ٤١٦، خطط مبارك ٢/ ٤٥.

ولايته نحو سنتين وأشهر، وقيل كانت علامته على مراسيمه: القلم يمده والسيف يحده والعبد يسعده لا بأبيه ولا بجده. ولما مات كافور تولى بعده الإمام المعز الفاطمى.

ذكر ابتداء الدولة الفاطمية أو العبيدية

١ـ المعز لدين الله[١]

فكان أولهم: المعز لدين الله وهو معد بن المنصور إسماعيل بن القائم بالله محمد ابن المهدى عبيد الله المغربى. وكان مولده بالمهدية[٢] ببلاد المغرب فى يوم الجمعة فى التاسع والعشرين من شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة. تولى الخلافة بعد موت أبيه إسماعيل[٣] ببلاد الغرب (المغرب) ثم قدم إلى الديار المصرية، وتولى إمارتها بعد انقضاء الدولة الإخشيدية، أخذها عن أبى المسك كافور فى سنة سبع

---

(١) هو معد المعز لدين الله بن إسماعيل المنصور بن القائم ابن المهدى عبيد الله الفاطمى العبيدى أبو تميم صاحب مصر وإفريقية، وأحد الخلفاء فى هذه الدولة، ولد بالمهدية فى المغرب سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م وبويع له بالخلافة فى المنصورية بعد وفاة أبيه سنة ٣٤١هـ.

انظر المزيد فى: الخلاصة النقية ٤١، وفيات الأعيان ٢/ ١٠١، المنتظم ٧/ ٨٢، مورد اللطافة ١ـ ٣، بدائع الزهور ١/ ٤٥، أعمال الأعلام ٢٤، أتعاظ الحنفا ١٣٤، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٤٦، الكامل ٨/ ١٦٥ ـ ٢٢٠، البيان المغرب ١/ ٢٢١، بلغة الظرفاء ٧٠، هدية العارفين ٢/ ٤٦٥.

(٢) هى المدينة بأفريقية منسوبة إلى المهدى وبينها وبين القيروان مرحلتان.

انظر المزيد فى : معجم البلدان ٨/ ٢٠٥ ـ ٢٠٨.

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن عبيد الله الفاطمى المهدى أبو الطاهر المنصور بنصر الله، ثالث الخلفاء فى الدولة الفاطمية العبيدية بالمغرب، مولده سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م بالقيروان، قام بالأمر فى المهدية (بأفريقية) بعد وفاة أبيه (القائم بأمر الله) سنة ٣٣٤هـ وبويع سنة ٣٣٦هـ بعد أن فرغ من حرب أبى يزيد النكار (مخلد بن كيداد) فبنى مدينة بقرب القيروان سماها "المنصورية" ونقل إليها حاشيته وجنده، وكان حازمًا خطيبًا بليغًا، تسلم مقاليد الأمر وثورة مخلد بن كيداد (من أهل قسطيلة) فى أشد غليانها، والفتن فى البلاد قائمة، فقمع الأولى بقتل مخلد، ولم تفل الأخرى من عزمه، وتوفى بالمنصورية سنة ٣٤١هـ ٩٥٣م ودفن بالمهدية.

انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ١/ ٧٦، اتعاظ الحنفا ١٢٩، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٤٣، الكامل ٨ / ١٥٠ و١٦٤، البيان المغرب ١/ ٢١٨، أعمال الأعلام ٢٢ – ٢٣.

وخمسين وثلاثمائة، وافتتحها جوهر القائد قبل دخول المعز إليها في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، ثم دخل إليها المعز في سابع شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلاثمائة، وصارت مصر والمغرب مملكة واحدة، وهو أول من قدم من بني عبيد إلى مصر.

قيل : إن المعز لما دخل إلى مصر حمل معه آباءه وأجداده الذين ماتوا ببلاد المغرب. فلما دخل إلى مصر حملهم في توابيت ودفنهم في مصر. هكذا ذكر بعض المؤرخين عنه.

وقيل: إن الذى بنى جامع الأزهر هو جوهر القائد عند قدومه إلى مصر. وكان انتهى عمله في شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلاثمائة. وهو الرابع من بني عبيد ببلاد الغرب. فإن أولهم: المهدى عبيد الله[1] والثاني المنصور إسماعيل والثالث محمد القائم[2] [ق ٨ب] والرابع المعز معد.

---

(١) هو عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم الفاطمي العلوى، من ولد جعفر الصادق، مؤسس دولة العلويين فى المغرب وجد العبيديين الفاطميين أصحاب مصر، وأحد الدهاة، ولد سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٣م. فى نسبه خلاف طويل، كان يسكن سلمية (بسورية) ومولده بها أو بالكوفة، وكان أبوه قد أرسل الدعاة وأعظمهم أبو عبد الله الحسين بن أحمد الملقب بالعلم والشهير بالشيعى، فمهد له بيعة المغرب وفتح بلدانا وناصرته قبائل كتامة، ووعدها بقرب ظهور "المهدى" إمام الزمان، ووصلت إلى المهدى رسل أبي عبد الله تدعوه، فبلغ خبره المكتفى بالله العباسى، فطلبه ففر من سلمية إلى العراق ثم لحق بمصر فالإسكندرية ومنها إلى المغرب، واستفحل أمره حتى بويع فى القيروان بيعة عامة سنة ٢٩٧هـ ، واستوطن "رقادة" عاصمة أواخر ملوك الأغالبة وبعث الولاة إلى طرابلس وصقلية وبرقة واستولى على تاهرت، وحاول امتلاك مصر فقصدها مرتين، ولم يظفر، وقيل: دخل الإسكندرية وعاد إلى المغرب فاختط مدينة "المهدية" سنة ٣٠٣هـ، واتخذها قاعدة لملكه ومات بها بعد أن حكم أربعًا وعشرين سنة " أى سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م).

انظر المزيد فى: الكامل ٨/ ٩٠، تاريخ ابن خلدون ٤/ ١١ و ٣٠ ــ ٤٠، أتعاظ الحنفا ١٧ ــ ١٠٧، وفيات الأعيان ١/ ٢٧٢، تاريخ الخميس ٢/ ٣٨٥.

(٢) هو محمد بن عبيد الله أبو القاسم القائم ابن المهدى العبيدى الفاطمى صاحب المغرب ويسمى نزارًا، ولد سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م ونشأ فى سلمية (بسورية) ودخل المغرب مع أبيه، ولما استقر أبوه فى ملك المغرب جهزه إلى مصر مرتين سنة ٣٠١ هـ وسنة ٣٠٧هـ، فملك فى الأولى الإسكندرية والفيوم، وفى الثانية وصل إلى الجيزة وقاتله جيش المقتدر العباسى، بقيادة مؤنس =

قيل: وفى سبب شرف هؤلاء الفاطميين أقوال كثيرة. فمن الناس من رفع نسبهم إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الناس من نسبهم إلى الحسين ابن محمد بن أحمد القداح، وكان أصل القداح رجلاً من المجوس وهذا المشهور عند أكثر أرباب التواريخ. وقيل لما دخل المعز إلى الديار المصرية كان معه ألف وخمسمائة جمل موسوقة من الذهب العين، وكان قد أرسل قبل قدومه إلى الديار المصرية خادمه جوهر الصقلي القائد، وهو الذى بنى القاهرة فى سنة إحدى وستين وثلاثمائة، وجوهر القائد هذا هو الذى بنى جامع الأزهر عند قدومه الديار المصرية، وكان جوهر القائد من كبار الرافضة. ولما فرغ من بناء القاهرة أرسل إلى المعز يعرفه بفراغ بناء القاهرة، فلما دخلها المعز فى شهر رمضان كما تقدم، فلما رأى المعز ما بناه جوهر، فأعاب ذلك على جوهر وقال بنيتها فى وطيه لا هى جبلية ولا بحرية، وكان قصد المعز لو بناها مكان الرصد فوق الجرف.

ذكر طرف سيره فى سر بناء القاهرة

قيل: لما بنى جوهر القاهرة جمع جماعة من المنجمين، وأمرهم أن يختاروا طالعًا سعيدًا لحفر الأساس ورمى الحجارة، فجعلوا قوائم من خشب، وبين القائمة والقائمة حبل فيه أجراس. وأعلموا من كان حاضرًا من البنائين أنهم ساعة تحرك الأجراس، يلقون ما بأيديهم من الحجارة، ووقف المنجمون بتحريك الساعة وأخذ الطالع، فاتفق وقوع غراب على خشبة من تلك القوائم، فتحركت الأجراس. فظن البناءون أن المنجمين حركوا الأجراس فألقوا ما بأيديهم من الحجارة والطين، فصاح الذين يرصدون الساعة الجيدة لا لا القاهر فى الفلك الطالع يعنى عن المريخ وهو يسمونه القاهر، فمضى ذلك وخانهم ما قصدوه، وكان قصدهم أن يختاروا

= الخادم، فعاد القائم إلى المغرب وبويع بعد موت أبيه سنة ٣٢٢هـ، وهو ثانى ملوك الدولة الفاطمية العبيدية، وأول من تلقب بأمير المؤمنين فيها، مات محصورًا بالمهدية سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٦ م. قال الذهبى: كان شجاعًا مهيبًا قليل الخير، فاسد العقيدة أصيب بوسواس وزال عقله، فأظهر سب الأنبياء وكان مناديه يصيح: "العنوا الغاز وما حوى" وأباد عدة من العلماء، وكان يراسل قرامطة البحرين ويأمرهم بإحراق المساجد والمصاحف.

انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ٢/ ٢٧، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٨٧.

طالعًا سعيدًا لا يخرج البلد عن نسلهم، فما تم لهم ما أرادوا من ذلك وعلموا أن الأتراك لا يزال هذا البلد تحت حكمهم وأنهم لا بد أن يملكوه، وكان الأمر لذلك.

فلما قدم المعز من الغرب أخبروه بهذه الواقعة وكان له خبرة بالنجامة. وكان جوهر القائد سماها "المنصورية" فغير اسمها وسماها القاهرة فهذا كان سببًا لتسميتها بالقاهرة. وكانت دار الإمارة للمعز مكان دار الضرب الآن وقد سمى ذلك بين القصرين والله أعلم.

وفي ذلك يقول [ق ٩ أ]بعض الشعراء:

لله قاهرة المعز فإنها ... بلد تخصص بالمسرة والهنا

أو ما ترى في كل قطر منيه ... من حانيها فهى مجتمع المنيا

وقيل: إن المعز أخبره جماعة من المنجمين أن عليه قطعًا شديدًا وأشاروا عليه بأن يختفى فى سرب حتى يمضى عنه ذلك القطع، ففعل ذلك، فلما طالت مدته فى السرب ظن جنده أنه رفع إلى السماء، فكان الفارس منهم ينظر الغمام فينزل عن فرسه ويقول "السلام عليك ياأمير المؤمنين".

ثم خرج المعز بعد مدة من السرب، وقيل لما تولى المعز على الديار المصرية كانت عساكره ما بين كتامة وروم وصقالبة وبربر وغيرها من الطوائف وهم فى العدد ما لا يحصون لكثرتهم، حتى قيل تم يطأ الأرض بعد جيوش الإسكندر الرومى بن فيلبس المجدونى أكثر من جيوش المعز.

ولما [تقلد] [١] ابنه العزيز نزار أتخذ الديلم والأتراك واختص بهم. ومن الحكايات الغريبة: قيل إن زوجة الأمير أبى بكر بن محمد الإخشيدى لما زالت دولتهم أودعت عند شخص من اليهود بغلطاقا كله مكلل بالجواهر والفصوص الثمينة فلما طالبته به بعد مدة فأنكره. فقالت له: خذ منه ماتختار وأعطنى الباقي، فأبى وامتنع من الإعطاء، فعند ذلك توجهت إلى قصر المعز وأخبرته بما وقع لها منه. فأرسل خلف اليهودى واحضره وسأله عن البغلطاق فأنكره غاية

---

(١) إضافة من عندنا للسياق مع المعنى.

الإنكار. فشد عليه فاعترف به وأحضره، فلما رآه المعز تحير فيه من الجواهر، وقد أخذ اليهودى منه صدره درقين واعترف أنه باعهما بألف وستمائة دينار. فأخذه المعز منه بعد ما أستوعده بكل شيء ودفعه إلى زوجة الإخشيدى. فسألته أن يأخذه هدية منها فأبى قبوله منها، فأخذته وانصرفت.

وكان المعز عادلاً منصفًا للرعية، غير أنه كان رافضيًا سبابًا للصحابة. قيل وكان من بلاد حلب إلى بلاد الغرب إلى الحرمين الشريفين تحت حكم الخلفاء الفاطميين ويخطب فيها باسمهم. ومن بغداد إلى سائر ممالك الشرق وأعمالها تحت حكم الخلفاء من بنى العباس ويخطب فيها باسمهم.

وقيل : لما توفيت الست عبده بنت المعز وكانت تزوجت بعد موت أبيها المعز فوجدوا فى تركتها ثلاثمائة صندوق فيها ذهب وعين ووجدوا عندها ثلاثين ألف شقة من الحرير الأصفر من لون واحد، ووجدوا عندها أردبًا من الفصوص الزمرد واللؤلؤ الكبار والياقوت الملون،ووجدوا عندها مدهنًا من الياقوت وزنه سبعة وعشرون مثقالا [ق٩أ] لم تعرف له ثمن من قيمته.

وذكر بعض المؤرخين أن المعز لما دخل إلى القاهرة حمل معه من الأموال والتحف من بلاد الغرب ما لا يسمع بمثله، فمن جملة ذلك قيل كان معه من التحف قبة من البلور قطعتين، فجلس فيها أربع أنفس وكانت إذا وضعت فى الليلة المقمرة يخفى ضوء القمر من شعاعها. وكان فى قصره أربع خوابى من البلور كل خابية تسع زاويتين من الماء وغير ذلك من التحف. وذكروا عنها بعض المؤرخين أنها كانت تعزل الكبار وتأكل كديدها فى مدة حياتها إلى أن ماتت.

وقيل: توفى المعز فى شهر ربيع الأخر من سنة خمس وستين وثلاثمائة، ونازاه من العمر لما توفى نحو أربعين، ودفن عند سيدى زين العابدين[1] جد السيدة نفيسة رضى الله عنهما وهو عند الكيمار التى بالقرب من حدرة بن قمحة.

---

(١) هو على بن الحسين بن على بن أبى طالب أبو الحسين وأبو الحسن أو أبو محمد وأبو عبد الله المدنى زين العابدين. قال الزهرى: ما رأيت قرشيًا أفضل منه ولا أفقه. وقال مالك: كان من أهل الفضل. وقال ابن المسيب: ما رأيت أورع منه. وقال ابن أبى شيبة: أصح الأسانيد كلها الزهرى =

وكانت خلافة المعز بالديار المصرية أربع سنين وأيامًا، ولما مات تولى من بعده ابنه نزار.

٢ـ ذكر خلافة العزيز بالله أبى منصور نزار بن المعز بالله معد الفاطمى العبيدى(١)

وهو الثانى من خلفاء بنى عبيد بمصر بويع بالخلافة بعد موت أبيه المعز فى سنة خمس وستين وثلاثمائة، وكان مولده بالمهدية من مدائن القيروان وذلك فى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. ولما تم أمره فى الخلافة استقر بجوهر القائد مدبر أمر مملكته كما كان فى أيام أبيه المعز. وكان العزيز هذا كريمًا جوادًا عادلاً فى الرعية، وكان خيار خلفاء بنى عبيد. قيل لما تولى أمر الخلافة بمصر استقر بشخص من النصارى عاملاً يقال له نسطورس فظلم الناس غاية الظلم واستقر بشخص من اليهود يقال له منشأه، فجعله وزيرًا بالشام، فصارا يظلمان الناس ويجوران عليهم. فاتفق أن العزيز شق يومًا من القاهرة فزينت له، فعمد بعض الناس إلى متحرة من حربد وألبسوها ثياب النساء وزيرها بإزار وجعل فى يديها قصه وكتب فيها بالذى أعز اليهود بمنشأه، وعز النصارى بنسطورس، وأذل المسلمين بك إلا ما رحمهم، ونصبوا ذلك الشخص على الطريق الذى يمر منه العزيز.

فلما رأها ظن أن لها حاجة فطلب قصتها فلماقرأها شق ذلك عليه. فلما عاد إلى قصره مسك نسطورس النصرانى وأرسل للقبض على منشأه اليهودى من الشام وصادرهما وأخذ جميع أموالهما. ثم أمر بصلبهما فصلبا حتى ماتا.

= عن على بن الحسين عن أبيه عن على. ولد سنة ٣٣هـ ومات سنة ٩٢هـ وقيل سنة ٩٣هـ وقيل سنة ٩٤هـ والله أعلم.

انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ١/ ٣٢٠، النجوم الزاهرة ١/ ٢٢٩، العبر ١/ ١١١، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٥٣٤، طبقات الفقهاء ٦٣، طبقات ابن سعد ٥/ ١٥٦، شذرات الذهب ١/ ١٠٤، خلاصة تذهيب الكمال ٢٣١، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٠٤ تذكرة الحفاظ ١/ ٧٤.

(١) انظر المزيد فى: مورد اللطافة ٤/ ٦، وفيات الأعيان ٢/ ١٥٢، الخطط ٢/ ٢٨٤، بلغة الظرفاء ٧١، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٥١، الكامل ٨/ ٢٢٠، ٩/ ٤٠.

ومـن العجائـب فـى أيامـه: أن امـرأة فـى مديـنة تنـيس[1] تعـرف بامـرأة سـليم ولدت بنـتا لهـا رأسـان فـى جسـد واحـد وكـل مـنهما كـامل الخلقـة، أحدهمـا بوجـه أبيض [ق ١٠أ] مـترك والأخـر بوجـه أسمـر فـيه سـهولة فحملـت إلى العزيـز مـن تنـيس حـتى رآهـا، وتعجـب مـن خلقـتها وأنعـم عـلى أمهـا بشـىء تسـتعين بـه عـلى تربيـتها ثـم عـادت إلى بلدهـا فأقامـت مـدة ثـم ماتـت، وكـان ذلـك فـى سـنة سـبع وسـبعين وثلاثمائـة، واستمر العزيـز فـى الخلافـة إلى أن مـات، فكانـت وفاتـه فـى شـهر رمضـان سـنة سـت وثمـانين وثلاثمائـة، وكانـت خلافـته بمصـر واحـد وعشـرين سـنة وخمسـة أشهر. ولما مات تولى من بعده ابنه الحاكم.

٣ـ ذكر خلافة الحاكم بأمر الله أبى على المنصور ابن العزيز بالله نزار بن المعز الفاطمى العبيدى[2]

وهـو الثالـث مـن خلفـاء بـنى عبـيد بمصـر، بويـع بالخلافـة بعـد مـوت أبـيه العزيـز فـى يـوم الـثلاثاء أخـر يـوم مـن شـهر رمضـان سـنة سـت وثمـانين وثلاثمائـة، ومولـده بالقاهـرة فـى يـوم الخمـيس سـادس عشـرين جمـادى الأول سـنة خمـس وسـبعين وثلاثمائـة. وكـان الحـاكم فـى أول أمـره ديـنًا خـيرًا عـادلاً فـى أمـر الرعـية، وهـو الـذى بـنى الجـامع الـذى مـن داخـل بـاب النصـر، ولمـا تم أمـره فـى الخلافـة أمـر الـيهود بلـبس العمـائم الصـفر والنصـارى بلـبس العمـائم الـزرق والسـامرة بلـبس العمـائم الحمـر، وكانوا قبل ذلك فى زى واحد يلبسون المبازر العسلية، وفى ذلك يقول بعضهم:

تعجبوا للنصارى واليهود معـــا   والسامريين لما تعمموا الخرقـــا

كأنـــما بأت بالأصبـــاع مستهلا   بشر السماء فاضحى فوقهم درقا

---

(١) بكســـرتين وتشـــديد النون وياء ساكنة والسين مهملة، جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط والفرما فى شرقيها.

انظر المزيد فى: معجم البلدان ٢/ ٤١٩ ـــ ٤٢٣.

(٢) انظـــر المزيد فى: بدائع الزهور ١/ ٥٠، الخطط ٢/ ٢٨٥ ـــ ٢٨٩، النجوم الزاهرة ٤/ ١٧٦ ـــ ٢٤٦، مورد اللطافة ٧/ ٩، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٥٦، الإشارة إلى من نال الوزارة ٣١، الكامل ٩/ ١٠٨، وفيات الأعيان ٢/ ١٢٦، الرسالة الواعظة ٢٧، الذريعة ٣/ ٤٤٥، ثم ٤/ ٢٢٧، بلغة الظرفاء ٧١.

وهو الذى أسكن اليهود فى حارة زويلة، وجعل لهم حمامات وحدهم، وكان فى وقت أمرهم أن يدخلوا كلهم فى الإسلام فخافوا منه وأسلموا كلهم ثم أذن لهم بالعودة إلى دينهم، فارتد منهم فى يوم واحد سبعة آلاف يهودى ثم أمر بهدم كنائسهم ثم أعادها على ما كانت عليه، وهو مازال يتدرج فى الأفعال الشنيعة حتى قتل الأمير برجوان، وكان من أمراء جده المعز وهو صاحب حارة برجوان. وكان الحاكم يخشى من برجوان، وكان برجوان صاحب سطوة على الحاكم فمازال عليه حتى احتال فى قتله، فلما قتل برجوان احتاط الحاكم على موجوده، فوجد له من الأموال ما لا يحصى لكثرته فمن جملة ذلك وجد له ستة آلاف قطعة محيطة من سائر أنواع الحرير الملون،ووجد له ألف سروال بألف تكة حرير، وفى كل تكة نافحة مسك، ووجد له ألف قميص حرير، ووجد عنده سبعة أزيار صينى كبار مملوءة كافور قنصورى قديم وزن كل قطعة ثلاثة مثاقيل ووجد عنده سبعمائة نرجسية ذهب وفضة ووجد له من الدواب أربعة آلاف [ق ١٠ ب] فرس، وأشياء كثيرة غير ذلك لا تحصى.

ولما قتل برجوان صفا للحاكم الوقت ولا بقى على يده يد فزاد فى الظلم والجور فى حق الرعية وصار يأمر بأشياء تضحك منها الناس.

فمنها: أنه مر يومًا بحمام الذهب فسمع فيه ضجيج النساء فأمر بأن يسد عليهن باب الحمام فسدوه عليهن حتى مات جميع النساء اللاتى كن فى الحمام عن أخرهن. ومنها: أنه أمر بمنع بيع الذهب والعنب، وأمر بحرق الكرم وقطعها فقطع منها شىء كبير ثم نهى عن بيع العسل وكسر منه نحو اثنى عشر ألف قطر، ثم منع الناس من أكل الملوخية وأكل القرع وعلل بتحريم الملوخية لكون أن معاوية بن أبى سفيان كان يميل إليها، ثم إنه أطلع على جماعة أكلوا ملوخية فضربهم بالسياط وطاف بهم فى القاهرة ثم ضرب أعناقهم بباب زويلة.

ثم نهى عن بيع السمك الذى لا قشر له، ونهى عن بيع الرطب والترمس، ثم أمر بقتل الكلاب، فقتل منها نحو ثلاثين ألف كلب، ثم إنه صار يوقد الشمع فى مجلسه ليلاً ونهارًا ثم إنه جلس فى الظلام مدة طويلة. ثم إنه أمر الناس بأن يغلقوا الأسواق بالنهار ويفتحوها بالليل ويجعلوا الليل مقام النهار فى جميع أحوالهم فامتثلوا ذلك دهرًا طويلاً. ثم إنه اجتاز يومًا لشيخ يعمل فى النجارة بعد

العصر، فوقف عليه وقال له "ألم نهيتكم عن العمل بالنهار" فقال له الشيخ " يا أمير المؤمنين أما كان الناس يسهرون بالليل، وهذا من جملة السهر" فتبسم وتركه، ثم أعاد الناس إلى حالهم الأول وفتح الأسواق بالنهار.

وذكر ابن بكار[1] فى تاريخه عند سيرة الحاكم. قيل إن الحاكم كان يعبد الكواكب كما كان جده المعز، واشتغل بأمر المطالب، قيل إنه وجد فى بعض المطالب شخصًا من حجر مجوف فيه روحانى موكل به، فكان ينطق كما ينطق بنى آدم، فكان من فوائد هذا الشخص أنه يظهر الضائع، ويخبر عن المكان الذى فيه الضائع. فأمر الحاكم بإشهار النداء فى القاهرة ومصر بأن أحدًا لا يقفل له باب ولا دكان، ولا يعمل عليها ضبة ولا قفلاً وكل من ضاع به شىء فهو فى درك الحاكم، فامتثلوا أمره.

فلما باتوا تلك الليلة سرق من القاهرة ومصر أربعمائة عملة، فأصبح الناس يستغيثون تحت قصر الحاكم. فقال الحاكم ما الخبر؟ فقال الوزير: يا أمير المؤمنين إن اللصوص قد سرقوا فى هذه الليلة أربعمائة عملة، حين امتثل الناس أمرك وتركوا أبوابهم مفتحة فقال الحاكم: "لا بأس عليهم". [ق١١أ] ونادى كل من ضاع له شىء، يحضر بين يدى الحاكم فحضر أصحاب الضوائع جميعهم، واحضر ذلك الشخص الحجر ويقولون له يا أبا الهول قد ضاع لنا ما هو كيت وكيت. فيقول أبو الهول: " أخذ متاعك فلان بن فلان وهو فى المكان الفلانى فى الحارة الفلانية" فيمضى جماعة من عند الحاكم ويحضرون بالضائع وأخذ ما سرقه، فما رأيت يحضر لكل شخص ما ضاع له حتى رد جميع ما سرق فى تلك الليلة لأصحابه، ثم أمر بشنق اللصوص جميعهم، ونادى فى القاهرة "رحم الله من رأى العبرة من غيره، واعتبر". ثم صارت الدكاكين والبيوت بعد ذلك مفتحة ليلاً ونهارًا لا يذهب لأحد من الناس شىء وأمِنَ الناس فى أيامه من اللصوص حتى كان يقع من الإنسان الدرهم الفلوس، فلا يجسر أحد على أخذه من الأرض حتى يمر صاحبه ويأخذه ولو بعد حين.

---

(١) من المخطوطات المفقودة.

وذكر بعض المؤرخين أن رجلاً وقع منه كيس فيه ألف دينار عند جامع ابن طولون، فصار كل من رآه يتباعد عنه حتى أقام أسبوعًا مدة على الطريق حتى جاء صاحبه وأخذه. وقيل إن هذا الصنم المدعو بأبى الهول أقام عند الحاكم مدة طويلة حتى قتل الحاكم. فعمد بعض اللصوص وكسره بالليل فبطل فعله من حينئذ.

وأما ما يحكى عن أفعاله الشنيعة ومخالفته للشريعة: قيل إنه كان يلبس جبة صوف أبيض ويركب على حمار عال ويطوف الأسواق ويباشر حسبة القاهرة بنفسه فمن وجده يغش فى معاشه أو بضاعته أمر عبدًا أسود كان معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى وهو اللواط ويأمره أن يفعل ذلك به فى وسط دكانه والناس تنظر إليه، ذكر ذلك ابن كثير(1)، وكان إذا غضب على أحد من حاشيته يمنعه من لقبه مدة طويلة لا يدعه بلقبه حتى يرضى عليه ويرد عليه لقبه فيكون عنده البشارة العظيمة.

وكانت أفعال الحاكم كلها متعددة وكان عنده شجاعة وكرم مع جبن وبخل ويحب أهل العلم ثم ينتقم منهم ويميل إلى الصلاح ويقتل الصلحاء وكان كثير السب للصحابة وأمر بكتابة ذلك على أبواب المساجد وفى الشوارع ثم محا ذلك بعد مدة. ولما بنى جامعه الذى بباب النصر منع الناس ألا يصلى أحد إلا فى جامعه. ثم منع الناس من صلاة التراويح عشر سنين ثم أباحها لهم. ثم هدم كنيسة وبنى مكانها مسجدًا ثم أعادها كما كانت كنيسة.

---

(1) هو الإمام المحدث الحافظ ذو الفضائل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسى البصروى. ولد سنة ٧٠٠ هـ وسمع الحجار والطبقة وأجاز له الوانى والختنى وتخرج بالمزى ولازمه وبرع. له "التفسير" الذى لم يؤلف على نمطه مثله و"التاريخ" و"تخريج" أدلة التنبيه و"تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب" وشرع فى كتاب كبير فى الأحكام لم يتمه ورتب "مسند أحمد" على الحروف وضم إليه "زوائد الطبرانى" وأبى يعلى، وله "مسند الشيخين" و"علوم الحديث" و"طبقات الشافعية" وغير ذلك، مات فى شعبان سنة ٧٧٤هـ. وقال الذهبى فى "المختص" الإمام المفتى المحدث البارع ثقة متفنن محدث متقن.

انظر المزيد فى: انباء الغمر ١/ ٣٩، البدر الطالع ١/ ١٥٣، الدرر الكامنة ١/ ٣٩٩، ذيل تذكرة الحفاظ ٥٧ و٣٦١، شذرات الذهب ٦/ ٢٣١، طبقات المفسرين للداودى ١/ ١١٠، النجوم الزاهرة ١١/ ١٢٣.

ثم أمر اليهود بألا يكروا من مسلم بهيمة يركبونها ثم زاد في الجور والظلم حتى يركب على حماره والغلمان من حوله [ق ١١ ب] وينزل على باب جامعه الذى بناه وينظر إلى الغلمان فمن أراده منهم يقوله له أرقد ويرقد فيشق بطنه ويخرج مصارينه بيده ثم يغسل يده، ويركب على حماره ويمضى، وأمر بإحراق جماعة من غلمانه بإشار. وقتل من غلمانه أكثرهم وكان له فى قتلهم الغاية.

قال الشيخ شمس الدين الذهبى[1] فى تاريخ الإسلام: ومازال الأمر يتزايد من الحاكم حتى أنه أدعى الربونية كما أدعى فرعون اللعين، وكان بعض الجهال من أهل مصر إذا رأوه يقولون "يامحيى، يا مميت" ثم إنه أدعى فى وقت علم الغيب فكان يقول يا فلان قلت فى بيتك البارح كذا وكذا. أو قلت كذا وكذا وكان ذلك باتفاق واعتمده مع العجائز الذين كانوا يدخلون إليه فيأمرهم أن يدخلوا بيوت الأمراء والأكابر ويعرفون بما يجرى فى بيوتهم من خبر أو سر فرفعت له فى أثناء ذلك رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات وكان جالسًا فى موكبه.

بالجور والظلم قد رضينا ... وليس بالكفر والحماقة
إن كنت أوتيت علم غيب ... بين لنا كاتب البطاقة

فلما قرأها فحل وسكت عن الكلام فى علم الغيب، وكان هو وأقاربه يدعون الشرف ويقولون نحن من ولد على من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) هو الذهبى الإمام الحافظ محدث العصر وخاتمة الحفاظ ومؤرخ الإسلام وفرد الدهر والقائم بأعباء هذه الصناعة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركمانى ثم الدمشقى المقرئ. ولد سنة ٦٧٣هـ وطلب الحديث وله ١٨ عاما، فسمع الكثير ورحل وعنى بهذا الشأن وتعب فيه وخدمه إلى أن رسخت فيه قدومه. له عدة مصنفات منها "تاريخ الإسلام" و"التاريخ الأوسط" و" الصغير" و"سير أعلام النبلاء" و"طبقات الحفاظ" و" مختصر تهذيب الكمال" و"الكاشف" و"المجرد" وغيرها. مات سنة ٧٤٨هـ.

انظر المزيد فى : تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٤٩، الوافى بالوفيات ٢/ ١٦٣، نكت الهميان ٢٤١، فوات الوفيات ٢/ ٣٧٠، ذيل تذكرة الحفاظ للحسينى ٣٤، ذيل العبر للحسينى ٢٦٨، مرآة الجنان ٤/ ٣٣١،طبقات الإسنوى ١/ ٥٥٨، طبقات السبكى ٩/ ١٠٠، البداية والنهاية ١٤/ ٢٢٥، الدرر الكامنة ٣/ ٤٢٦، الدارس فى أخبار المدارس ١/ ٧٨، مفتاح السعادة ١/ ٢٦١، طبقات ابن هداية الله ٢٣٢، شذرات الذهب ٦/ ١٥٣، البدر الطالع ٢/ ١١٠.

يـريدون بذلـك الافـتخار عـلى خلفـاء بـني العـباس. فبيـنما هـو عـلى المنـبر يخطب ويقول " نحــن مــن ولـد فاطمـة بنـت رسـول الله صـلى الله علـيه وسـلم، وأبونـا عـلى بـن أبـى طالــب، ونحـــن أفضـــل مـــن بـــنى العـــباس". فرفعـــت إلـــيه رقعـــة مكـــتوب فـــيها هـــذه الأبيات:

إنّـــا سمعـــنا نســـبا مـــنكرا ... يتـلى عـلى المنـبر فـى الجـامع
إن كنـــت فـــيما قلـــته صـــادقا ... فانســـب لـــنا نفســـك كالطـــائع
وإنْ تـــرم تحقـــيق مـــا قلـــته ... فاذكـــر لـــنا بعـــد الأب الســـابع
فـإن أنســـــــاب بـنى هـــاشـم ... يقصـــــر عـنها طمـــــع الطـامـع

قـيل لم يذكـر نسـبه بعـد ذلـك، وكـان نسـبه الحقـيقى نسبًا يـرجع إلى الديصـانية وهو ديصان بن سعيد[1]، وكان رجلاً من المجوس.

قـيل إن الحـاكم قـد أمـر الـناس إذا ذكـر الخطيـب اسمـه يـوم الجمعـة عـلى منـبر يقـوم الـناس صـفوفًا إعظامًـا لذكـره واحترامًـا لإسمـه، وكـان يفعـل ذلـك فـى سائر مملكته حتى فى الحرمين الشريفين.

وكـان قـد أمـر الـناس إذا مـر علـيهم وهـم فـى الأسـواق يسـجدون له [ق ١٢ أ] ومـازال هـذا الأمـر يـتزايد مـن الحـاكم ويجـور فـى حـق الرعـية، وقـد طالـت أيامـه الخيبة على الناس حتى كشفها الله تعالى عنهم، كما قيل:

ما خاب عبد على الله الكريم له ... توكل صادق فى السر والعلن
حاشاه أن يحرم الراجى إجابته ... إذا دعا لكشف الهم والحزن

وكـان سـبب قـتل الحـاكم أن أخـته سـت النصـر لمـا رأت الأمـر يـتزايد مـن أخـيها الحـاكم، وكـان فـى كـل وقـت يهددهـا بالقـتل، فـلما تحققـت مـنه ذلـك توجهـت فـى اللـيل وهـى متـنكرة إلى دار الأمـير سـيف الديـن بـن دواس وكـان أكـبر أمـراء الحـاكم، فـلما دخلـت إلـيه، اختلـت بـه وعرفـته أنهـا أخـت الحـاكم، فعظمهـا وأكـرمها. فقالـت لـه: أنـت تعـلم بمـا يجـرى مـن أخـى فـى حـق الرعـية مـن سفك الدماء وخراب البلاد. وقـتل وجـوه الدولـة، وقـد عـول عـلى قـتلك وقـتلى. فقـال لهـا الأمـير سـيف الديـن:

(١) هناك مصادر سنية تؤيد هذا النسب عكس المصادر الشيعة.

كيف تكون الحيلة فى قتله؟ فقالت: الرأى عندى أن يجهز له رجال يقتلونه إذا خرج إلى حلوان، فإنه ينفرد بنفسه هناك وإذا قتل تكون أنت المدبر للدولة ولده من بعده ووزيره.

فاتفقت معه على ذلك ومضت إلى دارها، فلما كان اليوم الذى خرج فيه الحاكم فعمد الأمير سيف الدين إلى عشرة من العبيد السود وأعطى لكل واحد منهم خمسمائة[1] دينار وعرفهم كيف يقتلونه، فسبقوه قبل خروجه إلى حلوان. فلما أتى إلى حلوان وانفرد بنفسه كعادته فخرج عليه هؤلاء العبيد وقتلوه بالقرب من حلوان.

فلما مضت أيام ولم يحضر الحاكم خرج إليه الناس والعسكر وكانوا ما بين ديالمة ومصامدة وصقالبة وعبيد سود. فخرجوا يلتمسون رجوعه ومعهم دواب الملك والموكب والجنائب الذهب وشعائر الملك فلم يحضر إليهم أحد. ففعلوا ذلك سبعة أيام. ثم خرج مظفر الدين الحاجب ومعه جماعة من العسكر فاستطردوا إلى دير البغل ثم أخذوا فى الدخول إلى الجبل المقطم. فبينما هم على ذلك إلا ظهر لهم حماره الأشهب المدعو بالقمر وقد قطعت يداه [ورجلاه] وعليه سرجه ولجامه. فتبعوا أثر الحمار إلى أن انتهوا إلى أخر المقصبة التى فى شرقى حلوان فنزل رجل إليها فوجد ثياب الحاكم وهى جبة صوف أبيض ووجدوا فيها آثار السكاكين فلم يشكوا فى قتله من بعد ذلك، وكان قتله فى شهر شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة. وقد تمت حيلة أخته فى قتله، وكانت من النساء المدبرات من ذوى العقول.

قيل: إنها لما ماتت بعد أخيها[2] [ق ١٢ب] الحاكم وجد عندها أربعة آلاف جارية ما بين مولدات وبيض وسود، فمنهن ألف وخمسمائة جارية أبكار والباقون بنات، ووجدوا عندها اثنين وثلاثين زيرًا صينيًا مملوءة من المسك السحيق. غير ما وجد لها من الأموال والتحف ما لا يحصى لكثرته.

---

(١) إضافة من الخطط للمقريزى.

(٢) انظر التفاصيل فى أتعاظ الحنفا للمقريزى.

ولما مات الحاكم صار بعض الناس من الجهال المغفلين من نواحى ضياع الشام يعتقدون حياة الحاكم وأنه حى ولا بد أن يعود ويحلفون لا "وغيبة الحاكم".

وكانت خلافته بمصر خمسة وعشرين سنة وشهرًا، وفى هذه المدة قتل خلقًا كثيرة لا تعد ولا تحصى من الفقهاء والعلماء والصلحاء وغيرهم من أعيان الناس. وقد انتهت أخبار الحاكم بأمر الله على سبيل الاختصار ولما قتل تولى من بعده ابنه الظاهر.

٤ـ ذكر خلافة الظاهر لدين الله بن الحاكم بأمر الله بن العزيز بن المعز العبيدى الفاطمى(١)

بويع بالخلافة بعد قتل أبيه الحاكم فى شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة وكان له من العمر لما تولى من الخلافة ستة عشرة سنة وثمانية أشهر ولقب بالظاهر، وهو الرابع من خلفاء بنى عبيد بمصر. وكانت عمته ست النصر. قائمة بتدبير مملكته والأمير سيف الدين بن دواس. فساسوا الناس أحسن سياسة وأرضوا الجند، ولكن حصل فى البلاد غاية الفتن، وخرب غالب البلاد وطمع الأعداء وملكوا اطراف البلاد، وقويت شوكة الأمير حسان فى لدَّ من أعمال مدينة غزة.

ووقع فى أيامه حوادث عظيمة وضعفت دولة بنى عبيد من يومئذ وأخذوا فى النقص. ومن الحوادث فى أيامه أن رجلاً أعجميا حضر إلى مكة ومعه جماعة وأظهروا أنهم يريدون الحج. فلما دخلوا إلى الحرم غافلوا الناس وقلعوا الحجر الأسود من مكانه وكسروه ثلاث قطع، فمسكوهم وقطعوا أيديهم وصلبوا منهم جماعة وكانت هذه الواقعة من أعظم الحوادث. واستمر الظاهر فى الخلافة إلى أن مات فى يوم الأحد خامس عشر شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة فكانت خلافته بمصر عشر سنين وتسعة أشهر، ثم يخلف من بعده أبو تميم معد.

---

(١) انظر المزيد فى: أتعاظ الحنفا ٢٧١، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٦١، الكامل ٩/ ١١٠ و١٥٤، بدائع الزهور ١/ ٥٨، وفيات الأعيان ١/ ٣٦٦.

٥ـ ذكر خلافة المستنصر بالله بن الظاهر لدين الله ابن الحاكم بأمر الله بن العزيز بن المعز[(١)]

بويع بالخلافة بعد موت أبيه الظاهر فى يوم الأحد فى نصف شهر شعبان من السنة المذكورة، و لقب بالمستنصر بالله وكان له من العمر لماتولى الخلافة سبع سنين وعشرون يومًا، وهو الخامس من خلفاء بنى عبيد بمصر وهو الذى [ق ١٣أ] خطب له البساسيرى على منابر بغداد. وهذا لم يقع لأحد من أقاربه من بنى عبيد.

ومن الحوادث فى أيامه: وقع الغلاء الكبير بمصر. وعقبه فناء عظيم ولم يقع مثل هذا الغلاء إلا فى زمن يوسف عليه السلام. وكان ذلك فى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة قيل بيع القمح كل قدح ونصف بدينار. وأكل الناس فيه بعضهم بعضا حتى أكلوا القطط والكلاب الميتة. وقيل بيع الكلب بخمسة دنانير وبيع القط بثلاثة دنانير، وأشتد الغلاء ودام ذلك على الناس نحو سنتين حتى لم يبق فى العالم إلا القليل، فكان الكلب يدخل إلى الدار ويأكل الطفل الصغير وهو فى المهد، وأمه وأبوه ينظران إليه فلا يستطيعان النهوض لدفعه عنه من شدة الجوع، ثم قوى الأمر حتى صار الرجل يأخذ ابن جاره ويذبحه ويأكله ولا ينكر ذلك عليه، واشتهر ذلك بين الناس، وصار إذا قوى القوى على الضعيف ذبحه وأكله. وقيل كان بمصر حارة تعرف بحارة الطبق. وكان فيها عشرون دارًا، كل دار تساوى فى الثمن ألف دينار، قيل فأبيعت كل دار برغيف خبز. فأبيعت الحارة كلها بطبق خبز فسميت حارة الطبق.

وقال أبو الفرج بن الجوزى[(٢)]: خرجت امرأة بربع من اللؤلؤ وقالت " من يأخذ منى هذا اللؤلؤ، ويعطينى عوضه قمحًا" فلم تجد من يأخذه منها ويعطيها

---

(١) انظر المزيد فى : وفيات الأعيان ٢/ ١٠٣، بدائع الزهور ١/ ٥٩، النجوم الزاهرة ٥/ ١ـ ٢٣، اتعاظ الحنفا ٢٧٧، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٦٢، الكامل ٩/ ١٥٤، ثم ١٠/ ٨٢، بلغة الظرفاء ٧٥.

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على ابن عبد الرحمن بن على بن على بن عبد الله القرشى البكرى الصديقى البغدادى الحنبلى الواعظ. صاحب التصانيف السائرة فى فنون العلم، وعرف جدهم بالجوزى لجوزة كانت فى دارهم لم يكن =

عوضه قمحا. فقالت " إن لم تنفعني وقت الحاجة، فلا حاجة لى بك" وألقته على الأرض ومضت فلم يجئ أحد يلتقطه هو.

وقيل : إن الوزير ركب يومًا بغلته ودخل دار الخلافة فلما نزل عن بغلته أُخذت من غلمانه وأكلت في الوقت، فأمسكوا الذين أكلوها وشنقوهم. فلما أصبحوا لم يجدوا أحدًا من المشانيق وقد أكلوا من على الخشب ولم يبق منهم غير العظام.

وقيل: إن الخليفة المستنصر بالله أخرج في هذه الغلوة جميع ما في الخزائن من أموال وتحف وسلاح وقماش فباعها بأرخص الأثمان حتى قيل إنه أباع ثمانين ألف قطعة من أنواع الجوهر المثمن وخمسة وسبعين ألف شقة من أنواع الديباج المذهب. عشرين ألف سيف وإحدى وعشرين دارًا وضيعة وعقارًا، ومات جميع غلمانه وجواريه في هذا الفناء، وانكشف حاله وافتقر في هذه الحركة حتى لم يبق عنده إلا سجادة تحته وقبقاب في رجله، وكان إذا نزل من قصره إلى مكان أخر يستعير من الوزير بغلته حتى يركبها ويقضي أشغاله عليها.

وقيل مات في هذه الحركة أكثر أهل مصر من الجوع. حتى قيل كان يمشي الرجل [ق١٣ب] من جامع ابن طولون إلى باب زويلة لم ير في وجهه إنسانًا

= بواسط سواها، ولد سنة ٥١٠هـ وسمع فى سنة ٥١٩هـ من ابن الحصين وأبي غالب بن البناء وخلق عدهم ٨٧ نفسًا وكتب بخطه الكثير جداً ووعظ سنة ٥٢٠هـ إلى أن مات سنة ٥٩٧هـ حدث عنه بالإجازة الفخر على وغيره وله "زاد المسير" فى التفسير و" جامع المسانيد" و"المغنى" فى علوم القرآن و"تذكرة الأريب" فى اللغة و"الوجوه والنظائر" و"مشكل الصحاح" و"الموضوعات" و"الواهيات" و"الضعفاء" و"تلقيح مفهوم الأثر" و"المنتظم" فى التاريخ وأشياء يطول شرحها، وما علمت أحدًا من العلماء صنف ما نصف وحصل له من الحظوة فى الواعظ ما لم يحصل لأحد قط، قيل إنه حضره فى بعض المجالس مائة ألف وحضره ملوك ووزراء وخلفاء، وقال كتبت بإصبعى ألفى مجلد، وتاب على يدى مائة ألف وأسلم على يدى عشرون ألفا. قال الذهبى فى التاريخ الكبير: لا يوصف ابن الجوزى بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة، بل باعتبار كثرة إطلاعه وجمعه.

انظر المزيد فى : البداية والنهاية ١٣/ ٢٨، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤٢، الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٣٩٩، شذرات الذهب ٤/ ٣٢٩، طبقات المفسرين للداودى ١/ ٢٧٠، طبقات المفسرين للسيوطى ١٧، العبر ٤/ ٢٩٧، مرآة الجنان ٣/ ٣٨٩، مفتاح السعادة ١/ ٢٤٥، النجوم الزاهرة ٦/ ١٧٤، وفيات الأعيان ١/ ٢٧٩.

واستمر الحال على ذلك مدة، إلى أن بعث الله بالفرج القريب وتراجع الحال قليلاً، وحسن الحال للخليفة المستنصر كما كان عليه وزيادة وطابت أوقاته وصفا له بعد ذلك الدهر، وطالت أيامه فى الخلافة وناب الزمان إليه مما جبى كما قيل فى المعنى.

الدهر لا يبقى على حالة لا بد أن يقبل أو يدبرا
فإن تلقاك بمكروهه فأصبر فإن الدهر لن يصبرا

واستمر المستنصر فى الخلافة إلى أن مرض ومات يوم الخميس ثانى عشر ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، فكانت مدة خلافته ستين سنة وأربعة أشهر. وكان عمره لما تولى الخلافة سبع سنين وعشرين يومًا ولا يعلم فى الإسلام أن خليفة ولا سلطانًا أقام هذه المدة مرة واحدة غير المستنصر هذا. قيل إن نوحا عليه السلام عاش ألف سنة إلا خمسين عامًا. كما أخبر الله تعالى. فقيل له كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من باب وخرجت من باب موقد.

وقال أبو الطيب المتنبى فى معنى ذلك.

ولما مات المستنصر تولى من بعده ابنه أحمد المستعلى.

٦ - ذكر خلافة المستعلى بالله أحمد بن المستنصر بالله ابن الظاهر بن الحاكم العبيدى الفاطمى(١)

بويع بالخلافة بعد موت أبيه المستنصر بالله فى ثامن عشر ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وهو السادس من خلفاء بنى عبيد بمصر.

ومن الحوادث فى أيامه: أن الفرنج استولوا على بيت المقدس وملكوه وتلاشت دولة بنى عبيد إلى الغاية. واستمرت الفتن فى تزايد والأحوال فى اضطراب إلى أن مرض المستعلى بالله. ومات فى يوم الثلاثاء تاسع شهر صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة. فكانت خلافته سبع سنين وشهرين ثم تولى من بعده ابنه منصور.

---

(١) انظر المزيد فى: بدائع الزهور ١/٦٢، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٦٦، الكامل ١٠/ ١١٤، وفيات الأعيان ١/ ٥٧، مرآة الزمان ٨/ ٢.

٧ - ذكر خلافة الآمر بأحكام الله أبى على منصور ابن المستعلى أحمد العبيدى الفاطمى(١)

بويع بالخلافة بعد موت أبيه المستعلى. وهو السابع من خلفاء بنى عبيد بمصر. كان قبيح السيرة، فاسقًا، ظالمًا جبارًا عنيدًا، متظاهرًا بالمنكرات، يميل إلى اللهو والطرب. وكان وزيره المأمون البطائحى وهو الذى بنى جامع [ف ١٤أ] الأقمر الذى بالقرب من سوق مرجوش فلما نقل أمر المأمون البطائحى على الآمر بأحكام الله قبض عليه وقتله وصلبه وذلك فى سنة تسع عشرة وخمسمائة.

ومن الحوادث فى أيامه: أن الفرنج استولوا على مدينة عكا وطرابلس ونابلس، وقصدوا أن يدخلوا إلى القاهرة فأهلك الله تعالى ملك الفرنج المسمى بردويل وذلك لما وصل إلى العريش فمرض هناك ومات فعمد أصحابه إلى بطنه وشقوها وأرموا مصارينه ودفنوا المصارين هناك، ثم صيروا جثته وحملوها إلى القمامة التى بالقدس فدفنوه هناك، وصار الناس كلما مروا بالعريش يرجمون مكان مصارين بردويل التى دفنت هناك وتسمى إلى اليوم سبخة بردويل.

واستمر الآمر فى الخلافة إلى أن قتل وهو مار على جسر الروضة عند خروجه إلى الجزيرة الوسطى فوثب عليه جماعة فى الليل وهو مجروح فمات من ليلته وذلك فى ثالث عشر ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة. فكانت خلافته بمصر نحو تسع وعشرين سنة وأشهر، ومات عن غير ولده، ثم تولى من بعده الحافظ عبد المجيد.

٨ ـ ذكر خلافة أبى الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله ابن المستنصر بالله العبيدى الفاطمى(٢)

بويع بالخلافة بعد قتل الآمر وهو الثامن من خلفاء بنى عبيد بمصر، ولقب بالحافظ لدين الله.

---

(١) انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ٢/ ١٢٨، بدائع الزهور ١/ ٦٢، النجوم الزاهرة ٥/ ١٧٠ ـ ١٨٥، الكامل ١٠/ ١١٤ و٢٣٧، الخطط ٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢، بلغة الظرفاء ٧٨.

(٢) انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ١/ ٣٠٩، شذرات الذهب٤/ ١٣٨، الكامل ١١/ ٥٣، بدائع الزهور ١/ ٦٤، أتعاظ الحنفا ٢٨٤، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٧١.

وفـى أيامـه: اضـطربت أحـوال الديـار المصـرية ووقـع لـلحافظ هـذا أمـور يطـول شـرحها عـن هـذا المختصـر. قـيل كـان الحـافظ كـثير الأمـراض بالقولـنج فصـنع له شـبرماه الديـلمى الحكـيم طـبلاً للقولـنج، وقـد وجـد هـذا الطـبل فـى خزائـنهم عـندما ملكهـا صـلاح الديـن يوسـف بـن أيـوب، وكـان هـذا الطـبل مركـبًا مـن المعـادن السـبعة، وكـل واحـد مـن السـبعة مرصـود فـى وقـته، وكـان مـن خاصـية هـذا الطـبل إذا ضـربت علـيه أحـد خـرج مـنه ريـح، وهـذه الفـائدة كانـت لـنفع القولـنج. فـلما وجـد فى الخزائن ضـرب علـيه بعـض الأكـراد فخـرج مـنه ريـح، فغضـب مـن ذلـك وكسـره مـن حنقه فندم علـيه صـلاح الديـن يوسـف بـن أيـوب غايـة الـندم، ودام الحـافظ فـى الخلافـة إلى أن مـات فـى جمـادى الأخـر سـنة أربـع وأربعـين وخمسـمائة، فكانـت خلافـته تسـع عشرة سنة وسبعة أشهر، ولما مات استولى من بعده ابنه إسماعيل.

٩ـ ذكر خلافة الظافر بالله أبى المنصور إسماعيل ابن الحافظ عبد المجيد بن المستنصر بالله العبيدى الفاطـمى(١)

بويـع بالخلافـة بعـد مـوت أبـيه الحـافظ فـى جمـادى الآخـر سـنة أربـع وأربعين [ق ١٤ب] وخمسـمائة، وهـو التاسـع مـن خلفـاء بـنى عبـيد بمصـر، وتـولى الخلافـة ولـه من العمـر سـبع عشـرة سـنة، وكـان يمـيل إلى الـلهو والطـرب، وكـان قـد هـوى ابـن وزيـره عـباس يسـمى نصـر، وكـان يـنزل إلـيه فـى بعـض الأوقـات ويـنام عـنده، فتكـلم الـناس فـى حـق الوزيـر بسـبب ذلـك، واتسـع أمـره بـين الـناس بهـذا الكـلام، فوبخ الوزير يومًا ابنه نصر بسبب ذلك.

فـلما نـزل الظافـر فـى بعـض اللـيالى عـلى عادتـه إلى بيـت الوزيـر ومعـه خـادم واحـد لا غـير، فـلما نـام عـنده فقـام ابنه نصـر المذكـور وقـتله وارمـاه فـى البـئر ثـم عـرف أبـاه بمـا فعلـه. فـلما أصـبح الوزيـر توجـه إلى قصـر الخلافـة عـلى عادتـه وطلـب الخلـيفة الظافـر، فقـال له بعـض الخـدام: ابـنك نصـر يعـرف طـريقه، ثـم إن الوزيـر احضـر

---

(١) انظـر المـزيد فى: الخطط ١/ ٣٥٧، النجوم الزاهرة ٥/ ٣١٩، الكامل ١١/ ٥٣ ــ ٧٢، بدائع الزهور ١/ ٦٤ ــ ٦٥، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٧٣، وفيات الأعيان ١/ ٣٠٩، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٣٧.

القضاة وأعيان الدولة وقال لهم: إن الخليفة الظافر نزل في مركب، فانقلبت به وغرق في البحر الليلة. ثم قام الوزير ودخل إلى دور الحرم وأخرج ابن الظافر من عند أمه وولاه الخلافة. فلما أشاع بين الناس أن الوزير قتل الظافر، فثار الجند على الوزير وطالبوه بدم الظافر، ووقع له أمور يطول شرحها وأخر الأمر قتل الوزير عباس وابنه نصر كما سيأتي ذكره في موضعه.

والظافر هذا هو الذى بنى الجامع المعروف الآن بجامع الفاكهانيين وهو بالقرب من الشوابين. قيل أن في خلافة الظافر بالله العبيدى في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وقع وباء عظيم بين الحجاز واليمن وكانوا يسكنون في عشرين قرية فبادت منها ثمانية عشرة قرية، ولم يبق فيها دبار ولا نافخ نار وبقيت أنعامهم وأموالهم لا فائدة لها ولا يستطيع أحد أن يسكن في تلك القرى ولا يدخلها وكل من دخل إليها هلك من ساعته. أما القريتان الباقيتان فإنهما لم يمت منهما أحد ولا عندهما شعور بما يجرى على من حولهما من القرى مما أصابها من الموت بل هما على ما كانا عليه، لم يفقد منهما أحد فسبحان القادر على كل شيء. فكانت خلافة الظافر أربع سنين وسبعة أشهر ثم من تولى من بعده ابنه الفائز.

١٠ـ ذكر خلافة الفائز بنصر الله أبى القاسم عيسى بن الظافر ابن الحافظ بن المستنصر بالله العبيدى الفاطمى[(١)]

بويع بالخلافة بعد قتل أبيه الظافر، وهو العاشر من خلفاء بنى عبيد بمصر. قيل لما دخل الوزير عباس إلى دور الحرم وأخرج الفائز فحمله على كتفه ففزع منه واضطرب ودام به ذلك الفزع إلى أن مات بعد مدة. وكان عمره لما تولى الخلافة ست سنين. فلما استقام أمره في الخلافة أخذت أمه وأقاربه في تدبير الحيلة في قتل الوزير [ق ١٥أ] عباس كما يقال الموت في طلب النار، خير من الحياة في العار.

---

(١) انظـر المزيد فى: دول الإسلام ٢/ ٥١، وفيات الأعيان ١/ ٣٩٥، بدائع الزهور ١/ ٦٦، اتعاظ الحنفا ٢٨٧، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٧٥، الكامل ١١/ ٧٢ ــ ٩٦

فأرسل الخليفة الفائز وأقاربه يستعين على قتل الوزير عباس بشخص يسمى طلائع بن رزيك وكان متولى ناحية منية ابن خصيب، فجمع طلائع عسكرا وقصد الوثوب على الوزير عباس. لما بلغ الوزير عباس ذلك جمع ما قدر عليه من الأموال والجواهر والتحف، وهرب نحو بلاد الشام، فبينما هو فى أثناء الطريق خرج عليه جماعة من الفرنج فأخذوا جميع ما كان معه من الأموال وغيرها، وأسروا الوزير عباس وولده نصر. فلما بلغ طلائع بن رزيك ما جرى على الوزير عباس احتاط على جميع موجوده وتولى عوضه فى الوزارة ولقب بالصالح وهو الذى بنى الجامع الذى عند باب زويلة المسمى بجامع الصالح.

ولما استقام طلائع بن رزيك[1] فى الوزارة بذل للفرنج مالاً عظيمًا وأخذ منهم الوزير عباس فلما ظفر به صلبه هو وابنه نصر على باب قصر الخلافة. واستمر الفائز فى الخلافة إلى أن مرض ومات فى يوم الجمعة سابع رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، ومات وله من العمر إحدى عشرة سنة. فكانت خلافته نحو خمس سنين. ولما مات تولى من بعده ابن عمه عبد الله العاضد.

---

(١) هو طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح أبي الغارات، وزير عصامى يعد من الملوك، أصله من الشيعة الإمامية فى العراق قدم مصر فقيرًا، فترقى فى الخدم حتى ولي منية ابن خصيب (من أعمال الصعيد المصرى" وسنحت له فرصة فدخل القاهرة بقوة، فولى وزارة الخليفة الفائز الفاطمى سنة ٥٤٩هـ واستقل بأمور الدولة ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين، ومات الفائز سنة ٥٥٥ هـ، وولى العاضد فتزوج بنت طلائع واستمر هذا فى الوزارة فكرهت عمة العاضد استيلاءه على أمور الدولة وأموالها فاكمنت له جماعة من السودان فى دهليز القصر، فقتلوه وهو خارج من مجلس العاضد، وكان شجاعًا حازمًا مدبرًا جوادًا، صادق العزيمة، عارفًا بالأدب، شاعرًا.

انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ١/ ٢٣٨، دول الإسلام ٢/ ٥١، الخطط ٢/ ٢٩٣، مرآة الزمان ٨/ ٢٣٧.

١١ـ ذكر خلافة العاضد بالله أبى محمد عبد الله بن الحافظ ابن المستنصر بالله العبيدى الفاطمى[(١)]

بويع بالخلافة فى شهر رجب من سنة خمس وخمسين وخمسمائة بعد وفاة الفائز وهو الحادى عشر من خلفاء بنى عبيد بمصر.

وقيل إن خلفاء بنى عبيد الفاطميين لما تولوا الخلافة بمصر قالوا لبعض العلماء اكتبوا لنا ألقابًا تصلح للخلافة حتى إذا تولى منا أحد تلقب بها، فكتب لهم بعض العلماء ألقابًا كثيرة آخرها العاضد، فاتفق أن آخر من تولى منهم العاضد. وكان أخر الخلفاء الفاطميين بمصر وبه انقرضت دولة بنى عبيد من مصر.

وكان طلائع بن رزيك وزير الظافر بنصر الله فسار مع الناس أحسن سيرة واستمر فى الوزارة إلى أيام العاضد هذا، فأقام مدة ومات. فلما مات تولى من بعده فى الوزارة شاور بن مجبر السعدى[(٢)] وهو الذى كان سببًا لجراب دولتهم وزوال ملكهم.

قيل إن فى أيام العاضد هذا ملك الفرنج الديار المصرية واستولوا عليها حتى نزلوا عند بركة الحبش بالقرب من مدينة الفسطاط التى كانت بالقرب من جامع عمرو بن العاص وهو اليوم كيمان توجد فيها فى بعض الأحيان الأعمدة الرخام.

---

(١) انظر المزيد فى: تاريخ ابن خلدون ٤/ ٧٦ و٨١ ــ ٨٢، الكامل ١١/ ٩٦ و١٣٧، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٠٧ و ٣٣٤ ــ٣٥٧، أتعاظ الحنفا ٢٨٧ــ ٢٩٣، وفيات الأعيان ١/ ٢٦٩، بدائع الزهور ١/ ٦٧.

(٢) هو شاور بن مجبر بن نزار السعدى من بنى هوازن أبو شجاع أمير من الولاة، فيه نجابة وفروسية يلقب بأمير الجيوش ولى الصعيد الأعلى بمصر فى أيام العاضد ثم قام بثورة واستولى بها على وزارة مصر بعد أن قتل رزيك بن طلائع سنة ٥٥٧هـ واتهم بممالاة الأفرنج وأنه استعان بهم على دفع أسد الدين "شيركوه" عن دخول مصر فى أيام العاضد، ودخل شيركوه مصر فاتفق مع العاضد على قتله وعهد إلى صلاح الدين وكان لا يزال قائدًا فتولى قتله أمام قبر الإمام الشافعى بالقاهرة سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م.

انظر المزيد فى : وفيات الأعيان ١/ ٢٢٠، الكامل ١١/ ١٢٥، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٧٧ــ ٧٩، الروضتين ١/ ١٣٠.

وسبب ذلك أن ملك الفرنج المسمى مرى لما أن نزل عند بركة الحبش وطمع فى أخذ مدينة الفسطاط فخاف الوزير شاور أن يملك الفرنج المدينة فأمر بحرقها ق [ق ١٥ب] فخربت وأقامت النار تعمل فيها أكثر من خمسين يومًا حتى صار الدخان منها يرى من مسيرة ثلاثة أيام، فلما رأى ملك الفرنج ذلك خاف ورحل عن مصر وقصد التوجه إلى بلاده، وكان هذا الخراب مدينة الفسطاط وكان ذلك فى سنة أربع وستين وخمسمائة، وكان ذلك على يد الوزير شاور بن مجبر السعدى فمن حينئذ تزايدت القاهرة التى أنشأها المعز فى البناء والعمارة إلى يومنا هذا، ولما فعل الوزير شاور ما فعل تلاشى أمر الخليفة العاضد، وقويت شوكة بنى أيوب فقتلوا الوزير شاور بن مجبر السعدى ثم تولى عوضه أسد الدين شيركوه. أخوا أيوب ابن عم صلاح الدين يوسف بن أيوب وتلقب بالمنصور. فمن المؤرخين من عده من وزراء مصر، ومنهم من عده من ملوك مصر. ولما تولى على مصر فلم تطل أيامه بها ومات بعد مضى شهرين وقيل مات فجأة وذلك فى يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخر من سنة أربع وستين وخمسمائة.

ثم تولى من بعده فى الوزارة صلاح الدين يوسف بن أيوب فلما تولى صلاح الدين يوسف ضعف أمر العاضد إلى الغاية. ثم إن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام وهو المعروف بالشهيد، أرسل يقول لصلاح الدين يوسف بن أيوب أن يقطع اسم العاضد من الخطبة بمصر وأعمالها. فلما فعل صلاح الدين ذلك حصل للعاضد أمر عظيم بسبب ذلك ومات عقيب ذلك كما سيأتى ذكره فى موضعه.

قيل لما استولى صلاح الدين يوسف على حواصل الفاطميين بعد موت العاضد وتسلم القصرين بما فيهما من الأموال والتحف والسلاح وغير ذلك. فاستمر صلاح الدين يقبع من ذلك الحواصل عشر سنين غير ما اصطفاه لنفسه وغير ما أرسله إلى نور الدين الشهيد[1] بالشام ذكر ذلك العماد الكاتب[2].

---

(١) هو محمود بن زنكى عماد الدين بن آقسنقرأبو القاسم نور الدين الملقب بالملك العادل ملك الشام وديار الجزيرة ومصر، وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم، كان من المماليك (جده من موالى السلجوقيين) ولد فى حلب سنة ٥١١هـ وانتقلت إليه إمارتها بعد وفاة أبيه سنة ٥٤١هـ =

فكانت خلافة العاضد اثنتى عشرة سنة وستة أشهر. ولما مات العاضد استولى صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر وأعمالها.

قال: الشيخ شمس الدين الذهبى فى تاريخه: إن العاضد كان مع صلاح الدين يوسف كالمحجور عليه لا يتصرف فى كل الأمور إلا بعد مشورة صلاح الدين يوسف. وكان سبب موت العاضد لما بلغه أنه خطب لبنى العباس على منابر مصر فشق ذلك عليه فعمد إلى فص مسموم كان معه فمصه فمات من فاقته. وقيل غير ذلك. وكان العاضد يكره أهل السنة وكان رافضيًا مثل أقاربه سبابًا للصحابة، قبيح السيرة وبه انقطعت دولة الفاطميين أجمعين.

= وكان ملحقًا بالسلاجقة فاستقل وضم دمشق إلى ملكه مدة عشرين سنة، وامتدت سلطته فى الممالك الإسلامية حتى شملت جميع سورية الشرقية وقسمًا من سورية الغربية والموصل وديار بكر والجزيرة ومصر وبعض بلاد المغرب وجانبًا من اليمن، وخطب له بالحرمين وكان معتنيًا بمصالح رعيته، مداومًا للجهاد، يباشر القتال بنفسه، موفقًا فى حروبه مع الصليبيين، أيام زحفهم على بلاد الشام، وأسقط ما كان يؤخذ من المكوس وأقطع عرب البادية إقطاعات لئلا يتعرضوا للحجاج وهو الذى حصن قلاع الشام وبنى الأسوار على مدنها كدمشق وحمص وحماه وشيزر وبعلبك وحلب مات سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م.

انظر المزيد فى: الروضتين ١/ ٢٢٧ ــ ٢٢٩، الكامل ١١/ ١٥١، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٥٣، تاريخ ابن الوردى ٢/ ٨٣، وفيات الأعيان ٢/ ٨٧.

(٢) هو محمد بن محمد صفى الدين بن نفيس الدين حامد بن أله أبو عبد الله عماد الدين الكاتب، الأصبهانى مؤرخ الأدب من أكابر الكتاب، ولد فى أصبهان سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م وقدم بغداد حدثًا فتأدب وتفقه واتصل بالوزير عون الدين ابن هبيرة فولاه نظر البصرة ثم نظر واسط ومات الوزير، فضعف أمره، فرحل إلى دمشق فاستخدم عند السلطان نور الدين فى ديوان الإنشاء وبعثه نور الدين رسولاً إلى بغداد أيام المستنجد ثم لحق بصلاح الدين بعد موت نور الدين فكان معه فى مكانة "وكيل وزارة" إذا انقطع "الفاضل" بمصر لمصالح صلاح الدين قام العماد مقامه ولما توفى صلاح الدين استوطن العماد دمشق ولزم مدرسته المعروفة وتوفى بها سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م.

انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ٢/ ٧٤، مرآة الزمان ٨/ ٥٠٤، الوافى بالوفيات ١/ ١٣٣، الروضتين ١/ ١٤٤، مفتاح السعادة ١/ ٢١٤.

ذكر ابتداء دولة الأكراد من بنى أيوب[1]

فكان أولهم: الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين يوسف [ق ١٦ أ] بن أيوب ابن شادى بن مروان الكردى. وقيل أصلهم من أذربيجان من جهة بلاد الكرج، وهم فى الحقيقة أكراد كانوا فى خدمة زنكى ثم من بعده صاروا فى خدمة ولده نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام وهو المعروف بالشهيد، وهو الذى أرسل بنى أيوب إلى مصر عندما أرسل العاضد إلى نور الدين الشهيد يطلب منه نجدة عندما استولى الفرنج على الديار المصرية كما تقدم، فأرسلهم نور الدين الشهيد إلى مصر بجيش عظيم.

فلما رحل ملك الفرنج المسمى مرى عن مصر فقتلوا الوزير شاور بن مجبر السعدى فولوا بعده فى الوزارة للعاضد، وهو أسد الدين شيركوه أخو أيوب ابن عم صلاح الدين، ثم من بعده تولى صلاح الدين يوسف بن أيوب وتلقب بالناصر. قيل لما تلقب صلاح الدين يوسف بالناصر أرسل الخليفة الناصر[2] صاحب بغداد يعتب

---

(١) انظر المزيد فى : وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٦، تاريخ الخميس ٢/ ٣٨٧، بدائع الزهور ١/ ٦٩، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٧٩ و٥/ ٢٥٠- ٣٣٠، الكامل ١٢/ ٣٧، السلوك ١/ ٤١ ـــ ١١٤، طبقات السبكى ٤/ ٣٢٥، الدارس ٢/ ١٧٨ ـــ ١٨٨، مرآة الزمان ٤٢٥/٨، مفرج الكروب ١/ ١٦٨، النجوم الزاهرة ٦/ ٣ ـــ ٦٣، الإسلام والحضارة العربية ١/ ٢٨١ و٢٩٠ و٢/ ٢٨٩، شذرات الذهب ٤/ ٢٩٨، الفاطميون فى مصر ٣٠٨، الشرفنامة ٨٠ـــ ٩١، العرب والتمدن الإسلامى ٣٠٣ ـــ ٣٢٠.

(٢) هو أحمد بن المستضئ بأمر الله الحسن بن المستنجد أبو العباس الناصر لدين الله خليفة عباسى، بويع بالخلافة بعد موت أبيه سنة ٥٧٥هـ وطالت أيامه حتى أنه لم يل الخلافة من بنى العباس أطول مدة منه، يوصف بالدهاء على ما فى أطواره من تقلب، فبينما هو مهتم بشئون قومه يطلق المكوس ويرفع عن الناس الضرائب، إذا به قد انقلب فانصرف إلى اللهو، وأعاد ما رفع ويقال إنه هو الذى كاتب التتر وأطمعهم فى البلاد لما كان بينه وبين خوارزم شاه من العداوة، أملا بأن يشغله بهم عن الزحف إلى العراق، وكان له اشتغال بالحديث، جمع كتابًا فيه سماه "روح العارفين"واستمرت خلافته ٤٦ سنة و١١ شهرًا إلا يومين وذهبت إحدى عينيه فى آخر عمره وضعف بصر الثانية وفليج فبطلت حركته ثلاث سنين.

انظر المزيد فى : الكامل ١١/ ١٧٣، ثم ١٢/ ١٦٨، المختصر المحتاج إليه ١٧٩، مستدركه ٣٤، تاريخ الخميس ٢/ ٣٦٦، النبراس ١٦٤، السلوك للمقريزى ١/ ٢١٧، مختصر تاريخ الدول ٤٢.

صلاح الدين الذى تلقب بلقبه. واستمر فى وزارة العاضد إلى سنة ست وستين وخمسمائة، فأرسل نور الدين الشهيد وكان بالشام يقول لصلاح الدين يوسف اقطع اسم العاضد من الخطبة بمصر وأجعلها باسم الخليفة المستضئ العباسى خليفة بغداد، فأرسل صلاح الدين يقول: لنور الدين الشهيد إن أهل مصر لا يطاوعوا على ذلك، ويخشى من ثورتهم علينا بسبب ذلك. فأرسل نور الدين الشهيد إليه ثانيًا وهو يقول: لا بد أن يقطع اسم العاضد من الخطبة بمصر.

وكان نور الدين الشهيد يكاتب صلاح الدين يوسف الأمير إلا صفة لا، لأن نور الدين الشهيد كان أستاذ صلاح الدين يوسف فعند ذلك جمع صلاح الدين الأمراء الذين كانوا بمصر كيف يكون إبتداء الخطبة لبنى العباس بمصر. فاختلفت أقوالهم فى ذلك، فأم شخص من أبناء العجم يعرف بالأمين العالم. فقال: أنا ابتدى بها. فلما كان يوم الجمعة من شهر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة فصعد المنبر قبل الخطبة ودعا للخليفة المستضىء بالله العباسى فلم يتكلم أحد من المصريين ولا أنكر ذلك عليه. فلما كانت الجمعة الثانية أمر صلاح الدين يوسف للخطباء بمصر والقاهرة أن يقطعوا اسم العاضد من الخطبة ويخطبوا باسم المستضىء بالله ففعلوا ذلك. فلما بلغ العاضد ذلك فعل بنفسه ما تقدم ذكره، ومات فى يوم عاشوراء كما تقدم. فأقام صلاح الدين يوسف فى ولاية مصر، وتوفى نور الدين الشهيد فى سنة تسع وستين وخمسمائة بالشام. وكان نائبًا عن نور الدين الشهيد إلى أن مات نور الدين فعند ذلك صفا لصلاح الدين يوسف الوقت [ق ١٦ ب] واستقل بمملكة مصر والشام وحده من غير مشارك له فى ذلك. وطالت أيامه بمصر وفتح فى أيامه تلك الفتوحات الهائلة، فمن جملتها بيت المقدس بعدما كان بيد الفرنج مدة طويلة. وفتح فى أيامه عدة بلاد كانت بيد الكفار.

قيل: هو الذى بنى قلعة الجبل، وهو الذى بنى سور القاهرة بالقص الحجر النحت، وكان قديمًا مبنيًا بالطوب اللبن الذى بناه جوهر القائد فى أيام المعز الفاطمى وآباره باقية إلى الآن عند الباب الجديد وهو مبنى بالطوب اللبن.

قيل: وكان بناء سور القاهرة بالحجر القص فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة قال ابن الأثير: دوره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع بالهاشمى، وكان القائم على بنائه الأمير بهاء الدين قراقوش.

فى هذه السنة : أمر بإنشاء قلعة الجبل وهى التى صارت دار السلطنة الآن ولم يتم عمارتها إلا فى أيام الملك الكامل ابن أخى صلاح الدين يوسف وهو أول من سكنها من بنى أيوب.

وفى هذه السنة: هبت ببغداد ريح شديدة نصف الليل، وظهرت أعمدة مثل النار فى أطراف السماء، وبقى الأمر على ذلك إلى وقت السحر، فخاف الناس من ذلك ، انتهى.

وقيل: هو الذى قرر الخدام الخصى فى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وذلك عندما تغلب بنى حسن على الخلفاء الفاطميين، واستقلوا بالكلمة، وصاروا يجهرون عند الأذان بقولهم "حى على خير العمل" وهو مذهب الشيعة.

فلما تولى صلاح الدين يوسف أمر الديار المصرية استمال بنى حسن وغدق عليهم بالأموال والهدايا حتى أذنوا له أن يجعل على المدينة جماعة من قبله. فأرسل صلاح الدين إلى المدينة الشريفة أربعة وعشرين خادمًا خصيًا، وقرر عليهم شيخًا منهم اسمه بدر الدين الأسدى ووقف عليهم بلدين وهما نقادة وقبالة من بلاد الصعيد. وكان شيخ الحرم إذا اقدم على ملوك مصر يقومون له ويجلسونه ويتبركون إذا قدم عليهم. ودام الأمر على ذلك إلى أيام الملك الأشرف برسباى.

قيل: إن صلاح الدين يوسف هو الذى بنى خانقاه سعيد السعداء التى من داخل باب النصر وهو الذى بنى المدرسة الصلاحية التى كان بالقدس الشريف. وكان قد أمر فى أيامه باسقاط المكوس التى كانت تؤخذ من مصر وأعمالها وكتب بذلك مساميح وقرئت على المنابر وأودعت عند القاضى الفاضل عبد الرحيم.

وكانت جملة ما أبطله من المكوس فى كل سنة مائة ألف دينار وهو الذى أقام السادة الشافعية وقدمهم على غيرهم من المذاهب. وهو الذى [ق ١٧ أ] أزال جند مصر من العبيد البربر والصقالبة وكنانة والأرمن وشناترة العرب وغيرهم من الطوائف، كانت بمصر فى الدول المتقدمة. واستجد بمصر جماعة من الترك

والأكراد خاصة حتى كانت عدتهم اثنى عشر ألف فارس، ولكن كل فارس منهم مقوم بمائة فارس وهو الذى أقام بمصر الحرمة العظمة بعدما كان تلاشى أمرها إلى الخراب. وهو الذى بنى تربة الشافعي بعدما كانت ساحة وهو الذى بنى المارستان القديم عند دار الضرب.

واستمر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى مملكة مصر إلى أن مرض ومات بدمشق فى شهر صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة. ومات وله من العمر نحو واحد وسبعين سنة، وكان مولده فى قلعة تكريت فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة. فكانت مدة سلطنته بمصر أربع وعشرين سنة. وانفرد بملك مصر فى جمادى الآخر سنة ست وستين وخمسمائة. ولما مات خلف من الأولاد سبعة عشر ولدًا ذكرًا، ولم يخلف فى الخزائن من الذهب والفضة شيئًا سوى سبعة وأربعين ألف درهم. ولم يخلف قرية ولا ملكًا ولا بستانًا، ونفد جميع ما فى الخزائن على الفتوحات والتجاريد التى كانت فى أيامه. وهو أول ملوك بنى أيوب بمصر. ولما مات ولى من بعده ابنه العزيز عثمان.

٢ـ ذكر سلطنة الملك العزيز عماد الدين أبى الفتح عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب(١)

تسلطن بعد موت أبيه صلاح الدين يوسف، وكان مولده فى جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة. وكان أصغر أخوته. وهو الثانى من ملوك بنى أيوب بمصر، وكان أخوه الأفضل أكبر أخوته. فلما مات صلاح الدين بدمشق وتولى ابنه الأفضل على دمشق وتولى ابنه المظفر غازى على حلب، فلما تولى العزيز عثمان على مصر وكان أصغرهم فحاربه أخوته، وجرى له معهم أمور يطول شرحها. وكان له من العمر لما تولى على مصر سبع وعشرون سنة. ولما تولى على مصر سار فى الناس أقبح سيرة، وأعاد المكوس التى كان أبطلها والده صلاح الدين وزاد فى شناعتها وتجاهر بالمعاصى والمنكرات حتى غلا سعر العنب فى أيامه لكثرة ما

---

(١) انظر المزيد فى: الخطط ١/ ٢٣٥، وفيات الأعيان ١/ ٣١٤، النجوم الزاهرة ٦/ ١٢٠، بدائع الزهور ١/ ٧٣، الكامل ١٢/ ٤، السلوك ١/ ١١٤ ـــ ١٤٤، الشرفنامة الكردية ٩١.

يعصره، وحميت بيوت المزارة، وأقيمت عليها الضرائب الثقيلة، حتى صار يؤخذ منها فى كل يوم ستة عشر دينارًا، وحملت أوانى الخمر جهارًا من غير إنكاره. وجاء فى أيامه غلوه والقمح موجود فى الجرون. ومازال الأمر يتزايد منه فى كل يوم، حتى خرج نحو مدينة الفيوم يتصيد فلاح له ظبيًا فساق [ق ١٧ ب] خلفه. فكبا به الفرس، فدخل قربوس السرج فى بطنه. فحمل إلى القاهرة فمات فى عشرين المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة ودفن عند الإمام الشافعى رضى الله عنه ، ثم تولى من بعده ابنه محمد.

٣- ذكر سلطنة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب(١)

وهو الثالث من ملوك بنى أيوب بمصر. تسلطن بعد أبيه عثمان فى المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وكان له من العمر نحو عشرين سنة.وكان المدبر فى مملكته الأمير بهاء الدين قراقوش وهو صاحب حارة بهاء الدين. فلم تطل أيام المنصور محمد، وتغلب عليه أعمامه وجرى له معهم أمور يطول شرحها. وأخر الأمر خلعه عم أبيه من السلطنة وتسلطن بعده عوضًا عنه، وسجن المنصور محمد فى دور الحرم بحيث لا يخرج منها ولا يظهر. واستمر على ذلك إلى أن مات. فكانت مدته بمصر سنة وتسعة أشهر(٢) وخلع من الملك.

٤- ذكر سلطنة الملك العادل سيف الدين أبى بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادى(٣)

تسلطن بعد خلع ابن أخيه المنصور محمد وتولى الملك فى شوال سنة خمس وتسعين وخمسمائة.

---

(١) انظر المزيد فى : البداية والنهاية ١٣/ ١٨، بدائع الزهور ١/ ٧٤، السلوك ١/ ١٤٥ ــ ١٥٣.

(٢) إضافة من الخطط.

(٣) انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ٢/ ٤٨، السلوك ١/ ١٥١ ــ ١٩٤، مرآة الزمان ٨/ ٥٩٤، ذيل الروضتين ١١١، الشرفنامه ٩٦.

وكان العادل هذا فى أيام أخيه صلاح الدين يوسف قد استولى على عدة بلاد وطالت أيامه فى السعادة. وكان مسعود الحركات فى أفعاله إلى أن تولى ملك مصر. وكان مولده بمدينة بعلبك فى سنة أربع وستين وخمسمائة وكان أصغر من أخيه صلاح الدين يوسف. وكان العادل هذا لما تولى ملك مصر يصيف بالشام ويشتى بمصر، وكان كثير الأكل، يأكل الخروف وحده ويحب من يواكله وكان على أكله كبير انتكاح. وهو الرابع من ملوك مصر من بنى أيوب.

ومن الحوادث فى أيامه: أن الغلاء عم أهل مصر وعقب ذلك فناء عظيم وهلك من الناس جماعة كثيرة من الأغنياء ومن الفقراء.

قال أبو شامة فى تاريخه: إن الملك العادل كفن من ماله فى مدة يسيرة (من مات) من الغرباء نحو من مائتى ألف وعشرين ألف إنسان. وكان مع الفناء غلاء عظيم حتى أكل من الكلاب والقطط شىء كثير وأكل من الأطفال شىء كبير. وكان إذا غلب القوى على الضعيف ذبحه وأكله، وقد ذبح من الأطباء فى تلك السنة جماعة كثيرة يدعونهم إلى المريض فيذبحونهم ويأكلونهم وقد غربت الأقوات وغلا سعر كل شىء وكان ذلك فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة. وقيل إن رجلا استدعى طبيبًا، فخاف الطبيب على نفسه وذهب معه وهو على وجل، فجعل الرجل يكثر من ذكر الله تعالى ويتصدق على من يجده فى الطريق من الفقراء فساءت نفس الطبيب بذلك فحين وصلا إلى الدار فوجدها خربة، فارتاع الطبيب من ذلك [ق ١٨ أ] فخرج إليه رجل من الدار وقال لصاحبه ومع هذا البطء جئت لنا بصيد؟ فلما سمع الطبيب ذلك ولى هاربًا، وما خلص إلا بعد جهد كبير.

ثم بعد مدة انصلح الحال ورخص السعر وتراجع كل شىء إلى ما كان عليه وحسنت الأوقات.

واستمر الملك العادل فى السلطنة بمصر إلى أن مرض ومات بدمشق فى ثامن جمادى الأخر سنة خمسة عشرة وستمائة ودفن بدمشق، فكان مدة سلطنته بمصر ثمانية عشرة سنة وتسعة أشهر وهو صاحب المدرسة السويفية التى بالقرب من باب الرهومة.

ولما مات العادل أبى بكر استقر كل واحد من أولاده فى مملكة، فاستقر الملك الكامل محمد بمصر، واستقر الملك المعظم عيسى بدمشق، واستقر الملك الأشرف موسى شاه أرمن بحلب، وشاه أرمن هذا هو ممدوح القاضى كمال الدين بن النبيه الشاعر فى قصائده كلها، فمن ذلك قوله فى ختم زجل:

والشراب أحمر وأصفر كنوا رآيات شاه أرمن

فأملك بحال حمالوا بما خلق وليس بـــخلق

ولما مات العادل تولى ابنه محمد أمر الديار المصرية من بعده.

٥ـ ذكر سلطنة الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب[(١)]

تولى ملك مصر بعد أبيه فى يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة سنة خمسة عشرة وستمائة. وهو الخامس من ملوك بنى أيوب بمصر وكان الملك الكامل محمد أكبر أخوته.

قال الشيخ شمس الدين الذهبى فى تاريخه: إن الملك الكامل محمد استولى على الديار المصرية نحو أربعين سنة نصفها فى حياة أبيه العادل، ونصفها مستقلاً بها وحده بمفرده. هو الذى بنى القبة العظيمة على ضريح الإمام الشافعى رضى الله عنه وأجرى إليها الماء من بركة الحبش إلى حوش السبيل، وهو الذى بنى المدرسة الكاملية التى بين القصرين، وهو صاحب الغزوات الكبيرة مع الفرنج بثغر دمياط وغيرها من البلاد وفتح الله تعالى على يده فى أيامه فتوحات كثيرة وكان مسعود الحركات.

وقيل فى أيامه: توفى الشيخ شرف الدين عمر بن محمد الفارض الحموى[(٢)] ولد بالقاهرة فى رابع ذى القعدة سنة سبع وسبعين وخمسمائة وتوفى بالقاهرة فى

---

(١) انظر المزيد فى: الوافى بالوفيات ١/ ١٩٣، بدائع الزهور ١/ ٧٧، الكامل ١٢/ ١٢٦ و١٣٥ و ١٨٦، السلوك ١/ ١٩٤ ــ ٢٦٠، الحوادث الجامعة ١٠٧، وفيات الأعيان ٢/ ٥٠، الدارس ٢/ ٢٧٧، مرآة الزمان ٨/ ٧٠٥.

(٢) انظر المزيد فى : وفيات الأعيان ١/ ٣٨٣، ميزان الاعتدال ٢/ ٢٦٦، شذرات الذهب ٥/ ١٤٩ ــ ١٥٣، لسان الميزان ٤/ ٣١٧، خطط مبارك ٥/ ٥٩، مفتاح السعادة ١/ ٢٠١.

الثانى من جمادى الأول سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ودفن بالقرافة الصغرى تحت العارض بالجبل المقطم وإنما سمى بالفارض لأن والده شمس الدين محمد كان قد انفرد فى علم الفرائض وقسم الميراث فاشتهر بذلك.

ذكر طرف يسيرة من غزوات الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر. وذلك على سبيل الاختصار

قيل : لما استولى الفرنج على ثغر دمياط وملكوها [ق ١٨ ب] وأسرفوا فى قتل من بها من المسلمين، فركب الملك الكامل محمد بعد أخذ مدينة دمياط بيومين ومن معه من العساكر وقد تكامل معه من العساكر أربعين ألف مقاتل، وأرسل الملك الكامل إلى البلاد يستحث الناس إلى الحضور لدفع العدو عن البلاد. وكتب إلى سائر الآفاق بسرعة الحضور، وأما الفرنج لما مثلوا ثغر دمياط حصنوا سورها وجعلوا الجامع كنيسة. فلما وصل الملك الكامل نزل قبالة طلخا على رأس بحر أسمور وبحر دمياط وهى التى يقال لها اليوم المنصورة، ونادى بالنفير عام فحضروا جماعة من العربان من الشرقية والغربية ومن نواحى الصعيد، فاجتمع هناك السواد الأعظم ما لا يحصى من الخلائق ووقع القتال هناك مع الفرنج فجرى بينهم من القتال ما يطول شرحه، فعند ذلك أيقن الفرنج بالهلاك وأرسلوا يطلبون من السلطان الأذن على أنهم يتركون مدينة دمياط ويرحلون عنها وأرسل ملك الفرنج يقول للسلطان نحن نرسل رهائن منا وأنتم أرسلوا رهائن منكم إلى أن يقع الصلح بيننا فأرسل ملك الفرنج عشرين ملكًا من ملوك الفرنج إلى عند السلطان، وأرسل السلطان الملك الكامل ابنه نجم الدين الصالح مع جماعة من الأمراء إلى عند ملك الفرنج فعند ذلك سلم الفرنج مدينة دمياط إلى المسلمين، وأطلق كل من الفريقين، وكان عنده من الأسرى وكان يوم تسليمها يومًا مشهودًا لم يسمع بمثله. ثم إن الفرنج رحلوا عن دمياط. ولما كان الملك الكامل محمد فى مدة المحاصرة على دمياط كان عنده شخص من جندارية الوالى يقال له شمائل، وكان يمشى فى ركاب الملك الكامل، ويسبح فى البحر ويأتى للسلطان بأخبار الفرنج وما يجرى منهم فى كل يوم فحظى عند السلطان بذلك وقربه، فلما انتصر الملك الكامل على الفرنج جعل شمائل المذكور والى القاهرة وإليه ينسب خزائن شمائل وكانت عبارة عن سجن

يجلس بها أصحاب الجرائم، وكان الملك المؤيد شيخ من جملة من حبس بها. وكان شيخ لما حبس بها من جملة مماليك السلطان برقوق فقاسى بها مشقة وشدائد عظيمة فنذر أن أعطاه الله تعالى ملك مصر لهدم خزانة شمائل ويجعل مكانها جامعًا. فكان الأمر كذلك.

قيل : لما سلم الفرنج مدينة دمياط، دخل الملك الكامل فى موكب عظيم. وأرسل البشاير إلى سائر الآفاق بأخذ مدينة دمياط من أيدى الفرنج. وكانوا قد أشرفوا على أخذ الديار المصرية من أيدى المسلمين. وكانت مدة نزول الفرنج على مدينة دمياط إلى أن رحلوا عنها ثلاث سنين وأربعة أشهر وتسعة عشر [ق ١٩أ] يومًا، منها مدة إستلائهم عليها سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرون يومًا.

وقيل : لما انتصر الملك الكامل على الفرنح هذه النصرة العظيمة نزل بقصره الذى أنشأه بالمنصورة وحضر عنده أخواه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الأشرف موسى شاه أرمن صاحب ماردين، وكانا قد حضرا نجدة لأخيهما الملك الكامل محمد، لما بلغهما أن الفرنج ملكوا دمياط، فلما حصلت هذه النصرة أراد الملك الكامل أن ينبسط هو وأخواه، وأحضروا سفرة الشراب كما قيل :

فيوم علينا، ويوم لنا ويوم نساء، ويوم نسر

فلما شربوا وطاب المجلس أحضر الملك الأشرف موسى جارية تضرب بالعود، فلما أخذت العود أصلحته وغنت عليه هذه الأبيات :

ولما طغى فرعون عكا بسحره وجاء ليسعى بالفساد إلى الأرض
أتى نحوه موسى وفى يده العصا فأغرقهم فى اليم بعضا على بعض

فطرب الملك الأشرف موسى لذلك فشق على أخيه الملك الكامل محمد صاحب مصر فأحضر جارية من عنده تضرب بالعود أيضًا، فأخذت العود وأصلحته وغنت عليه هذه الأبيات :

أيا أهل دين الكفر بالله فأعجبوا لما قد جرى فى عصرنا وتجددا
ألا إن موسى قد أتانا وقومه وعيسى جميعا ينصرون محمدا

فطرب الملك الكامل محمد لذلك طربًا شديدًا، وأنعم على كل جارية منهما بخمسمائة دينار.

وقيل: إن الذى نظم هذه الأبيات هو الراجح الحلى قبل الصفى الحلى بمدة طويلة والله أعلم.

واستمر الملك الكامل محمد فى السلطنة بمصر إلى أن مرض، ومات فى يوم الخميس ثانى عشرين رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة. فكانت مدة سلطنته بمصر نحو عشرين سنة، ولما مات تولى من بعده ابنه أبى بكر، وكانت وفاة الملك الكامل محمد بدمشق فى العشرين من رجب كما تقدم.

٦ـ ذكر سلطنة الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن نجم الدين أيوب[(١)]

تسلطن بعد وفاة أبيه الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن نجم الدين أيوب فى سنة خمس وثلاثين وستمائة. وكان سبب تقدم العادل هذا على أخيه الكبير الصالح نجم الدين لأن الملك الكامل لما توفى بدمشق وكان العادل هذا نائب أبيه على الديار المصرية، فأتفق رأى الأمراء الذين كانوا بمصر على سلطنة أبى بكر ابن الملك الكامل محمد فسلطنوه ولقبوه بالملك العادل. وهو السادس من ملوك بنى أيوب بمصر. فلما بلغ هذا أخاه الكبير نجم الدين الصالح أن أخاه الصغير تسلطن بمصر، وكان الصالح هذا فى البلاد [ق ١٩ ب] الحلبية من أيام والده الملك الكامل فشق ذلك عليه وتحرك على أخيه العادل، فلما حضر إلى الديار المصرية جرى بينه وبين أخيه العادل ما يطول شرحه ثم إنه خلع العادل من السلطنة وسجنه وتسلطن عوضه ثم إن مات الملك الصالح قبل أخيه العادل أبى بكر كما سيأتى ذكره فى موضعه، وقيل وهو فى السجن وذلك فى شهر شوال سنة ست وأربعين وستمائة، فكانت مدة سلطنة العادل أبى بكر بمصر سنة وشهرين وأيامًا، وتولى من بعده أخوه نجم الدين أيوب.

---

(١) انظر المزيد فى: مورد اللطافة ٣٠ ـ ٣١، السلوك ١/ ٢٦٧، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٣٥، تاريخ ابن الوردى ٢/ ١٧٨، بدائع الزهور ١/ ٨٢.

٧ـ ذكر سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن نجم الدين أيوب(١)

تسلطن بعد خلع أخيه العادل أبى بكر فى يوم الاثنين خامس عشرين ذى الحجة سنة سبع وثلاثين وستمائة، وكان له من العمر لما تولى السلطنة نحو أربعة وثلاثين سنة. ومولده فى سنة ثلاث وستمائة بالقاهرة ، وهو السابع من ملوك بنى أيوب بمصر. وكان سبب قتل أخيه العادل أبى بكر أن الملك الصالح لما أراد التوجه إلى البلاد الشامية لإصلاح أمرها فخاف من إبقاء أخيه العادل وهو فى السجن، فقتله فى الدير ثم توجه إلى دمشق فحصل للملك الصالح وهو بدمشق أكلة فى خده، فعاد إلى مصر وهو عليل فأقام على ذلك مدة يسيرة.

ثم جاءت الأخبار بأن ملك الفرنج المسمى فرنسيس نزل على ثغر دمياط فى عسكر عظيم من البر والبحر، وقتل من المسلمين خلقًا كثيرة، فعند ذلك خرج إليه الملك الصالح وهو عليل فى محفة فنزل بالمنصورة وأمر بجمع العساكر من سائر البلاد من فرسان العربان وغيرهم، فاجتمع هناك من الخلائق ما لا يحصى عددهم ويقاتلوا معه الفرنج أشد القتال، هذا والملك الصالح يتزايد فى المرض كل يوم حتى يئس منه الأطباء فلما كانت ليلة الأحد رابع عشر شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة. توفى الملك الصالح نجم الدين أيوب وهو بالمنصورة فكتم موته خوفًا من الأفرنج ولم يظهروا ذلك وحملوه فى الليل إلى القاهرة ودفن بها ولم يعلم أحد من الناس بموته. وقيل دفن عند الإمام الشافعى عند أقاربه، وقيل دفن فى قلعة الروضة لما جاء به من البحر فى الليل، وكان القائم بتدبير المملكة يومئذ شخص يسمى حسام الدين لاجين فكانت بعد موت الملك الصالح تخرج المراسيم بعلامة السلطان، فلا يشك من يراها أنها خط الملك الصالح وهم يظهرون أن السلطان مريض، ولم يجسر أحد أن يقرب المحفة، ودام الأمر على ذلك حتى قدم ابنه مغيث الدين توران شاه وكان فى حصن كيفا، فلما حضر توران شاه وتولى السلطنة [ق ٢٠أ] واشيع موت الملك الصالح ونادى المنادى بالدعاء للملك المعظم توران

---

(١) انظر المزيد فى : الخطط ٢/ ٢٣٦، بدائع الزهور ١/ ٨٣، السلوك ١/ ٢٩٦ ــ ٣٤٢، مرآة الزمان ٨/ ٧٧٥.

شاه، تسلطن بالمنصورة ووردت البشائر بذلك إلى الديار المصرية ودقت الكوسات وزينت القاهرة وذلك فى سنة ثمان وأربعين وستمائة. فكانت مدة سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيوب بالديار المصرية سبع سنين وسبعة أشهر وعشرين يومًا، والملك الصالح هذا هو صاحب المدرستين اللتين بين القصرين، وهو الذى بنى القلعة التى كانت بالروضة على بحر النيل وأسكن بها جماعة من المماليك، وكان يسمون المماليك البحرية، وقيل كان عدتهم ألف مملوك، وقتل أكثر من ذلك وكانوا يقيمون فى قلعة الروضة دائمًا ولهم شوانى فى البحر عند الصناعة مكملة بسبب القتال مشحونة بالسلاح، وهو الذى جلب المماليك والأتراك بمصر، وفيه يقول بعض الشعراء:

الصالح المرتضى أيوب أكثر من ... ترك بدولته ياشر مجلوب
لا آخذ الله أيوبا بفعلته ... فالناس قد أصبحوا فى صبر أيوب

ولما مات الصالح نجم الدين تولى من بعده ابنه توران شاه .

٨ـ ذكر سلطنة الملك المعظم مغيث الدين توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد(١)

تسلطن بعد موت أبيه الصالح نجم الدين بأربعة أشهر لأن الملك الصالح مات بالمنصورة فى نصف شهر شعبان من السنة المذكورة وكتم موته خوفًا من الفرنج إلى حضور أبنه توران شاه من حصن كيفا فحضر فى أول المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة، فتسلطن هناك وهو الثامن من ملوك بنى أيوب بمصر.

ولما قدم من حصن كيفا كان العساكر على ثغر دمياط فى الحصار مع الفرنج وقد طمعوا بموت الملك الصالح، فلما احضر توران شاه وتسلطن فوقع بينه وبين الفرنج هناك وقعة عظيمة حتى كاد الفرنج أن يستظهروا على المسلمين وتملكوا الديار المصرية، فأذن الله تعالى بالنصرة على يد الأمير بيبرس البندقدارى ومن معه من المماليك البحرية وبقية العساكر فحملوا على الفرنج حملة واحدة بالسيوف

---

(١) انظر المزيد فى: بدائع الزهور ١/ ٨٥، تاريخ ابن الوردى ٢/ ١٨١، فوات الوفيات ١/ ٩٧، اللوك ١/ ٣٥١ ــ ٢٦١، مرآة الزمان ٨/ ٧٨١.

والدبابيس حتى هزموا الفرنج بإذن الله تعالى، فبلغت عدة من قتل من الفرنج في هذه الوقعة ما يزيد على عشرين ألف إنسان، وكانت هذه الواقعة في فارسكور وغنم منهم المسلمون في هذه الوقعة شيئًا كثيرًا من الأموال والسلاح والقماش والخيول وأسروا ملك الفرنج المسمى فرنسيس وأسروا أقاربه، فجلس ملك الفرنج في [ق ٢٠ ب] دار لشخص يسمى ابن لقمان في ثغر الإسكندرية ووكلوا بملك الفرنج وأقاربه طواشي يسمى صبيح الغظمي، فصار يضرب ملك الفرنج وأقاربه في كل يوم ألف عصاه حتى أذاقهم العذاب الأليم.

ثم إن ملك الفرنج اشترى نفسه من السلطان توران شاه بمال جزيل، ثم أفرجوا عنه وعن أقاربه وحلفوه أنه لا يعود بعد ذلك إلى بلاد المسلمين ولا يخون اليمين، ورجع ملك الفرنج إلى بلاده، فلما قتل توران شاه وتولى أيبك التركماني كما سيأتي ذكره في موضعه، فعند ذلك تحرك ملك الفرنج فرنسيس على الديار المصرية ثاني مرة وقد خان اليمين فكتب إليه الصاحب جمال الدين بن مطروح[1] هذه القصيدة، ومن أبياتها:

قل للفرنسيس إذا جئته   مقال نصح من فؤول فصيح

دار ابن لقمان على حالها   والقيد باق والطواشي صبيح

فلما قرأ فرنسيس ملك الفرنج هذه الأبيات يذكر ما جرى عليه من الطواشي صبيح الغظمي وما قاساه منه، فرجع إلى بلاده من حيث جاء ولم يقاتل أهل مصر بعد ذلك، هذا ما كان من أمر ملك الفرنج فرنسيس. وأما ما كان من أمر الملك المعظم توران شاه بعد أن تسلطن فأنه لما حصلت له هذه النصرة العظيمة على الفرنج رحل من المنصورة ونزل على فارسكور فعمل له هناك برجًا خشبيًا على فم

---

(١) هو يحى بن عيسى بن إبراهيم جمال الدين ابن مطروح، شاعر أديب مصرى، ولد بأسيوط سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٦م وتوفى بالقاهرة سنة ٦٤٩/ ١٢٥١م خدم الملك الصالح أيوب وتنقل معه فى البلاد فأقامه الصالح ناظرًا على الخزانة بمصر سنة ٦٣٩هـ ثم نقله إلى دمشق، واستمر فى الأعمال السلطانية إلى أن مات الملك الصالح، فعاد إلى مصر وأعرض عنه خلفاء الصالح فأقام محمولاً كما يقول سبط ابن الجوزى إلى أن مات، له ديوان شعر.

انظر المزيد فى: وفيات الأعيان ٢/ ٢٥٧، شذرات الذهب ٥/ ٢٤٧، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٧، مرآة الزمان ٨/ ٧٨٨، ذيل الروضتين ١٨٧، حسن المحاضرة ٢/ ٣٢٧، ذيل مرآة الزمان ١/ ١٩٧.

البحر، وظن أن الوقت قد صفا له فأخذ فى أسباب تقريب من قدم معه من حصن كيفا، وصار يعطيهم الوظائف السنية.

ثم أمر رءوس النواب أن تكون عطيتهم ملبسة بالذهب إذا وقفوا قدامه فى المواكب، وكان إذا سكر مرض الشموع قدامه ويضرب رءوسها بالسيف ويقول هذا"هكذا أفعل برءوس المماليك البحرية" وكان عنده خفة زائدة ورهج فى الأمور. فعند ذلك نفرت منه قلوب الرعية. وكان قد أرسل إلى شجرة الدر زوجة أبيه الملك الصالح يهددها بالقتل ويستوعدها بكل سوء، فأرسلت شجرة الدر إلى الأمراء والمماليك البحرية تقول لهم "إن قتلتوا توران شاه، فعلىّ رضاكم بالمال".

فلما كان يوم الاثنين تاسع عشرين المحرم من سنة ثمان وأربعين وستمائة فجلس الملك المعظم توران شاه على السماط فتقدم إليه بعض المماليك البحرية وضربوه بالسيف فقطعوا أصابعه، فقام إلى البرج الخشب وأغلق عليه الباب فأطلقوا فيه النار فألقى بنفسه فى البحر وهو يقول خذوا ملككم، ودعونى أرجع إلى حصن كيفا". وصار يسبح فى البحر والنشاب تأخذه من كل جانب وهو يصيح يا مسلمين ما فيكم من يعيننى، فقتلوه وهو فى البحر عائمًا فمات قتيلاً حريقًا غريقًا وبقى السماط ممدودًا على شاطئ [ق ٢١أ] البحر لا يجسر يتقرب إليه أحد من عظيم الاضطراب، وصار السلطان ملقى قتيلا على جانب البحر وأقام ثلاثة أيام لم يدفن. فكانت مدة سلطنة الملك المعظم توران شاه نحو شهر ثم وقع الاتفاق من الأمراء على سلطنة شجرة الدر فسلطنوها، وهى أخر من تولى من جماعة بنى أيوب بمصر.

٩ـ ذكر سلطنة شجرة الدر بالديار المصرية(١)

تسلطنت بعد قتل الملك المعظم توران شاه فى شهر صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة وأصلها من جوارى الملك الصالح نجم الدين أيوب اشتراها فى أيام أبيه الملك الكامل محمد، وحظيت عنده واستولدها ابنه خليل ثم اعتقها وتزوج بها. وكانت معه فى البلاد الشامية مدة طويلة ثم قدمت معه إلى الديار المصرية.

---

(١) انظر المزيد فى: شذرات الذهب٥/ ٢٦٨، مرآة الزمان ٨/ ٧٧٤ ــ ٧٧٥ و٧٨٢ ــ ٧٨٣، الدر المنثور ٢٥٥، تراجم إسلامية ٦١، السلوك ١/ ٣٦١، الخطط ١/ ٢٣٦ ــ ٢٣٨، دول الإسلام ٢/ ١٢٢، بدائع الزهور ١/ ٨٩ ــ ٩٣.

فلما تسلطن الملك الصالح عظمت شجرة الدر فى دولة أستاذها الملك الصالح، وصار إليها غالب تدبير أمور الديار المصرية فى حياة أستاذها الملك الصالح وبعد وفاته. وكانت ذات عقل وحزم ورأى ومعرفة بأحوال المملكة فتسلطنت لحسن سيرتها وجودة تدبيرها، [وكان يعاونها][1] الأمير عز الدين أيبك التركمانى أتابك العساكر ومشاركها فى أحوال المملكة، وصار يخطب باسم شجرة الدر على منابر مصر وأعمالها.

وكان الخطباء يقولون بعد الدعاء للخليفة "واحفظ اللهم الجهة الصالحية، ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين [ذات الحجاب الجليل، والستر الجميل] والدة المرحوم خليل" فأقامت على ذلك مدة ثلاثة أشهر فساست الرعية فى مدة سلطنتها أحسن سياسة وسارت فيهم سيرة حسنة إلى أن أبدى بها خلع نفسها من السلطنة باختيارها.

وقيل : إن الخليفة أرسل من بغداد إلى الأمراء الذين كانوا بمصر يقول لهم: إعلمونا إن كان ما بقى فى مصر عندكم من الرجال من يصلح للسلطنة، فنحن نرسل إليكم من يصلح لها، أما سمعتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا ينكح قوم ولوا أمرهم امرأة"[2] وأنكر عليهم بسبب ذلك غاية الإنكار وقد قال بعضهم فى المعنى.

النساء ناقصات عقل ودين ... ما رأينا لهن رأيا سنيًا
ولأجل الكمال لم يجعل الله ... تعالى من النساء نبيًا

فلما بلغها ذلك خلعت نفسها من السلطنة وتولى أيبك التركمانى ثم مشى الأمراء بينهما فتزوج أيبك شجرة الدر ، وكان أيبك لا يتصرف فى شىء من أمور المملكة إلا برأى شجرة الدر، وكانت ذات شهامة زائدة وكانت تركية الجنس شديدة الغيرة [ق ٢١ب] صعبة الخلق فتولى أيبك السلطنة وكان مع شجرة الدر فى غاية الضنك.

---

(١) إضافة من عندنا للسياق مع المعنى.

(٢) هناك شك فى هذا الحديث.

١- ذكر سلطنة عز الدين أيبك التركمانى الصالحى النجمى[١]

هو أول ملوك الترك بمصر تولى الملك فى يوم السبت تاسع عشرين ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وستمائة، وركب شعار الملك وحملت على رأسه القبة والطير. ولقبوا بالغواشى الذهب قدامه.

فلما استقر فى السلطنة قال المماليك الصالحية لابد لنا من واحد من بنى أيوب نسلطنه وكان القائم ذلك الأمير بليان والأمير فارس الدين أقطاى والأمير بيبرس البندقدارى وسنقر الرومى وجماعة كثيرة من المماليك الصالحية، واحضروا بشخص من بنى أيوب.

وقيل : من ذريته يقال له مظفر الدين يوسف من أولاد الملك مسعود صاحب بلاد الشرق، وكان عند عماته فى بلاد الشرق. فلما حضر سلطنوه ولقبوه بالملك الأشرف، وكان له من العمر نحو من عشرين سنة. ولما تسلطن لم يعزلوا أيبك التركمانى من السلطنة، بل صار معه كالاتابكى وخطب باسمهما على المنابر وضربت السكة باسمهما على الدنانير والدراهم فلم يسمع أيبك إلا الإذعان فى ذلك واستمر المعز أيبك فى السلطنة وهذا الصبى يوسف شريكه فى السلطنة إلى أن قويت شوكة المعز أيبك، فعند ذلك عزل الصبى يوسف عن السلطنة واستقل بها وحده بعد أمور جرت له ووقائع أحوال يطول شرحها على هذا المختصر حتى قتل المعز كما سيأتى ذكره.

وكان سبب قتل المعز أيبك أن زوجته شجرة الدر قد بلغها أن أيبك خطب بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، فتغير حاله على شجرة الدر لأنها كانت تمن على أيبك فى كل وقت وتقول له: لولا أنا ما تسلطنت أنت وكانت قد منعته من الاجتماع بأم ولده على حتى أنها لزمته أن يطلقها بالثلاثة، فحنق منها أيبك ونزل إلى مناظر اللوق، وكانت مناظر اللوق مكان الأزبكية الآن. فأقام بها أيامًا وهو غضبان فأرسلت إليه شجرة الدر من خلف عليه ويلطف به حتى سكن غيظه وطلع إلى القلعة.

---

(١) انظر المزيد فى: بدائع الزهور ١/ ٩٠، السلوك ١/ ٣٦٨ ــ ٤٠٤، النجوم الزاهرة ٧/ ٣، ٤١.

وكانت شجرة الدر قد أعدت له من يقتله إذا طلع إليها، فلما طلع إليها اصطلحت معه ودخل الحمام ودخلت معه إلى الحمام فلما استقر بها دخل عليهما خمسة من الخدام الخصى الروم الذين كانت أعدتهم له ليقتلوه فأخذ بعضهم بخناقه وبعضهم بمحاشمه فاستغاث بشجرة الدر، فقالت للخدام أتركوه فاغلظ عليها بعضهم وقال: متى تركناه لا يبقى عليك ولا علينا، فقتلوه فى الحمام وذلك فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة. فلما [ق ٢٢ أ] قتل أيبك تولى من بعده ابنه نور الدين على، فعند ذلك قبض على شجرة الدر ودخل بها إلى أمه فقتلتها بالقباقيب إلى أن ماتت فرموها فى خندق القلعة وهى عريانه فأقامت ثلاثة أيام مرمية لم تدفن والناس ينظرون إليها، وأما الخدام الذين قتلوا أيبك فشنقوهم على باب القلعة.

وقيل : إن أحد الحرافيش جاء فى الليل إلى شجرة الدر وهى مرمية فقطع تكة لباسها وكان فيها أكرة لؤلؤ كبار ثم دفنت فى تربتها التى بالقرب من السيدة نفيسة.

وكانت شجرة الدر كثيرة البر والصدقة ولها أوقاف على جهة بر ومعروف، وكانت دينة خيرة تحب الفقراء وتحب المساكين ولم يسمع بأن فى الإسلام من تسلطن من النساء غير شجرة الدر، ونالت من العز والعظمة ما لا ناله أحد من النساء قبلها، وتصرفت فى الدهر بحسب ما تختاره من الأمور كما قيل.

أيها المتعب جهلا نفسه — يطلب الدنيا حريصا جاهدا

لا لك الدنيا ولا أنت لها — فاجعل الهمين هما واحدا

فكانت مدة سلطنتها بمصر نحو ثلاثة أشهر، وكانت مدة سلطنة الملك المعز أيبك التركمانى بمصر سبع سنين فمنها مدة انفراده بالسلطنة خمس سنين وثلاثة أشهر، ومدة الصبى يوسف المقدم ذكره الذى كان شريكه فى السلطنة نحو سنة وأشهر.

ولما قتل أيبك تولى من بعده ابنه نور الدين على. قال بعضهم هذه الأبيات المواليا تتضمن أسماء ملوك الترك ممن تولوا السلطنة بالديار المصرية، من أول ملوك الترك [والجراكسة] دون أسماء أولادهم على الترتيب وهم:

أيـــبك قطـــز يعقـــبو بيـــبرس ذو الأكمـــال
بعـــدو قـــلاون بعـــد وكتـــبغا المفضـــال
لاجـــين بيـــبرس بـــر فـــوق شـــيخ ذو الأفضـــال
ططـــر برســـباى جقـــمـــق ذو العـــلا أيـــنال
وخشـــقدم عـــنه قـــل يلـــباى ذو الأحـــوال
تمـــربغا قايتـــبا ى الفحـــل ذو الإقـــبال
وقانصـــوه جنـــبلا ط خـــذ عـــنهما الأقـــوال
وبعـــده جـــاء طـــو مـــان بـــاى بالإقـــبال
وبعـــده قانصـــوه الغـــورى أبـــو الأهـــوال
وبعـــده صـــار طومـــان بـــاى فـــى جـــل جـــال
وأمـــا ســـليم شـــاه خـــادم ســـعده عمـــال
وبعـــده أحمـــد الباشـــاه بســـيفواجال[1]

٢ ـ ذكر سلطنة الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز أيبك التركمانى الصالحى[2]

تسلطن بعد قتل أبيه الملك المعز أيبك التركمانى فى يوم الخميس سادس عشرين ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة، وهو الثانى من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية. تسلطن وله من العمر نحو إحدى عشرة سنة، وكان القائم بتدبير مملكته علم الدين سنجر الحلبى، وكان وزير المنصور على بن المعز شخصًا يسمى شرف الدين ابن صاعد الفايزى، فلما ثقل أمر سنجر على الناس وجار عليهم فعند ذلك [ق ٢٢ب] قبض عليه الأمير قطز المعزى ووقع بينهما أمور يطول شرحها.

---

(١) وردت هذه الأبيات فى بدائع الزهور.

(٢) انظر المزيد فى: السلوك ١/ ٤٠٥ ــ ٤١٧، بدائع الزهور ١/ ٩٣.

وكان فى أيام الملك المنصور على هذا قدوم هولاكو ملك التتار إلى مدينة بغداد وقتله للخليفة المستعصم بالله. وكان قصد هولاكو أن يزحف على بلاد حلب والشام ومصر. فلما بلغ الأمراء الذين يأتون مصر هذه الأخبار فعقد الأمير قطز مجلسًا وجمع فيه القضاة والأمراء وأعيان الدولة بسبب قتال هولاكو ورفعه عن البلاد، وكان المشار إليه فى ذلك المجلس عز الدين بن عبد السلام من كبار الشافعية، فقال: إذا طرق العدو البلاد وجب على العالم كلهم قتاله. وجاز للسلطان أن يأخذ من الرعية ما يستعان به على تجهيز العسكر، بشرط ألا يبقى فى بيت المال شيء من المال والسلاح والقماش، ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه، وتشاوروا فى ذلك أنتم والعامة سوى بحيث لا يبقى مع الجند شيء. وأما أخذ أموال الرعية مع بقايا فى أيدى الجند من المال فلا يجوز. فعند ذلك اجتمع رأى القضاة والأمراء على خلع الملك المنصور على بن المعز أيبك لصغر سنه وعدم دفعه للعدو، واتحدوا هلاكو. فخلعوه من السلطنة وسلطنوا قطز بعده وقيل عوضه.

فكانت مدة سلطنة الملك المنصور على بن المعز أيبك بالديار المصرية نحو سنتين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يومًا ثم أرسلوه إلى السجن بثغر دمياط وأمه معه. فأقام بها إلى أن مات بعد مدة طويلة.

ومن الحوادث فى أيامه قد ظهر بالمدينة الشريفة نار كانت تختفى بالنهار وتظهر بالليل يراها الناس من مسافة بعيدة ويظهر لها دخان عظيم. فأقامت على ذلك نحو أربعين يومًا ثم خفيت بعد ذلك. وقد قال بعضهم فى ذلك.

بحر من النار تجرى فوقه سفن ... من الهضاب لها فى الأرض إرساء

منها تكاثف فى الجو الدخان إلى ... أن عادت الشمس منه وهى دهماء

يرمى لها شررا كالقصر طائشة ... كأنها ديمة تنصب هطلاء

فيا لها معجزات عن رسو ... ل الله قد ظهرت والناس أحياء

يشير الناظم إلى الحديث الشريف "أن الساعة لا تقوم حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء منها أعناق الإبل ببصرى"[1] ذكره البخارى فى باب الفتن وخروج النار.

ومات فى أيام الملك المنصور على من الأعيان وهم: زكى الدين عبد العظيم المنذرى والشيخ أبو الحسن الشاذلى وشعلة المقرى والفاسى سعد الدين العربى الشاعر والصرصرى الشاعر وابن الأبار المؤرخ وغيرهم من الأعيان والعلماء والصلحاء.

٣ ـ وذكر سلطنة الملك المظفر سيف الدين قطز المعزى[2]

وهو الثالث من ملوك الترك وأولادهم بمصر، تسلطن بعد خلع ابن الملك المعز أيبك كما تقدم وذلك فى يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة. فلما تولى الملك أخذ فى أسباب خروجه إلى قتال العدو هولاكو ملك التتار وقد وصل أوائل عسكره إلى الشام . فعند ذلك أمر الملك المظفر قطز بجمع الأموال من أهل مصر لأجل صرفه فى هذه الحركة، فأخذ على كل إنسان من أهل مصر من الفقراء وغيرهم ومن النساء من كل واحد دينارًا وأخذ من تصقيع الأملاك وتقومها وأخذ من الأغنياء من زكاة أموالهم. وأخذ من الترك الأهلية الثلث من المال، وأحدث من هذا النمط أشياء كثيرة من أبواب المظالم فبلغ جملة ما جمعه من الأموال فى هذه الحركة ستمائة ألف دينار، وخرج من القاهرة فى يوم الجمعة خامس عشرين شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة، فلما وصل إلى الشام وقع بينه وبين عسكر هلاكو وقعة عظيمة وقتل فيها خلق كثيرة فاعز الله تعالى الإسلام على يد الملك المظفر قطز وكسر عسكر هولاكو المخذول كسرة قوية وهزمهم أحسن هزيمة. ومهد البلاد الشامية واحسن تمهيدها. وكانت جميعها فى يد ملوك بنى أيوب وأولادهم فاستخلصها من يدهم ثم بعد ذلك قصد التوجه إلى الديار المصرية وهو فى غاية النصر والعز فسار هو ومن معه من الأمراء العساكر إلى أن وصل إلى

---

(١) كذلك رواه الترمذى وابن ماجه.

(٢) انظر المزيد فى: مورد اللطافة ٣٥ ــ ٣٨، بدائع الزهور ١/ ٩٦، السلوك ١/ ٤١٧ ــ ٤٣٥، النجوم الزاهرة ٧/ ٧٢، فوات الوفيات ٢/ ١٣٢، ذيل الروضتين ٢١٠.

قريب الصالحية فرأى أرنبا فساق خلفه وساق معه جماعة من الأمراء ومن جملتهم الأمير بيبرس البندقدارى لما دنوا منه، تقدم إليه الأمير بيبرس ليقبل يده وكان قد أنعم عليه بجارية مليحة من سبايا التتار فلم يمد يده إليه قبض عليه الأمير بيبرس وضربه بالسيف وحمل عليه بقية الأمراء والمماليك بالسيوف حتى قتلوه وتركوه ميتًا فى البرية، ثم ساقوا وهم شاهرون سيوفهم إلى أن وصلوا إلى الوطاق فجلس الأمير بيبرس البندقدارى على مرتبة السلطان قطز وتسلطن هناك وأخذ المملكة بالقوة فشق ذلك على بقية الناس من أن الملك المظفر قطز قتل من غير ذنب، وكان من خيار ملوك الترك وله اليد البيضاء فى القيام لدفع العدو عن البلاد وعمارة البلاد الشامية. وكان مقتله فى يوم السبت خامس عشر من ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ودفن هناك فى المكان الذى قتل فيه. فكانت مدة سلطنته نحو سنة إلا أيام وتولى من بعده الأمير بيبرس.

٤ـ ذكر سلطنة الملك الظاهر ركن الدين [ق٢٣ ب] بيبرس العلاى البندقدارى الصالحى النجمى(١)

هو الرابع من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية. تسلطن بعد قتلته للمظفر قطز فى يوم السبت خامس عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة، ولقب بالملك الظاهر أبو الفتوح، وكان أول ما تسلطن تلقب بالملك القاهر فقال له بعض العلماء " ما تلقب أحد بهذا اللقب وأفلح" وقد جرب ذلك فتركه وتلقب بالملك الظاهر.

وكان أصله تركى الجنس أخذ من بلاده وهو صغير فبيع لشخص بدمشق يسمى العماد الصايغ ثم اشتراه منه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى فلما قبض الملك الصالح نجم الدين أيوب على الأمير أيدكين البندقدارى واحتاط على موجوده، فأخذ بيبرس من جملة الموجود ثم أن الملك الصالح اعتقه وجعله من جملة المماليك البحرية. وكان شجاعًا فأظهر فى وقعة الفرنج التى كانت على المنصورة فى أيام الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين من الشجاعة

---

(١) انظر المزيد فى: فوات الوفيات ١/ ٨٥، النجوم الزاهرة ٧/ ٩٤، بدائع الزهور ١/ ٩٨ ــ ١١٢، تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٢٤، السلوك ١/ ٤٣٦ــ ٦٤١، دائرة المعارف الإسلامية ٤/ ٣٦٣.

وقوة القلب ما لا يسمع بمثله ثم صار أميرًا مقدم ألف ثم صار اتابك العسكر ومازال يترقى والاقدار تساعده إلى أن بقى سلطانا بالديار المصرية.

فلما تسلطن بعد قتل قطز كما تقدم ذكره وجلس على سرير الملك وخلف الأمراء لنفسه. ثم إنه استقر بالأمير فارس الدين اقطاى ويدعى بالمستعرب أتابك العساكر واستقر بجماعة من الأمراء فى وظائف سنية.

فلما قتل المظفر قطز وتولى بيبرس فدخل إلى القاهرة فى الليل وطلع إلى القلعة، فلما طلع النهار نادى المنادى للناس ترحموا على الملك المظفر قطز وادعو بالنصر للسلطان الملك الظاهر بيبرس.

وكانت القاهرة قد زينت لقدوم الملك المظفر قطز فلما بلغ الناس هذه النصرة على التتار ورد العدو عن البلاد، فلما نادى المنادى بذلك فمن الناس من فرح بذلك، ومنهم من اغتم لذلك وتأسف على الملك المظفر قطز لأنه قتل بلا ذنب. فلما جلس الملك المظفر بيبرس على سرير الملك بمصر عمل الموكب وأخلع على من يذكر من الأمراء وهم: الأمير فارس الدين أقطاى المستعرب فاستقر أتابك العساكر كما تقدم، واستقر بالأمير لاجين الدرفيل داودارًا كبيرًا، والأمير بليان الرومى دوادارًا ثانيًا، واستقر بالأمير عز الدين الأفرم أمير جاندار واستقر بالأمير بهاء الدين يعقوب أمير آخور على عادته، واستقر ببهاء الدين بن حنا وزيرًا.

وقيل: إن ابن حنا هذا هو الذى بنى الآبار النبوى المطلة على بحر النيل وأودع فيه الآبار الشريفة وقيل [ق ٢٤ أ] إنه اشتراها بمال جزيل حتى أودعها بمصر. واستقر بالأمير جمال الدين أقوش النجيبى أستادارا واستقر ببقية الأمراء على قدر منازلهم. ورسم باحضار المماليك البحرية الذين كانوا فى البلاد متفرقين. ثم أرسل مكاتبات إلى سائر الملوك والنواب "رمم مما عدد الله تعالى له"(١) من توليه الملك بالديار المصرية وطلب منهم بذل الطاعة فأجابه الجميع بالبيع والطاعة. وقد تقدم أن الأمير علم الدين سنجر الحلبى لما نقل أمره على الناس فى دولة الملك المنصور على بن الملك المعز أيبك التركمانى وقبض عليه الملك المظفر قطز قبل أن

---

(١) وردت هذه العبارة على هامش المخطوطة.

يلى السلطنة وسجنه ثم أفرج عنه وجعله نائب دمشق. فلما قتل المظفر قطز وتولى الظاهر بيبرس فشق ذلك على الأمير سنجر وأظهر العصيان على الظاهر بيبرس، وطلب الوثوب على الظاهر بيبرس فجمع أمراء دمشق وألزمهم بالخروج على طاعة الملك الظاهر بيبرس فجاء أوامر عليهم الجميع.

ثم إن الأمير سنجر الحلبى تسلطن بدمشق وركب بشعار السلطنة ولقب نفسه بالملك المجاهد وكتب بذلك إلى سائر النواب وخطب باسمه على منابر دمشق وأعمالها. فلما بلغ الملك الظاهر بيبرس ذلك كتب إلى سنجر المذكور كتابًا ووبخه فيه بفضح فعله ورجوعه عن ذلك فعادت الأجوبة بالمخالفة لذلك فاضطربت أحوال البلاد الشامية وعصيت بقية النواب على الظاهر بيبرس.

فلما جرى ذلك أراد الملك الظاهر استجلاب خواطر الرعية، فأمر بإبطال ما كان أحدثه الملك المظفر قطز من المظالم عند خروجه إلى حركة العدو المخذول هلاكو وقد تقدم ذلك فأمر بإبطال ذلك جميعه وكتب به مساميح وقرئت على المنابر بمصر، فمالت إليه قلوب الرعية وزاد فى الدعاء له بالنصر والبقاء كما قيل فى المعنى.

لم يبق للجور فى أيامكم أثر ... إلا الذى فى عيون العيد من حور

ثم دخلت سنة تسع وخمسون وستمائة:

فيها: قبض الملك الظاهر بيبرس على جماعة من الأمراء المعزية وقد بلغه عنهم أنهم يريدون قتله.

وفيها: كان وصول الإمام أحمد العباسى بن الخليفة الظاهر بالله وقد تقدم ذلك عند تراجم الخلفاء العباسية وكان وصوله فى تاسع شهر رجب من السنة المذكورة، فركب الملك الظاهر وبلغاه وأكرمه وقد تقدم ذلك وذكره فى ترجمة الخليفة المستنصر بالله أبى العباس أحمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله.

ومن الحوادث فى أيامه: أن الغلاء وقع بمصر فى أيام الملك الظاهر بيبرس، فجمع السلطان الحرافيش وعدهم وقسمهم على الأمراء فأخذ منهم لنفسه خمسمائة حرفوش وولده مثل ذلك، وأخذ الأمير بيليك نائب السلطنة ثلاثمائة حرفوش وفرق [ق ٢٤ب] البقية على الأمراء كل واحد على قدر مقامه ورسم لهم

أن يعطوا لكل حرفوش منهم فى اليوم رطلين خبز. وكانت الأقوات قد عزت إلى الغاية فما رأى أحد من الفقراء يسأل من بعد ذلك فى مدة هذه الغلوة.

وكانت هذه الغلوة فى سنة ستين وستمائة فى أوائلها.

ثم دخلت سنة إحدى وستون وستمائة:

فيها: ختن السلطان ولده الملك السعيد محمد المدعو "بركة" ورسم للأمراء والجند والقضاة وأعيان الناس والأعوام والفقراء، وأن كل من كان له ولد يحضر به إلى عند السلطان. وأشهر المناداه بذلك فاحضر الناس أولادهم إلى عند السلطان فبلغ عدتهم ألف وستمائة وخمسة وأربعين ولدًا خارجًا عن أولاد الأمراء والجند، فرسم لكل واحد منهم ملبسوه على قدر مقام أبيه، ورسم لأولاد العوام لكل واحد منهم بدينار ورأس غنم وكسوة وختن الجميع مع ابن السلطان، وكان له مهم عظيم لم يسمع بمثله. وذلك فى عاشر ذى القعدة من السنة المذكورة.

ثم دخلت سنة اثنتين وستون وستمائة:

فيها: أمر السلطان بإبطال صمان الحشيش وإراقة الخمور وخراب بيوت المسكرات ومنع الخانات من الخواطى واستتوب العلوق واللواطى. وعم هذا الأمر سائر أقطار الديار المصرية حتى البلاد الشامية فطهرت فى أيامه تلك البقاع من جميع المنكرات وخرج على ذلك غاية التخريج. ثم أحضروا إليه فى أثناء هذه الواقعة بشخص يسمى "ابن" الكازرونى وهو سكران فأمر بصلبه فصلب وعلقت الجرة فى عنقه. فلما رأى ذلك أهل المجون والخلاعة فامتثلوا بالسمع والطاعة، وفى ذلك يقول شمس الدين بن دانيال:

لقد كان حد السكر من قبل صلبه خفيف الأذى

إذ كان فى سرعنا جلدا

فلما بدا المصلوب قلت لصاحبى ألا تب فإن

الحدّ قد جاوز الحدّ

وقال الأديب إبراهيم بن المعمار فى هذا المعنى من زجل لطيف منه، هذه الأبيات وهى المقصودة من الزجل.

منعونا مـــاء العنب يا أسين   رب سلم لا يمنعـونا التين

هاك قل لى إذا منعنـــــا الراح   وحرمنا من الوجوه الصـــــباح
بيش نبقا نستجـــلب الأفـــراح   والخليع كيف نراه يعبش. مسكين
على مـــوت العنب بكـــا الراووق   والشمع صار بعبرتو مخنـــــوق
والوتربـــات من الغروب للشـروق   من أنينو تسمع لو فى الليل حنين

وقـال الشـيخ شمـس الديـن بـن دانيال الحكـيم: لما قدمت مـن الموصـل إلى الديـار المصـرية فـى الدولـة الظاهـرية سـقى الله عهدهـا. وأعـذب مشـارب وردهـا. فوجـدت تلـك الرسـوم دارسـة، ومواطـن الأنـس بهـا آنسـة، وأربـاب الخمـور والحشـيش [ق ٢٥] عابسـة. وقـد هـزم أمـر السـلطان جـيش الشـيطان. وتـولى الحـرانى والى القاهـرة وإهـراق الخمـور واحـراق الحشـيش وتـبديد المـزور، واسـتتوب العلـوق واللواطـى، وحجـر الـبغايات والخواجـى، وقـد أذى الخلفـاء غايـة الأذيـة. وصـلب ابـن الكـازرونى وفـى عـنقه نـباذية، ثـم شـاعت الأخـبار ووقـع الإنكـار. وأقيمـت الحـدود، وعطلـت الـبدود وسـجن الخمـار والمـزار واتـاوى المسـطول فـى الـدار، فخطـر بخاطـرى أن انظـم هـذه الواقعة فى قصيدة واجعلها فى أسلوبها فريدة وهى هذه:

ـــات يـــا قـــوم شـيخنا إبلـيس   وخـــلاً مـــنه ربعـــه المـــأنوس
ونعـــانى حدســـى بـــه إذ توفـــى   ولعمـــرى مماتـــه محـــدوس
هـــو لـــو لم يكـن كمـا قلـت ميـتا   لم يغـــير لأمـــره نـــاموس
أيـــن عيـــناه تـــنظر الحمـــرة إذ   عطـــل مـــنها الـــراووق والمحـــريس
ومواعيـــنها تكســـر والخمـــار   مـــن بعـــد كســـرها محـــبوس
أيـــن عيـــناه والحشـــائش تحـــرقن   بـــنار تـــراع مـــنها المجـــوس[1]
قلعـــوه مـــن البســـاتين إذاك   صـــغارًا خضـــراء وهـــى غـــروس
والحرافـــيش حولهـــا يتـــباكون   وهـــذا يطفـــى لهـــذا الوطـــيس
أيـــن عيـــناه تـــنظر المـــزروقد   أوحـــش مـــنه المـــاجور والقـــاروس
وعجـــين الـــبقول قـــد بـــددوه   وهـــو بـــالترب خلطـــة مبســـوس
وذوو القصـف ذاهــــلون وقـــد   كـادت عـلى سيلها تسـيل النفوس

(١) وردت الأبيات فى بدائع الزهور.

كم خليع يقول ذا اليوم يوم مثل ما قيل قمطريرا عبوس
وفتى قائلاً لقد هان عندى بعد هذا فى شربها التجريس
وقضيب ونرجس وسعاد باكيات وزينب عروس
وذى تنادى حريفها لوداع لا عناق لا ضم لا تبويس
وينادى قوادهم شه علينا نجم ستى قد عكسته العكوس
أين تمشى حزنا يجور زمان لا قحاب فيه ولا خندريس
وترى زنكلون يزعق زيتون وناتوا يصيح يا جاموس
ذا ينادى رفيقى يا عنيكر بل وهذا يصيح يا بغنوس
أين شكشاكتى وطاجنه الفار وأين المزراق والدبوس
نهبوا الحصن والطير طير والطار وضاعت خريطتى والفلوس
ارحلوا هذه بلاد عفاف وسعود الخلاع فيها نحوس
من لنا بعد ذلك الشيخ إلف وسمير ومؤنس وأنيس
لم تر بعده فتى ضاحك السن وكل يبدو له تعبيس
فسأبكيه أرمد العين حتى لشقائى يعيش جاليوس

يقول: وكانت وفاة الشيخ شمس الدين بن دانيال الحكيم فى سنة عشر وسبعمائة. ومن شعره لنفسه وهو قوله:

يا سائلى عن حرفتى فى الورى وضيعتى فيهم وإفلاسى
ما حال من درهم إنفاقه يأخذه من أعين الناس

[ق ٢٥ ب]

ثم دخلت سنة ثلاث وستون وستمائة:

فمن الحوادث فيها أن شب حريق كبير بالقاهرة، وأشيع بين الناس أن هذا من فعل بعض النصارى فأمر الملك الظاهر بجمع النصارى من القاهرة وغيرها، فلما اجتمعوا أمر بحرقهم، فجمعت لهم الأحطاب والحلفاء. فشفع فيهم الأتابكى فارس الدين أقطاى على أنهم يلتزمون بإصلاح ما فسد من الدور التى أحرقت وأن يحملوا إلى بيت المال خمسين ألف دينار.

ثم دخلت سنة أربع وستون وستمائة: سافر السلطان الملك الظاهر إلى الشام وحاصر قلعة صفد وافتتحها وعمر بقلعتها البرج الجديد.

وفيها : جرد السلطان العساكر إلى مدينة سيس وكان باش العسكر (عز الدين بيدغان المعروف بسم الموت) والأمير قلاوون الألفى افتتحا مدينة سيس وعدة قلاع ورجعا إلى الديار المصرية.

ثم دخلت سنة خمس وستون وستمائة:

فيها: سافر السلطان إلى حصار مدينة يافا ففتحها هى والشقيف، وتوجه إلى إنطاكية ففتحها يوم الجمعة ثالث شهر رمضان، ثم توجه إلى بغراس ففتحها ثم رجع إلى الديار المصرية سنة ست وستين وستمائة وشق من القاهرة وزينت له.

ثم دخلت سنة سبع وستون وستمائة:

فيها: توجه السلطان الملك الظاهر إلى الحجاز الشريف فخرج من مصر فى ثالث شوال فتوجه إلى غزة ثم إلى الكرك، ثم توجه منها إلى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم منها إلى مكة المشرفة فدخلها فى خامس ذى الحجة وكانت فى تلك السنة وقفة الجمعة وكان ولده الملك السعيد يخرج مع الركب المصرى فلما رجع الحاج إلى مصر رجع معهم الملك السعيد ورجع والده الملك الظاهر مع الركب الشامى، وتوجه من هناك إلى زيارة بيت المقدس وزيارة قبر الخليل عليه السلام فزارهما. وعاد إلى القاهرة فى سنة ثمان وستين وستمائة. وأقام الأمر ساكنًا إلى سنة إحدى وسبعين وستمائة

فيها: بلغ الملك الظاهر أن التتار نزلوا على مدينة البيرة فخرج السلطان على خليل البريد ومعه من الأمراء الأمير بيسرى والامير أقوش الرومى والأمير جرمك الخازندار والأمير سنقر الألفى والأمير قلاوون الألفى وبقية الأمراء، فأول من خاض الفرات من بين الأمراء: الأمير قلاوون الألفى والأمير بيسرى فحصل منهما وبين التتار وقعة عظيمة فانكسر التتار وانهزموا وقتل منهم خلق كثيرة وأسروا منهم جماعة كثيرة وساقوا خلفهم حتى كسروهم كسرة قوية فعند ذلك دخل السلطان الملك الظاهر إلى مدينة البيرة وفرق على أهلها الأموال وأخلع عليهم الخلع [ق ٢٦ أ] السنية فكانت غيبة السلطان من الشام إلى الفرات أحد عشر يومًا ثم رجع إلى الشام ومنها توجه إلى الديار المصرية.

وكـان السـلطان الملـك الظاهـر رتـب خـيل الـبريد بسـبب أخـبار الـبلاد الشـامية وسـرعة حضـور الأخـبار إلى القاهـرة حـتى قـيل كـان الخـبر يصـل مـن الـبلاد الشامية إلى قلعـة الجـبل فـى أربعـة أيـام ويعـود فـى مثـلها، فصـارت أخـبار الـبلاد الشـامية تـرد علـيه فـى كـل جمعـة مـرتين. وقـيل إنـه أصـرف عـلى ذلـك مـالاً عظـيمًا حتى ترتب وتم ترتيـبه، وكـان مبـتدأ ذلـك فـى سـنة تسـع وخمسـين وسـتمائة، ومـازال أمـر الـبريد مسـتمرًا بـين القاهـرة ودمشـق، وهـو عـبارة عـن مراكـز فـى كـل مركـز عـدة خـيول تعرف بخـيل الـبريد وعـندها رجـال يعـرفون بالسـواقين ولا يقـدر أحـد يركـب مـن خـيل البريد إلا بأمـر السـلطان. وكـان عـند كـل مركـز مـا يحـتاج إلـيه المسـافر مـن زاد وعلـف وغـير ذلـك. واسـتمر الأمـر عـلى ذلـك إلى أن كانـت أيـام الملـك الناصـر فـرج بـن برقوق. وجرى لـه مـع تمرلـنك مـا جـرى وخربـت الـبلاد الشـامية فـى هـذه الحـركة، فـبطل ذلـك مـن يومئذ مع جملة ما بطل من شعار الملكة، وكان إبطاله فى سنة ثلاث وثمانمائة.

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعون وستمائة:

فـيها: هجـم الوبـاء بالديـار المصـرية وهلـك فـيه خلـق كـثيرة مـن الصـغار والنسـاء وارتفع.

وفـى هـذه السـنة: توفـى أبـى الحسـين بـن الجـزار الشـاعر وكـان له شـعر جـيد وعاش من العمر واحد وسبعين سنة.

ودخلت سنة ثلاث وسبعون وستمائة:

فيها: سافر السلطان إلى البلاد الشامية وافتتح عدة قلاع ورجع إلى القاهرة.

ثم دخلت سنة أربع وسبعون وستمائة:

فـيها: جـرد السـلطان العسـاكر إلى بـلاد الـنوبة، وسـبب ذلـك أن ملـك الـنوبة تجـرأ عـلى الأعمـال القوصـية وهـى مديـنة أسـوان فأحـرقها فعـند ذلـك جـرد إلـيه السـلطان العسـاكر وكـان قـبل ذلـك تجـرد إلـيه الأمـير شمـس الديـن الفازفـانى اسـتادار العالـية والأمـير عـز الديـن أيـبك الأفـرم أمـير جـاندار وجماعـة مـن المالـيك السـلطانية. فالتقوا مـع ملـك الـنوبة فكسـره وقـتلوا مـنهم جماعـة كـثيرة ومسـكوا أخـو ملـك الـنوبة وأمـه وأخـته، وهـرب مـنهم ملـك الـنوبة ونجـا بنفسـه فغـنموا مـنه أشـياء كـثيرة مـن جـوار وعبيد وغير ذلك.

ثم دخلت سنة خمس وسبعون وستمائة:

فيها: تزوج الملك السعيد محمد بن الملك الظاهر بيبرس بنت الأمير قلاوون الألفى ودخل عليها فى خامس ربيع الأول من السنة المذكورة. وكان له مهم عظيم بالقلعة وأقام المهم سبعة أيام، وفيها: سافر [ق ٢٦ب] السلطان إلى مدينة قيسارية وافتتحها وكان يوم دخوله إليها يومًا مشهودًا ونزل بدار السلطنة وصلى بها الجمعة.

ثم دخلت سنة ست وسبعون وستمائة:

فيها: توعك جسد السلطان الملك الظاهر وكان بدمشق فسقاه الأطباء دواء مستهلاً، فلم يفد ذلك، وأفرط فى الاسهال وقويت عليه الحمى فتخيل أنه مسموم فاستعمل شيئًا من الفصوص فلم يفده ذلك، وحضر الأجل فمات فى يوم الخميس ثامن عشرين المحرم سنة ست وسبعين وستمائة، وكان له من العمر ستون سنة. وكان ملكًا جليلاً خفيف الركاب مشهورًا بالفروسية والإقدام فى الحرب، والثبات عند الملتقى للخصوم. وكان كريمًا سخيًا حسن الوجه، طويل القامة، مليح اللحية، مهابًا فى موكبه، ولكنه كان محبًا لجمع الأموال، كثير المصادرات للرعية والمياسرين لأجل التجاريد والأسعار.

ولما مات رثاه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر[1] كاتب السر الشريف بهذه الأبيات اللطيفة.

الله أكبر إنها لمصيبة ... منها الرواسى خيفة تتقلقل
لهفى على الملك الذى كانت له الد ... نيا تطيب فكل قفر منزل
الظاهر السلطان من كانت له ... منن على كل الورى وتطول

---

(١) هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامى السعدى محيى الدين قاضى أديب مؤرخ من أهل مصر مولدًا سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م ووفاته سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م، له "الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة" نقل عن المقريزى كثيرًا من خططه و" سيرة الظاهر بيبرس" نظمًا و"الألطاف الخفية" و"تمائم الحمائم" وغير ذلك.

انظر المزيد فى: فوات الوفيات ١/ ٢١٢ ــ ٢١٩، آداب اللغة ٣/ ١٥٤.

لهفـــى عـــلى آرائـــة تلـــك الـــتى   مـثل السـهام إلى المصـالح ترسـل
لهفـى عـلى تلـك العـزائم كـيف قـد   غفلـت وكـان قـبل ذا لا تغفـل
مــــا للـــــرماح تخولـــتها رعـــــدة   لكـــنها إذ لـــيس تعقـــل تعقـــل
ســـهم أصـــاب ومـــارئى مـــن قـــبله   ســـهم له فـــى كـل قلـب مقـتل
أنـــا إن بكيـــت فـــإن عـــذرى واضـــح   ولـــئن صـــبرت فإنـــنى أتمـــثل

ولما مات الملك الظاهر خلف من الأولاد ثلاثة ذكور وهم: الملك السعيد محمد والملك العادل سلامش وسيدى خضر، لكنه لم يتسلطن، وخلف من البنات سبع.

وفتح فى أيامه فتوحات كثيرة وله غزوات كثيرة وأخبار مشهورة. وأما الذى عمره فى أيامه فجدد أماكن فى الحرم الشريف النبوى. وجدد قبة الصخرة بالقدس الشريف. وكانت قد خربت، وجدد أماكن فى حرم الخليل عليه السلام. وعمر قناطر شبرامنت بالجيزة وعمر سور مدينة الإسكندرية وعمر المنار الذى كان بها، وعمر مدينة دمياط بعد ما خربت وأقامت مدة وهى خراب من حين استولى عليها الفرنج فى دولة بنى أيوب، ورسم بردم فم البحر بتاع دمياط بالقرابيص التى تهدمت منها [ق ٢٧أ] حتى لا يبقى يدخل إليها مراكب كبار وجدد عمائر الشوانى بالصناعة وأعادها على ما كانت عليه قديمًا، وحفر بحر أشموم وجدد القلاع التى أخربها هلاكو فى البلاد الشامية وعمر البرج الكبير بقلعة الجبل وعمر المدرسة التى بين القصرين عند المارستان. عمر الجامع الكبير الذى بالحسينية وعمر خانًا بالقدس الشريف وجدد حفر خليج الإسكندرية وباشر ذلك بنفسه وجدد بناء جامع الأزهر بعدما أقام مدة طويلة خرابًا لا يخطب فيه. وعمر القصر الابلق بدمشق وعمر قرية عند العباسية وسماها الطاهرية، ولة أثار كثيرة يطول الشرح فى ذكرها، وفى ذلك يقول الشيخ زين الدين بن الوردى[1] رحمه الله:

---

(١) هـو عمـر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس أبو حفص زين الدين بن الوردى المعرى الكـندى، شاعر أديب مؤرخ ولد فى معرة النعمان بسورية سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م وولى القضاء بمنبج وتوفى بحلب سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م. من كتبه "ديوان الشعر" و"تتمة المختصر" و"تحرير الخصاصة فى تيسير الخلاصة" وغيرها.

انظـر المزيد فى : فوات الوفيات ٢/ ١١٦، بغية الوعاة ٣٦٥، النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٤٠، آداب اللغة ٣/ ١٩٢، طبقات السبكى ٦/ ٢٤٣، الدرر الكامنة ٣/ ١٩٥، بدائع الزهور ١/ ١٩٨.

الملك الظـــــاهر أثـــــاره فعجبـــــه للراحـــل والقاطن

تأملوا أخبـــــــــاره وانظروا ما فعل الظـــــــــاهر بالباطن

ولما مات الملك الظاهر كتم موته عن الناس وحمل فى محفة إلى مدينة دمشق فدفن بها فى الليل لأنه كان توجه إلى قتال التتار فمر من هناك، ومات فى يوم الخميس ثامن عشرين المحرم سنة ست وسبعين وستمائة. فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية سبع عشرة سنة وشهرين ونصف الشهر فلم يشيعوا موته وقصدوا التوجه إلى القاهرة وأظهروا أنه مريض فى المحفة ورتبوا حضور الأطباء على العادة. وصارت المحفة محمولة فى الموكب والجنايب قدامها وخزائن المال على العادة ولا يجسر أحد أن يتفق بموت السلطان حتى دخلوا إلى القاهرة وطلعوا إلى قلعة الجبل فعند ذلك أشيع موت السلطان وكان المدبر لذلك يومئذ الأمير بدر الدين بيليك الخازندار. ولما مات الملك الظاهر بيبرس تولى من بعده ابنه محمد بركة.

٥ـ ذكر سلطنة الملك السعيد أبى المعالى بركة غازى محمد بن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الصالحى (١)

هو الخامس من ملوك الترك وأولادهم بمصر وإنما سمى بركة خان على اسم جده لأبيه، ومولده فى شهر صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة. ولما جلس على سرير الملك وتم أمره كان القائم بتدبير دولته الأمير بيليك نائب السلطنة الشهير بالخازندار، فحلف له سائر الأمراء، وقام الملك السعيد ماشيًا على نظام والده الملك الظاهر ثم بعد مدة يسيرة، توفى الأمير بيليك النائب وكان قليل الأذى فى حق الرعية، فساس المملكة فى أيام الملك الظاهر وابنه الملك السعيد أحسن سياسته والناس [ق ٢٧ب] راضية عنه. فلما مات بيليك اضطربت أحوال الديار المصرية. من بعده طاش الملك السعيد بعده ومسك جماعة من الأمراء وهم: الأمير سنقر الأشقر والأمير بيسرى وكانا جناحي والده الملك الظاهر بيبرس. ثم استقر بالنائب

(١) انظر المزيد فى: تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٢٧، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٩، بدائع الزهور ١/ ١١٢، الخطط ٢/ ٢٣٨، مورد اللطافة ٤١، المختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٢.

الأمير أقسنقر الفارقاني بالسلطنة بمصر ثم مسكه وسجنه ثم خنقه في السجن فاستناب بعده الأمير كوندك في نيابة السلطنة.

ثم دخلت سنة سبع وسبعون وستمائة:

فيها: سافر الملك السعيد إلى البلاد الشامية لإصلاح البلاد، فخامر عليه جماعة من الأمراء وأقاموا بالمرج ولم يدخلوا إلى دمشق فأرسل إليهم الملك السعيد الأمير سنقر الأشقر فتلطف بهم، فأبوا الصلح فلما ردوا الجواب على السلطان بعدم الصلح، فركبت خوند والدة الملك السعيد إلى عند الأمراء في المرج وكانت سافرت مع ابنها الملك السعيد إلى الشام، فلما توجهت إلى عند الأمراء وكانوا في مكان يقال له الكسوة بالقرب من الشام فمشيت بينهم وبين ابنها في الصلح فما قبلوا منها ذلك. فلما رأى الملك السعيد عين الغدر من الأمراء قصد التوجه إلى نحو الديار المصرية، وجد في السير حتى دخل إلى مصر، فلما بلغ الأمراء الذين كانوا بمصر أن السلطان قد وصل وكان الأمير عز الدين الأفرم نائب القيمة بمصر ومعه من الأمراء، الأمير اقطوان العتاقي والأمير بليان الزرنقي فأمروا والى القاهرة بغلق أبواب القاهرة، وترك الأمير عز الدين أيبك الأفرم ومن معه من الأمراء الذين قدموا من الشام مع الملك السعيد، فلما قبضوا عليهم فتحوا أبواب المدينة ودخل الناس إلى بيوتهم.

وأما ما كان من أخبار الملك السعيد فأنه لما خرج من الشام وقد خامرت عليه الأمراء الجمع من بقى معه من الأمراء والعسكر، وجمع من العربان والعشيرة خلقًا كثيرة، وانفق عليهم مالاً جزيلاً، فلما وصل إلى غزة انسحب منه أكثر العربان الذين كانوا معه، فلما وصل إلى بلبيس خامر عليه بقية العسكر الشامى ورجعوا صحبة نائبهم ولم يبق معه إلا بعض جماعة من المماليك والأمير سنقر الأشقر. فلما وصل إلى المطرية توجه إليه المماليك والأمراء الذين كانوا بمصر وقصدوا قتله فكان ذلك اليوم يوجد في الجو ضباب عظيم، فستر الله الملك السعيد وطلع إلى القلعة من وراء الجبل الأحمر، فلما بلغ العسكر طلوعه إلى القلعة حاصروه وضيقوا عليه فأقام في المحاصرة أيامًا [ق ١٢٨أ] فأرسل الخليفة الحاكم بأمر الله يقول للأمراء إيش قصدكم من هذا الأمر.؟ فقالوا : يخلع السلطان نفسه من الملك، ونزوحه إلى الكرك فأجابهم السلطان

إلى ذلك ونزل من القلعة وحضر الخليفة والقضاة الأربعة وخلع نفسه من الملك. وأرسلوه إلى الكرك، وذلك فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وستمائة. فكانت مدة سلطنته بمصر سنتين وشهرًا وستة عشر يومًا، فأقام فى الكرك إلى أوائل ذى القعدة فلعب يومًا بالاكره فى ميدان قلعة الكرك فنطر عن فرسه، فمات بعد أيام فصيروه ودفنوه بعد مدة على والده الملك الظاهر بيبرس بدمشق.

وكان الملك السعيد ملكًا جليلاً مهابًا سخيًا كريمًا، كثير العدل فى الرعية. ولما خلع تولى بعده أخوه سلامش.

٦ ـ ذكر سلطنة الملك العادل سيف الدين سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس النجمى الصالحى(١)

هو السادس من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، وكان يعرف بابن البدوية، تسلطن بعد خلع أخيه الملك السعيد محمد، وكان عمره يومئذ سبع سنين ونصف. وكان جلوسه على سرير الملك فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وستمائة. وكان القائم بتدبير مملكته الأتابكى قلاوون الألفى فصار يخطب له وللعادل سلامش على المنابر، وضربت السكة باسمه واسم قلاوون لم يكن للعادل سلامش فى السلطنة إلا مجرد الاسم فقط والأمر كله لقلاوون، وكان الأمير بيسرى يشارك قلاوون فى أمور السلطنة لكنه كان مغرمًا بحب الصيد. ويخرج إلى السرحات أيامًا والأمير قلاوون يمهد لنفسه فى الباطن وأخذ فى أسباب تقريب المماليك البحرية وأعطاهم الإقطاعات السنية وأرسل عزل النواب عن البلاد الشامية وولى فيها من يثق به وأخذ فى أسباب مسك الأمراء الظاهرية، وكان أكثر الأمراء أيوبية وظاهرية. فلما بلغ مقصوده واستحكم أمره وصفا له الوقت، فخلع العادل من السلطنة وأرسله إلى الكرك وأخيه سيدى خضر معه فأقام بالكرك إلى دولة الملك الأشرف خليل بن قلاوون، فتحيل من سلامش وأخيه خضر فأخرجهما من الكرك وأرسلهما من البحر المالح إلى القسطنطينية فأكرمهما الأشكرى صاحب القسطنطينية

---

(١) انظر المزيد فى: السنهج السديد فيما بعد تاريخ ابن العميد ٤٧١، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٨٦، السلوك ١/ ٧٧٦، بدائع الزهور ١/ ١١٤ و ١٢٨.

وأجرى عليهما فى كل يوم يلقيهما وأقاما بها مدة فتوفى بها سلامش فلما مات هناك صبرته أمه فى سحليه حتى اتفق عودها إلى القاهرة فحملته معها ودفنته بالقاهرة. وكان سلامش شابًا مليحًا جميل الصورة وعاش من العمر نحو اثنين وعشرين سنة فكانت [ق ٢٨ب] مدة سلطنته بمصر نحو خمسة أشهر ليس له فيها إلا مجرد الاسم فقط، ولما خلع سلامش من السلطنة تولى قلاوون.

٧- ذكر سلطنة الملك المنصور سيف الدين أبى المعالى قلاوون الألفى الصالحى النجمى[(١)]

وهو السابع من ملوك الترك من مغول الترك وأولادهم بالديار المصرية. تسلطن بعد خلع العادل سلامش، وتلقب بالملك المنصور، وجلس على سرير الملوك فى يوم الأحد ثانى عشرين شهر رجب ثمان وسبعين وستمائة، وكان أصله من مماليك الأمير آقسنقر الكاملى ثم انتقل إلى ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب فأعتقه وذلك فى سنة سبع وأربعين وستمائة، ولما جلس قلاوون على سرير الملك أمر جماعة من مماليكه القدماء طرنطاى وكتبغا ولاجين والشجاعى وأيبك الخازندار وطقصوه وطغريل الإيغانى وقفجق وبلبان الطباخ وقبروان الشهابى ومحمد الكورانى وأقوش الموصلى وسنقر جركس وأزدمر العلائى وقلجق وأيدمر الطباخ وإبراهيم الجاكى. ثم أفرج عن الأمير أيبك الأفرم وجعله نائب السلطنة بمصر فأقام مدة يسيرة ثم استعفاه من النيابة فأعفاه منها واستناب مملوكه طرنطاى ثم استقر بالأمير سنقر الأشقر فى نيابة دمشق.

فلما دخل إلى دمشق أظهر العصيان وخامر على المنصور قلاوون. وتسلطن بدمشق وتلقب بالملك الكامل ثم اضمحل أمره وهرب إلى صهيون وعصى بها مدة.

وفى هذه السنة: توفى الملك السعيد محمد بن الملك الظاهر بيبرس فلما بلغ السلطان قلاوون خبره حزن عليه لأنه كان صهره تزوج بابنته فى حياة والده الظاهر بيبرس.

---

(١) انظر المزيد فى: مورد اللطافة ٤٢- ٤٤، بدائع الزهور ١/ ١١٤، الخطط ٢/٢٣٨، السلوك ١/ ٦٦٣، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٩٢، فوات الوفيات ٢/ ١٣٣، النهج السديد ٤٧٥.

ثم دخلت سنة تسع وسبعون وستمائة:

فيها: جاءت الأخبار بأن ابغا ملك التتار أرسل عساكر عظيمة صحبة أخيه منكوتمر. فلما بلغ السلطان ذلك جهز إليه وجهز العساكر وخرج إلى تلقيه. فلما بلغ السلطان وهو فى أثناء الطريق أن التتار وصلوا إلى حلب ونهبوا أسواقها وحرقوا دورها وقتلوا أهلها ولم يبقوا من الأذى ممكنًا. ثم إن التتار لما بلغهم مجئ السلطان رجعوا إلى بلادهم فجاءت الأخبار بذلك. وكان السلطان قد وصل إلى مدينة غزة. فلما بلغه رجوع التتار إلى بلادهم فرجع السلطان أيضًا من هناك إلى الديار المصرية. فلما رجع السلطان من هناك جاءت الأخبار بأن التتار رجعوا إلى حلب فخرج السلطان وجد فى السير حتى وصل إلى حلب فنزل على المرج وتقاتلا هو وعسكر التتار هناك. وحصل منهما وقعة عظيمة فتنطر منكوتمر أمير التتار من على فرسه، فلما رأى عسكر مصر [ق ٢٩أ] ذلك حملوا على التتار حملة واحدة. فكانت النصرة لعسكر مصر فكسروا التتار وهرب منكوتمر. كانت هذه الواقعة من الوقعات المعدودة. وغنموا منهم أشياء كبيرة من سلاح ودواب وغير ذلك. فرجع السلطان إلى الديار المصريةوهو منصور مقيد ابغا ومنكوتمر وهما أولاد هولاكو المقدم ذكره الذى قتل الخليفة المستعصم بالله وجرى ما جرى.

ثم دخلت سنة ثمانون وستمائة:

فيها: قبض السلطان على جماعة من الأمراء منهم: الأمير بيسرى والأمير بكتوت الشمسى والأمير كشتنغدى وغيرهم من الأمراء من حشداشينه وأخذ فى إنشاء مماليكه.

وفى هذه السنة: تزوج السلطان قلاوون بخوند أشلون بنت الأمير نكاى وهى أم ولده الناصرى محمد.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانون وستمائة:

فيها: ابتدأ السلطان بعمارة القبة والمدرسة والبيمارستان المنصورى التى بين القصرين وانتهى العمل منها فى سنة اثنتين وثمانين وستمائة وقيل كملت عمارتها فى عشرة أشهر.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانون:

فيها: توجه السلطان إلى البلاد الشامية لتفقد الأحوال، فوصل إلى حصن المرقب فحاصره مدة ثمانية وثلاثين يومًا ثم أخذه بالأمان ورجع إلى الديار المصرية.

ثم دخلت أربع وثمانون وستمائة:

فيها: جدد الأمير طرنطاى نائب السلطنة بالديار المصرية إلى حصار سنقر الأشقر الذى تسلطن بدمشق وقد تقدم ذلك. فلما وصل الأمير طرنطاى إلى صهيون وحاصره أشد الحصار فطلب سنقر الأشقر منه الأمان، وأرسل يسأل فى الاجتماع بالأمير طرنطاى النائب فأجابه إلى ذلك، فنزل إليه سنقر الأشقر وتحالفا.

فلما وثق سنقر بما حلفه الأمير طرنطاى النائب، فأخذ سنقر عياله وأولاده وتوجه صحبة الأمير طرنطاى إلى الديار المصرية فلما وصل إلى القاهرة ونزل عند مسجد التين، خرج الملك المنصور قلاوون إلى تلقيه. فلما وقعت عين السلطان على سنقر الأشقر، ترجل له سنقر الأشقر عن فرسه وهو محلول الوسط بلا سيف، فعندما قرب منه ترجل له السلطان عن فرسه ومشى له خطوات وتعانقا ثم ركبا وصار عن يمين السلطان حتى طلعا إلى القلعة، ثم نزل سنقر إلى مكان قد عد له بعدما أخلع عليه خلعة سنية وأنعم بأشياء كثيرة.

واستمر الأمر ساكنًا سنة سبع وثمانين وستمائة:

فيها: قبض السلطان على مملوكه علم الدين سنجر الشجاعى وكان السلطان استقر به وزيرًا. فلما قبض عليه بمصر واستصفى أمواله وأخذ منه نحو خمسة وستين ألف دينار خارجًا عما وجد [ق ٢٩ب] له من البرك والقماش، ثم استقر بعده فى الوزارة الأمير بيدرا وهو ثانى الوزراء من الترك فى دولته.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانون وستمائة:

فيها: توعك والد السلطان الملك المنصور قلاوون وكان اسمه على وكان السلطان قلاوون نزل له عن الملك والسلطنة فى أيام حياته وتلقب بالملك الصالح. وسبب ذلك أن السلطان قلاوون كان كثير الأسفار فى التجاريد وقتال التتار فجعل ولده على نائبه فى السلطنة إذا غاب عن مصر فيكون عوضه فى أمور أحوال المملكة، وكان يخطب باسمهما على المنابر ويجلس فى المواكب عن يمين والده قلاوون

فمرض الملك الصالح على فى أيام أبيه مرضًا شديدًا. ومات فى ليلة الجمعة رابع شهر شعبان سنة ثمان وثمانين فحزن عليه والده قلاوون حزنًا شديدًا وكان الأمير طرنطاى النائب وجماعة من الأمراء واقفين على الباب منتظرين ما يكون من الأمر. فلما وقع الصراخ دخل الأمير طرنطاى النائب وبقية الأمراء فوجدوا السلطان مكشوف الرأس وكلويته مرمية على الأرض وهويبكى ويقول واولداه فلما رأى الأمراء السلطان مكشوف الرأس فأرمى الأمير طرنطاى النائب كلويته وكذلك الأمير سنقر الأشقر والأمير جرمك وبقية الأمراء ثم بعد ساعة أخذ الأمير طرنطاى النائب كلويت السلطان من على الأرض وقدمها له فدفعها منه وقال أيش بقيت أعمل بالملك يا أخى بعد ولدى؟ فصبروا له ساعة ووقف الأمير سنقر الأشقر نائب الشام كان واحد الشاس وباس الأرض هو وبقية الأمراء فباسوا الأرض عدة مرات وهو يأبى من ذلك ثم بعد ساعة وضعوا كلويته على رأسه بالغصب وباتوا تلك الليلة عنده فلما أصبحوا جهزوا ابن السلطان وأخرجوه وصلوا عليه بالقلعة. وكان قاضى القضاة ابن بنت الأعز[1] هو الذى تولى الصلاة عليه وقصد السلطان أن ينزل ويمشى فى جنازته إلى التربة فمنعه الأمراء من ذلك ونزل معه سائر الأمراء والقضاة وأعيان الناس ودفنوه فى تربة والدته خوند خاتون بالقرب من السيدة نفيسة رضى الله عنها وذلك فى يوم الجمعة رابع شهر شعبان سنة ثمان وثمانين. فلما أصبح يوم السبت: نزل السلطان إلى تربة ولده المذكور. وقعد عنده هو والأمراء وتصدق صدقات كثيرة وأقام المأتم سبعة أيام والقراء عمال.

ولما مات الصالح على هذا خلف ولدًا ذكرًا يسمى الأمير موسى [ق ٣٠ أ] وعاش بعده مدة طويلة وهو صاحب الربع الذى فى الموازنين بالقرب من جامع الصالح عند باب زويلة. ولما مات الملك الصالح على كتب القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر كاتب السر الشريف عن لسان أبيه الملك المنصور قلاوون إلى بعض

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خليفة العلامى المصرى الشافعى، وزير فقيه له نظم حسن، ولى الوزارة مع القضاء بمصر ثم استعفى وتولى التدريس بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعى وتوفى كهلا سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٦م.

انظر المزيد فى: فوات الوفيات ١/ ٢٥٦.

النواب كتابًا يقوله فيه وبحمد الله على حزن حزنًا به بالصبر النواب فى الباطنة والظاهرة. وكان قصدنا أن نجعله ملكًا فى الدنيا فجعله الله ملكًا فى الآخرة.

ثم دخلت سنة تسع وثمانون وستمائة:

فيها: توجه السلطان إلى نحو البلاد الشامية وفتح مدينة طرابلس وملكها بالسيف ورجع إلى نحو الديار المصرية، فزينت له القاهرة ودخل فى موكب عظيم.

وفى هذه السنة : جرد الأمير أيبك الأفرم إلى بلاد النوبة. وقد بلغ السلطان أن صاحب النوبة قصد أن يهجم على مدينة أسوان وينهبها، فجرد إليه السلطان الأمراء والعسكر. فلما وصلوا إليه هرب منهم صاحب النوبة فتتبعوه إلى أخر بلاده فغنموا منه أشياء كثيرة من جوار وعبيد وغير ذلك ورجعوا إلى مصر سالمين.

وفى أواخر هذه السنة: توجه السلطان إلى حصار مدينة عكا فخرج السلطان من القاهرة ونزل بمسجد التين عند المطرية حتى يتكامل العسكر، فوجد السلطان فى نفسه توعكًا وصار فى كل يوم يتزايد به الألم وثقل فى المرض. وكان قد فوض أمر المملكة فى أيام حياته إلى ولده الأشرف خليل بعد موت أخيه الملك الصالح على فكان الأشرف خليل ينزل فى كل يوم من القلعة إلى عند أبيه قلاوون ويرجع فى أخر النهار إلى القلعة. وكان الأمراء يدخلون إلى عند السلطان فى كل يوم. فلما رأى الأمير طرنطاى النائب حال السلطان قد تغير وزاد به الاسهال منع الأمراء من الدخول إلى عند السلطان. فلما تحقق الأمر اء من موت السلطان اجتمعوا وضربوا مشورة بينهم وهم الأمير كتبغا والأمير لاجين والأمير أيبك الخازندار وغيرهم من الأمراء، وقالوا للأمير طرنطاى النائب أنت تعلم أمرك مع الأشرف خليل وبغضه لك والأمر قد صار إليه والسلطان ما بقى فيه رجوة والأشرف خليل قاتلك لا محالة ونحن معك عصبية. فسألت الأمير طرنطاى ساعة، وقال كيف يشاع عنى أنى جئت ابن أستاذى من بعده فى أولاده، وإذ صار الأمر إليه إن رضينى كنت مملوكه وأن قتلنى كنت مظلومًا والمحذور ما يرد المقدور. ثم إن السلطان قلاوون أخذ فى النزع، فقعد [ق٣٠ب] الأمير طرنطاى عند رأسه حتى مات وغمضه، وكتم موته حتى طلع النهار وحضر الأمراء على عادتهم فأعطاهم دستورًا، فمضوا.

ثم إن الأمير طرنطاى أرسل عرّف ولده الأشرف خليل وأرسل الخزائن والأطلاب التى كانت مع السلطان قلاوون بسبب السفر إلى فتح مدينة عكا.

وأرسل يشير على الملك الأشرف خليل أنه يقيم بالقلعة ولا ينزل إلى المدينة ووكل به مقدم المماليك. ثم إن الأمير طرنطاى حمل السلطان قلاوون فى محفة وهو ميت وطلع به إلى القلعة وغسله وكفنه ونزل به فى تابوت بعد العشاء والأمراء وأعيان الناس من القضاة وغيرهم مشاة قدامه يتباكون إلى أن وصلوا به إلى القبة التى أنشأها بين القصرين فدفن هناك.

وكانت مدة توعكه تسعة عشر يومًا وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة أيام كما قيل.

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته   يوما على آله حدباء محمول

ولما مات خلف من الأولاد ثلاثة ذكور وهم: الأشرف خليل والناصر محمد والأمير أحمد ولد بعد وفاته.

وكان المنصور قلاوون حسن الشكل، معتدل القامة، درى اللون، قليل الكلام بالعربى، فصيحًا بالتركى، شجاعًا بطلاً مقدامًا، محبًا لجمع المال. مغرمًا بمشترى المماليك، حتى قيل تكامل عنده من المماليك اثنى عشر ألف مملوك. وقيل سبعة آلاف مملوك، ومما يدل على علو همته وحسن اعتقاده، وهو عمارته للبيمارستان الذى بين القصرين، وهو من حسنات الزمان يحتاج إليه الملوك ويفتقر إليه الغنى والصعلوك، ولا يعلم فى الإسلام وقف على وجه بر أعظم منه ولا أكثر معروفًا منه، ولا أحسن شرطًا منه، وقد كفاه ذلك فى الدنيا والأخرة، وهو الذى غير تلك الملابس الشنيعة التى كانت تلبس فى الدول القديمة. قيل كانت كلوتاتهم صفر مضربة عريض بغير شاش وشعورهم مظفورة وهى خلفهم فى كيس حرير أحمر وأصفر وكانوا يشدون فى أوساطهم بنود بعلبكى مصنوعة عوضًا عن الحوايص وكانت أكمام أقبتهم ضيقة على زى ملابس الفرنج وكانت أخفافهم برغالى ويلبسون فوقها سقمان ويشدون من فوق قماشهم أبزيم جلد بحلق. وكانت لهم صوالق برغالى كبار يسمع كل واحد منها نصف ويبة قمح. وكانت لهم مناديل خام قدر الفوطة لمسح أيديهم، فغير السلطان قلاوون ذلك جميعه وجدد له مماليك ما بين جراكسة

وروم [ق ١٣١أ] وترك وأسكنهم فى الأبراج بقلعة الجبل وسماهم البرجية. وأما فتوحاته: فالمرقب وجبلة من بلاد الفرنج، وفتح طرابلس واللاذقية وجبيل. وأخذ من أولاد الملك الظاهر بيبرس الكرك والشوبك.

وأما ما أبطله من وجوه المظالم فى أيامه وهو زكاة الداوب وذلك أنه كان يؤخذ ممن له مال زكاته. فإذا مات الشخص أو عدم ماله يؤخذ من أولاده أو أقاربه أو ورثته. وأبطل ما كان يؤخذ من أهل مصر إذا حضر مبشر بفتح مدينة أو بنصرة عسكر أو نحو ذلك، فتؤخذ من الناس على قدر طبقاتهم. وكان يجمع من ذلك مالاً كثيرًا. وأبطل ما كان يجنى عند وفاء النيل من أهل مصر مما كان يعمل به شوى وحلوى وفاكهة برسم المقياس، فأبطل ذلك جميعه وجعل مصروفه من بيت المال. وكان قلاوون من أجلّ ملوك الترك قدرًا. ولما مات تولى من بعده ابنه خليل.

٨ـ ذكر سلطنة الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون الصالحى(١)

استقل بالملكة بعد موت أبيه المنصور قلاوون وذلك فى يوم الأحد سادس ذى القعدة من سنة تسع وثمانين وستمائة، وهو الثامن من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، وكان مولده فى سنة ست وستين وستمائة، فلما تسلطن استحلف له سائر الأمراء فحلفوا ثم ركب بشعار السلطنة من قلعة الجبل إلى الميدان الذى تحت القلعة وأخلع على سائر الأمراء والأعيان بالدولة كل واحد على قدر طبقته كما كان فى أيام أبيه. ثم أخلع على الأمير علم الدين سنجر الشجاعى واستقر به وزيرًا على عادته، فباس له الأمراء الأرض جميعهم. وانصرفوا إلى منازلهم. فلما كان بعد يومين قبض السلطان على الأمير طرنطاى النائب ، وكان فى خاطر الأشرف خليل منه من أيامه والده قلاوون، فلما تسلطن انتقم منه وقبض عليه. وكان صفة مسكه أنه أرسل خلفه بعد الظهر فطلع إليه، وهو آمن منه، فلما مثل بين يديه أحاطوا به وحملوه إلى الاعتقال على أحسن حال كما قيل.

---

(١) انظر المزيد فى : فوات الوفيات ١/ ١٥، تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٣٨، النجوم الزاهرة ٨/ ٣، السلوك ١/ ٧٥٦ ـ ٧٩٣، بدائع الزهور ١/ ١٢١، المماليك لوو ليم مور ٦٢.

عداوة الأســد لاتخشى مغبتها إذ ليس تعقل ما يأتى ومـــا يذر
فما العداوة إلا للرجـــال فخف ذوى العقلول فيهم ينبغى الحذر

وفى معناه:

احـــذر مـــن النـــاس ولا فى معـــــرك الشـــك تجل
فى قـــلب ليث بت وخـــــف إن بت فـــى قـــلب رجــــــل

ثـم إن الأشـرف خلـيل لـا قـبض عـلى طـرنطاى النائـب، قـيل بـات طـول اللـيل يعاقـبه حـتى مـات تحـت الضرب، وأقـام ثلاثـة أيـام لم يدفـن ثـم دفـنه بعد ذلك ورسم للشـجاعى بـأن [ق ٣١ب] يحـتاط عـلى موجـوده. فـنزل الشـجاعى إلى دار طـرنطاى النائـب وقـبض عـلى حاشـيته وغـلمانه وعـياله. وصـار يعاقـبهم فـى كـل يـوم ويستخلص مـنهم الأمـوال فظهـر له شـىء كـثير مـن المـال والـتحف مـا لا يحصـر لكـثرته. ثـم إن الأشـرف خلـيل اسـتقر بـالأمير يـبدرا نائـب السـلطنة عوضًـا عـن طـرنطاى النائـب. ولمـا تم أمـر الأشـرف خلـيل فـى السـلطنة واسـتبقاء حالـه أرسـل خلـف القاضـى شمـس الدين بـن السـلعوس ناظـر ديوانـه وكـان بالحجـاز مـن أيـام الملـك المنصـور قـلاوون فأرسـل إليه الأشـرف خلـيل بجـواب وعـلى يـده مرسـوم وحشـاه الأشـرف خلـيل بخطـه بقـلم العلامة يقـول فـيه "ياشـقير جـدّ السير، جاء الخـير". وقـيل مـا رؤى قـط مرسـوم سـلطان محشـى بخطـه سـوى مراسـيم الأشـرف خلـيل، وحشـا أيضًـا مرسـومًا إلى دمشـق لمـا رسـم باسقاط مـا كـان يؤخـذ مـن بـاب الجابـية عـلى كـل حمـل مـن القمـح خمسة دراهم مكسًا. فكتب فـى المرسـوم بـين السـطور: وليكشـف عـن رعايانـا هـذه الظلامـة، ونسـتجلب الدعـاء لـنا من الخاصة والعامة، وكان كثيرًا ما يحشى المراسيم بخطه.

فـلما حضـر شمـس الديـن بـن السـلعوس مـن الحجـاز اسـتقر بـه وزيـرًا وفـوض إلـيه أمـر السـلطنة جمـيعها. وكـان أصـل بـن السـلعوس تاجـرًا مـن دمشـق وانـتمى إلى خدمـة الأشـرف خلـيل فـى حـياة والـده قـلاوون واسـتأجر له مواضـع كـثيرة بالشـام. فحصـل لـه مـنها ربـح كـثير فحملـه إلى الأشـرف خلـيل، فأعجـبه ذلـك وحظـى عـنده وجعلـه ناظـر ديوانــه. ثـم إن المنصــور قـلاوون نفـى ابــن السـلعوس إلى الحجـاز. فـلما مـات قـلاوون وتسـلطن ابـنه خلـيل أحضـر ابـن السـلعوس واسـتقر بـه وزيـرًا. وكـان حضـور ابـن السـلعوس مـن مكـة فـى ثالـث عشـر المحـرم مـع مبشـر الحـاج. ولمـا تـولى الـوزارة

أظهر من العظمة والكبرياء أمرًا عظيمًا ورسم السلطان لبعض المماليك السلطانية بالركوب في خدمته فصار بركب في موكب عظيم. وقيل كان القضاة الأربعة تركب قدامه في أيام المواكب وأحال الأمراء وأعيان الناس في أشغالهم عليه.

وكان الأشرف طرنطاى النائب صفا له الوقت وطاش في أموره فجرد بالعساكر إلى نحو الشام وخرج معهم وتوجه إلى حصار مدينة عكا وكان الفرنج ملكوها وصاروا يقطعون الطريق على المسلمين من التجار وغيرهم. فتوجه إليهم السلطان وحاصرها ونصب عليها بالمنجنيقات وقيل كانت عدتهم نحو اثنين وسبعين منجنيقًا فحاصرها مدة يسيرة، فلما ظهر له خذلاتهم فزحف هو والعسكر زحفة واحدة فأعطاه الله النصر، ففتحها بالسيف [ق ١٣٢أ] في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأخر من سنة تسع وثمانين وستمائة، فلما أصبح يوم السبت أمر السلطان بهدم سور المدينة وما كان حولها من صيدا وبيروت. وكانت مدينة عكا من أحسن المدائن وأعمرها وصار الناس من بعد ذلك ينقلون فيها الرخام، ومن جملة ما نقلوه وهو الباب الرخام الذى على المدرسة الناصرية التى بين القصرين، وكان على باب كنيسة في مدينة عكا. ومات يوم فتح عكا اثنى عشر أميرًا وثلاثة وخمسون مملوكا من مماليك السلطان ومات نحو ثلاثين مملوكًا من مماليك الأمراء. ومات في هذه الوقعة العزى بقية الجيوش المنصورة وهو صاحب سويقة العزى.

ثم رجع السلطان إلى القاهرة فدخلها وقد زينت له. فلما وصل إلى القبة المنصورية التى بين القصرين نزل وزار قبر والده قلاوون، ثم ركب وطلع إلى القلعة والأمراء مشاة قدامه حتى طلع إلى القلعة، فأخلع على نائب السلطنة والوزير وأرباب الوظائف وغيرهم من أعيان الناس. ولما حصلت هذه النصرة قال القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر في ذلك.

يابنى الأصفر قد حل بكم   نقمة الله لا تنفصل
نزل الأشرف في ساحلكم   فأبشروا منه بصك متصل

وقال محمد بن غانم في الأشرف خليل ويوسف بن أيوب:

مليكان قد لقبا بالصلاح   اهذا خليل وذا يوسف
فيوسف لاشك في فضله   ولكن خليل هو الأشرف

ولما فرغ الأشرف خليل من أخذ مدينة عكا أرسل فى القبض على الأمير لاجين السلحدار نائب دمشق وحبسه بقلعة صفد، ثم قبض على الأمير سنقر الأشقر الذى كان تسلطن بدمشق، وقد تقدم ذلك وقبض على الأمير طقصوا. فلما حضر الأشرف خليل إلى القاهرة قبض على الأمير جرمك ومعه جماعة من الأمراء وأكملهم سبعة ثم أمر بخنقهم عن أخرهم، فخنق السبعة فى ليلة واحدة. فلما أرادوا دفنهم وجدوا الأمير لاجين فيه الروح فأخبروا السلطان بذلك فرق له ورضى عنه وأنعم عليه بتقدمة ألف ومازالت الأقدار تساعده حتى تسلطن كما سيأتى ذكره. ثم أفرج عن الأمير بيسرى وأنعم عليه بتقدمة ألف.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعون وستمائة:

فيها: توجه السلطان إلى حلب ومنها إلى قلعة الروم فحاصرها ونصب عليها ثلاثة وعشرين منجنيقاً فافتتحها فى يوم السبت حادى عشرين رجب من السنة المذكورة وكانت قلعة الروم كرسى مملكة الأرمن، ثم رجع السلطان إلى القاهرة وهو منصور مؤيد، وكان سعيد [ق ٣٢ ب] الحركات.

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعون وستمائة:

فيها: توجه السلطان على التجريد إلى الكرك واستقر بالأمير أقوش فى نيابتها. ثم توجه منها إلى نحو مدينة سيس، فأرسل صاحب سيس يطلب من السلطان الأمان. فأشار الأمراء على السلطان بأن يعطيه الأمان. ثم توجه السلطان إلى نحو قلعة البهسنا ففتحها هى والمرعش وتل حمدون وما حولها من القلاع. ولو طال عمر الأشرف خليل لفتح غالب بلاد العراق لأنه كان مسعودًا فى حركاته، شجاعًا مقدامًا، ولا يعرف فى أبناء ملوك من يناظره فى الشجاعة والإقدام وعلى هذا فقد اتفق أصحاب التواريخ من المتقدمين والمتأخرين. وفى هذه السنة وهى سنة اثنتين وتسعين وستمائة: توفى القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر كاتب السر الشريف وهو صاحب الأشعار اللطيفة، وكان مولده فى سنة عشرين وستمائة وعاش من العمر اثنين وسبعين سنة ومن شعره هذا المقطوع اللطيف وهو قوله:

شكر النسمة أرضكم كم بلغت عنى تحية
وإن حفظت أحاديث الهوى فهى الذكية

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعون وستمائة:

فيها: توجه السلطان نحو الجيزة ومنها إلى البحيرة وإلى مكان يسمى الحمامات وذلك على سبيل التنزه فخرج فى ثالث المحرم وكان الوزير شمس الدين بن السلعوس قد تقدمه إلى ثغر الإسكندرية لتجهيز المقام واستخراج الأموال، فوجد غلمان الأمير يبدرا نائب السلطنة بثغر الإسكندرية. وقد استولوا على البهار وادخروا منه فى حواصل ما ليس فى حواصل السلطان مثله فكاتب ابن السلعوس السلطان بما رآه من ذلك فغضب السلطان على الأمير بيدرا النائب وأرسل خلعه وأغلظ عليه فى الكلام وتوعده بكل سوء فتلطف به الأمير بيدرا فى الكلام حتى خرج من بين يديه. فلما خرج من عنده اجتمع بأعيان خشداشينه وهم: الأمير لاجين والأمير قراسنقر وغيرهما من الأمراء وما منهم إلا من هو متغير على السلطان. وكان السلطان أعطى لغالب الأمراء والعسكر دستورًا أن يمضى كل واحد منهم إلى القاهرة إلى أن يحضر السلطان وكان عزم السلطان أن يتوجه إلى ثغر الإسكندرية. فلما أصبح السلطان خرج ليتصيد فى الخلاء. فلما بلغ الأمراء ذلك اتفقوا على قتله، وقالوا: هذا اوان انتهاز الفرصة فسدوا تراكيشهم وركبوا خيولهم وساقوا خلفه فوجدوه منفردًا وحده ليس معه إلا شهاب الدين بن الأشل أمير شكار لا غير وبعض مماليك صغار خلفه فلما رأى السلطان الأمراء وهم قاصدينه وكانوا نحو عشرة من الأمراء فأحس منهم بالشر وظهر له منهم الغدر، فلما وصلوا إليه عاجلوه بالحسام قبل الكلام. فأول من ابتداه الأمير يبدرا فضربه بالسيف على يده فصاح عليه الأمير لاجين من يريد لعمل سلطان يضرب هذه الضربة ثم إن الأمير لاجين ضربه على كتفه بالسيف فوقع إلى الأرض فجاءه الأمير بهادر رأس نوبة النوب ونزل عن فرسه وأدخل السيف فى دبره وأطلعه من خلفه وبقى كل واحد من الأمراء يظهر ما فى نفسه منه وتركوه ميتًا فى البرية، مطروحًا ومضوا عنه كما قيل من استخف بشىء قتله. قيل لما قتل الأشرف خليل كان له من العمر نحو من ثلاثين سنة. وكان صفته: ضخمًا سمينًا كبير الوجه، مستدير اللحية، يميل إلى اللهو والطرب والسماع الطيب وشرب الراح وحب الفتان من النساء الحسان.

قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر: ما رأيت ولا سمعت بأحسن من مهم الملك الأشرف خليل ولقد كنت أحضر بالمراسيم للعلامة فما علم على مرسوم قط إلا وقرأه جميعه ويفهم ما فيه، بل وكان يستدرك علينا ويخرج بأشياء كثيرة فيها الصواب، ولقد تعاظم الأشرف خليل في أخر الوقت حتى صار يكتب في موضع العلامة وهو إشارة إلى الحرف الأول من اسمه، ومنع الكتاب بديوان الإنشاء ألا يكتبوا لأحد من الأمراء والنواب "الزعيمي"وكان يقول: من زعيم الجيوش غيري" وكان الأشرف خليل له معرفة تامة بأحوال المملكة، وكان كفئًا للسلطنة وما كان فيه من المساوئ غير أنه كان يسمع من وزيره شمس الدين بن السلعوس في حق الناس. وكان ذلك سببًا لزوال ملكه وسرعة قتله. وكان عنده العدل في حق الرعية، منصفًا [في حكمه] (١) كما أنه لا يراعي في الحق أحدًا من الأمراء ولا غيرهم. فكان أحق يقول القائل بحيث يقول هذه الأبيات:

يا أيها الملك الذي سطواته حلمت بها الأعداء في يقظانها
ملك تقر له الملوك بأنه إنسان أعينها وعين حياتها
شتت شمل المال بعد وفوره وجمعت شمل الناس بعد شتاتها
وظهرت بالعدل الذي أمسي به في البيد يخشى ذئبها من شاتها

وكانت قتلة الأشرف خليل في عصر يوم السبت خامس المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة. فلما قتل الأشرف خليل اتفق رأى الأمراء على سلطنة الأمير بيدرا النائب فحلف له الأمراء وسلطنوه وأركبوه تحت العصائب السلطانية [ق ٣٢ ب] ولقبوه بالملك الأوحد، وقيل بالملك الرحيم، ثم أخذوا في أسباب مسك الأمراء فمسكوا الأمير بيسرى والأمير بكتمر السلحدار وغيرهما من الأمراء. فلما وصل هذا الأمر والخبر إلى الأمراء الذين كانوا بالقاهرة فخرجوا على الفور ومن معهم من المماليك السلطانية وأخذوا في الوثوب على الأمير بيدرا فتلاقوا هم وأبوه على الطرانة، فلما تلاقوا تقاتلوا مع الأمير بيدرا ومن معه، فسار على بيدرا عين القلب ويسحب من المماليك السلطانية وجاءوا إلى عند الأمير كتبغا وكذلك من كان مع

---

(١) إضافة من عندنا للسياق مع المعنى.

الأمير بيدرا من العربان الذين جمعهم من البحيرة فلم يكن إلا ساعة يسيرة، وقد مسك الأمير بيدرا وانهزم من كان معه من الأمراء والمماليك ثم قتلوا الأمير يبدرا وشقوا بطنه وأخرج بعض المماليك والأشرفية كبده ولاكوا منه قطعة ثم خزوا رأسه وحملوه على رمح، وتوجهوا إلى القاهرة وطافوا برأس يبدرا فى القاهرة وهرب من كان من عصبة يبدرا وهم : الأمير لاجين وقراسنقر وغيرهما من الأمراء، ثم إن الأمير سنجر الشجاعى نادى أن المعادى لا يعدو بأحد من المماليك ولا من الأمراء من بر الجيزة والقاهرة.

فلما قتل يبدرا اتفق جماعة من الأمراء على سلطنة محمد بن قلاوون أخو الأشرف خليل وأن يكون الأمير كتبغا نائب السلطنة ومدبر المملكة هذا ما كان من أمر يبدرا.

وأما ما كان من أمر الأشرف خليل بعد قتله فأنه بقى مطروحًا فى البرية ثلاثة أيام ولم يدفن حتى حمله والى تروجه أيدمر الفخرى على جمل من المكان الذى قتل فيه إلى القاهرة، فغسل وكفن ودفن فى تربته التى بناها بالقرب من السيدة نفيسة رضى الله عنها. وكان من مساوئ الأشرف خليل أنه فى أخر دولته نفى أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقدارى إلى القسطنطينية وهما : سلامش وأخوه خضر فأقاما بها حتى مات سلامش هناك وقد تقدم ذلك وكان لهذا من الأشرف خليل غاية الفحش والقبح. وكانت مدة سلطنة الأشرف خليل بالديار المصرية ثلاث سنين وشهرين وأيام، ثم تولى من بعده أخوه محمد.

٩ ـ ذكر سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون(١)

هو التاسع من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية تسلطن بعد قتلة أخيه الأشرف خليل فى رابع عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة وجلس على سرير الملك وله من العمر تسع سنين ودخل فى العاشرة. وكان مولده فى سنة أربع وثمانين وستمائة،وأمه خوند أشلون بنت الأمير نكاى. ولما تم أمره فى السلطنة

(١) انظر المزيد فى : مورد اللطافة ٤٤، تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٤٠، فوات الوفيات ٢/ ٢٦٣، بدائع الزهور ١/ ١٢٩، الدرر الكامنة ٤/ ١٤٤، النجوم الزاهرة ٨/ ٤١ و ١١٥ ثم ٩/ ٣، تاريخ المماليك ٦٥ ـ ٩٥.

استقر بالأمير كتبغا نائب السلطنة والأمير [ق ٣٣أ] سنجر الشجاعى وزيرًا والأمير بيبرس الجاشنكير استادارًا. وفى ذلك اليوم قبض الأمير كتبغا النائب على جماعة كثيرة من الأمراء وقيدهم وأرسلهم إلى الجب بالقلعة وأحاط على موجودهم وتولى عقوبتهم الأمير بيبرس الجاشنكير، فأقر منهم جماعة ممن كان سببًا فى قتلة الأشرف خليل فقطعوا أيديهم وشمروا على الجمال وطافوا بهم فى القاهرة وأيديهم معلقة فى أعناقهم، فمنهم من مات وهو على الحسب. ثم إن الأمير كتبغا قبض على شمس الدين بن السلعوس وأحاط على جميع موجوده من صامت وناطق. وقبض على أقاربه وعياله وغلمانه وأصحابه، وكان المتولى أمر ذلك الأمير علم الدين الشجاعى فبات يعاقب ابن السلعوس حتى مات تحت القبر فى يوم الأحد خامس عشر صفر من السنة المذكورة واستصفى أمواله. وكان شمس الدين بن السلعوس لما حضر من مكة واستقر فى الوزارة ونال من المنزلة فى دولة الأشرف خليل ما تقدم ذكره فعند ذلك أرسل يطلب أقاربه من الشام فكلمهم أجابوه الحضور إلا شخصًا من أقاربه فأنه خاف على نفسه ولم يوافق على الحضور من الشام إلى مصر وكتب إلى ابن السلعوس هذه الأبيات:

تنبه يا وزير الأرض واعلم ... بأنك قد وطئت على الأفاعى[1]
فكن بالله محتسبا فإنى ... أخاف عليك من نهش الشجاعى

فكان الأمر كما قاله ذلك الزجل ثم إن الشجاعى استقر فى الوزارة وصفا له الوقت بعد ابن السلعوس. وكان الشجاعى رجلاً ظالمًا جبارًا عنيدًا يحب الفتن والحروب، فصار يرمى الفتن بين الأمراء وبين الأمير كتبغا فصار مع كتبغا فريق من الأمراء والجند، ومع الشجاعى فريق، قيل إن الشجاعى انفق على المماليك البرجية فى يوم واحد ثمانين ألف دينار واتفق معهم أن كل من جاب له رأس أمير يعطيه إقطاعة. فلما بلغ الأمير كتبغا ذلك لبس آلة الحرب هو وخشداشينه ووقفوا فى سوق الخيل فلما علم الشجاعى ذلك خرج من باب القلعة وعلق السنجق السلطانى ودق الكوسات حربى وبقى منتظرًا يطلع إليه من الأمراء فلم يطلع إليه أحد منهم وصار الأمير كتبغا يحاصر من فى القلعة وقطع عنها الماء.

(١) وردت هذه الأبيات فى بدائع الزهور.

فلما كان يوم الجمعة: نزل المماليك البرجية من القلعة وتقاتلوا مع الأمير كتبغا أشد القتال حتى كاد كتبغا أن ينكسر ثم قوى كتبغا ومن معه وكسروا المماليك البرجية وطردوهم وطلعوا إلى القلعة وعلقوا الأبواب فعند ذلك أشرفت خوند والدة الملك الناصر محمد بن قلاوون من أعلى السور وأرسلت تقول لكتبغا: ايش قصدك حتى تفعله فقال السلطان: استاذنا وابن استاذنا ولو بقيت [ق ١٣٣أ] من أولاد قلاوون بنت عرجى ما أخرجنا الملك عنها. وأنما قصدنا فى مسك الشجاعى فهو الذى يرمى الفتن بيننا، فلما سمع من كان فى القلعة من الأمراء كلام الأمير كتبغا تسللوا من عند الشجاعى فبقى وحده، فأرسل يطلب من الأمير كتبغا الأمان فلم يوافقه على ذلك ولا طاوعه بقية الأمراء على الأمر، ثم إن الشجاعى دخل على السلطان. فقال السلطان إن كان هذا لأجلى فاصطلحوا وأنا أعطيك نيابة حلب ونستريح من هذا الشر ثم إن الشجاعى خرج من عند السلطان على هذا الوجه فبينما هو فى أثناء الطريق. وثب عليه الأمير أقوش المنصورى وقتله وقطع رأسه ويديه وأخذها، ووضعها فى فوطة حرير، وخرج والمماليك البرجية محتاطين بباب القلعة فقالوا له ما معك؟ فقال: حين سجن أرسله السلطان للأمير كتبغا حتى يعرف أن عندنا الخبر كبيرًا وتركوه ومضى.

فلما نزل من القلعة وضع رأس الشجاعى بين يدى الأمير كتبغا وبقية الأمراء. فلما رأوا رأس الشجاعى فعند ذلك خمدت الفتنة وأمر الأمير كتبغا المشاعلية بأن يطوفوا برأس الشجاعى مصر والقاهرة فجعلوه على رمح وطافوا به جميع الحارات والأسواق والحارات. وكان أكثر الناس يكرهون الشجاعى حتى طائفة اليهود والنصارى، فصار الناس يعطون المشاعلية شيئًا من الفضة ويأخذون منهم الرأس ويدخلون به دورهم ويصفعونه بالنعال والقباقيب حتى يشتفوا منه فأقاموا ثلاثة أيام يفعلون ذلك. وقيل كان مع المشاعلية برنية خضراء كبيرة يحصلون فيها ما يأخذونه من الناس، فقيل إنهم ملأوا ثلاث مرات فضة ولم يسمع بمثل هذه الواقعة قط. وكان الشجاعى رجلاً طويلاً أبيض اللون، أشقر اللحية وكان ظالمًا عسوفاً جبارًا قد اجتمع الناس على بغضه.

فلما سكنت الفتنة وراق الوقت طلع الأمراء إلى عند السلطان فى القلعة وجمعوا المماليك البرجية وأنزلوهم من الطباق وفرقوهم فى أبراج القاهرة التى فى السور وكانوا نحو أربعة آلاف وسبعمائة مملوك ورتبوا لهم ما يكفيهم من لحم وخبز وغير ذلك. وأقاموا فى الأبراج بحيث لا يركبوا ولا ينزلوا ثم إن الأمير كتبغا قبض على الأمير بيبرس الجاشنكير وقبض على صهره بكرغى وعلى اللقمانى وعلى جماعة من المماليك السلطانية، ثم أرسل الأمراء إلى السجن بثغر الإسكندرية ثم أفرج عن جماعة من الأمراء وهم. الأمير قفجق السلحدار والأمير عبد الله حامل الخبز والأمير عمر [ق ٣٤أ] شاه السلحدار والأمير قرمش والأمير بورى والأمير لاجين جركس والأمير مغلطاى المسعودى والأمير كردى الساقى فصاروا من عصبة الأمير كتبغا.

ثم دخلت سنة أربع وتسعون وستمائة:

فيها: فى عاشر المحرم ثار جماعة من المماليك الأشرفية فى الليل وفتحوا سوق السلاح وأخذوا ما فيه، وكسروا باب سعادة وأخذوا عدة اسطبلات الناس. فلما أصبح الصباح قبض الأمير كتبغا على من فعل هذه الفعلة، فقطعت أيديهم وسمروا على الجمال وطافوا بهم وكانت عدتهم ثلاثمائة مملوك. فلما جرى ذلك سمع الأمراء وقالوا قد ضعف أمر المملكة وطمع المماليك فى السلطان لصغر سنه فوقع رأى الأمراء على خلع الناصر محمد بن قلاوون وسلطنة كتبغا. فخلع الناصر محمد من السلطنة وتولى كتبغا. فكانت مدة سلطنة الناصر محمد فى هذه المرة أحد عشر شهرًا وأيامًا وهى السلطنة الأولى.

١٠ـ ذكر سلطنة الملك العادل زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري[(١)]

وهو العاشر من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية. تسلطن بعد خلع الناصر محمد بن قلاوون في المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة. وأصله من سبايا التتار أخذه الملك المنصور قلاوون في وقعة حمص الأولى وغير ذلك وكان ذلك في سنة تسع وخمسين وستمائة، فصار من جملة مماليك السلطان وقد ملكه قلاوون قبل أن يلي السلطنة، فلما تسلطن جعله أمير عشرة ثم بقي مقدم ألف. فلما قتل الأشرف خليل وتولى أخوه محمد استقر به نائب السلطنة عوضًا عن الأمير بيدرا لما قتل ثم بقي سلطانًا، فلما تم أمره في السلطنة استقر بالأمير لاجين نائب السلطنة، وكان الأمير لاجين هاربًا من حين قتل الأشرف خليل. فاختفى مدة طويلة في مأذنة جامع أحمد بن طولون ثم إن الأمير كتبغا شفع فيه عند الملك الناصر محمد. فلما ظهر أنعم عليه بتقدمة ألف فلما تسلطن كتبغا أمر جماعة كثيرة من خشداشينه واستقام أمره في السلطنة.

ومن الحوادث في أيامه: أن الغلاء وقع بمصر واجدبت البلاد وتشحط سعر كل شيء فوصل سعر القمح كل أردب بمائة وخمسين درهمًا ووصل سعر الشعير والفول كل أردب بمائة درهم، واستمر الأمر على الناس حتى أكلوا بعضهم بعضا. وأكل من الكلاب والقطط والحمير شيء كثير حتى بيع الكلب بخمسة دراهم والقط بدرهمين ودام الأمر على ذلك حتى **دخلت سنة خمس وتسعون وستمائة**.

فيها: اشتد الأمر على الناس حتى بلغ سعر القمح كل أردب بمائة وسبعين درهمًا وبلغ سعر الفول [ق ٣٤ب] والشعير كل أردب بمائة وعشرين درهمًا، وبيع السفرجل والتفاح كل واحدة بثلاثين درهمًا وبيع اللحم كل رطل بسبعة دراهم وبيع البيض كل بيضة بأربعة دراهم ومات في هذه السنة ما لا يحصى عددهم من الجوع وصاروا موتًا في الطرقات على بضعهم بعضا من شدة الجوع. قيل جاء جراد كثير في تلك السنة فأكل الناس منه وأبيع كل أربعة أرطال جراد بدرهمين وبيع الكماه كل سبعة أرطال بدرهم. وكان هذا الغلاء عامًا في سائر البلاد حتى في

---

(١) انظر المزيد في: بائع الزهور ١/ ١٣٣، السلوك ١/ ٨٠٦ ـ ٨٢٠ و٨٢٦، النجوم الزاهرة ٨/ ٥٥، فوات الوفيات ٢/ ١٣٨.

دمشق وحمص وحلب وغالب البلاد الشامية حتى بلاد الحجاز، ومات من الناس نحو الثلث، ثم انحطت الأسعار من بعد ذلك وتراجع الأمر قليلاً قليلاً حتى انصلح الحال كما كان.

وفى هذه السنة: توفى السراج الوراق[1] الشاعر وكان مولده فى سنة خمسة عشرة وستمائة، ووفاته فى سنة خمس وتسعين وستمائة، فكانت مدة حياته نحو ثمانين سنة ومن شعره لنفسه وهو قوله:

واخجلتى وصحائفى سودًا غدت ... وصحائف الأبرار فى إشراق

وموبخ لى فى القيـــــامة قائل ... أكذا تكون صحائف الوراق

وأقامت هذه الغلوة على أهل مصر نحو سنتين وقاسوا شدائد عظيمة حتى بعث الله تعالى بالفرج، وتراجع الأمر كما كان فى الأول وقد قيل فى المعنى:

قل لمن يحمـــــل هما ... إن هــــذا لا يـــــدوم

مثلما تنفى المســـــرا ... ت هكذا تنفـــى الهموم

ثم دخلت سنة ست وتسعون وستمائة:

فيها: سافر السلطان كتبغا إلى نحو دمشق بسبب تمهيد البلاد الشامية فدخل إلى الشام وصلى بها الجمعة ولعب بالاكرة فى الميدان الكبير، وأقام بها أيامًا. ثم قصد التوجه إلى الديار المصرية فلما وصل إلى وادى الفحمة قبض الأمير لاجين نائب السلطنة على الأمير بتخاص العادلى والأمير بكتوت الأزرقى وكانا جناحى الملك العادل كتبغا، فلما سمع كتبغا بذلك رجع إلى دمشق فى نفر قليل من العسكر فلما رجع كتبغا إلى دمشق احتوى الأمير لاجين على الخزائن والأموال وركب تخت العصائب السلطانية وقصد التوجه إلى نحو الديار المصرية، هذا ما كان من أمر الأمير لاجين.

---

(١) هــو عمــر بن محمد بن حسن أبو حفص سراج الدين الوراق، شاعر مصر فى عصره كان كاتبًا لواليها الأمير يوسف بن سباسلار له "ديوان" كبير فى سبعة مجلدات، اختار منه الصفدى "لمع السراج" وله "نظم درة الغواص" توفى بالقاهرة.

انظر المزيد فى: فوات الوفيات ٢/ ١٠٧، النجوم الزاهرة ٨/ ٨٣، أداب اللغة ٣/ ١٢٠.

وأما ما كان من أمر الملك كتبغا العادل فأنه رجع إلى دمشق، وأقام بها ثلاثة عشر يومًا وهو مقيم بقلعة دمشق. فلما بلغ أهل دمشق لاجين قد تسلطن بمصر انحل أمر كتبغا وأذعن بالطاعة. وقال خشداشيني وأنا في طاعته فلما كان يوم الخميس [ق ٣٥أ] ثامن ربيع الأول من السنة. وصل الأمير لاجين استادار العالية ومعه مراسيم سلطانية إلى أهل دمشق فاجتمعوا بدار السعادة وحضر القضاة وقروا عليهم مرسوم السلطان الملك لاجين، ثم دخل قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة قاضي قضاة الشام ومعه الأمير لاجين الاستادار إلى عند السلطان كتبغا وتكلموا معه بأن يخلع نفسه من السلطنة، ويكون تحت طاعة الملك المنصور لاجين ثم بعد عدة أيام وصل الأمير قفجق المنصوري وقد استقر نائب دمشق.

فلما وصل نزل بدار السعادة، فأرسل كتبغا يطلب من نائب الشام قفجق المذكور بأن يعطيه نيابة صرخد، ورتب له ما يكفيه فاجيب إلى ذلك، ثم إن كتبغا توجه إلى نحو صرخد وصحبته مماليكه وهو في غاية العز والعظمة. فكانت مدة سلطنة العادل كتبغا بمصر إلى أن خلع نحو سنتين إلا شهرين. وأقام بصرخد إلى سنة **تسع وتسعين وستمائة**.

فلما عاد إلى السلطنة محمد بن قلاوون وهي السلطنة الثانية أنعم على كتبغا نيابة حماة لأنه كان من مماليك أبيه قلاوون. وكان الناصر محمد يميل إلى كتبغا دون مماليك أبيه، فأقام كتبغا في حماة إلى أن مات في يوم عيد النحر سنة اثنتين وسبعمائة، ودفن في حماة ثم نقل منها بعد مدة إلى دمشق ودفن بتربة بسفح جبل قاسيون. ومات له من **العمر نحو ستين سنة**.

وكان كتبغا رجلاً أسمر اللون، قصير القامة، أجرود اللحية، وكان موصوفًا بالشجاعة، وكان دينًا خيرًا سليم الباطن. ومن سلامة باطنه وتغفله الذى جعل لاجين نائب السلطنة بمصر حتى جرى منه في حقه ما جرى وخلعه من السلطنة وتولى عوضه. فكانت كما قيل في المعنى.

والخل كالماء تبدى لى ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

١١ـ ذكر سلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين بن عبد الله المنصورى[(١)]

وهو الحادى عشر من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، وأصله من مماليك قلاوون وتسلطن بعد خلع العادل كتبغا فى وادى الفحمة وتلقب بالملك المنصور وذلك فى شهر المحرم سنة خمس وتسعين وستمائة.

فلما تسلطن هناك توجه إلى نحو الديار المصرية فدخلها. وقد زينت له وطلع إلى القلعة فلما استقام أمره فى السلطنة استقر بالأمير قراسنقر المنصورى فى نيابة السلطنة، فأقام بها مدة يسيرة ثم قبض عليه واستقر بمملوكه منكوتمر فى النيابة بالديار المصرية، ثم استقر [ق ٣٥ ب] بالأمير سنقر الأعسر وزيرًا. ثم أرسل بالإفراج عن أولاد الظاهر بيبرس البندقدارى من القسطنطينية فحضروا إلى الديار المصرية. وكان سلامش مات هناك فأحضره وهو ميت إلى مصر فدفن بالقرافة الصغرى. وأما أخوه سيدى خضر فإنه دخل إلى مصر وأقام بها مدة ثم طلب من السلطان دستورًا بأن يسافر إلى الحجاز الشريف فأعطاه دستورًا فسافر إلى الحجاز ثم رجع إلى مصر فأقام بها إلى أن مات.

وفى هذه السنة: أمر السلطان لاجين بعمارة جامع أحمد بن طولون. وكان هذا الجامع قد أقام مائة وسبعين سنة خرابًا وهو بغير سقوف. وسبب عمارته أن السلطان لاجين لما قتل الأشرف خليل كان من جملة من تواطأ على قتله.

فلما قتل الأمير بيدرا وتولى محمد بن قلاوون فاختفى لاجين فى مئذنة جامع ابن طولون مدة طويلة ونذر على نفسه أن نجا من هذه الشدة يعمر الجامع. فلما أعطاه الله السلطنة أمر بعمارته وذلك فى شهر المحرم سنة **سبع وتسعين وستمائة** ورتب له أوقافًا وقرر به وقفًا على دكة تكون بسطح الجامع فى مكان مخصوص لتحرير الوقت برسم المؤذنين وهو إلى الآن باقٍ.

وفى هذه السنة هى سنة خمس وتسعون وستمائة:

فيها: راك السلطان حسام الدين لاجين البلاد المصرية وهو الروك الحسامى وكان ابتداؤه فى سادس جمادى الأول سنة ست وتسعين وستمائة فشرعوا فى

---

(١) انظر المزيد فى: السلوك ١/ ٨٢٠ ــ ٨٦٥، النجوم الزاهرة ٨/ ٨٥، بدائع الزهور ١/ ١٣٦.

كتب الأوراق، وكان المتكلم فى ذلك يومئذ شخص يسمى التاج الطويل، فلما كان ثامن شهر رجب فرقت تلك الأوراق على الناس وهى المثالات له. وكانت أراضى الديار المصرية منسوبة على أربعة وعشرين قيراطًا، منها أربعة قراريط برسم السلطان للكلف والرواتب وعشرة قراريط للأمراء والاطلاقات والزيادات وعشرة قراريط للأجناد الحلقة. فرسم السلطان للكتاب بأن يلقى الأمراء والأجناد الحلقة بعشرة قراريط وزادوا الذين شكوا قيراطا، وبقى للسلطان ثلاثة عشر قيراطًا وبقى الجيش ضعيفًا ليس له ما يقوى به الفلاحين.

وكان المتصرف فى هذه الحركة الأمير منكوتمر النائب فسار فى الناس أقبح سيرة وصار بقائح الأمراء وبحاشتهم فى اللفظ وكان الأمير منكوتمر سياب الملك المنصور لاجين. ولما عزل الأمير قراسنقر المنصور عن نيابة مصر وتولى الأمير منكوتمر فى النيابة فشق ذلك على جماعة كثيرة من الأمراء من خشداشين الملك المنصور لاجين.

وفى هذه السنة: حج الخليفة الإمام الحاكم بأمر الله أحمد فأنعم عليه السلطان لاجين بسبعمائة درهم . ثم إن منكوتمر النائب [ق ٣٦أ] حسن لإسناده الملك المنصور لاجين بأن يمسك جماعة من الأمراء وهم: الأمير أينبك الحموى والأمير قراسنقر وجماعة غيرهما من الأمراء. فلما بلغ الأمير قفجق نائب الشام ذلك هرب من دمشق هو والأمير بكتمر الأبو بكرى والأمير بزلار فلما هربوا توجهوا إلى عند القان غازان ملك التتار. وكان هذا سبب الفتنة العظيمة التى نشبت النواحى عند سماعها كما سيأتى ذكرها فى موضعه فعند ذلك نفرت من السلطان لاجين قلوب الرعية لسوء تدبير مملوكه منكوتمر وقد اختاروا عود الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وكان مقيمًا بها.

فلما كان يوم الخميس عاشر ربيع الأخر من سنة ثمان وتسعين وستمائة : توجه السلطان إلى نحو القصر الكبير وكان صائمًا فنزل إليه من العصر ليفطر هناك وكان قد اتفق على قتله جماعة من المماليك الأشرفية وكان السلطان لاجين ممن تواطأ على قتلة الأشرف خليل. فلما علموا أن السلطان فى القصر فدخلوا عليه بعد العشاء وهو جالس يلعب الشطرنج، فأول من دخل عليه كرجى مقدم البرجية.

وكـان قـد أتفـق مـع نوغـان الكـرمانى وكانـت نوبـته فـى السـلحدارية تلـك الـليلة. فقـال السـلطان لكـرجى أغلقـت أبـوب الأطـباق عـلى المالـيك الـبرجية. فقـال: نعـم فشـكره السـلطان عـلى ذلـك وكـان أكـثرهم واقفًـا فـى دهلـيز القصـر. وكـان السـلطان جالسًـا وعـنده القاضـى حسـام الديـن الـرازى الحـنفى وامامـه محـب الديـن بـن العسـال والأمـير عـبد الله بـن يـزيد الـبدوى. فـلما دخـل كـرجى عـلى السـلطان وجـده منكـبًا عـلى الشـطرنج فـتقدم كـرجى ليصـلح الشـمعة فـأرمى الفوطـة عـلى الـنمجاة. وقـال للسـلطان: يـا ضـخم مـا تصـلى العشـاء؟ فقـال السـلطان: نعـم وقـام ليصـلى العشـاء فضـربه كـرجى بالسـيف عـلى كـتفه، فطلـب السـلطان الـنمجاة فـلم يصـبها فقـام مـن هـول الضـربة ومسـك كـرجى ورمـاه تحـته. فقـام نوغـان الكـرمانى وأخـذ الـنمجاة وضـرب السـلطان عـلى رجلـيه فقطعهمـا. فصـاح القاضـى حسـام الديـن وانقلـب السـلطان عـلى ظهـرة ميـتًا فتركـوه وأغلقـوا علـيه بـاب القصـر.وتوجـه كـرجى إلى دار النـيابة ودق الـباب عـلى الأمـير مـنكوتمر النائـب، وقـال له السـلطان يطلـبك فأنكـر حالـه وقـال له قتلـت السـلطان؟ فقـال كـرجى: نعـم قتلـنا وجئـنا نقـتلك. وكـان مـنكوتمر بيـنه وبـين كـرجى خـط نفـس. ثـم إن كـرجى قـبض عـلى مـنكوتمر النائـب وتوجـه بـه إلى الجـب الـذى بالقلعـة عـند الأمـير اينـبك الحمـوى وقراسـنقر الأعسـر المقـدم ذكـرهما. وكـان مـنكوتمر سـببًا لمسـكهما فـلما رأوه لعـنوه وسمـوه وأرادوا قـتله فـلما طلـع الـنهار جـاء كـرجى الجـب وذبـح مـنكوتمر النائـب مـدة فـى الجـب [ق ٣٦ب] ثـم دفـن السـلطان ومـنكوتمر فـى يـوم واحـد، فكانـت مـدة سـلطنة الملـك المنصـور لاجـين إلى أن قـتل نحـو سـنتين وشـهرين وأيـام. وكانـت قتلـته فـى لـيلة الجمعـة عاشـر ربـيع الأخـر سـنة ثمـان وتسعين وستمائة.

وكـان شـجاعًا بطـلاً موصـوفًا بالفروسـية وكـان رجـلاً طويـلاً أشـقر اللحـية أزرق العيـنين، مهـاب الشـكل، وكـان ديـنًا خـيرًا، أبطـل فـى أيامـه مـن المكـوس أشـياء كـثيرة، ومـات ولـه مـن العمـر نحـو سـتين سـنة ثـم بعـد ذلـك بـيومين حضـر الأمـير بكـتاش أمـير سـلاح كـان مسـافرًا مـع طائفـة العسـكر نحـو الـبلاد الشـامية، فـلما حضـر نـزل إلـيه كـرجى مـن القلعـة. فقـال له الأمـير بكـتاش يـريد أن يعمـل فـى كـل جمعـة سـلطانًا وأشـار إلى مـن حولـه، فمسـكوا كـرجى وقـتلوه. فـلما بلـغ طغـى ونوغـان الكـرمانى ذلـك فهـربا مـن بـاب القـرافة فـلحقوهما عـند بـركة الحـبش فقـتلوهما هـناك

وأحضروا رأسهما إلى عند الأمير بكتاش أمير سلاح فعند ذلك اجتمع الأمراء بباب القلعة وضربوا مشورة فيمن يولونه سلطانا فأتفق رأيهم على عود الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك، فأرسلوا إليه بالحضور إلى الديار المصرية وبقى تخت المملكة خاليا بلا سلطان واحدًا وأربعين يومًا حتى حضر الملك الناصر من الكرك.

ذكر من توفى من أكابر العلماء وأعيان الناس من سنة إحدى وستين وستمائة فى دولة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى إلى سنة ثمان وتسعين وستمائة فى دولة الملك المنصور لاجين

وقد حملنا وفاتهم جملة واحدة خوف الإطالة وهم: الشيخ عز الدين بن عبد السلام[1] رضى الله عنه وكان من كبار الشافعية وله كرامات خارقة. والإمام أبو شامة[2] من

---

(١) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن السلمى الدمشقى عزالدين الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعى، بلغ رتبة الاجتهاد. ولد سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م. ونشأ فى دمشق وزار بغداد سنة ٥٩٩هـ فأقام شهرًا وعاد إلى دمشق فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالى ثم الخطابة بالجامع الأموى. ولما سلم الصالح إسماعيل بن العادل قلعة صفد" للفرنج إختيارًا أنكر عليه ابن عبد السلام ولم يدع له فى الخطبة فغضب وحبسه ثم أطلق فخرج إلى مصر فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكنه من الأمر والنهى. ثم اعتزل ولزم بيته، ولما مرض أرسل إليه الملك الظاهر يقول: إن فى أولادك من يصلح لوظائفك، فقال: لا. وتوفى بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م. له عدة مصنفات منها: "التفسير الكبير" و"الإلمام فى أدلة الأحكام" و"قواعد الشريعة" و"الفوائد" و"قواعد الأحكام فى إصلاح الأنام" و"ترغيب أهل الإسلام فى سكن الشام" و"بداية السول فى تفضيل الرسول" و"الفتاوى" و"الغاية فى اختصار النهاية" وغيرها.

انظر المزيد فى: فوات الوفيات ١/ ٢٨٧، طبقات السبكى ٥/ ٨- ١٠٧، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٨، علماء بغداد ١٠٤، ذيل الروضتين ٢١٦، مفتاح السعادة ٢/ ٢١٢.

(٢) هو أبو شامة الإمام الحافظ العلامة المجتهد ذو الفنون شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسى ثم الدمشقى الشافعى المقرئ النحوى. ولد سنة ٥٩٩هـ وتلا على العلم السخاوى، وسمع من داود بن ملاعب وكريمة وطائفة. وبرع فى علم اللسان والقراءات. شرح "الشاطبية" واختصر "تاريخ دمشق" وولى مشيخة الإقراء بالتربة الأشرفية ومشيخة الحديث الأشرفية، مات سنة ٦٦٥هـ. =

كبار العلماء، وقاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز[1]. والشيخ أبو الحسن بن عدلان[2]، والشيخ مجد الدين بن دقيق العيد[3]، والقرطبى[4] صاحب التذكرة.

= انظر المزيد فى: البداية والنهاية ١٣/ ٢٥٠، بغية الوعاة ٢/ ٧٧، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٦٠، المدارس ١/ ٢٣، الذيل على الروضتين ٣٧، ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٧، روضات الجنات ٤٢٩، السلوك ١/ ٥٦٢، شذرات الذهب ٥/ ٣١٨، طبقات السبكى ٨/ ١٦٥، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٣٦٦، طبقات القراء للذهبى ٢/ ٥٣٧، طبقات المفسرين للداودى ١/ ٢٦٣، العبر ٥/ ٢٨٠، فوات الوفيات ١/ ٥٢٧.

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خليفة العلامى المصرى الشافعى وزير فقيه له نظم حسن ولى الوزارة مع القضاء بمصر، ثم استعفى وتولى التدريس بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعى وتوفى كهلا سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م والعلامى بالتخفيف نسبة إلى "علامة" قبيلة من لخم.

انظر المزيد فى : فوات الوفيات ١/ ٢٥٦.

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود الإمام العلامة شيخ الشافعية شمس الدين الكنانى المصرى المعروف بابن عدلان ولد سنة ٦٦٣هـ سمع من جماعة وتفقه على الوجيه البهنسى ومات سنة ٧٤٩هـ.

انظر المزيد فى : ذيل العبر ٢٧٠، الوافى بالوفيات ٢/ ١٦٨، طبقات السبكى ٩/ ٩٧، طبقات الإسنوى ٢/ ٢٣٧، الدرر الكامنة ٣/ ٣٣٣، لحظ الألحاظ ١٢١، حسن المحاضرة ١/ ٤٢٨، شذرات الذهب ٦/ ١٦٤، البدر الطالع ٢/ ١٠٩.

(٣) هو ابن دقيق العيد الإمام الفقيه الحافظ المحدث العلامة المجتهد شيخ الإسلام تقى الدين أبو الفتح محمد بن على بن وهب بن مطيع القشيرى المنفلوطى صاحب التصانيف، ولد فى شعبان ٦٢٥هـ وحدث عن ابن الجميزى وسبط السلفى وعدة، وصنف "شرح العمدة" و"الإمام فى الأحكام" و"الإلمام" و"الاقتراح فى علوم الحديث" و"الأربعين التساعية". وكان من أذكياء زمانه، واسع العلم مديمًا للسهر، مكبًا على الاشتغال ساكنًا وقورًا ورعًا، إمام أهل زمانه، حافظًا متقنًا، قل أن ترى العيون مثله، وله يد طولى فى الأصول والمعقول، و لى قضاء الديار المصرية وتخرج به أئمة. مات سنة ٧٠٢هـ.

انظر المزيد فى : الوافى بالوفيات ٤/ ١٩٣، مرآة الجنان ٤/ ٢٣٦، الطالع السعيد ٥٦٧، شذرات الذهب ٦/ ٥، الرسالة المستطرفة ١٨٠، الديباج المذهب ٣٢٤، حسن المحاضرة ١/ ٣١٧، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٨١، البدر الطالع ٢/ ٢٢٩.

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى الأندلسى أبو عبد الله القرطبى، من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (فى شمالى =

والشيخ ناصر الدين الطوسى[1] والشيخ برهان الدين بن جماعة[2] والشيخ محيى الدين النووى صاحب المنهاج رضى الله عنه، وابن خلكان المؤرخ والشيخ ناصر الدين بن المنير[3]، والشيخ جمال الدين الشريشى[4] شارح مقامات الحريرى

= أسيوط ــ بمصر) وتوفى فيها سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م. من كتبه "الجامع لأحكام القرآن" عشرون جزءاً يعرف بتفسير القرطبى، و"قمع الحرص بالزهد والقناعة" و"الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى" و"التذكار فى أفضل الأذكار" و"التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الأخرة" مجلدان. وكان ورعًا متعبدًا، طارحًا للتكلف، يمشى بثوب واحد على رأسه طاقية.

انظر المزيد فى نفح الطيب ١/ ٢٨، الديباج ٣١٧.

(١) الثابت هو نصير الدين الفيلسوف صاحب المصنفات المشهورة.

(٢) الثابت هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى بدر الدين أبو عبد الله قاض من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين، ولد فى حماه سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م وولى الحكم والخطابة بالقدس ثم القضاء بمصر فقضاء الشام ثم قضاء مرو إلى أن شاخ وعمى. كان من خيار القضاة وتوفى بمصر سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م. له تصانيف منها "المنهل الروى فى الحديث النبوى" و"كشف المعانى فى المتشابه من المثانى" و"غرة التبيان لمن لم يسم فى القرآن" و"تذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم" و" غرر البيان لمبهمات القرآن" و"تحرير الأحكام فى تدبير أهل الإسلام" و"مختصر فى السيرة النبوية" و"مستند الأجناد فى آلات الجهاد" وغيرها.

انظر المزيد فى : فوات الوفيات ٢/ ١٧٤، نكت الهميان ٢٣٥، الانس الجليل ٢/ ٤٨٠، البداية والنهاية ١٤/ ١٦٣، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٩٨، الدرر الكامنة ٣/ ٢٨٠.

(٣) هو أحمد بن محمد بن منصور، من علماء الإسكندرية وأدبائها ولى قضاءها وخطابتها مرتين، ولد سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م. ومات سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م، له تصانيف منها "تفسير" و"ديوان خطب" و"تفسير حديث الإسراء" على طريقة المتكلمين، وله نظم.

انظر المزيد فى : فوات الوفيات ١/ ٧٢.

(٤) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سحمان الوائلى البكرى الشريشى المالكى أبو بكر جمال الدين فقيه نحوى ولد سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م فى شريش ورحل إلى المشرق، فسمع بالإسكندرية ودمشق وحلب وإربل وبغداد، وأقام بدمشق يفتى ويدرس، وطلب للقضاء فيها فامتنع، ورعًا وتوفى بها سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م. له "شرح ألفية ابن معطى" فى النحو مجلدان، وكتاب فى "الاشتقاق".

انظر المزيد فى : نفح الطيب ذ/ ٤٣٢، بغية الوعاة ١٨، شذرات الذهب ٥/ ٣٩٢، تاريخ ابن الفرات ٨/ ٤٦.

واللورقى[١] والشيخ علاء الدين بن النفيس[٢] شيخ الأطباء وابن النحاس النحوى[٣] والشيخ ياقوت[٤] المستعصمى صاحب الخط الجيد وغيرهم وكذلك من العلماء وأعيان الناس لم نذكرهم هنا.

ذكر عود الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة بالديار المصرية

وهى السلطنة الثانية دخل إلى القاهرة فى ثامن جمادى الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة فزينت له القاهرة ودقت له البشائر فطلع إلى [ق ٣٨] القلعة ولبس خلعة السلطنة وهى جبة سوداء بطوق ذهب وعمامة سوداء وسيف بداوى

---

(١) هو القاسم بن أحمد بن الموفق الأندلسى المرسى اللورقى، من علماء العربية بالأندلس، نسبته إلى لورقة بمرسية، رحل إلى العراق وسورية وتوفى بدمشق سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م وكان مولده سنة ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م. له "شرح المفصل" أربعة مجلدات و"شرح الشاطبية" و"المباحث الكاملية فى شرح الجزولية" فى مجلدين.

انظر المزيد فى : بغية الوعاة ٣٧٥، نفح الطيب ١/ ٣٥١، طبقات القراء لابن الجزرى ٢/ ١٥.

(٢) هو على بن أبى الحزم القرشى علاء الدين الملقب بابن النفيس، أعلم أهل عصره بالطب، أصله من بلدة قرش (بفتح القاف وسكون الراء، فى ما وراء النهر" ومولده فى دمشق ووفاته بمصر سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م. له كتب كثيرة منها "الموجز" فى الطب. اختصر به قانون ابن سينا و"فاضل ابن ناطق" على نمط "حى بن يقظان" لابن الطفيل و"بغية الطالبين وحجة المتطبيين" و"شرح الهداية لابن سينا" وغيرها.

انظر المزيد فى: طبقات السبكى ٥/ ١٢٩، شذرات الذهب ٥/ ٤٠١، دول الإسلام ٢/ ١٤٥، تاريخ ابن الوردى ٢/ ٢٣٤، الدارس ٢/ ١٣١، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٧.

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن محمد بهاء الدين بن النحاس الحلبى شيخ العربية بالديار المصرية فى عصره، ولد فى حلب سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م وسكن القاهرة وتوفى بها سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م. له "إملاء على كتاب المقرب" لابن عصفور وغيره.

انظر المزيد فى : فوات الوفيات ٢/ ١٧٢، بغية الوعاة ٦، طبقات القراء لابن الجزرى ٢/ ٤٦.

(٤) هو ياقوت بن عبد الله المستعصمى الرومى جمال الدين كاتب أديب، له شعر رقيق، اشتهر بحسن الخط من موالى المستعصم بالله العباسى من أهل بغداد، أخذ عنه "الخط" كثيرون وصنف كتبا، منها "أخبار وأشعار" و"أسرار الحكماء" وغيرها . مات سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٩م.

انظر المزيد فى: النجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٣ و٨/ ١٨٧، مفتاح السعادة ١/ ٧٨، البداية والنهاية ١٤/ ٦.

مقلد به فجلس على سرير ملكه ونودى باسمه فى القاهرة وصاح له الناس بالدعاء وفى ذلك يقول الشيخ علاء الدين الوداعى لما عاد الملك الناصر.

الملك الناصر قد أقبلت   دولته مشرقة الشمس
عاد إلى كرسية مثلما   عاد سليمان إلى الكرسى

ولما استقر الملك الناصر فى السلطنة اخلع على الأمير أقوش الأقرم واستقر به نائب دمشق، وأخلع على الأمير قراسنقر الأعسر واستقر به وزيرًا وأخلع على الأمير حسام الدين واستقر به استادارا واخلع على جماعة من الأمراء غيرهم. ثم جاءت الأخبار فى أوائل دولته بحركة التتار وهو غازان بن أرغون بن أبغابن هولاكو ملك التتار، فجاءت الأخبار بأنه وصل إلى الفرات فى عسكر. نحو مائة ألف مقاتل وهذه الفتنة التى أثارها فقجق نائب دمشق لما عصى فى أيام السلطان لاجين وتوجه إلى عند القان غازان وهيجه على الحضور إلى دمشق.

فلما بلغ السلطان الملك الناصر مجئ غازان فجهز إلى الخروج إليه وعرض العساكر وعين الأتابكى بيبرس الجاشنكير. يتوجه قدام العسكر فى الجاليش ثم خرج السلطان فى عسكر عظيم وذلك فى سنة تسع وتسعين وستمائة. وجد فى السير فوصل إلى دمشق فى ثامن ربيع الأول، وكان خروج السلطان من مصر فى نصف شهر صفر فدخل إلى دمشق ومعه الخليفة والقضاة الأربعة والأمراء والعسكر وتقاتلوا معهم.

فلما كان يوم السبت سابع عشر ربيع الأول: وردت الأخبار إلى دمشق بأن العسكر المصرى انكسر وهرب السلطان فى نفر قليل من العسكر وتوجه إلى نحو بعلبك فاضطربت دمشق لذلك وحار الناس فى أمرهم ثم حطم غازان بمن معه من العساكر على دمشق فخرج إليه القضاة والمشايخ وأعيان الناس من دمشق، فلما حضروا بين يدى غازان، فقال لهم: قد أرسلت إليكم أمانًا قبل حضوركم فرجعوا إلى دمشق وقروا الأمان الذى أرسله غازان على منبر جامع بنى أمية ثم حضر الأمير قفجق المقدم ذكره ونزل بالميدان الكبير وأرسل إلى نائب قلعة دمشق بأن يسلم إليه القلعة فأبى نائب قلعة دمشق من ذلك. وقال: السلطان موجود فكيف أسلم القلعة؟ فلما بلغ غازان ذلك أمر عسكره بأن ينهبوا ضواحى دمشق [ق ٣٨ب]

فنهبوها وأخذوا ما فيها من الأموال والقماش وسبوا أهلها وقتلوا من بها، ثم دخلوا إلى دمشق وخلصوا قلعتها ونصبوا عليها المجانيق وأخربوا غالب البلد، ثم إن غازان رحل عن دمشق بعد أن خطب له على منابر دمشق وولى نيابتها إلى قفجق كما كان أولاً وجعل عنده أميرًا من أمرائه يقال له قطلوشاه بك ومعه جماعة من عسكره، هذا ما كان من أمر غازان ملك التتار. وأما ما كان من أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فأن السلطان لما انكسر العسكر توجه السلطان إلى نحو بعلبك وقد نهب بركه وبرك عسكره، ولم يبق لهم شيء من القماش ولا المال. فعند ذلك توجه السلطان من السواحل وقصد نحو الديار المصرية. فوصل إليها على حين غفلة من أهلها.

فلما استقر بمصر أنفق على العسكر وأعطاهم خيولاً وسلاحًا. وأما العسكر الشامي فرسم لكل واحد منهم بعشرة دنانير وعشرة أرادب شعير وقصد العود إلى البلاد الشامية.

فلما أراد الخروج إلى دمشق جاءت الأخبار برجوع غازان إلى بلاده. ثم إن السلطان عين الأمير سلار، نائب السلطنة والأمير بيبرس الجاشنكير أتابك العساكر ومعهم جماعة كثيرة من المماليك السلطانية وتوجهوا إلى دمشق، فلما وصلوا إليها خرج إليهم قفجق نائب دمشق وتلقاهم أحسن ملتقى ودخل تحت طاعة السلطان.

وقال: هذا ابن استاذى وما أنا عصى عليه، وأشار على الأمراء بالعود إلى مصر فعادوا، وكان قفجق هذا سببًا للفتنة كما تقدم وهو الذى دعا غازان إلى المجئ إلى دمشق.

نكتة لطيفة

قيل إن الملك المنصور قلاوون أستاذ قفجق خرج يومًا إلى الفضاء ومعه أخصاؤه من الأمراء فذبح هناك خروفًا بيده وانشرح ذلك اليوم، فلما حضر ذلك الخروف الذى ذبحه بيده على نحو أن أكل منه السلطان الكتف ثم جرده من لحمه إلى أن أنفاه وتركه قليلاً إلى أن جف ثم لوحه على النار قليلاً ثم أخرجه ونظر إليه وأطال فيه التأمل ثم نقل عليه وألقاه من يده فسأله بعض الأمراء عن ذلك بعد أن سكن غضبه فقال هذا الصبى قفجق لا تخرجوه إلى البلاد الشامية بعدى فأنه يحصل منه

فساد كبير إذا خرج فكان الأمر كما قال: "والملوك لهم فراسة فى الأمور" كما قيل فى المعنى لبعضهم:

يرى العواقب فى أثناء فكرته　　كأن أفكاره بالغيب كهان
لا طرفة منه إلا تحتها عمل　　كالدهر لا دولة إلا لها شأن

ولم يزل قفجق مؤخرًا فى دولة الملك المنصور قلاوون مدة حياته إلى أن مات قلاوون [ق ٣٨ أ] وتسلطن ولده خليل ثم تسلطن المنصور لاجين فولى قفجق نيابة دمشق، فقصد الملك المنصور لاجين مسك قفجق فهرب إلى بلاد الشرق وعمل هذه الفتنة العظيمة لمجئ غازان فكان الأمر كما قاله الملك المنصور قلاوون وكان له معرفة تامة فى علم الكف.

قال القاضى محيى الدين بن فضل الله: حكى لى الأمير قفجق المنصورى بعدما جرى الذى جرى من غازان، قال: لما تلاقينا نحن وأنتم يعنى عسكر غازان وعسكر مصر، فهم غازان بالهروب، فطلبنى ليضرب عنقى لأن خروجه كان برأيى. لما حضرت بين يديه قال لى: ايش هذا الحال؟ فقلت له: أنا أعبر بعسكرنا فإن لهم حملة واحدة، فالقان يصير ساعة فما تبغى قدامه أحد منهم، فصبر ساعة فكان الخبر كما قلته. فلما انكسر ثم أراد أن يسوق عليكم بعد الكسرة، فعلمت أنه متى ساق عليكم، لم يبق منكم أحدًا. فقلت له القان نصبر ساعة، فإن عسكر مصر لهم حيل كثيرة وربما يكون لهم كمين فيخرجوا من ورائنا فينكسر فيردوا علينا فوقف ساعة حتى أبعد عنا فلولا أنا ما قتل منكم أحد، ولولا أنا ما بقى منكم أحد.

ثم دخلت سنة سبعمائة من الهجرة النبوية:

فيها: جاءت الأخبار بأن عسكر غازان وصلوا إلى الفرات فخرج إليهم السلطان الملك الناصر ثانيًا وصحبته العساكر، فلما وصل إلى مدينة غزة وقع الغلاء فى العسكر وانشحطوا فى التين والشعير وتقلق العسكر فعند ذلك رجع السلطان إلى القاهرة وعين الأمير بكتمر السلحدار بالتوجه إلى حلب لتسكن قلوب الرعية إلى أن يحضر السلطان.

ثم جاءت الأخبار بأن قطلوشاه أمير غازان أرسل كتابًا إلى حلب مضمونه أن بلادهم قد انحلت وعندهم غلاء وقد جاءوا إلى حلب ليشتروا غلالاً وكان هذا أعين

المكر والخداع. وقد وصل منهم طائفة إلى مرعش. فلما بلغ السلطان ذلك أخذ فى أسباب التوجه إلى حلب.

وفى هذه السنة: أمر السلطان بأن اليهود يلبسوا عمائم صفر والنصارى يلبسوا عمائم زرق، والسامرة يلبسوا عمائم حمر كما كان فى زمن الحاكم بأمر الله العبيدى، ونسى ذلك فأمرهم السلطان بأن يلبسوا ذلك كما كانوا قديمًا ليمتازوا عن المسلمين فى حلاهم ويعرف المجرمون بسيماهم وكانوا كلهم يلبسون المبازر العسلية فى الدول القديمة.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعمائة:

فيها: علق السلطان الجاليش وأمر بخروج العسكر إلى حلب وعين من الأمراء جماعة فخرجوا قبل توجه السلطان وهم: الأتابكى بيبرس الجاشنكير والأمير لاجين [ق ٣٨ب] الرومى والأمير طغربل والأمير كراى والأمير بيبرس الدوادار والأمير سنقر شاه وهم ستة مقدمين ألوف، فخرجوا من القاعدة فى ثامن رجب من السنة المذكورة.

ثم جاءت الأخبار بأن قطلوشاه أمير غازان وصل إلى حلب وهو فى اثنى عشر ألف فارس، فلما تحقق السلطان صحة الأخبار لم يستقر له قرار وخرج من القاهرة بالعساكر جميعها بحيث لم يتأخر صغير ولا كبير، وجمع طائفة كثيرة من العربان والعشير وغيرهم. وخرج السلطان الملك الناصر محمد ومعه الخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان والقضاة الأربعة وجميع العسكر وخرج فى ثالث شهر شعبان من السنة المذكورة وهى السفرة الثالثة.

فلما خرج من القاهرة فجد فى السير حتى وصل إلى دمشق فى مستهل شهر رمضان، فتلاقى السلطان مع عسكر غازان على المرج الأصفر ووقع بينهما وقعة عظيمة ما سمع بمثلها، فنصر الله تعالى السلطان وعسكره على عسكر غازان فولوا مدبرين وهلك منهم خلق كثيرة بالسيف وشىء غرق فى الفرات، وشىء مات بالعطش والجوع وما نجا منهم إلا من طال عمره، وقد كسبوا من عسكر التتار الخيول والسلاح والقماش لم يسمع بمثله أبدًا. وفى ذلك يقول بعض الشعراء:

مشوا متسابقى الأعضاء فيهم   لأرجلهم بأرؤسهم عثار

إذا فاتوا السـيوف تناولتهم　　بأسـياف من العطش القفار

ثم رحل السلطان عن مكان الوقعة ودخل إلى دمشق ومعه الخليفة والقضاة الأربعة فنزل بالقصر الذى فى ميدان دمشق وزينت له دمشق وأخلع على سائر الأمراء والنواب وقد قتل فى هذه الواقعة جماعة كثيرة من الأمراء والمماليك السلطانية والعساكر الشامية، ثم إن السلطان قصد التوجه إلى نحو الديار المصرية، فخرج من دمشق فى يوم الثلاثاء ثالث شهر شوال فوصل إلى القاهرة فى ثالث عشرين شوال فزينت له مصر والقاهرة، وكان يوم دخوله إلى القاهرة يومًا مشهودًا ومعه جماعة كثيرة من أسرى التتار وهم مشاة مكشفين الرووس، حفاه وصناجقهم منكسة بأيديهم، ودخل السلطان من باب النصر فلما وصل إلى بين القصرين ترجل عن فرسه ودخل إلى قبة والده قلاوون وزار ضريحه ثم ركب الأمراء فى ركابه يمشون إلى القلعة وفرشت له الشقق الحرير ومشى عليها بفرسه إلى أن طلع إلى القلعة.

ومن الحوادث فى هذه السنة: أن الأرض قد زلزلت زلزلة شديدة بالقاهرة وأعمالها وبثغر الإسكندرية حتى هدمت [ق ٣٩أ] سور الإسكندرية والأبراج وتساقطت منها المواذن وكان أكثر عملها بثغر الإسكندرية ومثل ذلك بدمشق والكرك والشوبك وصفد، وأقامت هذه الزلزلة فعاود اليأس عشرين يومًا وهلك فيها جماعة كثيرة تحت الردم من الدور التى تساقطت وكانت هذه الزلزلة فى الصيف فجاء بعدها سموم ملقح حتى عمر على الناس من ذلك.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعمائة:

فيها: جاءت الأخبار بأن غازان ملك التتار قد مات، وقيل إنه مات مسمومًا سمته زوجته بلغان شاه فى منديل فمات. وقيل إنه كان قد جهز عسكرًا وقصد أن يمشى على حلب وعلى دمشق كما فعل أولاً، فكفى الله المؤمنين شر القتال وفى ذلك يقول علاء الدين الوداعى:

قد مات غـازان بلا علـة　　ولم يمت فى السنة الماضية
بل شنعـوا عن موته فانثنى　　حيا ولكن هـذه القاضـية

فلما مات غازان خمدت الفتن وحسنت الأوقات واستمر الملك الناصر فى السلطنة إلى أن دخلت سنة ثمان وسبعمائة.

فيها : أظهر السلطان العزم إلى سفر الحجاز وخرج من مصر فى الخامس والعشرين من شهر رمضان وخرج ومعه جماعة من الأمراء المقدمين والعشراوات وغيرهم، وسار إلى أن وصل إلى الصالحية فعيد بها عيد الفطر. ورحل عنها إلى الكرك فدخل إليها فى عاشر شوال. وكان الملك الناصر محمد قرر مع الأمراء أنه يخرج قبل خروج الحاج إلى الشوبك ويتصيد هناك وكان عياله يخرجون مع الركب المصرى وهو يلاقيهم من العقبة.

فلما خرج الحاج ووصلوا إلى العقبة أرسل السلطان أخذ عياله من العقبة وأظهر ما كان عنده كامن فى خاطره وكتب إلى الأمراء الذين بالقاهرة مراسيم مضمونها أن السلطان رغب عن الملك وأختار الإقامة بالكرك وصرح بخلع نفسه من الملك، وأذن للأمراء فى إقامة من يصلح للملك واعاد الخزائن والأطلاب التى كانت معه وصحبة الأمراء الذين كانوا معه والمماليك السلطانية. وكان سبب غضب السلطان وتوجهه إلى الكرك أنه صار مع سلار النائب والاتابكى بيبرس الجاشنكير فى ضيق وحجر لا يتصرف فى شىء من أمور الملكة إلا برأيهما، قيل إنه طلب يومًا خروفًا بدرى رميس فمنع منه، وقيل له حتى يجئ كريم الدين كاتب بيبرس، فغضب من ذلك وتوجه إلى الكرك وأرسل أخذ عياله من العقبة وخلع نفسه [ف ٣٩ ب] من الملك وأختار الإقامة بالكرك.

فلما جاءت هذه الأخبار إلى القاهرة وأشيع ذلك بين الناس فركب الأمراء جميعا وطلعوا إلى سوق الخيل وقروا عليهم مراسيم السلطان بما ذكر فيها من خلع نفسه وأنه رغب عن المملكة وأختار الإقامة بالكرك فعند ذلك اشتور الأمراء وقالوا إن راجعناه فى عوده يخشى من فساد العربان فى البلاد ثم اشتوروا فيمن يولونه سلطانًا وكان الأمر بين سلار النائب والأتابكى بيبرس الجاشنكير ثم وقع الاختيار على سلطنة الأتابكى بيبرس الجاشنكير، وعلى أن يكون سلار نائبًا على عادته فحلف الأمراء على ذلك ثم أحضروا خلعة السلطنة والفرس والقبة والطير فركب الأتابكى بيبرس الجاشنكير من دار النيابة إلى الأيوان الأشرفى. فكانت مدة سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون وهى السلطنة الثانية عشر سنين وأشهر.

١٢ـ ذكر سلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري[(١)]

تسلطن بعد خلع الملك الناصر محمد بن قلاوون في يوم السبت بعد العصر ثالث عشرين شهر شوال سنة ثمان وسبعمائة، فلما جلس على سرير الملك كتب إلى الناصر محمد تقليدًا بنيابة الكرك وأن يركب إلى صلاة الجمعة ولما كان يوم الاثنين سابع ذي القعدة من السنة المذكورة ركب السلطان المظفر بشعار السلطنة وأرباب الدولة وأعيان الناس مشاة بين يديه والوزير ضياء الدين النشائي حامل التقليد على رأسه وأخلع على الأمراء وأرباب الوظائف في ذلك اليوم ألفين ومائتين خلعة وبيبرس هذا هو الثاني عشر من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية.

ثم دخلت سنة تسع وسبعمائة:

فيها: توقف النيل عن الزيادة في أواخر مسرى ونقص في أواخر النسئ فضج الناس لذلك وتشحطت الغلال وارتفع سعر القمح فلما كان أول يوم من توت وهو يوم النوروز انحطت الأسعار ولم يوف النيل. فلما كان سابع توت كسر السد من غير وفاء لم يخلق المقياس لذلك لأن التخليق ما يكون إلا مألوفا. فلما كان سابع عشرين توت نقص النيل جملة واحدة فكان منتهى الزيادة في تلك السنة خمسة عشر ذراعًا وسبعة عشر إصبعا وذلك في سنة تسع وسبعمائة ولكن لم يتشحط لذلك الأسعار إلا قليلاً وفي ذلك يقول النصير الحمامي:

إن عجل النوروز قبل الوفا ... عجل للعالم صفع القفا
فقد كفي من دمعهم ما جرى ... وما جرى من نيلهم ما كفي

وكانت وفاة النصير الحمامي في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة. وكان شاعرًا جيدًا فمن شعره لنفسه هذه الأبيات مناسبة لصنعته.

وكدرت حمامي بغيبتك التي ... تكدر فيها العيش من كل مشرب
فما كان صدر الحوض منشرحًا بها ... وما كان قلب الماء فيها بطيب

وله أيضًا:

لي منزل معروفة ... ينهل غيثا كالسحب
أقبل ذا العذر به ... وأكرم الجار الجنب

---

(١) انظر المزيد في: النجوم الزاهرة ٨/ ٢٣٢ ــ ٢٧٦، السلوك ٢/ ٤٥ ــ ٧١ ثم ٨٠.

ثـم إن العـوام صـنعوا كلامًـا ملحـنًا وصـاروا يغـنونه فـي الأسـواق وأمـاكن المفترجات، وهو هذا:

سلطـاننا ركين   ونايبـو دقـين
يجينـا المـآ   مـن أيـن
هاتـوا لنا الأعرج   يجى الماء ويدحرج

وكـان سـلار النائـب فـى ذقـنه بعـض شـعرات فـى حـنكه لأنـه كـان خطـاى. وكـان الملـك الناصـر محمـد بـه بعـض عـرج، فـلما فشـى الكـلام فـى ذلـك بلـغ السـلطان الملك المظفـر بيـبرس فقبض عـلى جماعـة مـن العـوام نحـو ثلاثمائـة إنسـان فشـمر منهم جماعة وقطـع ألسـنة جماعـة، وضـرب مـنهم جماعـة بالمقـارع. ثـم إن الملـك المظفـر قـبض عـلى جماعـة مـن الأمـراء والممالـيك السـلطانية فـنفرت مـنه قلـوب الرعـية بسـبب ذلـك وأختار الـناس عـود الملـك الناصـر محمـد مـن الكـرك وكاتـبه الأمـراء والـنواب. وصـار بعـض الممالـيك السـلطانية يتسـحبون مـن القاهـرة إلى الكـرك، وصـار الملـك المظفـر عـين لـتجريدة فيتكاسـل الأمـراء عـن السـفر. فـلما رأى الملـك المظفـر ذلـك أرسـل إلى الملـك الناصر محمـد الأمـير عـلاء الديـن مغلطـاى المسـعودى والأمـير قطلوبغـا وأرسـل معهمـا كـتابًا إلى الملـك الناصـر محمـد مضـمونه إن لم تنـته وتـرجع عـن مكاتـبك إلى الأمـراء وترسـل مـا عـندك مـن الأمـوال والخـيول والممالـيك وإلا جـرى علـيك كمـا جـرى عـلى أولاد الملـك الظاهـر بيـبرس البـندقدارى ونفـيهم إلى القسـطنطينية ووعـده فـى الكـتاب بكـل سـوء، فـلما وصـل الكـتاب إلى الملـك الناصـر بهـذا المعـنى، اشـتد غضـبه وقـبض عـلى الأميريـن اللذيـن أرسـلهما إلـيه الملـك المظفـر واعتقـلهما بعـد أن ضـربهما ضـربًا شـديدًا، وأرسـل كاتـب الـنواب وهـم نائـب حلـب ونائـب طرابلس ونائـب صـفد ونائـب حمـاه وهـو يقـول لهـم "لمـا اشـتد عـلى الضـنك والحجـر، خرجـت مـن مصـر وتركت لهم الملـك، وأقمـت بالكـرك ورضـيت بأحقـر الأمـاكن، وأضـيق المسـاكن ليسـتريح خاطـرى فمـا يترجعـوا عـنى، [ق ٤٠ب] وصـرح لهـم بمـا فـى كـتاب المظفـر بيـبرس مـن الـتهديد لـه، ثـم قـال للـنواب فـى مكاتـباته، وأنـتم تعـلمون مـا لوالـدى علـيكم مـن حـق التربـية والعـتق، ومـا أظـنكم ترضـون لى بهـذا الحـال. فأمـا أنكـم تكفونـى عـنى هـؤلاء المتعصبين على وإلا أنا التجئ إلى بلاد التتار وهو خير لى من أن التجئ إلى بلاد الفرنج.

فلما وصلت كتب الناصر محمد إلى النواب أخذتهم الحمية إلى ابن أستاذهم وأجابوا كلهم بالسمع والطاعة إلى الناصر محمد بن أستاذهم وعرفوه أنهم طوع يديه، ومتى أراد الحركة إلى مصر بادروا إليه.

فلما جاءت إلى الناصر مكاتبات النواب بهذا المعنى. فحرك من الكرك طالبًا للديار المصرية فسار إلى أن نزل على المرج الأبيض. فأرسل أقوش الأفرم نائب دمشق بعلم المظفر بيبرس وكان من عصبيته بأن الملك الناصر تحرك طالبًا نحو الديار المصرية وطاعه سائر النواب. وقد وصل إلى دمشق فانظر ماذا يصنع فى هذا الأمر. فلما بلغ المظفر بيبرس عين تجريدة، وأنفق عليهم. ثم جاءت الأخبار بأن الملك الناصر دخل إلى الشام وملكها وصلى بها الجمعة وخطب فيها باسمه. ودخل نائب الشام تحت طاعته.

ثم جاءت الأخبار بأن الناصر خرج من دمشق قاصدًا الديار المصرية فعند ذلك دخل الأمير سلار النائب وجماعة من الأمراء على الملك المظفر بيبرس وقالوا له إن جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية تسحبوا من القاهرة فى الليل وتوجهوا إلى عند الملك الناصر محمد، وقد وصل إلى غزة ومن الرأى أن ترسل إلى الملك الناصر تسأل عن مكان تتوجه إليه أنت وعيالك فلعله يجيبك إلى ذلك ومتى لم يبادر إلى ذلك دهمتك العساكر وتؤخذ كرهًا. فقال المظفر ومن يتوجه إلى الناصر بهذه الرسالة، فأشار الأمراء على السلطان بأن الأمير بيبرس الدوادار والأمير بهادر آص.. يتوجها بهذه الرسالة إلى الناصر فعند ذلك خلع الملك المظفر بيبرس نفسه من السلطنة وأرسل الخلع والتمجاه والترس مع الأمير بيبرس الدوادار والأمير بهادر آص إلى عند الناصر محمد وذلك يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رمضان من السنة المذكورة.

ومن غريب الاتفاق أن الساعة التى ركب فيها الملك الناصر محمد من الشام قاصدًا الديار المصرية كانت هى الساعة التى خلع فيها المظفر بيبرس نفسه من السلطنة فكانت كما قيل ساعة سعد. وادام فيها الملك الناصر محمد فى السلطنة إلى أن مات على فراشه كما سيأتى ذكره [ق ٤١أ] فى موضعه.

فلما توجه الأمير بيبرس والأمير بهادر آص إلى عند الملك الناصر محمد فخاف المظفر على نفسه، فدخل إلى الخزائن السلطانية وأخذ ما قدر عليه من الأموال والتحف، ونزل من القلعة ومعه مماليكه المشتراوات وكانوا نحو سبعمائة مملوك وصحبه من الأمراء بكتوت الفتاح والامير أيدمر الخطيرى والأمير قجماس فنزل من

باب القرافة، وأخذ من الأسطبل السلطانى عدة خيول. فلما بلغ العوام نزوله تجمعوا له ورجموه وسبوه سبًا قبيحًا فأنه كان أفحش فى حقهم وشوش على جماعة منهم كما تقدم.

وكان نزوله من القلعة فى ليلة الأربعاء سادس عشر رمضان فلولا أنه اشغل العامة بنثر الفضة فى الطرقات وإلا كانوا قتلوه لا محالة ولما نزل من القلعة توجه إلى نحو بلاد الصعيد فلما أصبح الصباح رحل من بقى من الأمراء والعسكر طالبين الملك الناصر، ثم إن الأمير سلار احتفظ بالقلعة إلى أن وصل الملك الناصر. هذا ماكان من أمر الملك المظفر بيبرس. وأما ما كان من أمر الملك الناصر[1] فأنه لما خرج إليه الأمير بيبرس الدوادار والأمير بهادر آص تلاقا معه على غرة. فلما أخبراه بخلع المظفر من السلطنة وأنه أرسل يطلب الأمان. وأن السلطان يتنعم عليه بمكان يقيم فيه هو وعياله، وسلموا إلى الملك الناصر التمجاه والترس. فلما سمع الملك الناصر بذلك فرح غاية الفرح وقال : " الحمد لله الذى صان دماء المسلمين" ثم خلع على الأميرين المقدم ذكرهما. وكتب الجواب إلى الملك المظفر بيبرس بالأمان وأرسله صحبة الأمير بيبرس والأمير بهادر آص، وتوجها إلى القاهرة، فوصلا إلى القاهرة فى حادى عشرين شهر رمضان فاخبر الأمير سلار النائب بما وقع من الملك الناصر، فعند ذلك أرسل سلار الأمان الذى كتبه الملك الناصر إلى المظفر بيبرس. فوجده قد تعدى اطفيح وهو قاصد إلى أسوان. ثم إن الملك الناصر وصل إلى بركة الحاج فى سلخ شهر رمضان، فعيد بها عيد الفطر. فخرج إليه الأمير سلار النائب وقبل الأرض بين يديه، فأخلع عليه السلطان خلعة سنية. وأنه على عادته نائب السلطنة. ثم إن السلطان طلع إلى القلعة فى يوم الأربعاء مستهل شوال سنة تسع وسبعمائة. فلما جلس على سرير الملك لبس خلعة السلطنة وباس له الأمراء الأرض بالايوان الأشرفى وذلك فى يوم الخميس ثانى شوال وهذه هى السلطنة الثالثة.

ذكر عود الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة

فلما تم أمره فى السلطنة أخلع على سائر الأمراء وهم الأمير سلار النائب على عادته وأخلع على الأمير قراسنقر [ق ٤١ب] المنصورى واستقر به نائب دمشق عوضًا عن أقوش الأفرم، ورسم للأفرم بأن يقيم فى صرخد. واستقر بالأمير قفجق

---

(١) بياض فى الأصل.

المقدم ذكره نائب حلب، وكان قديمًا حلب أكبر من دمشق. وأخلع على الأمير المسمى بالحاج بهادر حامل الخبر واستقر نائب طرابلس. وأخلع على جماعة من الأمراء. ثم إن سلار النائب بلغه أن السلطان متغير عليه فى الباطن وقام أيامًا ووقف للسلطان واستعفى من النيابة وطلب التوجه إلى الشوبك فأنها كانت جارية فى إقطاعه، فأعطاه السلطان دستورًا بالتوجه إلى الشوبك. وكانت مدة نيابة سلار بالديار المصرية إحدى عشرة سنة. ثم إن السلطان استقر بالأمير بكتمر الجوكندار المنصورى فى نيابة السلطنة بمصر، ثم إن السلطان قبض على جماعة من الأمراء ممن كانوا عليه، وأنعم على جماعة من مماليكه بإقطاعاتهم، هذا ما كان من الملك الناصر. وما كان من أمر الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فأنه أقام بأسوان فوجه إليه السلطان الأمير بيبرس الدوادار وبهادر آص فتلطفا به حتى استخلصا منه الأموال التى أخذها من الخزائن وأخذوا مماليكه الذين كانوا معه وقرروا معه أنه يمضى من على السويس ويتوجه من هناك إلى الكرك. فلما خرج المظفر على أنه يمضى إلى الكرك فأرسل إليه السلطان أسندمر الكرجي ومعه مماليك سلطانية. فقبضوا عليه واحضروه إلى القلعة، فلما مثل بين يدى الملك الناصر فى خلوته وبخه بالكلام وعدد له ما وقع منه من القبائح فى حقه ثم أمر بخنقه بين يديه، فخنق حتى كاد يهلك ثم نفس له وزاد فى سبه ثم خنقه ثانيًا إلى أن مات فى يوم الخميس رابع عشر ذى القعدة من سنة تسع وسبعمائة، ثم سلمه إلى زوجته وأمر بدفنه فى تربة فى القرافة ثم نقل بعد مدة إلى خانقته التى أنشأها بالقرب من خانقاه سعيد السعداء. فكانت مدة سلطنته احد عشر شهرًا وأيامًا. وكان مليح الشكل أبيض اللون أشقر اللحية، وله وقار وهيبة كثير السكون، حسن السيرة، وكان كفئًا للسلطنة.

ثم دخلت سنة عشر وسبعمائة:

فيها: أرسل الملك الناصر للقبض على الأمير سلار النائب من الشوبك وأحضره إلى القاهرة. فلما حضر أودعه فى السجن بالقلعة فلم يلبث فيه إلا قليلاً وأشاعوا موته، فأخرجه من السجن وهو ميت فدفن في ليلة الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى من سنة عشر وسبعمائة، وقيل دفن فى مدرسة الجاولى التى أنشأها عند الكبش وقيل [ق ٤٢أ] إن سلارًا لما سجن بعث إليه السلطان طعامًا فأبى أن يأكل منه وأظهر الحنق فلما بلغ ذلك السلطان فأمر بألا يعود يحضر له طعام ما دام فى

السجن، فأقام أيامًا لم يأكل ولم يشرب. فقيل إنه جاع حتى أكل اخفافه وهو فى السجن. وقيل أنهم قالوا له قد رضى عنك السلطان فعلم ومشى خطوات ثم وقع ميتًا. وكان سلار لطيفًا فى لبسه، أقترح أشياء كثيرة فى الملبس وهى منسوبة إليه إلى الآن هى السلارى والمناديل السلارية وأشياء فى آلة الحرب منسوبة إليه إلى الآن.

وكان أميرًا مليئًا غنيًا فى سعة من المال والقماش وغير ذلك. ولما مات أحاط السلطان على موجوده.

ذكر ما اشتملت عليه تركة سلار النائب

فالذى ضبط فى أول يوم من ذلك: ياقوت أحمر هرمان رطلان، ومن بلخش رطلان ونصف الرطل. ومن الزمرد الذبانى والرخامى تسعة عشر رطلا. وستة صناديق ضمنها فصوص من الماس وعين الهر، ومن اللؤلؤ الكبار ما بين مثقال إلى درهم ألف ومائة وخمسين حبة. ومن الذهب العين خمسة وخمسون ألف دينار ومن الفضة أربعمائة وواحد وسبعون ألف درهم. فهذا ما ضبط فى أول يوم ثم فى ثانى يوم من الفصوص المختلفة الألوان رطلان. ومن الذهب العين خمسة وخمسون ألف دينار. ومن الفضة ألف ألف درهم. ومن الفضيات ما بين أطباق وطشوت وطاسات وأهوان ستة قناطير، وهذا ما ضبط فى ثانى يوم. ثم فى ثالث يوم من الذهب: العين خمسة وأربعون ألف دينار ومن الفضة ثلاثمائة ألف وثلاثون ألف درهم. ومن القطريات وحلقات الصناجق الفضة ثلاثة قناطير. وأما ما ضبط فى رابع يوم فمن الذهب العين ألف ألف دينار ومن الفضة ثلاثمائة ألف درهم، ومن القماش أقبية بفروقاقم ثلاثمائة قباء، ومن الأقبياء الحرير الملون المفر بالسنجاب أربعمائة قباء، ومن السروج الذهب بمياتر زركش مائة سرج. ووجد له عند صهره الأمير موسى ثمانية صناديق لم يعلم ما فيها، فحملت إلى الخزائن الشريفة، ووجد عنده من التفاصيل الطرد وحسن وعمل الدار ألف تفصيلة. ووجد عنده من الخام ستة عشرة نوبة، ووجد عنده من الخلع الملونة ثلاثمائة خلعة. وجد عنده مثل القبة وهى خركاة كسوتها أطلس أحمر مرقومة بالذهب، ودل مملوكه على مكان فى داره مبنى فوجد فيه أكياسًا فيها ذهب ما علم عدتها. ووجد فى مكان أخر مخبأة فيها ذهب عين سكب بعين أكياس ووجد له من الخيول خمسمائة فرس.

ومن البغال مائة وعشرون قطارًا ومن الجمال مثل ذلك. ووجد له من الغلال فى الحواصل ثلاثمائة ألف أردب. ومع هذا [ق ٤٢ب] مات بالجوع.

ووصل صحبته من الشوبك ذهب عين خمسين ألف دينار. ومن الفضة أربعمائة ألف وسبعين ألف درهم. وهذا كله خارجً عما وجد له من الأملاك والضياع والمماليك والعبيد والجوارى والخدام وغير ذلك. ووجد له من الأغنام والأبقار ما لا يحصى لكثرته. وقيل كانت أجرة أملاكه ومستأجرته وضياعه فى كل يوم مائة ألف درهم. ما أقول كانت نيابة سلار بالديار المصرية إحدى عشرة سنة فهل جمع هذه الأموال العظيمة فى هذه المدة اليسيرة. فأما أنه ظفر بكنز أوضح معه عمل الكيمياء، وإما أنه أخذ هذه الأموال من الخزائن السلطانية لما توجه الملك الناصر إلى الكرك فإن هذا الذى ذكر عنده يعجز عنه خزائن الملك والخلفاء. فكان كما قيل فى المعنى:

اجمع وأنت من الدنيا على حذر ... واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
واعلم بأنك ما قدمت من عمل ... محصى عليك وما خلفت موروث

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وسبعمائة:

فيها: خطب للسلطان الملك الناصر محمد فى بلاد المغرب بمدينة إفريقية، وسبب ذلك أبا يحيى للحيانى صاحب إفريقية قدم على السلطان الملك الناصر والتزم له إذا أرسل معه عسكرًا وفتح مدينة طرابلس الغرب أقام نفسه نائبًا فيها عن السلطان الملك الناصر، فعين السلطان معه بتجريدة إلى بلاد الغرب فتسامعت به العربان البحيرة فتوجهوا معه إلى الغرب، فلما بلغ صاحب تونس مجئ عسكر السلطان خلع نفسه من الملك وبايع أبا يحيى المذكورة.

فلما وصل أبا يحيى إلى تونس فوجد أمره قد استقام فتظاهر بشعار السلطنة، ودخل إلى تونس والصناجق السلطانية على رأسه وقد تمكن من إفريقية وغيرها من بلاد الغرب. فخطب باسم السلطان الملك الناصر محمد فى أقليم الغرب كما قرره معه وذلك فى شهر رجب سنة إحدى عشرة وسبعمائة.

وفى هذه السنة: قبض السلطان على الأمير كراى نائب الشام وعلى الأمير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة بالديار المصرية. ثم أعاد الأمير أقوش الأفرم إلى نيابة دمشق كما كان فلما سمع الأمير قراسنقر نائب الشام لمجئ الأمير أقوش الأفرم هرب إلى بلاد التتار.

ثم دخلت سنة اثنتا عشرة وسبعمائة:

فيها: حضر ملك النوبة إلى الأبواب الشريفة ومعه تقادم كثيرة منها ألف رأس رقيق وغير ذلك [ق ٤٣ أ]من جمال وأبقار خيسية، ثم إن السلطان أخلع على الأمير أرغون الدوادار الناصرى واستقر به نائب السلطنة عوضًا عن الأمير بكتمر الجوكندار.

وفيها: قبض السلطان على نائب الشام أقوش الأفرم واستقر بالأمير تنكز الحسامى نائب الشام، وجعل الشام أكبر من حلب وكان قديمًا نيابة حلب أكبر من نيابة الشام.

وفى هذه السنة: ابتدأ السلطان الملك الناصر لعمارة الجامع الجديد الذى فى موردة الحلفاء على بحر النيل وأمر بعمارة الميدان الذى تحت القلعة. وأمر بعمارة الميدان الكبير الذى عند موردة الحبش وأنشأ به القصر العظيم.

وفيها: توجه السلطان إلى نحو البلاد الشامية بسبب حركة التتار وجعل ايتمش المحمدى نائب الغيبة.

فلما وصل السلطان إلى غزة جاءت الأخبار بأن التتار لما بلغهم مجئ السلطان رحلوا عن قلعة الرحبة وأن نائب الرحبة كسرهم كسرة قوية وكان ذلك فى سادس شهر رمضان من السنة المذكورة، فلما بلغ السلطان بأن التتار رحلوا فتنى عزمه إلى سفر الحجاز الشريف وتوجه من هناك إلى الحجاز وسميت هذه الغزوة "الكذابة" فأقام جماعة من الأمراء مع العسكر بدمشق، وتوجه السلطان إلى الحجاز فقضى فرضه وهذه الحجة الأولى.

فلما رجع من الحجاز توجه إلى دمشق فأقام بها خمسة عشر يومًا ثم توجه منها إلى القاهرة فدخلها فى ثالث عشر صفر سنة ثلاثة عشرة وسبعمائة وكان يوم دخوله إلى القاهرة يومًا مشهودًا وزينت له.

وفى هذه السنة: خرج السلطان إلى نحو بلاد الصعيد لتمهيد البلاد، فأن أقليم الصعيد كان قد فسد من نفاق العربان فمهد البلاد ورجع إلى القاهرة.

وفى هذه السنة: شرع السلطان فى عمل روك البلاد الشامية وأرسلوا المثالات والمناشير لنائب الشام أرغون الناصرى ففرقها على أمراء دمشق والمقطعين.

ثم دخلت سنة أربعة عشرة وسبعمائة:

فيها: أمر السلطان بعمارة القصر الكبير الأبلق والقصرين اللذين يليانه. وقيل إنه أكمل عمارتها فى عشرة أشهر، وهى عبارة عن ثلاثة قصور متداخلة فى بعضها. ولما كمل القصر الكبير عزم السلطان فيه على الأمراء ومد لهم مدة عظيمة وملأ الفسقية التى فيه سكراً بماء وليمون. وقيل إنه فرق فى ذلك اليوم من الخلع ألفين وخمسمائة خلعة ما بين تشاريف واقيبة على الأمراء والبناءين وغيرهم.

ثم دخلت سنة خمسة عشرة وسبعمائة:

فيها: جرد السلطان العساكر إلى ملطية فحاصروها حتى طلب أهلها الأمان وفتحوا أبواب البلد، فدخل إليها العسكر [ق ٤٣ ب] وسبوا من بها النساء ونهبوا الأموال وما فيها من القماش، ورجعوا إلى القاهرة وهم فى غاية النصرة .

ثم دخلت سنة ستة عشرة وسبعمائة :

فيها: جرد السلطان العساكر إلى صحراء عيذاب بسبب فساد العربان، فخرج إليهم ستة أمراء مقدمين ألوف ومماليك سلطانية فبلغوا إلى بلاد البجة وما فوقها، ورجعوا إلى القاهرة سالمين.

وفى هذه السنة: كانت وفاة الشيخ علاء الدين الوداعى الكندى الشاعر، وكان مولده فى سنة أربعين وستمائة، فكانت مدة حياته ستة وسبعين، وكان له شعر جيد فى باب التورية حتى تطفل على موائد شعره الشيخ جمال الدين بن نباته وضمن فيها أشياء كثيرة، ومن شعره.

لقد سمح الزمان لنا بيوم   غدا فيه السمى مع المسمى
تجمعنا كأنا ضرب خيط   علىّ فى على فى على

ثم دخلت سنة سبعة عشرة وسبعمائة:

فيها: جرد السلطان العساكر إلى نحو مدينة آمد فملكها العسكر على حين غفلة من أهلها.

وفى هذه السنة: توجه السلطان لزيارة بيت المقدس فزاره وزار قبر الخليل عليه السلام.

وفى هذه السنة زاد النيل المبارك وأوفا فى تاسع عشر أبيب لم يعرف بمثل ذلك فى الجاهلية ولا فى الإسلام .

وفى هذه السنة : أمر السلطان توسيع جامع القلعة فهدمه وعمره على ما هو عليه الآن، وقيل انتهى منه العمل فى أربعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً .

ثم دخلت سنة ثمانٍ عشرة وسبعمائة:

فيها : أمر السلطان بإجراء ماء النيل إلى قلعة الجبل وعمل قناطر تحت المجراة بسواقى نقالة .

وفى هذه السنة : حج السلطان وهى الحجة الثانية فتلقاه الأمير محمد بن صاحب الهند بهدايا جليلة فقبلها منه السلطان . ولما قضى حجه وزار قبر النبى صلى الله عليه وسلم توجه إلى القاهرة .

وفى سنة تسع عشرة وسبعمائة:

فيها : حجت خوند أم أنوك زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فخرجت فى تجمل زائد ومعها العصائب السلطانية والكوبات، ولم يسافر أحد قبلها من نساء الملوك على هذا النظام، وخرجت من القاهرة فى ثامن شهر شوال. ولما رجعت من الحجاز تلقاها السلطان من بركة الحاج، ودخلت إلى القاهرة فى عاشر المحرم، وكان يوم دخولها يوماً مشهوداً .

ثم دخلت سنة عشرون وسبعمائة:

فيها : أمر السلطان بعمارة الميدان الصغير الذى بالقرب من قناطر السباع [ق ٤٤ أ] وجعله برسم المهارة.

وفى هذه السنة : قبض السلطان على القاضى كريم الدين ناظر الخواص الشريفة.

وكان قد رقى فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون كما رقى جعفر البرمكى فى أيام هارون الرشيد ، وصار كريم الدين ينعم على الأمراء بالعطاء الجزيل والخلع السنية، وصار الأمراء فى خدمته ونزلوا معه إلى بيته فى كل يوم ، فوشى به عند السلطان فقبض عليه وعلى ولده وعاقبهما واستعضى أموالهما ثم نفاهما إلى أسوان ورسم بأن يسجن القاضى كريم

الديـن ويقيد ويلبس جبة على جسده. فلما ضاق عليه الأمر عمد إلى خشبة وعمل فيها حبلاً وجعله فى عنقه وشنق نفسه وهو فى السجن مات، ودفن هناك فكان كما قيل فى المعنى:

احـــذر معاشرة الملوك ولا تكن   ما عشت بالتقريب منهم واثقا
فالغيث غوثك إن ظمئت وربما   ترمى بوارقــه إليك صواعقـــا

ومما يحكى عن كريم الدين هذا أنه شرب يوماً دواء، فجمع كل ورد بالقاهرة ففرشه فى داره حتى على كراسى بيت الخلاء، وداس الناس منه ما داسوا وأخذوا منه ما أخذوا. ثم إن الغلمان والعبيد أخذوا منه ما فضل فباعوه بثلاثة آلاف درهم وهذه الحكاية من بعض وقائعه الحسنة وفيه يقول ابن نباتة المصرى .

يا كريم قد وافق الاسم بالفعل   وانسى فى الفضل كل قديم
لا لحظ نبـوة الحـوادث فالله   كـريم يحـــب كـــل كريم

وقيل: إن الملك الناصر محمد بن قلاوون قبل أن يعمر الخانقاه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وأشار عليه فى المنام بأن يبنى هناك هذه الخانقاه فى هذا المكان سرياقوس وأشار عليه أن يجعل شيخ الخانقاه مجد الدين كما رأى فى المنام

ثم دخلت سنة إحدى وعشرون وسبعمائة:

فيها: ابتداء الملك الناصر عمارة الخانقاه المباركة بسرياقوس فلما كملت عمارتها توجه السلطان إلى هناك وعمل وليمة عظيمة، وحضر فيها القضاة الأربعة وأعيان الناس ومشايخ الصوفية، ثم إن السلطان رتب بالخانقاه صوفية وجعل الشيخ مجد الدين الأقصرائى شيخ الخانقاه، ورتب فيها الحضور من بعد العصر، ثم تزايدت فى العمارة حتى صارت مدينة مستقلة ورغب أكثر الناس فى سكانها إلى الآن فى عصرنا. وكان سببها ما تقدم ذكره من رؤية النبى صلى الله عليه وسلم [ق ٤٤ ب] فى المنام.

وفى سنة أربع وعشرون وسبعمائة:

فيها: أمر السلطان الملك الناصر محمد بحفر الخليج الناصرى من عند موردة الجبس إلى القنطرة الجديدة، ووزع حفره على الأمراء بالقصبة الحاكمية وذلك بمقتضى إقطاعاتهم التى تروى من هذا الخليج، فاحتفلوا به كل الاحتفال وحفروه حتى تبع الماء من أرضه وانجز العمل منه فى مدة شهرين.

ثم دخلت سنة خمس وعشرون وسبعمائة:

وفيها: أمر السلطان ببناء القناطر على الخليج الناصرى فعمر قنطرة بظاهر باب اللوق تعرف الآن بقنطرة قدبدار، وعمر قنطرة بظاهر باب البحر وعمر قنطرة على فم الخليج عند الميدان الكبير بمورده الجبس وعمر قنطرة عند بركة قرموط تعرف الآن بالقنطرة العشرا، وعمر قنطرة الحاجب بأرض الطبالة، وعمر القنطرة التى تعرف بالجديدة بالقرب من جامع الظاهر بيبرس.

ثم دخلت سنة ست وعشرون وسبعمائة:

فيها: أمر السلطان بإبطال الضرب بالمقارع من سائر أعمال مملكته، وكتب بذلك مراسيم شريفة إلى سائر الآفاق. فبطل ذلك فى أيامه.

ثم دخلت سنة سبع وعشرون وسبعمائة:

فيها: أخلع على الأمير قطلوبغا الفخرى واستقر نائب دمشق.

وفى هذه السنة: خلع على القاضى محيى الدين بن فضل الله واستقر كاتب السر الشريف بالديار المصرية، وكان قبل ذلك كاتب السر بدمشق.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرون وسبعمائة:

فيها: أنشأ السلطان الملك الناصر القصر الذى بالميدان الكبير وحفر البركة الناصرية المنسوبة إليه.

وفى سنة تسع وعشرين وسبعمائة:

فيها: توجه ولد السلطان الملك الناصر إلى الكرك وقام بها وهو ولده المقام الشرفائى أحمد، فاستمر بالكرك إلى أن عاد منها وهو سلطان كما قد سيأتى ذكره فى موضعه.

ثم دخلت سنة ثلاثون وسبعمائة:

فيها: حج السلطان وهى الحجة الثالثة فخرج من القاهرة فى سابع عشر شوال وصحبته الملك الأفضل صاحب حماه. فلما خرج من القاهرة توجه إلى خانقاه سرياقوس فأقام بها أربعة أيام، ثم رحل منها إلى العقبة، وتوجه إلى الحجاز من هناك. فكانت مدة غيبته إلى أن عاد أربعة وخمسين يوماً. ولما قدم إلى الديار المصرية حضر إلى الأبواب الشريفة المقر السيفى تنكز نائب الشام ومعه تقادم عظيمة فنزل بالميدان الكبير.

وفـى هـذه السـنة : أمـر السلطان الملك الناصر محمد بهدم الإيوان الأشرفى ودور الحرم وعمـر هـذا الإيـوان الموجـود الآن وقاعـة الأعمـدة ومـا حولهـا. ولـما حج السلطان فى السنة المذكـورة [ق ٤٥ أ] أعـلاه جدد باباً للكعبة الشريفة وهو من الخشب السنط الأحمر وعمل علـيه الصـفائح الفضـة، فكـان وزنها ثلاثين ألف درهم. ولما قلع الباب العتيق وزنوا ما كان علـيه مـن الفضة فكان زنتها ستين رطلاً، فأنعم بها على بنى شيبة فتقاسموها. وهذا الباب كان عمله الخليفة المقتفى بالله فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة .

ولـما حـج السـلطان كـان بصـحبته الأتابكى بكتمر الساقى وولده الأمير أحمد. فلما حج السـلطان ورجـع مـرض الأتـابكى بكتمر فى أثناء الطريق. فلما وصل إلى عيون القصب مات هـناك ودفـن بهـا فى ثانى المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، ومرض ولده الأمير أحمد أيضاً ومات ودفن بها ثم نقلا من بعد ذلك إلى تربتهما بالقرافة الصغرى.

وكـان الأتـابكى بكتمر أصله من مماليك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير، فلما قبض عليه السـلطان الملـك الناصـر أخـذ بكـتمر مـع جملة ما أخذ من موجوده فجعله ساقيا ثم عظمت مكانـة بكـتمر عـند الناصر حتى زوجه بأخته. وكان ينزل فى بعض الأحيان إلى بيت بكتمر وينام عنده وينفرد بنفسه ، وكان إذا قدم للسلطان شىء فيقدموا لبكتمر مثله أو أحسن منه. ومـازال يترقـى حـتى بقى أتابك العسكر بالديار المصرية وصار صاحب الحل والعقد وكبرت أموالـه حـتى قـيل كـان فـى اسطبله مائة اسطبل لمائة سايس. وتحت يد كل سـايس طوالة خـيل من الخيول الخاصة، وخلف من الأموال والجواهر والتحف ما لا يحصى للتربة. قيل ولما مات بكتمر أنعم السلطان بزردخانه على الأمير قوصون فقومت بستمائة ألف دينار.

ولـما مـات بكتمر ترقى من بعده قوصون وعظم أمره. وقيل وقع بين بكتمر وقوصون كلام فـى تشـاجر، فقـال قوصـون لبكـتمر " أنـا ما نقلت من الأطباق إلى الاسطبلات، بل أخذنى السـلطان مـن تاجـر وأنعـم على بإقطاع شخص من المماليك" توفى فى ذلك اليوم فنزلت فى بيـته وأخـذت بركه وقماشـه وصرت خاصكياً فى ذلك اليوم، قيل إن قوصون كان فى خدمة بعـض الـتجار فـرآه الملـك الناصر محمد بن قلاوون ، فقال للتاجر بيعنى هذا المملوك؟ فقال التاجر: هذا ما هو مملوك بل هو حر. فقال السلطان: لابد من مشتراه. فقيل إنه عوضه فيه بأشـياء كـثيرة واشـتراه منه وأعتقه. وترقى فى أيام الناصر محمد حتى زوجه إحدى بناته. قـيل إن الأمـير بكـتمر كـان يحجـر عـلى الملك الناصر ويمنعه من الظلم وأخذ أموال الناس.

وكـان الناصـر لا يخـالف بكـتمر فـى شـيء فـلما نقـل أمره [ق ٤٥ ب] على الناصر صار يخشـى مـنه. فـلما حج السلطان وهى الحجة الثالثة وكان معه الأتابكى بكتمر وولده الأمير أحمـد ، فتكـلم الـناس فـى حقـه وأوحـوا للسلطان أن بكتمر قصده بقتل السلطان فى طريق الحجاز ويتسلطن عوضه.

فـلما بلغ السلطان ذلك دس على بكتمر من أسقاه سما وهو راجع من الحجاز فمات فى عـيون القصـب وولـده فـى نخـل كمـا تقـدم . وقيل إن السلطان وجد مع بكتمر لما مات فى طـريق الحجـاز خمسـمائة تشـريف عـلى سائر الأصناف ووجد معه عدة قيود وجنازير فعند ذلك تحقق السلطان بحجة ما نقل له عنه، والله أعلم بذلك .

وكـان بكتمر الأتابكى من أحسن الناس شكلاً وله آثار ومعروف، فمن ذلك أنشأ بالقرافة الصـغرى خانقـاه وجعـل فـيها حمامـاً وفـرناً وطاحوناً وقرر فيها حضوراً وصوفه وجعل بها أوقافـاً كـثيرة ووقـف بهـا ربعـة مكتوبة كلها بالذهب وهى موجودة إلى الآن وعمر دار وكالة وأرباع وله بمصر والشام آثار كثيرة .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثون وسبعمائة:

فـيها: بـرزت المراسـيم الشـريفة لنائـب الشـام ونائـب حلـب بـأخذ العسـاكر الشـامية والحلبـية ويـتوجهون إلى مديـنة سـيس ويكبسـوها عـلى حـين غفلـة مـن أهـلها، فـتوجهوا إلـيها وكبسـوها فـى سـابع وعشـرين شـهر رمضـان مـن السـنة المذكـورة، فنهبوا مـا فـيها وأحـرقوا ضـياعها وأسـروا مـن بهـا مـن الأرمـن، وكـانوا نحـو ثلاثمائـة إنسـان، فـلما بلـغ بقـية الأرمـن ذلـك فـثاروا عـلى مـن فـى قلعـة اياس من المسلمين وقبضوا عليهم وحشـروهم فـى خـان هـناك، وأحـرقوهم فـى يـوم عـيد الـنحر وكـانوا نحـو ألفـى إنسـان فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وفى سنة ست وثلاثين وسبعمائة:

فـيها: رسـم السـلطان للخلـيفة المسـتكفى بـالله أبى الربيع سليمان بأن يسكن فى قلعة الجـبل، ومـنعه مـن الاجـتماع بالـناس، ثم نفاه من بعد ذلك إلى قوص، وقد تقدم ذلك فى أخبار الخلفاء.

وفى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة:

فيها: توفى الخليفة المستكفى بالله فى مدينة قوص وعهده إلى ولده أحمد فلم يمض السلطان عهده لما كان فى نفسه منه. وقد كتب عهده على قاضى قوص بشهادة أربعين عدلاً.

وكان سبب تغير خاطر السلطان الملك الناصر على الخليفة أبى الربيع سليمان قيل رفع للملك الناصر قصة عليها خط الخليفة المذكور بأن يحضر الناصر محمد بن قلاوون إلى مجلس الشرع الشريف، فشق ذلك على السلطان وبقى فى خاطره منه حتى نفاه إلى قوص، ولم يمش على عهده لولده أحمد، وأقامت مصر بلا خليفة أربعة أشهر والسلطان مصمم على عدم ولاية أحمد ابن المستكفى ثم إن السلطان ولى إبراهيم بن [ق ٤٦ أ] الخليفة الحاكم أخو المستكفى، وكان قبيح السيرة .

قال الشيخ شهاب الدين بن حجر فى تاريخه:

لما تولى الخليفة إبراهيم تلقب بالواثق بالله فكانت العامة تسميه المستعطى بالله لقذارة نفسه وسوء تدبيره .

وفى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة:

فيها: ظهرت بالقاهرة امرأة تسمى الخناقة فكانت تحتال على النساء والأطفال وتخنقهم وتأخذ ثيابهم. فشاع أمرها بين الناس فاحتالوا عليها حتى مسكوها وشنقوها على باب زويلة.

وفى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة:

فيها : قبض السلطان على ناظر الخواص الشريفة المسمى بالنشو وسلمه إلى الأمير بشتاك الناصرى فاستصفى أمواله وعاقبه إلى أن مات تحت الضرب.

وفى سنة أربعين وسبعمائة:

فيها توفى سيدى أنوك بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان أعز أولاده عنده. وكان له من العمر نحو عشرين سنة فتأسف عليه والده الملك الناصر غاية الأسف، وفى ذلك يقول الصلاح الصفدى.

مضيت وكنت للدنيا جمالا وجرعت النجوم الزهر فقدك
ومن عجب الليالى فيك أن لا يموت أبوك يا أنوك بعدك

وفيها : قبض السلطان على المقر السيفى تنكز الحسامى نائب الشام، وكان أصله من مماليك الملك المنصور لاجين وقد أقام فى نيابة الشام ثمانية وعشرين سنة. وكان ديناً خيراً عفيف اليد والفرج، وله بر ومعروف وآثار كثيرة بالشام وبمصر، وكانت الملوك تهابه وتعظمه وكان السلطان الملك الناصر لا يفعل شيئاً حتى يرسل تشاور فيه تنكز، وكان رأيه شديدًا لكنه كان صعب الخلق إذا غضب على أحد لم يرض عليه أبداً فوقع بينه وبين السلطان فى أمر طارئ. فأرسل إليه السلطان الأمير طاجار. الدوادار الكبير ، فلما وصل إلى دمشق فقال للأمير تنكز: السلطان يسلم عليك ويقول لك احضر إلى القاهرة أنت وولدك حتى يزوجه السلطان بابنته . فتخيل تنكز من ذلك ، فقال لطاجار: امض أنت وأنا آتى بعدك فى أوائل الشهر. فلما حضر طاجار إلى عند السلطان : أوحى له عن تنكز ما بغير خاطره عليه بالكلية . وكان بين طاجار الدوادار وبين تنكز حظ نفس فما أبقى ممكن فى حق تنكز، ولو أن تنكز حضر صحبة طاجار لكان خيراً له، فعند ذلك عين السلطان الأمير بشتاك ومعه خمسمائة مملوك وأرسل إلى طشتمر حمص احضر نائب صفد يلاقيه من هناك، فلما وصلوا إلى دمشق قبضوا على تنكز وذلك فى ثالث ذى الحجة من سنة أربعين وسبعمائة، ولما مسك تنكز أحاطوا على موجوده [ق ٤٦ ب] فالذى وصل صحبة الأمير بشتاك من الذهب الفين ثلاثمائة ألف دينار وستين ألف دينار، ومن الفضة النقرة ألف ألف درهم. ومن الحوايص الذهب والطرز الذهب فأشياء كثيرة ومن الكنابيش الزركش أشياء كثيرة ووجد عنده البلخش والياقوت واللؤلؤ الكبار صندوقين كبار، ومن البرك والقماش ثمانمائة جمل، وذلك غيرها وجد له من المماليك والخدام والعبيد والجوارى. ووجد له فى عزه حاصل فيه أربعين ألف دينار وألف ألف ومائة درهم. وبذلك خارجاً عن الأملاك والضياع. فلما وصل المقر السيفى تنكز إلى القاهرة فأرسله السلطان إلى السجن بثغر الإسكندرية فأقام فى السجن مدة شهر ، ثم إن السلطان أرسل مقدم الدولة إبراهيم بن صابر فخنقه فى السجن ودفن هناك، فكان كما يقال " ثلاثة لا يؤمن إليهم: المال إن كثر. والملوك إن قربوا ، والمرأة وإن طالت صحبتها" وكان تنكز أسمر اللون خفيف اللحية . طويل القامة حسن الشكل. ولم يسمع بأن نائباً أقام فى ولاية واحدة مثله. ولما مات

بالإسكندرية دفن هناك، ثم بعد مدة نقل من هناك إلى دمشق ودفن فى تربته التى أنشأها فى دمشق وذلك فى سنة أربع وأربعين وسبعمائة . وفى ذلك يقول الصلاح الصفدى.

إلى دمشق نقلوا تنكزا   فيالها من آية ظاهرة
فى جنة الدنيا له جثة   وروحه فى جنة الآخرة

وقوله فيه أيضاً

فى نقل تنكز سر   أراده الله ربه
أتى به نحو أرض   يحبها وتحبه

ثم دخلت سنة إحدى وأربعون وسبعمائة:

فيها: تزايدت عظمة الملك الناصر محمد وكثرت مماليكه حتى صار راتبه من اللحم فى كل يوم ستة وثلاثين ألف رطل، وبالغ فى مشترى المماليك، وهو أول من أخذ الشاش والقماش للعسكر والأقبية المفتوحة، وهو أول من رتب المواكب فى القصر على هذا الترتيب الحسن، ورتب وقوف الأمراء فى المواكب على قدر منازلهم، وكذلك أرباب الوظائف من المتعممين، وقد طالت أيامه فى السلطنة بخلاف من تقدمه من الملوك وصفا له الوقت وصار أكثر الأمراء والنواب مماليكاً ولا يعلم لأحد من الملوك آثار مثله ومثل مماليكه حتى أنه تزايدت فى أيامه الديار المصرية والبلاد الشامية من العمائر مقدار نصفها من جوامع وقناطر وجسور وغير ذلك .

قال سيف الدين أبو بكر بن أسد فى تاريخه: وقفت فى التواريخ على سير الملوك المتقدمة فما رأيت لأحد [ق ٤٧ أ] من الملوك. ما أنفق للناصر محمد بن قلاوون فإنه خطب له فى أماكن لم يخطب فيها لأحد من الملوك قبله وكاتبه سائر ملوك الأرض من مسلم وكافر وهادوه وهابوه وخشوا من سطوته، وهذا لم تنفق لغيره من الملوك. وكان مسعودًا فى حركاته محبباً للناس وفيه يقول الصفى الحلى من قصيدة.

الناصر السلطان قد خضعت له   كل الملوك مشارقا ومغاربا
ملك يرى تعب المكارم راحة   ويعد راحات الفراغ متاعبا
يرجى مكارمه ويخشى بطشه   مثل الزمان مسالماً ومحارباً
فإذا سطا ملا القلوب مهابة   وإذا سخا ملا العيون مواهبا

فمازال منقبضاً على تخت مملكته حتى مرض ومات على فراشه فى ليلة الخميس العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة . ومات وله من العمر نحو ثمانية وخمسين سنة، ودفن فى يوم الخميس على والده قلاوون فى القبة التى أنشأها والده بين القصرين فكثر عليه الأسف والحزن لزوال ملكه بعد نيابة هذه المدة الطويلة كما قيل فى المعنى لبعضهم:

حكم المنية فى البرية جارى ما هذه الدنيا بدار قرار
ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار
طبعت على كدر وأنت تريدها صفوا من الأقدار والأكدار
ليس الزمان وإن حرصت مسالما طبع الزمان عداوة الأحرار
وإذا رجوت المستحيل فإنما تبنى الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سار

فكانت مدة سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون بالديار المصرية والبلاد الشامية ثلاثة وأربعين سنة وأحد عشر شهراً بما فيها من سلطنة العادل كتبغا وهى سنتان إلا عشرة أيام. وسلطنة المنصور لاجين كانت سنتين وشهرين وأيام سلطنة المظفر بيبرس الجاشنكير أحد عشر شهراً وأيامًا ، فهذه من الفترة فى سلطنته، فكانت سلطنته الأولى والثانية والثالثة دون الفتن بينها نحو أربعة وأربعين سنة إلا شهراً . ولما مات خلف من الأولاد أحد عشر ولداً. وهم: أبو بكر وأحمد وكجك وشعبان وإسماعيل وحاجى وحسن وصالح فهؤلاء الثمانية تولوا من بعده السلطنة كما سيأتى ذكرهم.

وأما الذين لم يتولوا السلطنة سيدى رمضان وسيدى حسين وسيدى يوسف. وأما الذين ماتوا [ق٤٧ب] فى أيام حياته سيدى إبراهيم وسيدى محمد وسيدى أنوك وسيدى على . فهؤلاء عدة أولاده الذكور، وأما ما جاله من البنات فشىء كثير والله أعلم .

وأما فتوحاته: ملطية وآمد ودارنده وقلعة اياس والبهسنا والمرعش وتل حمدون واسفندكار وكاروا وغير ذلك من المدن والقلاع. وأما نوابه بمصر: كتبغا وسلار وبكتمر الجوكندار وبيبرس الدوادار وأرغون. وأما وزراؤه : سنجر الشجاعى وتاج الدين بن حنا وفخر الدين الخليلى وسنقر الأعسر وآيبك البغدادى وابن عطايا وابن النشائى بدر الدين بن التركمانى وأمين الدين بن الغنام وبكتمر الحاجب ومغلطاى الجمالى ومحمد بن الشيخى.

وأما كتاب سره: القاضي شرف الدين بن فضل الله والقاضي علاء الدين بن الأثير والقاضي محيى الدين بن فضل الله. ثم ولده شهاب الدين بن فضل الله وهو صاحب كتاب "الإنشاء" المعمول به الآن. ثم من بعده القاضي شهاب الدين بن محمود النشائي.

وأما نظار الشافعية: القاضي تقى الدين بن دقيق العيد والقاضي بدر الدين بن جماعة والقاضي جمال الدين الزرعي والقاضي جلال الدين القزويني والقاضي عز الدين بن جماعة.

وأما نظار جيشه: فالقاضي بهاء الدين بن الحلى القاضي وقطب الدين بن شيخ السلامة والقاضي شمس الدين بن التاج والقاضي مكين الدين بن فرويبه والقاضي جمال اكفاه والفخر وأظنه صاحب القنطرة.

وأما نظار خواصه: فالقاضي كريم الدين المقدم ذكره، ثم استقر من بعده في نظارة الخواص الشريفة جماعة كثيرة من المباشرين.

وأما دواداريته: الأمير أيدمر مملوكه والأمير أرغون الناصرى مملوكه والأمير رسلان والأمير الحانى والأمير يوسف بن الأسعد والأمير بغا والأمير طاجار.

وأما ما أبطله في أيامه من وجوه الظلم وهو ضمان المعانى وكان عبارة عن أخذ من مال النساء البغايات وذلك لو خرجت أجل امرأة فى القاهرة بقصد البغا ونزلت اسمها عند امرأة معروفة فى ذلك الزمان..[1] وأقامت بما يلزمها من المبلغ لتعين عليها لما قدر أكثر من فى مصر يمنعها من عمل الفاحشة ولا يزجرها عن ذلك. وكان يتحصل من هذه الجهة مال كبير فأبطل ذلك.

ومما أبطله فى أيامه: وهو ما كان يؤخذ من كل من باع ملكاً عن كل ألف عشرين درهما فأبطل ذلك، وكان يتحصل من هذه الجهة أيضاً مال كبير، وفى الجملة كان خيار أبناء الملوك وأجلهم قدراً وأحسنهم [ق ٤٨ أ] سياسة للرعية وأطولهم مدة، كما قال فى المعنى.

إن أسيافنا القصار الدوامى ... صيرت ملكنا طويل الدوام
نحن قوم لنا سداد أمور ... واصطلام الاعدا من وسط لام
واقتحام الأهوال من وقت حام ... واقتسام الأموال من وقت سام

---

(١) بياض فى الأصل

وهم قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد والشيخ زين الدين الفارقى[1] والشيخ صدر الدين بن الوكيل[2] وكان له شعر جيد. والفزارى[3] والشيخ ضياء الدين الطوسى شارح الحاوى والشيخ شمس الدين السروجى[4] شارح الهداية من كبار الحنفية والتوريزى محدث

---

(١) هـو عمر بن إبراهيم بن مسعود أبو حفص الربعى الفارقى أديب عصره، كتب فى ديوان الإنشاء وخنقه لص فى بيته بالظاهرية (بمصر) طمعاً بماله، كان عارفاً بالتفسير والأصول، له " المقدمة الكبرى" و " المقدمة الصغرى " فى النحو. ولد سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م ومات سنة ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م.

انظر المزيد فى : فوات الوفيات ٢ / ١٠٣ .

(٢) هـو محمد بن عمر بن مكى أبو عبد الله صدر الدين " ابن المرحل" المعروف بابن الوكيل، شاعر من العلماء بالفقه، ولد بدمياط سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م وانتقل مع أبيه إلى دمشق، فنشأ فيها وأقام مدة فى حلب وتوفى بالقاهرة سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٧ م. كانت له ذاكرة عجيبة ، حفظ المقامات الحريرية فى خمسين يوماً وديوان المتنبى فى أسبوع ، ولى مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق سبع سنين . قال ابن حجر : كان لا يقوم بمناظرة ابن تيمية أحد سواه. وصنف " الأشباه والنظائر" فى فقه الشافعية وشرع فى شرح " الأحكام" لعبد الحق ابن الخراط، فكتب منه ثلاثة مجلدات تدل على تبحره فى الحديث والفقه والأصول، وله شعر وموشحات رقيقة جمعها فى ديوان سماه " طراز الدار"

انظر المزيد فى فوات الوفيات ٢ / ٢٥٣، الدرر الكامنة ٤/ ١١٥، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٣٣، المدارس ١/ ٢٧، البداية والنهاية ١٤ / ٨٠ .

(٣) هـو إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزازى أبو إسحاق، برهان الدين بن الفركاح من كبار الشافعية مصرى الأصل من أهل دمشق من بيت علم، عرض عليه قضاء قضاة الشام فأبى، منقطعاً للتدريس والعبادة، وتوفى فى دمشق سنة ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م وكان مولده سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م، له عدة مصنفات منها " تعليق على التنبيه" فى فقه الشافعية و " تعليق على مختصر ابن الحاجب " فى أصول الفقه و " الإعلام بفضائل الشام " وغيرها.

انظر المزيد فى : البداية والنهاية ١٤ / ١٤٦، طبقات السبكى ٦ / ٤٥ ، آداب اللغة ٣ / ٢١٩ .

(٤) هـو أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى أبو العباس شمس الدين ، فقيه حنفى ينعت بقاضى القضاة، ولد سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م أشخص من دمشق إلى مصر، فولى الحكم الشرعى فيها مدة وعزل قبل موته بأيام ومات سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م ودفن بقرب الشافعى.

انظر المزيد فى : البداية والنهاية ١٤/ ٦٠ ، الدرر الكامنة ١ / ٩١.

مكة. والشيخ صفى الدين أبو الثناء محمود بن جبارة شارح الشاطبية والشيخ الزاهد ياقوت العرشى تلميذ أبى العباس المرسى. والشيخ برهان الدين الجعبرى والشيخ فتح الدين بن سيد الناس والقاضى محيى الدين بن فضل الله كاتب السر الشريف والقاضى جلال الدين القزوينى وغيرهم من أكابر العلماء والصلحاء وأعيان الناس لم نذكرهم هنا خوف الإطالة.

١٣ - ذكر سلطنة الملك المنصور سيف الدين أبى بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون (١)

وهو أول من تسلطن من أولاد الناصر محمد، جلس على سرير الملك بعد موت أبيه الناصر فى يوم الخميس حادى عشرين ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. وهو الثالث عشر من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية. تولى الملك بعهد من أبيه ، وكان فى أولاده من هو أكبر منه ولكن الملك الناصر اختار تقديم هذا على إخوته. فلما تم أمره فى السلطنة استقر بالأمير قوصون أتابك العساكر واستقر بالأمير قطز دمر نائب السلطنة، وكان المتكلم فى أمر دولته الأمير طاجار الدوادار فاتفق مع السلطان على مسك الأتابكى قوصون ، فوهج السلطان وأفشى سره لبعض الخاصكية وكان عنده حقه، فنقل ذلك المجلس ممن كان حاضراً عند السلطان لما فشى سره بينهم إلى الأتابكى قوصون وأخبره بما وقع كما قيل.

إذ المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق صدر المرء من سر نفسه ... فصدر الذى يستودع السر أضيق

فما بلغ قوصون ذلك اتفق مع الأمير ايدعمش أمير أخور كبير وجماعة من الأمراء على خلع الملك المنصور أبى بكر. فلما كان يوم الموكب امتنع الأتابكى قوصون [ق ٤٨ ب] عن الحضور إلى الخدمة، فاضطربت الأحوال فى ذلك اليوم. ثم إن قوصون طلع إلى القلعة على حين غفلة وقبض على الملك المنصور وأرسله إلى قوص ومعه أخويه يوسف ورمضان. فكانت مدة سلطنة الملك المنصور أبى بكر ثلاثة أشهر، وخلع فى شهر صفر سنة اثنتين وأربعين [وسبعمائة] . ثم إن قوصون ولى أخاه كجك وقبض على الأمير طاجار الدوادار والأمير بشتاك وأرسلهما إلى السجن بثغر الإسكندرية ، ثم قبض على جماعة من الأمراء غيرهم.

---

(١) انظر المزيد : بدائع الزهور ١ / ١٧٦ ، السلوك ٢ / ٤٦٢ ، البداية والنهاية ١٤ / ١٩٠ - ١٩١ ، النجوم الزاهرة ١٠ / ٣٠ .

وأرسل إلى عبد المؤمن متولى ناحية قوص بأن يقتل الملك المنصور فقتله، وأرسل رأسه إلى قوصون، فكتم موته عن الناس، وهو أول من قتل من أولاد محمد بن قلاوون.

١٤ - ذكر سلطنة الملك الأشرف علاء الدين كجك بن الملك الناصر محمد بن قلاوون(١)

تسلطن بعد أن خلع أخيه الملك المنصور فى يوم الاثنين حادى وعشرين صفر سنة اثنتين وأربعين [وسبعمائة] هو الرابع عشر من ملوك الترك وأولادهم بمصر وهو الثانى من أولاد محمد بن قلاوون تولى الملك وله من العمر نحو تسع سنين. فلما تم أمره فى السلطنة استقر بالأمير قوصون نائب السلطنة أتابك العساكر. وسكن فى دار النيابة وتصرف فى أمور المملكة فحسبما يختاره من ذلك ، وكان إذا حضرت العلامة أخذ قوصون بيد السلطان كجك والعلم فى يده حتى يريه كيف يعلم على المراسيم والمناشير وكان الأمر جميعه بيد قوصون، فاضطربت أحوال الديار المصرية وكثر الخلاف بين الأمراء وتوقفت أحوال الرعية. وفى ذلك يقول بعض الشعراء.

سلطاننا اليوم طفل والأكابر فى ... خلف وبينهم الشيطان قد نزعا
فكيف يطمع من ...(٢) مظلمة ... أن تبلغ الشوك والسلطان ما بلغا

ثم إن الأتابكى قوصون صار فى كل يوم يمسك جماعة من المماليك السلطانية وأرسل إلى الطنبغا نائب الشام يأمره بالقبض على طشتمر حمص احضر نائب حلب وقد بلغ قوصون عن طشتمر أنه يريد أن يحضر بالمقام الشهابى أحمد بن الملك الناصر محمد من الكرك وكان مقيماً بها من حياة والده ، فأرسل قوصون الأمير قطلوبغا الفخرى ومعه جماعة من العسكر إلى حصار المقام الشهابى أحمد بن الناصر. فلما توجه قطلوبغا الفخرى إلى الكرك اتفق هو ونائب حماه ونائب حلب وبقية النواب على أن يولوا المقام الشهابى أحمد بن الناصر. فوقع اتفاقهم على ذلك وتوجهوا إلى دمشق بمن معهم من العسكر ليمسكوا الطنبغا نائب الشام، فأرسل الطنبغا إلى الأمير قطلوبغا يسأله فى الصلح وأنه يكون تحت الطاعة للمقام

---

(١) انظر المزيد فى : بدائع الزهور ١/ ١٧٧، الدرر الكامنة ٣ / ٢٦٥ ، البداية والنهاية ١٤ / ١٩٢ - ١٩٤ ، النجوم الزاهرة ١٠ / ٢١ و ١٢٢.

(٢) بياض فى الأصل . والصواب الأمر.

الشهابى أحمد بن الناصر [ق ٤٩ أ] فلما بلغ قوصون ذلك قصد أن يمسك الأمير ايدعمش أخور كبير. فلما بلغ ايدعمش ذلك ركب هو والأمير أقسنقر والأمير يلبغا اليحياوى وطلعوا إلى تحت القلعة وأحاطوا بها ونادى ايدعمش للعسكر كل من لا تكون عنده فرس يركبه يحضر إلى الإسطبل السلطانى ويأخذ له فرسًا، فطلع إليه العسكر قاطبة، ففرق عليهم الخيول، ووثبوا على قوصون. فلما تحقق قوصون أن الركبة عليه أقام بالقلعة وحصنها. ثم أن الأمير ايدعمش نادى للأعوام بأن ينهبوا بيت قوصون فدخلوا إليه الأعوام وأحرقوا بابه ونهبوا أسطبله وهو ينظر إليهم من شباك طبقته التى فوق الاسطبل السلطانى ، فبقى قوصون يقول: يا مسلمين ما تحققوا هذا المال أما يكون لى أو للسلطان ؟ فقال له الأمير ايدعمش: هذا شكر أنه للأعوام والذى عندك من المال والتحف تكفى السلطان، فصارت الأعوام كل من رواه من مماليك قوصون أمر حاشيته يقتلوه. واستمر الأمر على ذلك إلى وقت الظهر فانكسرت همة قوصون عن القتال ويسحب من كان عنده من الأمراء والمماليك. فهجم عليه الأمير ايدعمش ومسكه وسجنه فى الزردخاناه. فلما مسك قوصون نهب الأعوام خانقاته التى داخل القرافة وجامعه وحواصله، ثم إن ايدعمش صار يمسك الأمر الذى من عصبة قوصون. ثم أرسل قوصون إلى السجن بثغر الإسكندرية وخلع الأشرف كجك من السلطنة وأدخله دور الحرم وأرسل إلى الناصر أحمد ليحضر من الكرك حتى يسلطنوه فخطب باسمه فى القاهرة قبل حضوره من الكرك إلى أن حضر وتولى السلطنة. فكانت مدة الأشرف كجك فى السلطنة إلى أن خلع خمسة أشهر. وأقام فى دور الحرم إلى أن مات فى دولة أخيه الملك الكامل شعبان ومات على فراشه .

١٥ - ذكر سلطنة الملك شهاب الدين أحمد بن الملك الناصر محمد بن قلاوون(١)

وهو الخامس عشر من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية والثالث من أولاد الناصر محمد بن قلاوون، تسلطن بعد خلع أخيه الأشرف كجك فى يوم الاثنين عاشر من شهر شوال سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، فلما جلس على سرير الملك وقع منه أمور لا يقع إلا

---

(١) انظر المزيد فى : بدائع الزهور ١/ ١٧٩ و ١٨٢ ، الدرر الكامنة ١/ ٢٩٤ ، البداية والنهاية ١٤/ ١٩٣ و ٢٠٢ و ٢٠٧ و ٢١٣، النجوم الزاهرة ١٠ / ٥٠.

ممن أصيب فى عقله ، وذلك أنه استقر بالأمير طشتمر حمص أحضر فى نيابة السلطنة بمصر، وكان هو من جملة من تعصب له فى السلطنة. وحضر معه لما أتى من الكرك وكان يومئذ نائب حلب فلما حضر معه استقر به نائب السلطنة بمصر فأقام بها [ق ٤٩ ب] نحو أربعين ومن ثم قبض عليه .

وكان لما قدم إلى الديار المصرية استقر بالأمير قطلوبغا الفخرى فى نيابة دمشق عوضاً عن الطنبغا فلما قبض على الأمير طشتمر أرسل فى القبض على قطلوبغا وهو فى أثناء الطريق. ثم إن الناصر أحمد لم يستقم أمره فى السلطنة فاختار عوده إلى الكرك فلما كان يوم الاثنين سلخ ذى القعدة خرج السلطان من مصر فى طائفة يسيرة من العسكر قاصداً إلى الكرك واخذ معه من الأموال والتحف أشياء كبيرة وأخذ صحبته الأمير طشتمر حمص أحضر فى محفة وهو مقيد ثم أحضر الأمير قطلوبغا فى أثناء الطريق.

فلما دخل إلى الكرك اعتقل بها الأمير طشتمر والأمير قطلوبغا الفخرى وكانا سبباً لسلطنته ولما دخل إلى الكرك أقام بها .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعون وسبعمائة: وهو مقيم بالكرك فكاتبوه الأمراء الذين بالديار المصرية بأن يحضر من الكرك فإن مصالح الرعية ضائعة والأحوال غير صالحة فعاد إليهم الجواب من السلطان إلى مقيم بالكرك إلى أن يمضى النساء وبعد ذلك يحضر إلى القاهرة ، فلما استقر الملك الناصر أحمد بالكرك بدا له أن يقتل الأمير طشتمر حمص احضر هو والأمير قطلوبغا الفخرى فوسطهما بالكرك. وفى طشتمر يقول العماد الأديب :

حنفت بالملك لما أتاك بالبسط ماجن   وقد امنت الليالى يا حمص احضروا دجن

فلما فعل الناصر أحمد ذلك فنفرت منه القلوب ولم يستحسن أحد من الناس منه هذه الفعلة القبيحة لأنهما كانا سبباً فى سلطنته وقد قتلهما بغير ذنب ولا موجب لذلك فكان كما قيل:

ما تفعل الأعداء فى جاهل   ما يفعل الجاهل فى نفسه

فما بلغ الأمراء الذين بالقاهرة ما فعله الناصر أحمد اتفق رأيهم على خلعه وسلطنة أخيه إسماعيل، فخلع من السلطنة فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية إلى أن خلع وهو بالكرك شهرين واثنى عشر يوماً فكان كما قيل القائل فى المعنى .

فلم نقم إلا بمقدار أن   قلت له أهلا وسهلا ومرحبا

واستمر الناصر أحمد فى الكرك إلى أن قتل كما سيأتى ذكره فى موضعه إن شاء الله.

١٦ - ذكر سلطنة الملك الصالح إسماعيل

ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون[(١)]

وهو السادس عشر من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية؛ والرابع من أولاد الناصر محمد بن قلاوون، تسلطن بعد خلع أخيه الناصر أحمد [ق ٥٠ أ] فى يوم الخميس ثانى عشرين من المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة فلما جلس على سرير الملك وتم امره فى السلطنة استقر بالأمير أقسنقر السلارى نائب السلطنة واستقر بالأمير ايدعمش فى نيابة دمشق واستقر بالأمير طقزدمر فى نيابة حلب واستقر بغيرها ولى من الأمراء كل واحد فى وظيفة من الوظائف.

ثم دخلت سنة أربع وأربعون وسبعمائة:

فيها: قبض السلطان على الأمير أقسنقر السلارى واستقر بالأميرال ملك فى نيابة السلطنة بمصر. وفيها جرد السلطان إلى أخيه الناصر أحمد وهو بالكرك عدة تجاريد فلم يقدروا عليه حتى لم يبق بمصر ولا بالشام أحد من الأمراء إلا جرد إليه. وحاصره حتى هلك من كان عند الناصر أحمد فى قلعة الكرك من الجوع والعرى، وهو مع ذلك لا يكل ولا يمل من القتال. حتى نفذ جميع ما فى خزائنه من المال، فضرب ما بقى عنده من الذهب وخلط معه النحاس ونفقه على عسكره، فكان الدينار منه يساوى خمسة دراهم. فلما تمادى عليه الأمر تفرق من كان حوله من العسكر وظهر عليه الخذلان فعند ذلك مسك فى يوم الاثنين ثانى وعشرين شهر صفر من سنة خمس وأربعين وسبعمائة؛ فعند ذلك أرسل إليه السلطان الأمير منجك اليوسفى فقطع رأسه وأحضرها إلى بين يدى أخيه الملك الصالح إسماعيل وكان الناصر أحمد أشجع إخوته وأحسنهم شكلاً ولكنه كان سيىء التدبير فى أموره؛ قليل المعرفة بأحوال المملكة.

ثم دخلت سنة ست وأربعون وسبعمائة:

وفيها: مرض السلطان الملك الصالح وأقام مريضاً نحو أربعين يوماً ومات يوم الخميس حادى وعشرين ربيع الأول سنة ست وأربعين. فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية ثلاث

---

(١) انظر المزيد فى: بدائع الزهور ١/ ١٨١، البداية والنهاية ١٤/ ٢٠٢ . ٢١٦، النجوم الزاهرة ١٠/ ٧٨، الدرر الكامنة ١/ ٣٨٠.

سنين وشهرًا ونصف الشهر، وكان خيار أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون وله بر ومعروف، فمن ذلك أنه أوقف قرية بضواحى القاهرة تسمى يليسوس على كسوة الكعبة الشريفة وكان عنده سياسة للرعية وعدل زايد، ومات على فراشه بخلاف أخوته، وكان على مذهب بعض الخلفاء يحب الجوارى والمولدات السود. وكان الشعراء يكثرون له من مدح السودان فمن ذلك قول بعضهم .

يكون الخال فى خذ قبيح فيلنسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام مشغوف على من يرأه كله فى العين حالا

ولما مات الملك الصالح ودفن بالقبة التى بين القصرين عند والده وقد رثاه [ق. ٥٠ ب] الصلاح الصفدى بقوله :

مضى الصالح المرجو للناس والندى ومن لم يزل يلقا المنايا لمنايح
فيا ملك مصر كيف حالك بعده إذا نحن اتينا عليك بصالح

١٧ - ذكر سلطنة الملك الكامل الأشرف شعبان بن الملك الناصر محمد بن قلاوون(١)

وهو السابع عشر من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية والخامس من أولاد الناصر محمد بن قلاوون، تسلطن بعد موت أخيه الملك الصالح إسماعيل بعهد منه وكان أخوه شقيقه. فجلس على سرير الملك فى يوم الخميس حادى وعشرين ربيع الأول سنة ست وأربعين وسبعمائة وفيه يقول ابن نباته :

طلعة سلطاننا تبدت بكامل السعد فى الطلوع
وأعجب لنا منه كيف أبدت هلال شعبان فى ربيع

فلما تم أمره فى السلطنة سار فى الناس سيرة قبيحة وصار يخرج الإقطاعات بالمال وعمل لذلك ديواناً وصار يعين القدر فى المناشير، وكان محباً لجمع المال ثم أخذ فى أسباب

---

(١) انظر المزيد ق : بدائع الزهور ١/ ١٨٣، البداية والنهاية ١٤/ ٢١٦- ٢١٩، الدرر الكامنة ٢/ ١٩١ ، شذرات الذهب ٦/ ١٥٠، النجوم الزاهرة ١٠ / ١١٦ و ١٤٠ .

مسك جماعة من الأمراء فقبض على أل الملك نائب السلطنة ثم أفرج عنه وولاه نيابة صفد . فلما توجه إليها مسك في أثناء الطريق وأرسله إلى السجن بثغر الإسكندرية . ثم عزل طقردمر من نيابة الشام وولى الأمير يلبغا اليحياوى نائب دمشق، وقبض على الأمير قمازى ثم ولى الأمير اقطاى نيابة السلطنة بمصر، وفعل أشياء كبيرة من هذا النمط.

ثم دخلت سنة سبع وأربعون وسبعمائة:

فيها: رسم السلطان الملك الكامل بإحضار أخويه حاجى وحسين من قاعات الحرم فتوجه إليهما سرور الزينى فأبيا عن الحضور وقالا: نحن ضعيفان فأرسل إليهما صواب الطولونى الزمام، فدخل إليهما وقال لهما السلطان: يقول لكما احضرا والخير لكما فأبيا عن الحضور وقالا له قل للسلطان يصبر علينا إلى أن نتعافا ونحضران بين يديه. فلما عاد الجواب إلى السلطان بذلك، فغضب على أخويه غضباً شديداً وأرسل خلف الأمير أرغون العلائى زوج أمه وقال له أرسلت خلف أخوى أن يحضرا إلى عندى فأبيا عن الحضور. فلما سمع الأمير أرغون ذلك دخل إلى قاعات الحرم هجما وأخرج حاجى وحسين وأحضرهما إلى عند السلطان فى المسجد المسمى بالردينى الذى داخل دهليز قاعات الحرم فدخلا وأمهاتهما معهما فلما مثلوا بين يده باسوا له الأرض وقالوا: يا مولانا [ق ٥١ أ] السلطان لا تؤاخذنا كنا ضعفاء.

فقال لهم: تكذبون ما أنتم إلا مخامرون على، فحلف حاجى على ختمة كانت معه أنه ما امتنع عن الحضور إلا كان قد شرب دواء وحلفت أمه مثل ذلك وكشفت رأسها له فلم يقبل ذلك ورسم بإدخال أخويه حاجى وحسين إلى الدهيشة وأمهاتهما معهما ووكل بهما المقدم عنبر السحرتى ومعه عشرة من الخدام فماتوا تلك الليلة فى الدهيشة .

فلما أصبح الصباح عسره مسقطان حجر وحمل جبسًا وقصد يبنى على أخويه حائطًا فى مكان عمده تحت الدهيشة ويسد عليهما الباب. فلما بلغ الأمراء ذلك ركب الأمير ملكتمر الحجازى والأمير أرغون شاه ولبسا ألة الحرب هما ومماليكهما وتوجهوا إلى قبة القصر فلما بلغ السلطان الملك الكامل بأن الأمراء ركبوا وخامروا عليه فأمر بشد الخيول وفتح الزردخاناة وفرق اللبوس على المماليك وركب ونزل من الأسطبل ودقت الكوسات حربى ومشى إلى السوة ووقف ينتظر من يطلع إليه من الأمراء فلم يطلع إليه أحد من الأمراء سوى زوج أمه الأمير

أرغـون العلائى ومقدم المماليك جوهر السحرتى وبعض مماليك . ووقف ساعة فلم يطلع إليه أحـد غيرهم. فلما علم أن ما بقى من الأمراء يجىء إليه أحد. تقدم إلى عند قبة الهوى التى عـند دار الضـيافة فوجـد الأمـراء واتفـق معهـم فحمـل علـيه الأمـير أرغون شاة بقية الأمراء وضـربوا عليه برك وأحاطوا به. فحطم الأمير يلبغا اروس وضرب الأمير أرغون العلائى زوج أم السـلطان عـلى وجهـه بطبر فسقط إلى الأرض. فانفض من كان حول السلطان من العسكر وعسـر وهـرب فـى أربعة من المماليك وطلع إلى القلعة وأراد أن يدخل من باب السلسلة وهو سـابق، فوجـد الـباب مقفـولاً فصار يسأل بعض المماليك أن يفتح له الباب فأبوا من ذلك . فنزل إليه بعض المماليك الصغار وفتح له الباب، فطلع إلى القلعة وأراد أن يقتل أخويه. فلم يفـتح له الخـدام بـاب الحوش فرجع وهو ماشى فاختفى فى بيت أمه، هذا ما كان من أمر السلطان الملك الكامل شعبان بعد أن أسر عند قبة الهوى. وأما ما كان من أمر الأمراء ملكتمر الحجـازى وبقـية الأمـراء فـإنهم لما مسـكوا الأمـير أرغـون العلائى زوج أم السلطان والأمير أسـندمر الكامـلى وجــوهـر السحرتى مقــدم المماليك وكل من كان مع الملك الكـامل وطلعـوا إلى القلعـة وهـم راكبون خيولهم إلى وسط الـحــوش السلطانى إلى أن وصلوا إلى باب السـتارة [ق ٥١ ب] لـلخدام ابـن أسـتاذنا حـاجى فقـالوا لهـم: محـبوس هـو وأخـوه حسـين فى الدهيشـة. فدخلـوا إلى الدهيشة واخرجوا حاجى وحسين وباسوا الأرض لحاجى وقالوا له: أنـت سـلطاننا، ثـم إنهـم تطلبوا الملك الكامل فلم يجدوه فهجموا بيت أمه. وكان بيت أمه فـوق القلعـة فـلم يجـدوا فـيه أحدًا فمسكوا الجوارى وقصدوا توسيطهم وكان المتولى أمر ذلك للأمـير أرغـون شـاه والأمـير ملكـتمر الحجازى. فلما وأوهما الجوارى بالتوسيط قروا أنه فى بيـت الأزيـاء فهجمـوا علـيه فوجـدوه واقفـاً بين الأزياء وقد ابتلت أثوابه تماماً فأخذوه وهو ممسوك بينهم ومضوا به إلى الدهيشة فسجن. فى المكان الذى كان أعده لأخويه .

قـال الشـيخ صـلاح الديـن الصفدى فى تاريخه: حكى لى الأمير أسنبغا دوادار الصحابة قـال: هـيانا السـماط عـلى جارى العادة على أن الملك الكامل يأكل منه ثم أفردنا من الأكل شـيئا لسـيدى حـاجى وسـيدى حسـين، اللذين كانا فى السجن بالدهيشة ، فخرج سيدى حـاجى وجلـس عـلى السماط وأكل منه، ثم دخلنا بالطعام الذى كنا أفردناه لسيدى حـاجى وسـيدى حسين، فأكل منه الملك الكامل شعبان وهو فى السجن بالدهيشة، فى المكان الذى كـان فـيه أخـواه " وهذا من الغرائب والعجائب، فسبحان القادر على كل شىء ، كما قيل فى المعنى .

لا تـأمنن الدهـــر وهـو مسـالم   سلس القياد فقد يعود محاربـا
واحـــذر تقـلبه ولا تعجـــب له   إن أركب الماشي وأمشي الراكبا

وقال بعضهم فى المعنى :

كم حاربتنى شدة بجيوشـــها   وضاق صدرى من لقاها وانزعج
حتى إذا أيست من خلاصها   جـاءتنى الألطاف تسعى بالفرج

فأقـام الملـك الكامل ثلاثة أيام محبوساً ثم أن أخاه حاجى أرسل إليه فى خنقه وهو فى السـجن فمـات فـى لـيلة الخمـيس ثالـث من جمادى الأخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة. فكانـت مـدة سـلطنته بمصـر سنة وشهرين ونصف الشهر . وكان أشقر اللون، أزرق العينين مجـدر الأنـف، أصـفر الوجه قبيح الشكل والفعل. ولما مات دفن عند أقاربه فى القبة التى بين القصرين . وفى ذلك يقول الصلاح الصفدى:

بيت قلاوون سعـــاداته   فى عاجل كانت بلا آجل
حل على أملاكه للردى   دين قد استوفاه بالكـــامل

١٨ - ذكر سلطنة الملك المظفر حاجى بن الملك الناصر محمد بن قلاوون[١]

وهـو الـثامن عشـر مـن ملـوك الـترك وأولادهـم وهـو السادس من أولاد الناصر محمد بن قـلاوون، وكـان مولـده فـى سـنة اثنـتين وثلاثـين وسـبعمائة ، وكان أبوه الناصر محمد فى الحجـاز، فولـد فـى طريق الحجاز عند العودة فسماه حاجى، تسلطن بعد خلع أخيه الملك الكـامل شـعبان [ق ٥٢ أ] فـى يـوم الاثـنين مسـتهل جمـادى الأخـر سـنة سبع وأربعين وسبعمائة وفيه يقول الشيخ جمال الدين بن نباته:

يا إمام الورى مضى نصف عام   لم أنل فيه من وصـــولى ربع
ســنة إن غــفلت عــنى فيهـا   كسرتنى وكيف لا وهى سبع

---

(١) انظـــر المــــزيد فى : الدرر الكامنة ٢/ ٣ ، البداية والنهاية ١٤/ ٢١٩ ، بدائع الزهور ١/ ١٨٧ ، النجوم الزاهرة ١٠ / ١٤٨ - ١٧٤ .

فلما تم أمر المظفر حاجى فى السلطنة أراد أن يقبض على جماعة من الأمراء فرسم لنقيب الجيوش بأن يدور على الأمراء المقدمين يطلعوا إلى القلعة بسبب خدمة القصر. فطلع الأمراء إلى القلعة على العادة ودخلوا إلى القصر فلما كان وقت المغرب دخل المماليك السلطانية إلى القصر ومسكوا جماعة من الأمراء وكان السلطان أتفق على المماليك مع مسك الأمراء فقبضوا على الأمير أقسنقر والأمير ملكتمر الحجازى والأمير أيتمش من عبد الغنى والأمير صمنار وغيرهم، ومن الأمراء الطلخار والعشروات . وقيل لما قبضوا على الأمير أقسنقر جرد سيفه وقصد نحو السلطان فمسكه الأمير كجك واخذ سيفه منه فلما أصبحوا أمر السلطان بتقييد الأمراء وأرسلهم إلى السجن. بثغر الإسكندرية وأما الأمير أقسنقر والأمير ملكتمر الحجازى فأمر السلطان بخنقهما فى الليل فخنقا سراً وكانا سبباً لسلطنة الملك المظفر حاجى وقتل أخيه الملك الكامل شعبان فكان كما يقال فى المعنى :

ربما يرجو الفتى نفع فتى   خوفه أولى به من أمله

رب من ترجو به دفع الأذى   سوف يأتيك الأذى من قبله

وكان من مساوئ الملك المظفر اللعب بالحمام وقد خرج فى ذلك عن الحد، قال الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة: وقد اشتغل الملك المظفر بلعب الطيور عن تدبير الأمور، والنهى عن الأحكام بلعب الحمام فجعل السطوح داره والشمس سراجه، والبرج مناره وأطاع سلطان هواه وخالف من نهاه، فبالغ فى المرائى وانتصب بكلام الوشاه على الاغراء وفيه يقول الصلاح الصفدى:

أيها العاقل اللبيب تفكر   فى المليك المظفر الضرغام

قد تمادى فى البغى والغى حتى   كان لعب الحمام جد الحمام

قيل: إن المظفر حاجى لما قبض على يلبغا اليحياوى نائب دمشق وأحاط على موجوده فوصل إليه من الذهب العين نحو خمسين ألف دينار فلما وصلت فرقها جميعها على غلمان الحمام خلاخيل ذهب فى أرجلها وألواح ذهب فى أعناقها [ق ٥٢ ب] ولم يدخل إلى الخزائن منها بشىء فحصل عند الأمراء بسبب ذلك تغير على السلطان فلما حضر الأمير جبغا من السفر ذكروا له من الأمر ما جرى من نعرفه ذلك جميعه على من ذكر، فدخل الأمير جبغا إلى عند السلطان وذكر له ما قاله الأمراء فى حق السلطان من لعبه بالحمام فغضب السلطان من ذلك غضباً شديداً وطلع إلى سطح الحمام وذبحها أجمعين وخرب

المقاصين كلها وأرسل يقول للأمراء: اديني ذبحت الحمام الذى كان عندى وأنا إن شاء الله أذبح فى هذا القرب خياركم كما ذبحت الحمام . فلما بلغ الأمراء ذلك تغيروا على السلطان الملك المظفر حاجى ودخلوا إلى نائب السلطنة وأعلموه بما وقع من السلطان فعند ذلك اتفق الأمراء على الوثوب على السلطان . فلما كان يوم الأحد ثانى عشر من شهر رمضان ركب الأمراء وتوجهوا إلى قبة القصر وهم لابسين آلة الحرب. فلما سمع السلطان بذلك أمر بشد الخيول ودقت الكوسات حربى وركب السلطان هو ومماليكه وكان أكثر المماليك يخامر عليه. فلما خرج السلطان إلى عند قبة الهوى وقف هناك وأرسل الأمير شيخو إلى الأمراء يقول لهم: ايش قصدكم فقالوا : نريد أن يخلع السلطان نفسه من الملك . فلما سمع السلطان ذلك الجواب . فقال : لا ما أخلع نفسى من الملك وما عندى إلا السيف. فعاد الأمير شيخو إلى الأمراء بهذا الجواب وقد صارت المماليك تنسحب من عند السلطان إلى الأمراء، فبقى فى نفر قليل من المماليك، فزحفت عليه الأمراء وتقدم إليه الأمير يلبغا اروس وجماعة من الأمراء فضربوا عليه برك وتقدم إليه الأمير يلبغا اروس ونزل عن فرسه ومسك لجام فرس السلطان وتكاثروا عليه المماليك فقلعوه من سرجه وأخذوه وهو ماشى مكتف مكشوف الرأس ، وأتوا به إلى عند الأمير أقطاى نائب السلطان فلما رآه نزل عن فرسه وأرمى عليه قباءه، وقال أعوذ بالله أن أقتل سلطان ابن سلطان ، امضوا به إلى القلعة فاسجنوه بها فأخذه الأمير يلبغا اروس ومضى به إلى تربة فى الباب المحروق فقتله هناك ودفن من وقته ومات وله من العمر نحو عشرين سنة . وكان حاجى شجاعاً مقداماً جريئا سفاكاً للدماء، قتل جماعة كثيرة من الأمراء وغيرهم. وفيه يقول الصلاح الصفدى:

حان الردى للمظفر   وفى الثرى قد تعفر
كم قد أباد أميراً   على المعالى توفر
وقاتل النفس ظلما   ذنوبه ما تكفر

فكانت مدة سلطنة الملك المظفر حاجى سنة [ق ٥٣ أ] وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوما. فلما قتل المظفر حاجى وقع الخلاف بين الأمراء فيمن يولونه سلطاناً وأقامت مصر بلا سلطان يومين والأحوال مضطربة والناس يدعون إلى الله تعالى فى إصلاح الأحوال، ثم من بعد ذلك وقع الاختيار على تولية حسن بن الناصر محمد ابن قلاوون فولوه بعد خلف كثير.

١٩ - ذكر سلطنة الملك الناصر أبى المحاسن حسن
ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون [١]

وهو التاسع عشر من ملوك الترك وأولادهم وهو السابع من أولاد الناصر محمد بن قلاوون. وتولى الملك وله من العمر ثلاث عشرة سنة وكان مولده فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة، تسلطن بعد قتل أخيه المظفر حاجى فى يوم الثلاثاء رابع عشر من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة فأركبوه من باب الستارة إلى الايوان وهو بخلعة السلطنة، وقيل كان اسمه السلطان حسن قمارى، فلما أحضروه للسلطنة قال للأمراء أنا ما اسمى إلا حسن. فقال الأمراء على بركة الله تعالى فسلطنوه ودقت البشاير ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعاء. ولما تم أمره فى السلطنة استقر بالأمير بيبغا اروس نائب السلطنة واستقر بالأمير أقطاى نائب حلب، وكان نائب السلطنة قبل ذلك واستقر بالأمير أرغون شاه نائب دمشق واستقر بجماعة من الأمراء كل واحد فى وظيفة من الوظائف على الترتيب.

ثم دخلت سنة تسع وأربعون وسبعمائة:

فيها: يشق البحر مما يلى بر مصر فاتفق رأى الأمراء على أن يسدوا البحر مما يلى الجيزة. وكان المتولى أمر ذلك الأمير منجك اليوسفى وزير الديار المصرية واستادار العالية. فجمع الناس للعمل فيه ثم أرمى على البلاد الشرقية وعلى الغيطان التى من جزيرة النيل إلى المطرية على كل نخلة درهم فضة ثم أرمى على كل دكان فى مصر والقاهرة درهمين فضة، فجمع من ذلك مالاً جزيلاً فاشترى منه عدة مراكب وأوسقها أحجاراً وطيناً وأعشابًا وعزلها فى بحر الجيزة فما أفاد من ذلك شيئًا، ثم جبى من الناس ثانى مرة، فغضب الأمراء على منجك بسبب ذلك ومسكوه وأودعوه فى السجن ثم أفرجوا عنه واستقرا به نائب صفد.

ومن الحوادث فى هذه السنة: أن الطاعون وقع بمصر وكان قد عم سائر الأرض فكان يخرج من القاهرة فى كل يوم أكثر من عشرين ألف جنازة وقد أحصى بعض الناس ما يخرج من أبواب القاهرة من الجنائز فبلغ عدتهم فى شهر شعبان إلى شهر رمضان تسعمائة

---

(١) انظر المزيد فى: بدائع الزهور ١ / ١٩٠ - ٢٠٢، البداية والنهاية ١٤/ ٢٢٤ - ٢٧٨ و ٢٧٩، تاريخ المماليك لـ وليم موير ١٠١.

ألـف ألـف إنسـان ولم يسـمع بمـثل هـذا الطـاعون [ق ٥٣ ب] فـيما تقدم، فإن الطواعين المشـهورة فـى الإسلام خمسة وهى: طاعون شيرور وطاعون عمواس كان بالشام فى زمن عمر بـن الخطاب، والطـاعون الجـارف كان فى زمن عبد الله بن الزبير فى سنة سبع وستين من الهجـرة ، قـيل مـات فيه فى ثلاثة أيام فى كل يوم سبعون ألفا وقيل مات لأنس بن مالك رضـى الله عنه ثلاثة وثمانون ابنا وقيل ثلاثة وسبعون ابنا فى ثلاثة أيام، وكان قد رزق من صـلبه مائـة ولد. ومات لعبد الرحمن بن أبى بكر أربعون ابنا، وطاعون الفتيات كان قد كثر فـيه مـوت العـذارى بالبصـرة وواسط والشام، وطاعون جاء فى سنة إحدى وثلاثين ومائة . وفـيه مـات المغـيرة بـن شعبة. فهذه الخمسة طواعين المشهورة فى صدر الإسلام، ولم يسمع بمـثل هـذا الطـاعون الـذى جـاء فـى سنة تسع وأربعين وسبعمائة لأنه عم الناس قاطبة من مؤمن وكافر بسائر البلاد حتى بلاد الفرنج وصار دائرًا فى البلاد لعدة سنين حتى وقع أيضاً فـى القطـط والكلاب والطيور والبهائم وأخبر جماعة من الناس أنهم شاهدوا أشياء كثيرة من حمار الوحش والبهائم والنعام وغيرها مطروحة فى البرارى وهى مطعونة تحت إبطها. وفى ذلك يقول الصلاح الصفدى خليل فى هذه الواقعة :

لا تثق بالحياة طرفة عين   فى زمان طاعونه مستطير
فكـأن القبـور شعلة شمع   والبرايا لها فـراش تطـير

وقال الشيخ زين الدين بن الوردى

يقـولون شم الخـل فـى زمـن الوبا   وفاقا لما قـال الأطبـاء يا خـلى
فإن قلت للطاعون تسطوا على الورى   يقول نعم اسطو وأنفك فى الخل

ثم دخلت سنة خمسون وسبعمائة:

فـيها: جـاءت الأخبار بأن الأمير جيغا نائب طرابلس دخل إلى الشام على حين غفلة، ومـنعه بعـض أمـراء مـن أمـراء طـرابلس فقبضـوا عـلى أرغون شاه نائب دمشق وأحاط على موجـوده. وقـيد أرغـون شـاه وسـجن فلما أصبح وجدوه مذبوحاً فكتب الأمير جبغا محضراً بذلـك بـأن أرغـون شاه ذبح نفسه وهو فى السجن فوقع بين عسكر دمشق وبين الأمير جبغا بسـبب ذلـك وأنكـروا علـيه فأخرج لهم مرسوم السلطان بذلك فأخرجه من دمشق فلما خرج كاتـبوا فـيه السلطان مما وقع منه وانه أظهر معه مرسوم السلطان بذلك، فلما عـاد الـجواب [ق ٥٤ أ] مـن السـلطان بأن ليست له علم بذلك، فخرج عسكر دمشق خلف الأمير جبغا

فلحقوه وقبضوا عليه وعلى من معه من الأمراء وأحضروهم إلى دمشق. فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة أحضروا الأمير جبغا ومن معه من الأمراء ووسطوهم في ميدان دمشق وعلقوهم أياماً ثم دفنوهم وسكن الأمر.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسون وسبعمائة:

فيها: أيقن الملك الناصر حسن رشده وسلم إليه أمر المملكة فأقام أياماً كثيرة وقبض على جماعة وهم الأمير بيبغا اروس نائب السلطنة والأمير منجك اليوسفى ثم أراد أن يقبض على الأمير طاجار الناصرى الدوادار الكبير فلم يقدر عليه فعند ذلك ركب الأمير طاز هو وحشداشينه وطلعوا إلى القلعة وهم راكبين إلى وسط الحوش السلطانى وقبضوا على السلطان حسن وأسجنوه بدور الحرم، وذلك يوم الأحد سابع عشر من جمادى الآخر سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، فكانت مدة سلطنته هذه ثلاث سنين وتسعة أشهر ثم تولى من بعده أخوه صالح بن الملك الناصر محمد بن قلاوون.

٢٠ - ذكر سلطنة الملك الصالح صلاح الدين صالح ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون[(١)]

وهو العشرون من ملوك الترك وأولادهم. وهو الثامن من أولاد الناصر محمد بن قلاوون ومولده بقلعة الجبل فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة. وأمه تسمى خوند قطلو ملك بنت الأمير تنكز نائب الشام، تسلطن بعد خلع أخيه الناصر حسن فى يوم الاثنين ثامن جمادى الآخر سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، فلما جلس على سرير الملك صار الأمير طاز صاحب الحل والعقد وليس للملك الصالح معه إلا مجرد الاسم فقط. فوقع الخلاف بين الأمراء فوثب الأمير منكلى بغا ومغلطاى على الأمير طاز وتوجهوا إلى قبة النصر، فركب الأمير طاز ونادى فى العوام كل من مسك من مماليك منكلى بغا ومغلطاى مملوكًا يأخذ عربه ويقتله فقتل من مماليكهما جماعة كثيرة ثم مسك الأمير منكلى بغا ومغلطاى فى أواخر ذلك اليوم، فأرسلا إلى السجن بثغر الإسكندرية، وأفرج عن الأمير

(١) انظر المزيد فى : بدائع الزهور ١ / ١٩٤ ، مود اللطافة ٨٣ ، البداية والنهاية ١٤ / ٢٣٩ –٢٥١، النجوم الزاهرة ١٠ / ٢٥٤ – ٢٨٧ ، الدرر الكامنة ٢ / ٢٠٣ – ٢٠٤.

شيخو العمرى والأمير منجك اليوسفى وحضرهما إلى الأبواب الشريفة فأخلع على الأمير شيخو العمرى واستقر أميرًا كبيرًا وهو أول من سمى بأمير كبير ولبس لها خلعة فصارت الأتابكية من يومئذ وظيفة ثم أفرج عن الأمير بيبغا اروس من سجن الكرك واستقر نائب [ق ٥٤ ب] حلب واستقر بالأمير قبلاى نائب السلطنة بمصر واستقر بالأمير أرغون الكاملى نائب دمشق.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسون وسبعمائة:

فيها: جاءت الأخبار بأن نائب حلب بيبغا اروس غامر وخرج على الطاعة ونائب طرابلس ونائب حماه ونائب صفد فعند ذلك خرج إليهم السلطان ومعه العساكر وأقام الأمير قبلاى النائب بمصر. وكان خروج السلطان من مصر فى النصف من شعبان فوصل إلى دمشق فى مستهل شهر رمضان، ونزل بالقصر الأبلق بدمشق وكان معه الخليفة المعتضد بالله "أبو بكر" . ثم توجه إلى حلب واتقع بيبغا اروس فانتصر عليه السلطان وأمسكه وقيده ومعه جماعة من النواب العُصاة، ودخلوا إلى دمشق قدام السلطان وهم مقيدين. وكان له موكب عظيم بدمشق.

ثم إن السلطان وسط بينهم ببيت أمراء بدمشق وهرب الأمير بيبغا اروس لم يحصله، ثم أن السلطان قصد التوجه إلى الديار المصرية فدخلها وهو منصور مؤيد. فلما استقر السلطان بالديار المصرية قبض على الصاحب علم الدين بن زنبور وكان وزيراً وناظر الجيش وناظر الخواص الشريفة. وهذه الوظائف لم تجتمع فى أحد قبله ، فلما مسك ضرب وصودر ثم نفى إلى قوص.

ذكر ما اشتمل من موجود بن زنبور

قال ابن قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة: وقفت على قوائم فيها موجود ابن زنبور وهى من القماش الملون الفين وستمائة قطعة، منها مفرى الفين قطعة وبوجهين ستمائة قطعة. ومن المصريات الملون خمسة آلاف قطعة، ومن الأوانى الذهب والفضة ستة قناطير، ومن الفصوص قنطاران ونصف ومن اللؤلؤ الحب أردبان بالمصرى، ومن الذهب العين ستمائة ألف دينار. ومن الحوايص الذهب ستة آلاف حياصة ومن الكلونات الزركش ستة آلاف كلونه . ووجد له من الذخائر فى أماكن شتى عدتها ستة آلاف وثلاثون مكاناً ووجد له فى مكان قصة نقره ثلاثون أردباً. ووجد له من الشاشات ثلاثون ألف شاش، ووجد له من

البسط الرومى والمقاعد على سائر الأنواع خمسة وثلاثون ألف قطعة ومن الانطاع الكبار والصغار ثلاثون ألف قطعة ومن الصينى ثلاثون ألف قطعة ووجد له فى مكان من الذهب العين أيضاً سبعمائة ألف دينار، ووجد له من الخيول والبغال والجمال عشرون ألف رأس. ووجد له من الجوارى والعبيد سبعمائة رأس ومن المماليك الرومى خمسون مملوكاً ومن [ق ٥٥أ] الطواشية مائة رأس ووجد له من النحاس أربعون ألف قطعة. ووجد له من الأملاك والعقار والضياع ستة آلاف مكان. ووجد له من المعاصر خمسة وعشرون معصرة. وفيها من النقود السكر ما لا ينحصر، ووجد له من إقطاعات الحلقة سبعمائة إقطاع ووجد له من السروج والبدلات الذهب ما قوم بثمانمائة ألف دينار ، ووجد من البهار والبضائع ما قوم بأربعمائة ألف دينار، ووجد له من المراكب ستمائة مركب، ووجد له من البساتين مائتا بستان ، ووجد له من السواقي ألف وأربعمائة ساقية. ووجد له من الأبقار الحلابة ألفى رأس، ووجد له من الأغنام خمسون ألف رأس. ووجد له من الغلال ما لا ينحصر ووجد له أشياء كثيرة غير ذلك من القماش والمال عند الناس ما لا ينحصر. وأخر الأمر أخذ منه جميع ما يملكه ونفى من مصر ومات غريباً عن أهله فكان كما يقال:

المال كالماء من استكثر منه غرق فيه

وقال بعضهم فى ذم المال:

النار أخر دينار نطقت به   والهم أخر هذا الدرهم الجارى
والمرء مادام مشغوفا بجمعها   معذب القلب بين الهم والنار

وقال بعضهم أيضاً

رأيت الدرهم المضروب أضحى   كلص ما له أبدا أمانه
ألم تر كل إنسان حريص   يحصله ويرميه الحرانه

ثم دخلت سنة أربع وخمسون وسبعمائة:

فيها: جاءت رأس الأمير بيبغا اروس نائب حلب المقدم ذكره الذى هرب من السلطان وجاء برأس الأمير بكلمش فعلقا على باب زويلة .

وفى هذه السنة: ظهر الفساد من العربان ببلاد الصعيد فجرد إليهم السلطان الملك الصالح بنفسه ومعه الأمير شيخو العمرى والأمير صرغتمش فكسروا العربان كسرة قوية وقتلوا منهم مقتلة عظيمة. حتى قيل صنعوا من رؤوس القتلة مساطب ومآذن. وكانت هذه

الوقعة فى العرب لم يسمع بمثلها وغنموا منها مائة جمل رماح وثلاثين جمل دروع وثمانين جمل سيوف وألف وسبعمائة فرس وخمسة آلاف جمل وعشرين ألف رأس غنم ومن أسرى العرب جماعة كثيرة .

ورجع السلطان هو والأمراء إلى القاهرة وهم منصورين على العرب، فلما طلع السلطان إلى القلعة أمر بتوسيط ما يقال [ق ٥٥ ب] إنسان من كبار العربان ثم إن السلطان نادى فى القاهرة بأن فلاحًا لا يركب فرسًا ولا يحمل معه سلاحًا، ثم بعد مدة يسيرة حضر إلى الأبواب الشريفة ابن الأحدب العركى كبير العربان وكان هارباً من قوم هذه الواقعة، فلما حضر منه السلطان وأخلع عليه وأقره على عادته شيخ العركى لما كان أولاً ، وفى ذلك يقول بعض الشعراء.

ما هادن السلطان أعداءه إلا لأمر فيه إذلالـــهم

حـــتى لـو تكثر أموالهم وللضبا تكبر أطفـــالهم

وفى هذه السنة : رسم السلطان للأمير أرغون الكاملى نائب دمشق بأن يتوجه إلى مدينة الابلستين وصحبته العساكر الحلبية والعساكر الشامية بسبب القبض على الأمير قراجا بن ذو الغار أمير التركمان لكونه وافق الأمير بيبغا اروس على العصيان لما كان نائب حلب فلما وصل إليه العسكر هرب منهم فلحقوه فى بلاد الروم وقبضوا عليه وأرسلوه إلى القاهرة فلما وصل أمر السلطان بتسميره فسمروه وطافوا به فى القاهرة ثم وسطوه.

وفى سنة خمس وخمسين وسبعمائة:

فيها: فى يوم الاثنين ثانى شوال اتفق جماعة من الأمراء مع الأمير شيخو العمرى على خلع الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون وإعادة أخيه الناصر حسن عوضه وأقام وسجن بدور الحرم وأجلسوا أخاه الناصر حسن عوضه وأقام الملك الصالح فى السجن إلى أن مات فى ذى الحجة سنة إحدى وستين وسبعمائة، ودفن بتربة عمه الملك الصالح على التى بالقرب من السيدة نفيسة رضى الله عنها. فكانت مدة سلطنة الملك الصالح صالح بمصر ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما .

ذكر من تولى فى أيام دولته من الأعيان

وهم: الخليفة الحاكم بأمر الله ابن المستكفى بالله توفى سنة أربع وخمسين وسبعمائة. وتوفى أبو حيان المغربى والشيخ زين الدين ابن الوردى من كبار الشافعية والشيخ شمس الدين الذهبى المؤرخ والقاضى شهاب الدين بن فضل الله صاحب كتاب الإنشاء والحافظ ابن قيم الجوزية وابن اللبان الشاعر والشاب الظريف محمد بن العفيف صاحب الشعر اللطيف توفى فى سنة خمس وخمسين وسبعمائة ومن شعره اللطيف:

زرتكم صحبة وودا	وجدتكم مغلقين
سعى إلى بابكم جنون	عليه استاهل الحجابا

ذكر عود الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون [ق ٥٦ أ]

وهى السلطنة الثانية جلس على سرير الملك فى يوم الاثنين ثانى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة وقد قال القائل:

كأنك شمس والملوك كواكب	إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فلما تم أمره فى السلطنة صار شيخو وصرغتمش رأس نوبة النواب صاحبى الحل والعقد فى دولته، واستمر الأمر على ذلك إلى أن دخلت سنة ثمان وخمسين وسبعمائة:

فيها: وثب من بعض المماليك السلطانية يسمى قطلوقجاه السلحدار فى يوم موكب على الأمير الكبير شيخو العمرى وهو فى الخدمة بالإيوان فضربه بالسيف على وجهه ورأسه ثلاث ضربات فوقع شيخو إلى الأرض مغشياً عليه. وقام السلطان من مجلسه وهو مرعوب فأمسكوا قطلوقجاه المذكور. فلما سمع مماليك شيخو بذلك طلعوا إلى القلعة وهم لابسين آلة الحرب ومعهم الأمير خليل بن قوصون. وكان الأمير شيخو متزوجًا بأم الأمير خليل فلما طلع مماليك الأمير شيخو إلى القلعة وجد مماليكه فى أستاذهم بعض رمق فحملوه فى تابوت وقتل على طارقة خشب ونزلوا به إلى بيته ومماليكه حوله وكان عدتهم سبعمائة مملوك. فلما استقر فى بيته أحضروا له مزين محبط خراسانه وبات تلك الليلة فلما أصبح نزل إليه السلطان حسن ودخل إلى بيته ونزل عن فرسه ودخل إلى مكان فيه شيخو أو سلم عليه وحلف له أن الذى جرى لم يكن يعلمه ولا له به خبر. ثم رسم السلطان بإحضار قطلوقجاه

الذى ضرب شيخو فسأله السلطان وقال له هل أمرك أحد بذلك؟ فقال قطلوقجاه: لا والله ما أمرنى أحد بذلك، غير أنى قدمت له قصة بسبب إقطاع فأخرجه لشخص غيرى. ففعلت ذلك من قهرى منه. فعند ذلك رسم السلطان بتسميره فسمر على جمل وطافوا به البلد ثم وسطوه. واستمر شيخو ملازماً للفراش من شهر شعبان إلى أواخر ذى القعدة. فمات فى يوم الجمعة سادس وعشرين ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة فكثر عليه الحزن والأسف، وكانت جنازته مشهودة ودفن فى خانقاته التى فى الصليبة بعد أن نزل السلطان، وصلى عليه واتفق أن المطر أمطرت فى ذلك اليوم مطراً خفيفاً وكان فى الصيف فقيل فى المعنى:

بروحى من أبكى السماء لفقده بغيث ظنناه نوال يمينه

وما استعبرت إلا أسى وتأسفا وإلا فماذا القطر فى غير حينه

وكان شيخو من أجلّ الأمراء قدراً وله بر ومعروف وآثار كثيرة وهو صاحب الخانقاه والجامع اللذين فى الصليبة والحمامات والربوع، وهو الذى أنشأ الجامع الأخضر الذى عند فم الجور، وكانت عمارة الجامع والخانقاه فى سنة خمس وخمسين وسبعمائة وفى ذلك يقول الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة :

ومدرسة للعلم فيها مواطن فشيخو بها فردو أثاره جمع

لئن بات فيها للقلوب مهابة فواقفها ليث وأشياخها سبع

ثم إن شيخو قرر بالخانقاه حضورًا من بعد العصر وقرر الشيخ أكمل الدين الحنفى شيخ الخانقاه واشترط فى كتاب الوقف نصف النظر مع من تكون رأس نوبة النوب وفيه يقول ابن أبى حجلة أيضاً :

شيخ تقدم فى العلوم لأنه إن عد أرباب الفضائل أول

ما قيل هذا كامل فى ذاته إلا وقلت الشيخ عندى أكمل

ثم دخلت سنة تسع وخمسون وسبعمائة:

فيها: تزايدت عظمة الأمير صرغتمش بعد شيخو وبقى أتابك العساكر وصار صاحب الحل والعقد وتضاعفت حرمته وانفرد بأمور المملكة، فأمر بضرب الفلوس الجدد فضرب كل فلس بدرهم بدرهمين وكل فلس زينة مثقال. وثقل ذلك على الناس وتضرر منه جماعة كثيرة

مـن السوقة وغيرهم. ثم إن الأمير صرغتمش ثقل أمره على الملك الناصر حسن، فبادر الناصر بالقبض على صرغتمش وعلى جماعة من الأمراء فمن كان من عصبته فكان كما قيل :

وربما فات بعض الناس حاجته   مع التوانى وكان الرأى لو عجلا

وفى الأمثال :

وانتهز الفرصة أن الفرصة   تصير إن لم تنتهزها غصه

فـلما سمـع مماليك صرغتمش تمسك استاذهم فى القلعة ركبوا بالسلاح وطلعوا إلى الرملة وكـانوا نحـو ثمانمائـة مملوك فنزل إليهم المماليك السلطانية واتبعوا معهم من أول النهار إلى بعد العصر فانكسر مماليك صرغتمش وهربوا، فعند ذلك نهب العوام دار صرغتمش ودكاكين الصـليبة ومسـكوا جماعة من الأعجام من صوفية الخانقاه ومعه جماعة من الأمراء ممن كانوا عصـبته فأقـام صـرغتمش فـى السـجن شهرين ونصف الشهر ثم أرسل السلطان قتله وهو فى السجن فى أوائل ذى الحجة سنة تسع وخمسين وسبعمائة .

وفى الأمثال:

والمرء لا يدرى متى تمتحن   فانه فى دهره مرتهن

فـلما قـتل صـرغتمش صـفا للناصـر حسـن الوقـت ورقـى مماليكه وجعـل بيبغا العمرى الخاصـكى أمـير مجلـس، ولما عظم أمر الناصر حسن بنى هذه المدرسة العظيمة التى تجـاه القلعـة [ق ٥٧ أ] عـند سـوق الخـيل وجعـل فـيها أربـع مـدارس للمذاهب الأربعة وكان مكانها قديماً قصر بيبغا اليحياوى نائب دمشق فهدم القصر وبنى مكانه هذه المدرسة التى لم يعمـر فى الإسلام مثلها قبل إيوانها بنى على ميال إيوان كسرى أنو شروان وكان بناؤها فى سـنة سـبع وخمسين وسبعمائة. ومن رأى عمارة مدرسة السلطان حسن عرف علو همته بين الملوك السالفة ، فكان كما قيل القائل فى المعنى :

لسنا وإن كرمت أوايلنا   يوما على الأنساب نتكل
نبنى كمـا كانت أوايلنا   تبنى وتفعل فوق ما فعلوا

واستمر الأمر ساكناً إلى أن **دخلت سنة ستون وسبعمائة**:

فـيها: أرسـل السـلطان بالقبض على الأمير طاز نائب حلب. وكان تولى نيابة حلب لما وقـع بيـنه وبـين الأمير صرغتمش فلما قتل الأمير صرغتمش أرسل السلطان للقبض على طاز

نائب حلب وأودعه فى السجن واستقر الأمير منجك اليوسفى نائب حلب ، فلما وصل منجك إلى غزة هرب من هناك واختفى فأقام وهو مختفى مدة ثم قبضوا عليه وأحضروه بين يدى السلطان وعليه جبة صوف عسلى وعلى رأسه مبرر صوف أبيض. فلما وقف بين يدى السلطان وبخه بالكلام، ثم عفا عنه ورسم له بأمرية أربعين بالشام ويكون بطالاً، ثم إن السلطان استقر بالأمير بيدمر الجواردمى فى نيابة حلب وجهد صحبته العساكر بسبب إصلاح البلاد الحلبية. فلما توجه حاصر مدينة سيس فأخذها بالأمان وكذلك مدينة طرسوس ومصيصة وغيرها من البلاد.

ثم إن العسكر رجع إلى الديار المصرية وهو منتصر.

ثم دخلت سنة إحدى وستون وسبعمائة:

فيها: ركب السلطان الملك الناصر حسن وشق المدينة فزينت له ودخل من باب النصر إلى أن جاء إلى بين القصرين فنزل عن فرسه ودخل إلى البيمارستان وزار قبر والده وجده قلاوون ثم توجه إلى القلعة والأمراء مشاة بين يديه حتى طلع القلعة.

وفى هذه السنة : عمل السلطان خيمة غريبة الشكل فى صنعتها حتى عمل فيها حمام ونصبها فى خليج الزعفران وخرج إليها الناس قاطبة يتفرجون عليها وصاروا يتعجبون من صنعتها وفيها يقول ابن أبى حجله :

حوت خيمة السلطان كل عجيبة　　　فأصبحت منها باهتـا اتعجب
لسـاني بالتقصـير فيهـا مقصر　　　وإن كان فى أطنابها بات يطب

وله فيها أيضاً:

إذا ما خيمة السلطان لاحت　　　فقل فى حسنها نظما ونثرا[ق ٥٧ ب]

ثم دخلت سنة اثنتا وستون وسبعمائة:

فيها : عدى الملك الناصر حسن إلى بر الجيزة وأقام بها فى كوم بره مدة أشهر إلى أن دخل الشتاء وربط الناس الخيول فى الربيع وسبب ذلك أنه كان بالقاهرة وخم شديد وأمراض كثيرة ووباء فأقام السلطان هناك حتى زال ذلك الوخم ودخل الشتاء، فى هذه المدة وقع بين السلطان وبين مملوكه الأمير يلبغا العمرى أمير مجلس فركب السلطان حسن فى ليلة الأربعاء تاسع جمادى الأول من السنة المذكورة ومعه جماعة من الأمراء وأراد أن يكبس على بيبغا وهو فى الخيام وكان أحد خواص السلطان أرسل إلى بيبغا يعلمه بما عزم عليه السلطان فأخذ يلبغا

حذره من ذاك وألبس مماليكه وخرج عن الخيام وأخلاها وأكمن له بالقرب من الخيام فكبس السلطان عليه في أوائل الليل فلم يجد في الخيام أحدًا فعند ذلك رد عليهم بيبغا ومن معه فاتقع مع السلطان فانكسر الناصر حسن وهرب تحت الليل وطلع إلى القلعة ومعه بعض مماليك من مماليكه فكان كما قيل فى الأمثال.

واقنع إذا حاربت بالسلامة   واحذر فعالاً توجب الندامة

فلما طلع إلى القلعة تبعه الأمير بيبغا ومن معه، وعدى في الليل فلاقاه ابن المحسنى أحدى الأمراء المقدمين ومعه الأمير قشتمر المنصورى فاتفقا مع بيبغا وكسروه مرتين وكل ذلك قبل أن يمضى من الليل الثلث، فأرسل بيبغا إلى ابن المحسنى وهو يقول له : اخلى من طريقى وأنا أرضيك بكل خير. فلما بان لابن المحسنى زوال دولة الناصر حسن أخلى من طريق بيبغا، فطلع بيبغا إلى الرملة وكان السلطان حسن قد ألبس مماليكه ولم يجد لهم خيولاً يركبونها لأن الخيل كانت فى الربيع فضاق الأمر عليه فلما طلع عليه النهار وبيبغا محاصره علم أنه مكسور لا محالة فلبس لبس العرب هو والأمير أيدمر الدوادار ونزلا من القلعة وقصدا التوجه إلى نحو البلاد الشامية فلقيهما بعض المماليك السلطانية فقبضوا عليهما وأحضروهما إلى بيت الأمير موسى الحاجب فأرسل ليعلم الأمير بيبغا بذلك فأرسل بيبغا وأحضروهما إلى عنده. فأما الأمير أيدمر فسجن وأما السلطان حسن فكان آخر العهد به قيل إن بيبغا خنقه وغرقوه فى البحر تحت الليل ولم يعرف له خبر ولا يعلم له قبر ولم يدفن فى مدرسته وكان قتله فى شهر جمادى الأول سنة اثنتين وستين وسبعمائة ومات وله من العمر سبعة وعشرون سنة .

وكان السلطان حسن أشقر اللون عربى الوجه وفى وجهه بعض نمش. وكان ملكاً شجاعاً مقداماً مهاباً نافذ الكلمة وكان محباً لجمع المال ولكنه كان يميل إلى اللهو والطرب مولعاً بحب النساء الحسان وشرب الراح مستغرق فى اللذات كما قيل فى الأمثال :

لا تغترر بالحفظ والسلامة   فإنما الحياة كالمدامة

والعمر مثل الكأس والدهر القدر   والصفو لابد له من الكدر

فكانت مدة سلطنة الناصر حسن فى المدة الأولى ثلاث سنين وتسعة أشهر. والسلطنة الثانية ست سنين وسبعة أشهر وأيامًا، فكانت جملة سلطنته أولاً وثانياً عشر سنين ونصف السنة. ولما مات خلف من الأولاد عشرة ذكور هم: أحمد وعلى وقاسم وإسكندر وموسى

ويحيى وشعبان ويوسف وإسماعيل ومحمد. وخلف من البنات ست. وكان قصده إنشاء أولاد الناس فى أيام دولته فكان منهم تسعة مقدمين ألوف ومن الأمراء الطبلخاناه والعشروات جماعة كثيرة . وكان منهم جماعة كثيرة نواب فى البلاد الشامية وكان كفئًا للمملكة غير أنه كان منهمكا على اللذات ، يميل إلى الغناء والطرب وإلى السماع الطيب ويحب الحسان من النساء حتى قال فيه بعضهم هذه الأبيات اللطيفة وهى :

لما أتى للعاديات وزلزلت حفظ النساء وما قرا للواقعة
فلا جل هذا الملك أضحى لم يكن وأتى القتال وفصلت بالقارعة
لو عامل الرحمن فاز بكهنه وبنصره فى قصره للسابعة
من كانت القينات من اخرابه عطعط به الدخان نار لامعة

يشير الناظم إلى اسم معنى يدعى عطعط ويشير إلى الدخان وهو اسم مشبب يدعى دخان ولما مات الناصر حسن تولى من بعده ابن أخيه حاجى، وكان الملك الصالح هو أخر من تولى من أولاد الناصر محمد بن قلاوون .

ذكر من توفى فى أيامه من الأعيان

وهم : الشيخ تقى الدين السبكى[1] والشيخ بهاء الدين بن عقيل[2] والحافظ

---

(١) هو الإمام الأوحد المحدث الحافظ المفسر الأصولى النحوى اللغوى الأديب المجتهد تقى الدين أبو الحسن على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف شيخ الإسلام، إمام العصر، ولد فى صفر سنة ٦٨٣ هـ وأخذ الفقه عن ابن الرفعة والحديث عن الشرف الدمياطى والقراءات عن التقى الصائغ، والأصلين والمعقول عن العلاء الباجى والخلاف والمنطق عن السيف البغدادى والنحو عن أبي حيان والتصوف عن التاج ابن عطاء وسمع من ابن الصواف وعدة، وأقبل على التصنيف والفتيا وصنف أكثر من مائة وخمسين مصنفاً ، وتصانيفه تدل على تبحره فى الحديث وغيره، وسعة باعه فى العلوم ، وتخرج به فضلاء العصر ، وولى قضاء الشام بوفاة الجلال القزوينى وخرج له الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أيبك الدمياطى . مات سنة ٧٦٥ هـ.
انظر المزيد فى : البداية والنهاية ١٤/ ٢٥٢ ، بغية الوعاة ٢ / ١٧٦، حسن المحاضرة ١/ ٣٢١، الدرر الكامنة ٣ / ١٣٤، ذيل تذكرة الحفاظ ٣٩ و ٣٥٢ ، شذرات الذهب ٦/ ١٨٠ / النجوم الزاهرة ١٠ / ٣١٨.

(٢) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشى الهاشمى بهاء الدين ابن عقيل من أئمة النحاة، من نسل عقيل بن أبي طالب مولده سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ووفاته سنة ٧٦٩ هـ / =

مغلطاى[1] وأبو إمامة بن النقاش[2] وغيرهم من الأعيان .

= ١٣٦٧ م بالقاهـــرة. كـــان بعض أسلافه يقيمون فى همذان أو آمد ولعلهم انتقلوا من إحداهما إلى الأخرى، واستقرت ذرية منهم فى بالس (بين حلب والرقة) وقدم أحدهم إلى مصر، فولد بها عبد الله، فعـــرفه مترجموه بالهمدانى أو الآمدى البالسى ثم المصرى. قال ابن حيان: ما تحت أديم السماء أنحـــى مـــن ابن عقل. كان مهيباً مترفعاً عن غشيان الناس ولا يخلو من المترددين إليه، كريماً، كثير العطاء لتلاميذه، فى لسانه لثغة، ولى قضاء الديار المصرية لمدة قصيرة له " شرح ألفية ابن مالك" فى النحو، متداول وقد ترجم مع الألفية إلى الألمانية و " التعليق الوجيز على الكتاب العزيز " تفسير لم يكمله و " الجامع النفيس" فى فقه الشافعية مبسوط جداً لم يكمله، و " المساعد" فى شرح التسهيل نحو و " تيسير الاستعداد لرتبة الاجتهاد" وهو تلخيص الجامع النفيس وغير ذلك .

انظـــر المـــزيد فى : الدرر الكامنة ٢ / ٢٦٦، بغية الوعاة ٢٨٤ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١ / ٤٢٨، مفـــتاح السعادة ١ / ٤٣٩، البدر الطالع ١ / ٣٦٨، حسن المحاضرة ١/ ٣١٠، شذرات الذهب ٦ / ٢١٤.

(١) هو مغلطاى بن قليج بن عبد الله البكجرى المصرى الحكرى الحنفى أبو عبد الله علاء الدين مؤرخ من حفاظ الحديث، عارف بالأنساب تركى الأصل مستعرب من أهل مصر، ولى تدريس الحديث فى المدرسة المظفرية بمصر وكان نقادة، له مآخذ على المحدثين وأهل اللغة، وتصانيفه أكثر من مائة، منها " شرح البخارى " عشرون مجلداً و " شرح سنن ابن ماجه " لم يكمله ، سماه " الاعلام بسنته عليه السلام " و " إكمال تهذيب الكمال فى أسماء الرجال" أجزاء منه، و " جمع أوهام الهذيب " و " الزهر الباسم فى سير أبى القاسم " و " ذيل على المؤتلف والمختلف لابن نقطة " و " الإشارة" فى السيرة النبوية وغيرها .

انظـــر المـــزيد فى : لحـــظ الألحاظ لابن فهد ٣٣ ، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطى ٣٦٥، الرسالة المســـتطرفة ٨٨ ، الدرر الكامنة ٤ / ٣٥٢، آداب اللغة ٣/ ١٩٣، لسان الميزان ٦/ ٧٢، شذرات الذهب ٦/ ١٩٧، النجوم الزاهرة ١٢/ ٩

(٢) هو محمد بن على بن عبد الواحد الدكالى ثم المصرى، أبو أمامه ويقال له ابن النقاش واعظ مفسر فقـــيه ، له " شـــرح العمدة " ثمانية مجلدات و " تخريج أحاديث الرافعى " وكتاب فى " الفروق" وتفســـير مطول سماه " السابق واللاحق" و " المذهلة فى استعمال أهل الذمة" وله شعر جيد ، ولد سنة ٧٢٠ هـــ / ١٣٢٠ م ومات سنة ٧٦٣ هـــ / ١٣٦١ م.

انظر المزيد فى : الدرر الكامنة ٤/ ٧١ ، بغية الوعاة ٧٨ ، شذرات الذهب ٦ / ١٩٨.

٢١ - ذكر سلطنة الملك المنصور محمد بن الملك المظفر حاجى بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون(١)

وهو الحادى والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، تسلطن بعد قتله عمه الناصر حسن فى يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة [ق٥٨ب] تولى الملك وله من العمر أربعة عشر سنة، وكان القائم بتدبير مملكته الأمير بيبغا العمرى فاستقر به أتابك العساكر وكانت عظمة بيبغا فى أيام الملك المنصور هذا ثم استقر بالأمير قشتمر المنصورى نائب السلطنة وأفرج عن الأمير طاز من السجن هو وجماعة كثيرة من الأمراء الذين كانوا فى الاعتقال وأنعم عليهم بتقادم ألوف واستقر بجماعة منهم نوابًا فى البلاد الشامية .

وفى هذه السنة: جاءت الأخبار بأن نائب الشام بيدمر الجوارى خامر على السلطان وخرج عن الطاعة ومعه قلعة دمشق مملوكه فعند ذلك خرج إليه السلطان الملك المنصور ومعه الأتابكى بيبغا وبقية الأمراء، فلما وصلوا إلى دمشق خرج إليه بيدمر نائب الشام وهو طايع فطلب من السلطان الأمان فأعطاه الأمان.

فلما حضر بين يدى السلطان أمر الأتابكى بيبغا تقييده وأرسله إلى السجن بثغر الإسكندرية واستقر بالأمير على الماردينى نائب الشام واستقر بالأمير قطلوبغا الفخرى وقيل الأحمدى نائب حلب ثم إن السلطان رجع إلى الديار المصرية وصحبته الأتابكى بيبغا العمرى .

ثم دخلت سنة ثلاث وستون وسبعمائة:

فيها: تزوج الأتابكى بيبغا العمرى بخوند طولوبه زوجة الملك الناصر حسن .

وفى هذه السنة: توفى الخليفة المعتضد بالله أبو بكر بن الخليفة المستكفى بالله أبى الربيع سليمان، وعهد إلى والده المتوكل على الله محمد، وهو أبو خلفاء العصر كلهم، قيل إنه جاء من صلبه مائة ولد ما بين ذكور وإناث ومسقوط، وأقام فى الخلافة نحو أربعين سنة كما سيأتى ذكره فى موضعه، ومات عنده عدة أولاد ذكور وإناث.

---

(١) انظر المزيد فى بدائع الزهور ١ / ٢١١ - ٢١٢ ، البداية والنهاية ١٤ / ٢٧٨ -٣٠٢ .

ثم دخلت سنة أربع وستون وسبعمائة:

فيها: توفى سيدى حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو آخر من مات من أولاد الناصر محمد بن قلاوون. ومات قبل أن يتسلطن ولده الأشرف شعبان.

وفى سنة أربع وستين: اتفق الأتابكى بيبغا العمرى مع جماعة من الأمراء على خلع الملك المنصور محمد بن حاجى فخلع من السلطنة ودخل إلى الحرم فسجن بها، وذلك فى يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة، فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية سنتين وأربعة أشهر، وكان الملك المنصور هذا يميل إلى اللهو والطرب وشرب الراح، وكان له جوارى ومغانى جوقة كاملة نحو عشر جوارى يعزفن بمغانى المنصور، وكان راضياً بأرغد العيش الطيب وحب السماع . وكان أخر من أقنى الجوارى المغانى يزفوا بالطارات عند الصباح والمساء، وكانت هذه [ق ٥٩ أ] عادة الملوك والأكابر، وأخر من كان يفعل ذلك من الأكابر الأمير محمود استادار العالية ثم بطل ذلك مع ما بطل من محاسن عيشة الأكابر بالديار المصرية، وكان ذلك رقة حاشية ودام المنصور على ذلك إلى أن مات وهو فى دور الحرم ودفن فى تربة جدته أم أبيه خوند طغلى عند الباب المحروق، وعاش المنصور هذا من العمر نحو خمسين سنة ولما مات خلف عدة ذكور وإناث، وكان قانعاً بما هو فيه من العيش الرغد كما قيل فى المعنى.

كل الملوك تسطوا بالملك والسلاح وتاقنعت منه بالراح والملاح

وفى المعنى :

قالوا رأيناك كل وقت تهيم بالشرب والغنا

فقلت إنى امرئ قنوع اعيش بالماء والهواى

ولما خلع الملك المنصور محمد تولى الملك الأشرف شعبان

٢٢ ـ ذكر سلطنة الملك الأشرف أبى المعالى زين الدين شعبان بن الأمجد حسين بن الناصر محمد بن قلاوون(١)

غير أن الأمجد حسين لم يتسلطن فجلس على سرير الملك ولقب بالملك الأشرف وذلك فى يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة . وكان له من العمر لما تسلطن إحدى عشرة سنة وهو الثانى والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وفيه يقول القيم خلف الغبارى من زجل لطيف فى المعنى وهو هذا :

حب قلبى شعبان موفق رشيد وحمالوا شرف ومالوا حدود
وأبوه الحسين وعموا الحسن وارث الملك من جدود الجدود
سل لحظك صارم لقتل العدا وأنت منصور طول المدا والسنين
زعق السعد بين يديك شاويش فرح القلب بعد ما كان حزين
ونصب لك كرسى على المملكة وظهر لك نصرك يفتحوا المبين
والعصايب من حولك اشتاله خفقت فى الركوب عليك البنود
فاحكم احكم فى مصرنا سلطان فجميع الملاح لحسنك حقود

فلما تم أمر الأشرف شعبان فى السلطنة استقر بالأتابكى بيبغا العمرى أميرًا كبيرًا على عادته واستقر بالأمير منكلى بغا الشمسى نائب دمشق، واستقر بالأمير قطلوبغا الأحمدى نائب حلب على عادته، واستقر بالأمير ازدمر العمرى الناصرى الخازندار نائب طرابلس، واستقر بالأمير قشتمر المنصورى [ق ٥٩ ب] نائب صفد، واستقر بالأمير عمر شاه نائب حماة، واستقر بالأمير عمر بن أرغون النائب فى نيابة غزة، ثم استقر بالأمير طيبغا أمير سلاح، واستقر بالأمير أرغون الأسعردى دوادارًا كبيرًا، واستقر بالأمير أرغون الأزقى رأس نوبة النواب، واستقر بالأمير طيبغا العلائى حاجب الحجاب، واستقر بجماعة من الأمراء كل واحد وظيفة من الوظائف، هذا ما كان فى مبتدأ دولته.

---

(١) انظر المزيد فى : مورد اللطافة ٨٧ ، بدائع الزهور ١/ ٢١٢ ، حسن المحاضرة ٢ / ١٠٤ ، الدرر الكامنة ٢ / ١٩٠ ، البداية والنهاية ١٤ / ٣٠٢ / ٣٢٤ .

ثم دخلت سنة خمس وستون وسبعمائة:

فيها: جاءت الأخبار بأن منكلى بغا نائب دمشق لما وصل إلى الشام فتح باب كيسان بحضور القضاة الأربع وكان هذا الباب مقفولاً مدة مائتى سنة من أيام نور الدين الشهيد فكتب فى ذلك محضراً أن فى فتحه مصلحة للمسلمين وللمسافرين وعقد قنطرة كبيرة على الطريق المسلوكة. وبنى هناك جامعاً.

وفى هذه السنة : رسم السلطان بإبطال الوكلاء من أبواب القضاة والحكام بمصر والشام فامتثلوا ذلك، وفى ذلك يقول ابن حبيب.

يقول الحق الذى عاله　　خصم الدولسان كليل

ثم دخلت ست وستون وسبعمائة:

فيها: جاءت الأخبار بأن الفرنج وصلوا إلى ثغر الإسكندرية فى سبعين مركباً من المراكب الحربية، وأن نائب الثغر خرج إليهم ومعه جماعة من عربان البحيرة إلى ظاهر باب البحر، فاتقعوا مع الفرنج فانكسر المسلمون كسرة قوية وخرج أكثرهم من باب رشيد ودخل الفرنج إلى مدينة الإسكندرية ونهبوا أسواقها المذكورة ، وفى ذلك يقول بعضهم :

إسكندرية قالت　　هانا هى صـــردملكا

لقد تغير ثغرى　　وأصبحت فيه سواكا

فلما سمع السلطان والأمراء بهذا الخبر فخرج السلطان والأتابكى يلبغا العمرى وبقية الأمراء فعدى السلطان إلى بر الجيزة، وكان النيل فى قوة الزيادة ، فسار السلطان هو والأمراء إلى الطرانة ونزل بها وأرسل جماعة من الأمراء إلى ثغر الإسكندرية لكشف الأخبار، فوجدوا الفرنج رحلوا عن الثغر لما سمعوا بأن السلطان وصل إليهم، فنزلوا فى مراكبهم وساروا إلى بلادهم بعد ما جرى منهم ما جرى . فلما سمع السلطان بأن الفرنج رحلوا إلى بلادهم [ق ٦٠ أ] رجع السلطان أيضاً إلى القاهرة وأرسل جماعة من الأمراء إلى ثغر الإسكندرية لإصلاح ما فسد منها وتطمئن أهلها، ثم إن السلطان أخلع على الأمير بكتمر الشريفى واستقر به نائب الإسكندرية بتقدمة ألف، وهو أول من تولى من الأمراء المقدمين الألوف بثغر الإسكندرية وكانت قبل ذلك نيابة لأحد الناس. قال ابن أبى حجلة :

إلا فـي سـبيل الله مـا خل بالثغر   عـلى فـرقة الإسلام من عصبة الكفر
أياهـا مـن الأفـرنج سـبعون مركبا   وحاطت بها الغربان في البر والبحر
فكم مـن فقـير عاش فيها من الغنـى   وكـم مــن غــنى مات فيها من الفقر

وفـي هذه السنة : خرج الأمير طيبغا الطويل أمير سلاح إلى نحو العباسة يتصيد فأرسل إلـيه الأمـير يلبغا العمرى جماعة من الأمراء ومعهم خلعة إلى طيبغا الطويل بأن يستقر نائب الشـام ، فـلما وصـلوا إلى طيبغا امتنع من لبس الخلعة وخامر هو والأمراء الذين خرجوا إليه مـن عـند يلـبغا واتفقـوا كلهم على الركوب على يلبغا . فلما سمع يلبغا بذلك استعد لقتالهم فركـب طيـبغا من العباسة فى نصف الليل، فما أصبح الصباح إلا وهو فى قبة النصر فخرج إلـيه يلبغا واتقع معه. وكان يلبغا قد أكمن كمينا عند فم وادى السدرة. فلما اتقع مع طيبغا الطويـل خـرج علـيهم ذلـك الكمـين مـن وراء الجـبل فانكسر طيبغا ومن معه الأمراء وقبضوا عليهم وأرسلهم يلبغا إلى السجن بثغر الإسكندرية .

ثم دخلت سنة سبع وستون وسبعمائة:

فيها: أمر السلطان بإحضار منكلى بغا الشمسى نائب الشام فحضر إلى الأبواب الشريفة فـأخلع عليه واستقر نائب حلب وصارت حلب أكبر من الشام على القاعدة القديمة وأضاف إلـيه أربعمائـة فـارس من عسكر دمشق فتوجه إلى حلب وأخلع عليه الأمير اقتمر عبد الغنى واستقر نائب دمشق عوضاً عن منكلى بغا الشمسى فتوجه إليها .

وفـيها فـى مسـتهل ربـيع الآخـر: عـدى السـلطان الملك الأشرف شعبان إلى بر الجيزة ليتصـيد نحـو الـبحيرة. وكـان الأتـابكى يلبغا العمرى معه وبقية الأمراء، وكان السلطان أمر بعمـارة مراكـب أغـربة كـبار، وجعـل فيها السلاح والطبلخانا والنفط وصار والمصون بها فى الـبحر ذهابـاً وإيابـا وكان يوماً مشهوداً . ثم عدى السلطان وصار إلى أن وصل الطرانة فنزل هـناك فوقـع بـين الأتـابكى يلـبغا ومماليكه فركبوا عليه هناك، وكان يلبغا قد زاد ظلمه فى حـق ممالـيكه فضـرب مـنهم جماعـة بالمقـارع وقطع أنف جماعة منهم فنفرت منه القلوب. وكـان يلـبغا فـى آخـر الوقـت زاد فى [ق ٦٠ ب] الأذى وكان السلطان معه مثل اللولب بدوره كيف شاهد أنه غضب يوماً على مقدم المماليك سابق الدين مثعال فضربه ستمائة عقب فـى وسـط القصـر، وكان يلبغا سيئ الخلق جرئ اليد سفاكاً للدماء لما قتل جماعة كبيرة من

مماليكه ومن الأمراء ولا سيما قتله للسلطان حسن أستاذه. فلما كانت ليلة الأربعاء ركب مماليك يلبغا على أستاذهم وكسروا عليه وهو فى الخيام، فلما أحس بهم ركب فرسه تحت الليل وهرب منهم، وعدى من بر الجيزة إلى بر مصر وتوجه إلى بيته الذى فى الكبش وأرسل منع المراكب بألا يعدوا بأحد من المماليك.

فلما أصبح الصباح اجتمع عند يلبغا جماعة الأمراء منهم طيبغا العلائى حاجب الحجاب والأمير أينبك البدرى أمير أخور كبير وغيرهم من الأمراء هذا ما كان من أمر يلبغا. وأما ما كان من أمر مماليكه فإنهم لما علموا بهروب أستاذهم اجتمعوا كلهم وجاءوا إلى عند السلطان الملك الأشرف شعبان وقالوا له قم واركب معنا وإلا قتلناك فأنه لا يبقى عليك ولا علينا فقام السلطان وركب معهم إلى أن وصل إلى بولاق التكرور فأقام السلطان هناك ومن معه من الأمراء ومماليك يلبغا. فلما سمع يلبغا بذلك طلع إلى القلعة وأخرج سيدى أنوك أخو السلطان الأشرف شعبان وسلطنه وخلع الأشرف شعبان من السلطنة ولقب سيدى أنوك بالملك المنصور. ثم إن يلبغا أخذ المنصور أنوك ونزل من القلعة واخذ معه الأمراء الذين من عصبته وتوجهوا إلى الجزيرة الوسطى، فصار الأشرف شعبان بمن معه من العسكر فى بولاق التكرور والأتابكى يلبغا بمن معه من العسكر فى الجزيرة الوسطى والقتال بينهما عمال، وهم يترامون بالنشاب فى المراكب والنفط والكوسات عمالة إلى بعد العصر وكان ذلك فى يوم الجمعة. فلما دخل الليل جاء إلى الأشرف شعبان شخص من النواتية يسمى محمد بن لبطة كان رئيساً فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون فقال للأشرف شعبان أنا أعدى بك إلى ذاك البر أنت والعسكر فأحضر ثلاثين غراباً من الأغربة التى كانت قد عمروها بسبب الجهاد فكسر بروقها وعمرها بالمقاديف وأوسقهم بالخيول والعسكر ثم عدى بالسلطان من الوراق إلى جزيرة الفيل وذلك فى ليلة السبت فطلع إلى القلعة، فلما أصبح الصباح تسامعت به الناس والتف عليه أكثر العسكر فلما سمع من كان مع يلبغا بطلوع السلطان إلى القلعة صاروا يتسحبون من عند يلبغا ويطلعون إلى عند الأشرف شعبان فصار يلبغا فى نفر قليل من العسكر وتلاشى أمره وظهر عليه العجز ولم يبق معه من [ق ٦١ أ] الأمراء سوى طيبغا العلائى حاجب الحجاب فعند ذلك زحف يلبغا وطلع إلى الرملة فوقف ساعة عند باب الميدان فلم يطلع إليه أحد من العسكر، فلما رأى يلبغا أمره فى إدبار نزل عن فرسه قدام باب السلسلة وصلى ركعتين وحل سيفه وأعطاه لطيبغا حاجب الحجاب وركب فرسه وقصد التوجه إلى بيته الذى بالكبش فلما تحقق العوام بأنه انكسر فرجموه وهو رايح إلى بيته

وكـان العـوام يبغضـون يلبغا بغضاً شديداً فرجموه وسبوه إلى أن وصل إلى بيته فكان كما قال القائل:

لا يفعل الشـر فتسمى به وافعل الخير يجارى عليه

أما ترى الحية من شرها يقتلها من لا أسـاءت فـى

فـلما توجـه يلـبغا إلى بيـته بعـد جـهـد كـبير من العوام فأرسل السلطان إلى يلبغا بعض الأمـراء ليحضـره فأجـاب بالسـمع والطاعـة فطلـع إلى القلعـة وأخـذوه وتوجـهوا به إلى باب القلعـة، فـلما وصـل إلى السـلم المـدرج أراد أن يركـب فرسـه فجذبه بعض مماليكه إلى رأس السـوة عـند الخـوص وهـو ماشـى، فجـاء إليه شخص من مماليكه يسمى قراتمر فحز رأسه هناك وأخذه وجعله في مشعل وطاف بها إلى أن وصل إلى بيته الذى بالكبش وكان يلبغا فى رقبـته سـلفة خلـف أذنـه فعـرف بـه. فما فشلوا فى قتلته. ثم إن بعض الأمراء أخذ جبته ورأسه ودفنه فى تربة خارج الباب المحروق. وفى ذلك يقول بعض الشعراء.

أيــاك عــلى بدنــك الموت لما ظهرت بما نهاك الشرع عنه

فلا تعيب سواك على الذى قد بليت به فدود الخـل منــه

وكانـت قتلة الأتابكى يلبغا العمرى فى ليلة الأحد عاشر ربيع الآخر سنة ثمانى وستين وسـبعمائة. وكـان أميراً بل ملكاً جليلاً عظيماً حوى من المماليك مالا حواه غيره من الأمراء، إلـيه ينسـب الطـرز الطـوال اليلـبغاوية والصـخور الكـبار اليلـبغاوية وأشـياء كثيرة غير ذلك منسـوبة إلـيه ومشـى عـلى نظـام لم يمش عليه أحد من الأمراء قبله فى كثرة المماليك وسعة المعيشـة ونفـاذ الكـلمة. وكان من مماليكه جماعة مقدمين ألوف وعاش فى أرغد عيش فكان كما قيل أول بيت.

خذ من زمانك ما أعطاك مغنما وأنت نـــاه كهذا الدهـر أمره

فالعمر كالكأس يستحلى أوايله لكنــه ربما مجت أواخـــــره

[ق ٦١ ب]

فـلما قـتل يلـبغا الأتابكى صارت الكلمة متفرقة بين جماعة من الأمراء وهم الأمير طقتمر الـنظامى والأمـير آقـبغا الأحمـدى والأمـير أسـندمر الناصـرى فسكن الأمير أسندمر فى بيت الأتـابكى يلـبغا الـذى فى الكبش والتف عليه جماعة من مماليك يلبغا وأراد أن يمشى على

طريقة الأتابكي يلبغا فنقل أمره على الناس وعلى الأشرف شعبان. فلما كانت ليلة الأحد رابع شوال من السنة المذكورة ركب الأمراء وطلعوا إلى الرملة وقصدوه وأمسكوا الأمير أسندمر وجماعة من مماليك يلبغا فنزل السلطان إلى الحراقة ودقت الكوسات حربي ووقف الأمراء بسوق الخيل فلم يركب أسندمر من بيته الذى في الكبش إلى طلوع الشمس فلما ركب طلع إلى باب القرافة وخرج منه وتوجه إلى نحو الجبل وطلع من القلعة وجاء من السرة فلم يشعر الأمراء إلا وهو تحت الطبلخاناه السلطانية، فلما رآه الأمراء هرب أكثرهم ولم يلبث غير الأمير الجامى والأمير أرغون شاه فاتقع مع الأمير أسندمر إلى قريب الظهر فلم يساعدهما أحد من الأمراء فهرب الجامي وأرغون شاه وانتصر عليهما أسندمر. فلما انتصر فلم يخلع الملك الأشرف شعبان من الملك لكنه مسك جماعة كثيرة من الأمراء نحو ثمانية مقدمين ألوف وغيرهم من الأمراء الطبلخاناه والعشروات نحو أحد عشر أميراً وقيد الجميع وأرسلهم إلى الاعتقال بثغر الإسكندرية وذلك في شهر شوال من السنة المذكورة . ثم إن السلطان أخلع على من يذكر فيه من الأمراء وهم :

الأمير أسندمر الناصرى استقر أتابك العساكر على عادته وأخلع على الأمير أزدمر العمرى الناصرى الشهير بالخازندار واستقر أمير سلاح وكان قبل ذلك نائب طرابلس وتقدم ذلك والأمير ازدمر هذا هو جد والد المملوك، مؤلف هذا التاريخ، وكان جد والده لأمه وكان له بر ومعروف وآثار، إنه أنشأ خانا بالقرب من حلب يسمى خان سراقب وجعله للسبيل. وأنشأ حوضاً وسبيلاً في خيمة بني سعد من معاملة فاقم، وله غير ذلك أوقاف على الحرمين الشريفين. وكان ناظراً إلى فعل الخير كثير البر والصدقات تغمده الله برحمته ورضوانه. ثم إن السلطان استقر بالأمير جركمر المنجلى أمير مجلس والأمير الطنبغا اليلبغاوى رأس نوبة النواب واستقر بالأمير بيرم العرى دوادار [ق ٦٢ أ] كبير واستقر بجماعة كثيرة من الأمراء غيرهم في وظائف كبيرة وأنعم عليهم بتقادم ألوف وأنعم على جماعة من الأمراء بطبلخانات وعشروات وذلك عوضاً عمن سجن منهم .

وفي هذه السنة : قبض السلطان على الصاحب فخر الدين بن قرونية وسلمه إلى الأمير قرابغا الصرغتمشي فعاقبه إلى أن مات تحت الضرب وأحرق أصابعه بالنار واستصفى أمواله.

وفـى هذه السنة وهى سنة ثمان وستون وسبعمائة: كانت وفاة الشيخ جمال الدين بن نباتة المصرى صـاحب الأشعار اللطيفة الذى فاق بها على من تقدمه من الشعراء وكان مولده فى سنة ست وثمانين وستمائة فكانت مدة حياته اثنان وثمانين سنة ومن شعره لنفسه وهو قوله :

اصغى لـما قال آخر وقنكم وخل عنك اليوم ما قيلا

واسمع مقاطيعا له اطربت ولا تقـل الا مواصـيلا

ثم دخلت سنة تسع وستون وسبعمائة:

فـيها: فـى يـوم الجمعـة سادس شهر صفر ركب مماليك يلبغا على السلطان ودخلوا إلى بيت الأتابكى أسندمر الناصرى فقال لهم ما قصدكم؟ فقالوا له: أمسك الأمراء الذين استقروا جديدًا وهم:

الأمـير ازدمـر العمـرى الناصـرى أمـير سـلاح والأمـير بيرم العرى الدوادار والأمير بيبغا القوصـونى أمـير أخـور كـبير والأمـير الطنـبغا اليلـبغاوى رأس نوبة كبير وغيرهم من الأمراء الطبـلخانات والعشـروات، فمسـكهم الأمير الأتابكى أسندمر وقيدهم وأرسل منهم جماعة إلى ثغـر الإسـكندرية ، وأرسـل الأمـير أزدمـر أمير سلاح إلى الصبية فسجن بها واستمر مماليك يلبغا لابسين آلة الحرب إلى يوم السبت، فقالوا للأتابكى أسندمر : امسك بالسلطان . وكان الأتـابكى أسـندمر مـع مماليك يلبغا فى غاية الذل والقهر. فلما بلغ السلطان ما قاله مماليك يلـبغا فـنزل إلى الحـراقة الـتى بالأسـطبل السلطانى ودقت الكوسات حربى واجتمع الأمراء كـلهم بسـوق الخـيل والعسـكر وأولاد الـناس واجتمع من العوام والرعر السواد الأعظم لأجل قـتال مماليك يلـبغا لأنهم كانوا طغوا وتمردوا وجاروا على الناس حتى صاروا يأخذون نساء الـناس مـن الحمامـات وينهـبون أمـوال الـناس مـن الدكاكين ويأخذون بضائع الناس بلاش فبغضـهم الـناس أجمعـين، فلما دقت الكوسات حربى وطلع الأمراء إلى الرملة فجاء مماليك يلـبغا إلى الأتـابكى أسندمر وركبوه [ق ٦٢ ب] وتوجهوا به من وراء القلعـــة وأتوا به من [جهـة] [1]وأقبلوا على السوة لا فيهم العوام والرعر بالمقاليع والحجارة فألقى أسندمر الرعب فى قلوب مماليك يلبغا فهربوا وانكسر الأتابكى أسندمر وقتل من مماليك يلبغا جماعة كبيرة ومسـكوا الأتـابكى أسـندمر وأحضروه إلى بين يدى السلطان فلما حضر بين يديه تكلم الأمراء مـع السـلطان وعـرفوه أن الأتـابكى مظلوم مع مماليك يلبغا وأنهم أركبوه بالغصب على رغم

(١) إضافة من عندنا للسياق مع المعنى.

أنفه فسمع فيه الأمراء عند السلطان فأطلقه ورسم له بأن يكون أتابكاً على عادته، فنزل بيته ومعه الأمير خليل بن قوصون أمير مجلس. فلما نزل الأمير أسندمر الأتابكى إلى بيته ومعه الأمير خليل تحالفا وخامرا على السلطان وركبا فى صبيحة يوم الاثنين الموافق ثامن شهر صفر وركب معهما مماليك يلبغا أيضاً وجماعة من الأمراء، فلما طلعوا إلى الرملة نزل السلطان إلى الحراقة التى فى الاسطبل السلطانى ودقت الكوسات حربى واجتمع السواد الأعظم من العوام والرعر فحصل بينهما قتال شديد، وقتل من المماليك جماعة كبيرة وانكسر الأتابكى أسندمر ثانياً والأمير خليل بن قوصون وهربا وقتل من مماليك يلبغا جماعة كبيرة، وصار العوام كل من رأوه من مماليك يلبغا يمسكوه ويعرفه ويصلبوه كما رسم لهم السلطان بذلك، ثم فى أواخر ذلك اليوم مسك الأتابكى أسندمر والأمير خليل بن قوصون، وكان الأمير خليل بن قوصون ابن عمة الملك الأشرف شعبان ثم صاروا وتمسكوا الأمراء الذين كانوا من عصبة الأتابكى أسندمر ثم أرسلوهم أجمعين إلى السجن بثغر الإسكندرية فكان الأتابكى أسندمر كما قيل فى الأمثال:

من سل سيف البغى قتل به ومن شرب بكأس الطمع شرف به

وفى واقعة الأتابكى يلبغا الأتابكى أسندمر يقول الأديب إبراهيم بن المعمار فى ذلك :

سلطاننا دامت له عزة وبحيرة من أجل هائيل

دمر كبشين ومن يبعده ما انتطحت فى ذاك شانين

وفى ذلك يقول الشهاب ابن العطار [1]

هلال شعبان جهر ولاح فى صفر بالنصر حتى أرى عيد شعبان

---

(١) هو أحمد بن محمد بن على شهاب الدين ابن العطار الدنيسرى أديب، أصله من " نيسر" قرب ماردين بالجزيرة، اشتهر ، ولد سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م هـ / ١٣٩٢ م بالقاهرة . له نظم كثير وكان يمدح الأكابر وينظم فى الوقائع وله كتب سنها " نزهة الناظر فى المثل السائر" و " المستانس فى هجو بنى مكانس" و " ثقل العيار" خمريات و " منشأ الخلاعة" مجون و " مرقص الطرب" و " حسن الاقتراح فى وصف الملاح" ذكر فيه ألف مليح وصفاقم، و " بديع المعانى فى أنواع التهانى" و " لطائف الظرفاء " و " عنوان السعادة " فى المدائح النبوية و " المسلك الناجز" موشحات نبوية .

انظر المزيد فى : الدرر الكامنة ١ / ٢٨٧ .

وأهل كبير كأهل الفيل قد احدوا   رجما وما انتطحت فى الكبس عيراز

وقوله فى هذا المعنى أيضاً [ق ٦٣ أ]

حـواشى يلبغـا كـانوا زناقة   فلا تعجب إذا رجموا جهارا

ولا تعجب إذا سكروا لحرب   فأهل الكبش ما ترجوا سكارا

ثم إن السلطان عمل الموكب فى يوم الخميس **حادى عشر صفر من سنة تسع وستين:**

فـيها: اسـتقر بـالأمير يلـبغا اص المنصـورى اتـابك العسـاكر عوضـاً عن أسندمر واستقر بجماعة من الأمراء فى وظائف عوضاً عن من سجن من الأمراء.

فـلما كـان يـوم الـثلاثاء سابع عشر صفر قبض السلطان على الأتابكى يلبغا آص والأمير ملكـتمر المحمـدى وقـيدهما وأرسـلهما إلى السجن بثغر الإسكندرية وذلك الأمر بلغ السلطان عنهما فتغير عليهما بسبب ذلك .

قال الشهاب بن العطار:

يلبغـا آص تولى جـمعه   فبقا واختار حربا وادعى

ويح من جاء لحكم زايرا   ثم مـا سـلم حتى ودعى

وفـيها : أحضـر السـلطان الأمـير منكـلى بغا الشمسى نائب حلب إلى الأبواب الشريفة فاسـتقر بـه أتـابك العسـاكر عوضـاً عـن أسـندمر واحضـر الأمير على المارديني نائب دمشق وأخلـع علـيه واسـتقر بـه نائـب السـلطنة بمصر وأخلع على الأمير الجاى اليوسفى زوج أم السـلطان الأشـرف شـعبان واسـتقر بـه أمـير سلاح عوضاً عن الأمير أزدمر العمرى الناصرى وأنعم بتقادم ألوف على جماعة كبيرة من الأمراء.

ثم دخلت سنة سبعون وسبعمائة:

وفيها: توجه السلطان إلى ثغر الإسكندرية ودخل إليها من باب رشيد والأمراء مشاة بين يديـه وفرشـت تحـت رجل فرسه الشقق الحرير من باب البحر إلى دار السلطنة. ومد هناك سماطـاً وأقـام بالإسـكندرية ذلـك الـيوم ثـم رجع إلى المخيم خارج باب رشيد ثم رحـل عنها وتوجه إلى نحو القاهرة .

وفـى هـذه السـنة وهـى سنة سبعون وسبعمائة: ظهر بالشام جراد عظيم لم يسمع بمثله وامـتد مـن مكـة إلى الشام وعظم حتى أكل الأشجار والأخشاب وأبواب الدور وما وصل إليه

مـن الأمتعة وسدت أعين الماء خوفاً من أن يفسدها الجراد وعظم أمره بحوران وعجلون حتى غلقت الأسـواق وسلمت الطاقـات والأبـواب . وقـيل حضـر إلى صـلاة الجمعـة فملأ صحن الجـامع وتـرامى عـلى الخطيـب وهو فوق المنبر حتى شغله عن الخطبة وخافت منه المدينة لكـثرة مـا قـتل مـنه حـتى صـار مـن فـى البلد يشمون الخل والقطران ليخفى ذلك الرائحة الكرهة وما يعلم جنود ربك إلا هو [ق ٦٣ ب] .

وفـى هـذه السـنة : زاد ظلم والى القاهرة بكتمر الشريفى وجار على الناس فوقف جماعة مـن العـوام تحـت القلعـة ، وطلـبوا مـن السـلطان أن يسلم إليهم بكتمر الشريفى والى القاهرة وعـلاء الديـن بـن كلـبك شـاد الدواويـن فوقفـوا تحـت القلعة وهم يصيحون إلى بعد العصر، وصـاروا يـزحمون كـل مـن طلـع إلى القلعـة أو نزل منها فرسم السلطان للأمراء والمماليك أن يركـبوا على العوام فركبوا عليهم وقتلوا منهم جماعة كبيرة بالنشاب وبالسيف ومسكوا منهم جماعة وسجنوهم.

فـلما أصـبح الصباح أفرج السلطان عن المسجونين ونادى للعوام بالأمان والاطمئنان وعزل عنهم والى القاهرة بكتمر الشريفى وولى الأمير حسين الكورانى.

وفـى هـذه السـنة : سـافرت خونـد أم السـلطان الأشـرف شـعبان إلى الحجاز الشريف وخرجـت مـن القاهـرة فـى محمل زايد وسافر صحبتها الأمير بشتاك العمرى الناصرى رأس نوبة النواب والأمير بهادر الحمالى.

وفى سنة إحدى وسبعين وسبعمائة:

فـيها : رجعـت خونـد أم السـلطان مـن الحجـاز فـى سـادس عشر المحرم فخرج إليها السـلطان وتلقاها من النويب وطلعت إلى القلعة وكان يوماً مشهوداً.

وفى هذه السنة : مات على الماردينى نائب السلطنة وكان ديناً خيراً محباً للعدل ، لين الجانب.

وفى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة:

فيها: رسم السلطان للسادة الأشراف أن يجعلوا فى عمامهم شطفات خضر ليمتازوا بها عن غيرهم وتعظيماً لقدرهم وفى ذلك يقول ابن جابر الأندلسى.(١)

جعلوا لأبناء الرسول علامة ... إن العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة فى كريم وجوههم ... يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وقال شمس الدين بن المزين الدمشقى :

أطرف تيجان أتت من سندس ... خضر كأعلام على الأشراف

والأشرف السلطان شرفهم بها ... شرفا لتعرفهم من الأطراف

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعون وسبعمائة:

فيها : عزل السلطان قاضى القضاة بهاء الدين السبكى الشافعى وولى عوضه القاضى برهان الدين بن جماعة وكان خطيب القدس.

وفى سنة أربع وسبعين وسبعمائة:

فيها: توفى الأتابكى منكلى بغا الشمسى واستقر الأمير الجاى اليوسفى زوج أم السلطان اتابك العساكر عوضاً عن منكلى بغا الشمسى وأنعم السلطان على ولده على بتقدمة [ق ٦٤ أ] الف وفى هذه السنة : ماتت خوند أم السلطان أشرف شعبان زوجة الأمير آلجاى اليوسفى، وكانت امرأة خيرة دينة وهى التى عمرت المدرسة التى بالتبانة وحوضًا للسبيل،

---

(١) هو محمد بن أحمد بن على بن جابر الأندلسى الهوارى المالكى أبو عبد الله شمس الدين، شاعر عالم بالعربية أعمى من أهل المرية، صحبه إلى الديار المصرية أحمد بن يوسف الغرناطى الرعينى، فكان ابن جابر يؤلف وينظم، والرعينى يكتب واشتهر بالأعمى والبصير ثم دخلا الشام فأقاما بدمشق قليلاً وتحولا إلى حلب سنة ٧٤٣ هـ وسكنا " البيرة " قرب سميساط ثم تزوج ابن جابر فافترقا ومات الرعينى فرثاه ابن جابر، ومات بعده بنحو سنة فى البيرة سنة ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨، وكان مولده سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م له عدة مصنفات ومؤلفات منها " شرح ألفية ابن مالك" و " شرح ألفية ابن معطى" ثمانية أجزاء" و " العين فى مدح سيد الكونين " و " نظم فصيح ثعلب" و " نظم كفاية المتحفظ" وغيرها.

انظر المزيد فى : مفتاح السعادة ١ / ١٥٦ بغية الوعاة ٤ ، نفح الطيب ٢ / ٦٦٨ ثم ٤ / ٧٦٨ ، الدرر الكامنة ٣ / ٣٣٩ ، نكت الهميان ٢٤٤ كشف الظنون ١٥٢ و ١٥٥ .

ولما ماتت دفنت بها وكان اسمها خوند بركة فلما ماتت حزن عليها السلطان حزناً شديداً وكان يحبها كثيراً ولا يخالفها فى شيء تقوله، وقد رثاها شهاب الدين الأعرج[1]

في مستهل الشهر من ذى الحجة   كانت صبيحة موت أم الأشرف

فالله يرحمهـــا ويعظـم أجـــره   ويكون فى عاشورا موت اليوسفى

فكان الفال بالمنطق.

وفى سنة خمس وسبعين وسبعمائة:

فيها: فى يوم الثلاثاء سادس المحرم وثب الأمير آلجاى اليوسفى على السلطان ولبس آلة الحرب هو ومماليكه، وسبب ذلك قيل حصل بينه وبين السلطان حظ نقس بسبب ميراث أم السلطان فحنق من ذلك وركب على السلطان . فلما ركب ذلك اليوم أمر السلطان المماليك باللبس والركوب، وكذلك الأمراء فباتوا فى تلك الليلة وهم لابسين آلة الحرب، فلما أصبحوا يوم الأربعاء اتقع الأمراء والمماليك مع آلجاى وقاتلوه أشد القتال فانكسر آلجاى وهرب إلى بركة الحبش، ثم طلع من وراء الجبل وخرج من عند قبة النصر، وأقام هناك ساعة، فأرسل السلطان له خلعة بأن يكون نائب حماه فقال آلجاى: أنا أروح بشرط أن يكون قماشى وبركى ومماليكى معى، فما أجابه السلطان إلى ذلك فبات تلك الليلة هناك هو ومماليكه وهم لابسين آلة الحرب فهرب من مماليكه فى تلك الليلة جماعة كبيرة .

فلما أصبح الصباح توجه إليه الأمراء والعسكر واتقعوا معه هناك فانكسر وهرب فساقوا خلفه إلى قليوب فأرمى نفسه بفرسه فى البحر فغرق هو وطلع الفرس ومسكوا جماعة من مماليكه، فلما بلغ السلطان أن آلجاى غرق حزن عليه، وأرسل إليه جماعة من الغطاسين فغاصوا عليه وطلعوا به إلى البر، وحملوه فى تابوت وأتوا به إلى القاهرة، فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه، وكان ذلك فى يوم الجمعة، ثم دفنوه فى مدرسته التى عند سويقة العزى، ثم إن السلطان احتاط على موجوده ومماليكه. وكان أميراً ملياً غنياً ذا شهامة وحرمة. ولما مات

---

(١) هـو الحسن بن محمد بن الحسين الخراسانى نظام الدين المعروف بالأعرج، فاضل مفسر من أهل نيسـابور سكن بقم، من كتبه ثلاثة تفاسير للقرآن الكريم و " تعبير التحرير " و " توضيح التذكرة النصيرية " فى الهيئة .

انظر المزيد فى : هداية العارفين ١ / ٣٨٢ ، الذريعة ٤ / ٢٠٦ و ٤٩٢.

آلجاى رسم السلطان بإحضار الأمير أيدمر نائب طرابلس فلما حضر أخلع عليه [ق ٦٤ ب] فاستقر به أتابك العساكر بمصر عوضاً عن آلجاى واستقر الأمير أرغون شاه الأشرفى رأس نوبة كبير فلم يقم الأمير أيدمر فى الأتابكية إلا مدة يسيرة ومات بالرحيل. فلما مات أيدمر رسم بإحضار الأمير منجك اليوسفى نائب الشام . فلما حضر أخلع عليه واستقر به نائب السلطنة بمصر وأتابك العساكر المنصورة وفوض إليه السلطان أمر المملكة بالديار المصرية والبلاد الشامية .

ثم دخلت سنة ست وسبعون وسبعمائة:

فيها : اشتد الغلاء بالديار المصرية وتناها سعر القمح إلى مائة وأربعين درهمًا، لكل أردب ، والتسعين ثمانين درهمًا بكل أردب وتناها سعر الخبز كل رطلين بدرهم. وصار أكثر الناس يأكلون خبز الفول والنخال ويباع ذلك كل رغيف بثمانية فلوس جدد . فرسم السلطان للأمير منجك نائب السلطنة بأن يفرق الحرافيش على الأمراء المقدمين والتجار الكبار وأعيان الناس كل واحد على قدر مقامه.

وفى هذه السنة : فتحت مدينة سيس وانقرضت دولة الأرمن منها من يومئذ، ففرح السلطان بذلك وأمر بدق الكوسات ثلاثة أيام لأن مدينة سيس لم يملكها أحد من الملوك قبله.

وفى آخر هذه السنة: توفى الأتابكى منجك اليوسفى نائب السلطنة وكان من خيار الأمراء، ولما مات دفن فى تربته التى عند السوة وكانت جنازته مشهودة.

ثم دخلت سنة سبع وسبعون وسبعمائة:

فيها: ختن السلطان الملك الأشرف شعبان أولاده وأقام منهم سبعة أيام .

وفيها : ابتداء السلطان بعمارة مدرسته التى فى السوة تحت الطبلخانات.

وفى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة:

فيها : أبطل السلطان ضمان المغانى من سائر مملكته، وأبطل ضمان القراريط وكان ذلك أن الشخص إذا أباع له ملكا يؤخذ منه عن كل ألف درهم عشرون درهمًا وكان على المغانى من رجال ونساء فى كل شهر قدر معلوم يحمل إلى الخزائن الشريفة ، فأبطل السلطان ذلك جميعه وهو فى صحيفته إلى الآن .

وفى هذه السنة : قصد السلطان الملك الأشرف شعبان بأن يتوجه إلى الحجاز الشريف. وكان السلطان متوعكاً فى جسده فأشار عليه بعض الصلحاء بترك الحج فى هذه السنة فأبى ولم يقبل منهم ذلك ، وحج فى تلك السنة وخرج من القاهرة فى محمل زايد وطلب عظيم وكان معه عشر محفات بأعشية زركش برسم الحريم، وستة وأربعين زوج محاير باعشية محمل [ق ٦٥ أ] على سائر الألوان وبناها فى برقة حتى حمل معه أشجارًا مزهرة فى طينها فى صناديق خشب وغير ذلك من الأشياء الغريبة التى لم يسمع بمثلها. وخرج يوم السبت ثانى عشر شوال من السنة المذكورة وسافر معه من الأمراء المقدمين الألوف تسعة ومن الأمراء الطبلخاناة خمسة وعشرون أميراً ومن الأمراء العشروات عشرون أميراً، فخرج طلب السلطان أولاً ثم خرج بعده اطلاب الأمراء أولاً بأول حتى انتهوا ثم توجهوا إلى بركة الحاج، ثم خرج السلطان فى يوم الاثنين رابع عشر شوال وتوجه إلى سرياقوس فأقام بها إلى يوم الثلاثاء ثانى عشرين شوال، ثم إن السلطان أخلع على الشيخ ضياء الدين القنوى واستقر به شيخ مدرسته التى فى السوة وقرر فيها حضوراً وطلبه من بعد العصر. وكانت هذه المدرسة من محاسن الدنيا فى الزخرف والبناء وقد هدمت هذه المدرسة فى دولة الملك الناصر فرج بن برقوق. ثم إن السلطان بعد أن أخلع على الشيخ ضياء الدين القنوى فى سرياقوس رحل منها وتوجه إلى بركة الحاج ونزل بها هو والأمراء الذين سافروا معه.

وكان السلطان ضبط أمور المملكة قبل أن يخرج إلى الحجاز وأخذ معه من الأمراء من كان يخشى منه وترك فى القاهرة من كان يركن إليه من الأمراء ورسم لنائب السلطنة وبقية الأمراء الذين هم مقيمون بالقاهرة أن يطلعوا إلى القلعة فى كل يوم اثنين وخميس ويدخلوا إلى باب الستارة ويطلبون الأسياد أولاد السلطان ويعطوهم الخدمة، وكان على أكبر أولاد السلطان فامتثل الأمراء ذلك، وظن السلطان أن الوقت قد صفا له والأقدار تجرى بخلاف الاختيار كما قيل فى المعنى

إذا لم تكن عون من أبيه ليفنى فأول ما يجنى عليه اجتهاده

ثم إن السلطان رحل من بركة الحاج وصحبته الأمراء كما تقدم وجعل الأمراء المودعين إلى بيوتهم. فلما كان يوم السبت ثالث ذى القعدة اتفق طشتمر المحمدى أحد الأمراء العشروات وقرطاى الطارى وأسندمر الصرغتمش وأينبك البدرى الكل من الأمراء العشروات ويضاف إليهم جماعة كبيرة من المماليك السلطانية ممن كان تأخر عن السفر فلبسوا آلة

الحرب هم والمماليك الذين كانوا فى الطباق وفوق القلعة فاجتمع الكل وحضروا إلى باب الستارة وأخذوا معهم الأمير الزمام مثقال الجمالى وطنبغا العلانى وقالوا [ق ٦٥ ب] اخرجوا إلينا الأمير على حتى نسلطنه فإنه قد بلغنا أن الملك الأشرف والده قد مات فى العقبة واغلظوا فى الكلام فدخل الأمير الزمام وأخرج إليهم الأمير على فلما حضر أرسلوا خلف الأمير أيدمر الشمسى نائب القلعة وباسوا الأرض للأمير على وأركبوه من باب الستارة إلى الإيوان وأجلسوه على كرسى المملكة وأرسلوا طلبوا الأمراء الذين هم بالقاهرة فطلعوا إلى سوق الخيل فطلبوهم أن يطلعوا إلى القلعة فأبوا من ذلك، فنزل إليهم الأمير على بن السلطان إلى الخراقة التى فى الأسطبل السلطانى فعند ذلك طلع إليه سائر الأمراء وباسوا له الأرض ولقبوه بالملك المنصور ونادوا باسمه فى مصر والقاهرة ودقت له البشاير وحلفوا له الأمراء فلما كان يوم الأحد رابع ذى القعدة من السنة المذكورة قبض بعض الأمراء على شخص من المماليك يسمى قازان البرقشى من جملة الأمير بأخور كبير وكان مسافراً مع السلطان الملك الأشرف فوجدوه فى القاهرة متنكرًا فقبضوا عليه وأحضروه إلى نائب القلعة فسأله عن سبب حضوره إلى مصر فصار يمقع فى الكلام فعروه وقصدوا توسيطه فعند ذلك أقر بما جرى ثم إنه حكا لهم أن السلطان الملك الأشرف لما وصل إلى العقبة فى يوم الثلاثاء فبات بها فلما أصبح فى يوم الأربعاء طلب منه المماليك السلطانية العليق فقال لهم " اصبروا إلى أن نصل إلى الأزنم" ثم مد لهم السماط فأبوا أن يأكلوا وخامروا على السلطان وركبوا هناك وواقعهم جماعة من الأمراء، فركب السلطان وبقية الأمراء واتقعوا هناك فانكسر السلطان ومن معه من الأمراء وهرب هو والأمير أرغون الأشرفى أتابك العساكر والأمير صرغتمش الأشرفى الأمير سلاح والأمير بيبغا السابقى أمير مجلس والأمير بشتاك رأس نوبة النواب وغير ذلك من الأمراء الطبلخاناة والعشروات والمماليك السلطانية.

فلما بلغ الأمير أسندمر الصرغتمشى والأمير طولوا وبقية الأمراء هذا الخبر خرجوا لهم على حمية واتقعوا معهم وقتلوا منهم جماعة من الأمراء وقطعوا رءوسهم وحملوها إلى سوق الخيل ولم يجدوا السلطان ولا بيبغا الناصرى أحد الأمراء الطبلخاناة وكانت هذه الوقعة بالقرب من عجرود هذا ما كان من أخبار الأمراء، وأما ما كان من أخبار الملك الأشرف شعبان فإنه لما جرى ذلك حضر إليه محمد بن عيسى أمير القائد وقال للسلطان أنا آخذك من هنا وأتوجه بك إلى نحو الشام فنقم بغزة وتجمع العساكر والعربان ونرجع إلى القاهرة [ق ٦٦ أ] ونأخذ المملكة بالسيف فصغى السلطان إلى كلامه ومال إلى ذلك وأراد أن يتوجه

معه إلى غزة من نحل فلم يوافق الأمراء على ذلك، فدخل إلى القاهرة متخفيًا فتوجه إلى بيت يلبغا الناصرى أستادار بيبغا العمرى فلما دخل عنده لم يقر له قرارًا فخرج من بيت يلبغا فى الليل متخفيًا وتوجه للجودر به وأتى إلى بيت امرأة تسمى آمنة زوجة ابن المشتولى فاختفٍ عندها فلما كانت ليلة الاثنين جاءت امرأة إلى عند الأمير الطنبغا السلطانى وأخبرته أن السلطان مختفٍ فى مكان فى الجودر به فأرسل معها جماعة من المماليك إلى بيت آمنة المذكورة وأمسكوه. فلما دخلوا البيت هرب السلطان واختفى فى البادهج فلم يجدوه فى البيت فطلعوا إلى السطح فوجدوه فى البادهج فمسكوه من البادهج ونزلوا به فألبسوه آلة الحرب وطلعوا به إلى القلعة فتسلمه الأمير أينبك البدرى وخلا به فى تلك الليلة وقرره على الذخائر فأخبره عنها. وقيل إن أينبك البدرى ضربه تحت رجليه حتى أقر على الذخائر . فلما كان يوم الاثنين تسلمه جركس مملوك آلجاى اليوسفى وكان شاد العمائر عند آلجاى فلما تسلمه جركس خنقه تحت الليل، وذلك فى ليلة الثلاثاء سادس ذى القعدة من السنة المذكورة . فلما مات وضعه فى قفة وكسر ظهره وخيط عليه بلاس وأرسله تحت الليل على حمار فأرماه فى بير بالقرب من باب الزغلة فكان كما يقال:

يا نفس صبرا وإلا فاهلكى جزعا   أن الزمان على ما تكرهين بنى
لا تحسبى نعمة صرتك صبحتها   إلا بمفتاح أبواب من الحزن

هذا ما كان من أمر السلطان ، وأما ما كان من أمر الأمراء فاجتمع بقية الأمراء وجاءوا إلى الخليفة المتوكل على الله وكان صحبة السلطان لما توجه إلى الحجاز فقالوا له يا أمير المؤمنين هذه الوظيفة وظيفتك ونحن مماليك والقضاة الأربعة حاضرون فأبى من ذلك الخليفة وامتنع كل الامتناع، فأقاموا على ذلك يومين وهم يسألونه وهو يأبى من ذلك. فلما يأسوا منه توجه القضاة من العقبة إلى زيارة بيت المقدس.

ومن غريب الاتفاق أن اليوم الذى خامر فيه المماليك وركبوا على السلطان فى العقبة وافق اليوم الذى ركب فيه المماليك بالقاهرة ووقعت فيه الفتنة بمصر وأما بقية الحجاج [ق ٦٦ ب] فإن الأمراء اتفقوا على أن الأمير بهادر الجمالى أمير أخور كبير يتوجه صحبة المحمل الشريف ورجع بقية الأمراء والمماليك السلطانية إلى القاهرة وصحبتهم حريم السلطان الملك الأشرف شعبان. فلما وصلوا إلى عجرود جاءت الأخبار بما جرى فى القاهرة من قتل السلطان وسلطنة ولده الملك المنصور على فلما وصلوا إلى بركة الحاج، نزل الأمير قطلقتمر

العلائى الطويل والأمير طشتمر الدوادار الكبير فلما بلغ الأمراء الذين بالقاهرة مجىء الأمراء من العقبة خرجوا إليهم على حمية واتقعوا معهم فساق خلفهم الأمير قطلقتمر العلائى الطويل والأمير طشتمر من بركة الحاج إلى رأس السوة فتكاثروا عليهما المماليك والأمراء فانكسر وهرب الأمير طشتمر الدوادار نحو الباب المحروق. ثم مسكوا الأمير قطلقتمر والأمير طشتمر وقيدوهما وحبسوهما بالقلعة وفى ذلك يقول ابن العطار.

إن كان كشتمر طغى   وأتى بحرب يسرع

وبغى سيؤخذ عاجلا   ولكل باغ مصرع

وقيل لما قتل الأشرف شعبان قام فى البير أياما حتى ظهرت رائحته وعلموا بمكانه فطلع به بعض الخدام من البير تحت الليل وجاءوا به فى تابوت وأحضروه إلى مدرسة والدته التى فى التبانة فغسلوه هناك وكفنوه وصلوا عليه ودفن بالقبة التى تجاه قبة والدته.

وكان الملك الأشرف شعبان من أجل الملوك قدراً لم ير فى الملوك أحلم منه. وكان هيناً ليناً محباً للعلماء والصلحاء محسناً لأقاربه وبنى لعمه بخلاف من تقدمه من الملوك، فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية أربعة عشر سنة وشهرين وعشرين يوماً ، ومات وله من العمر نحو أربعة وعشرين سنة وتولى الملك وعمره عشرين سنة وكان مولده فى سنة أربع وخمسين وسبعمائة. ولما مات خلف من الأولاد ستة وهم: المنصور على وكان أكبرهم وسيدى أمير حاج وسيدى قاسم وسيدى محمد وسيدى اسماعيل وسيدى أبو بكر وولد له بعد موته سيدى أحمد من خوند سمراء. وخلف من البنات سبع، وفتحت فى أيامه مدينة سيس وسنجار ودوركى. وكانت الدنيا فى أيامه هادئة من الفتن وجور العربان والتركمان وغيرهم وفيه يقول بعض الشعراء هذه الأبيات .

بالملك الأشرف المهدى   شعبان فزنا بكل فضل

من وطن اللون والرعايا   بطى ظلم ونشر عدل [ق ٦٧ أ]

ولما قتل الأشرف شعبان فى ليلة الثلاثاء سادس ذى القعدة من سنة ثمان وسبعين وسبعمائة رثاه القيم خلف الغبارى بهذه القطعة الزجل الغريبة فى فنها وحسن أسلوبها وهى هذه القطعة .

عن منازل طالع القلعة   كوكب السعد اختفى حين بان

اقتران زحل مع المريخ   وكسوف شمس انتقال شعبان

صـار محـرم نومـنا لمـا　　صـفر المـنزل مـن الأشـرف
وادخـر مـنا ربـيعين عـيش　　وجمـادين فـتهكم أشـرف
ورجـب فـيه الملـك شـعبان　　دور المحمـل ولـما أشـرف
رمضـان صـاموا وفـى شـوال　　شال وذى القعدة بدا الحرمان
فـيه جـرت سيرة لذى الحجة　　مـا جـرت فـى سالف الأزمـان
قـد فهمـنا أصـل ذى الـنوبة　　بسـماع مـا جـاء مـن الأخـبار
فـى حصـار شعبان وفـى ضربو　　نوبـتين والخـنق بالأوتـار
ولـذا صـار قلبـنا موصـول　　بـالهموم والعقـل مـنا طـار
وخـروج السـهم لـو تشـييب　　فـى القصـب مـن داخل الأبدان
والسيوف غنـت لـرقص الخيل　　والأنـامل هـزت المـيدان
لـلحجاز لمـا نـوى الأشـرف　　ورحـل مـع جملـة العشـاق
خامـرت مائـة مـن العسـكر　　ولرصـد الغـدر جـوا أجـواف
قـتلوه شـركة وتـاريخو　　للعـراق والأصـبهان انسـاق
وقـد أضحى فـى الرمل مدفون　　والـذى بـيه فـى طـرب فـرحان
صـار محـير والحمـام فى الدوح　　نـاح لفقـدو باخـتلاف ألحـان
الذخايـر ذاهـبة حـين صـار　　واسـطة عقـد الجـيوش غايـب
والذهـب كـنو الخـزين صـفر　　صـورتو وأمـا الـلجين شـايب
والعقـيق كـنو قـدا تخضـب　　بالدمـا حـين كهـربو كـارب
وسـلوك الـدر والـياقوت　　عقدهـا اتفـرط مـن التـيجان
وأصـبح الجوهـر يتـيم بعـدو　　ودمـوع العـين علـيه مـرجان
ذى الـذى كـان الملـك إيـدو　　وإيدهـم فـى فـرد زبديـة
جـوه بعملـة غـدر مدفونـة　　وحيل فى السر مخفية[ف٦٧ب]
وقلـوب بـالغم مغمومـة　　وكـبود بـالغبن مشـوية
وأمـور مـزورة لكـن　　قـبل مـا سـقوه الهـوان ألـوان
طـبخوا القـدرة وقـد سـارو　　حولهـا مسـتجمعين إخـوان
فـى أتـابك مصـر كنـت أعهـد　　قـوم عزيـزين جَـبْر للمكسـور
مـنهم أرغـون شـاه وصـرغتمش　　والشـهير بالسـابقى المنصـور

والأمـير بشـتاك مـع الأفـرم بأمـر مـن لـو الحكـم والمقـدور
جـاء القضا عاجل خد الخمسة وقـد أضْـحَا عِـزهُم مـنهان
هكـذا الدنـيا وقـد قـالوا فـى المثل مـا عـز إلا هـان
جـال بنفسـو دا الملـك لمـا حايصـيب دستو عليه مقلـوب
وأخـذ فـيلُو سـريع شـامات وانكسـر رخـو وصـار مغلـوب
هكـذا فـى رفعـة الدنـيا دِسـتِ هَـذِى الملكـة المنصـوب
ذا يكـن راكـب فـرس عـزو عاليه فرحان يعود فى أحـزان
والـذى فـى الحاشـية بَـيْدَق ينـتقل حـتى يصـير فـرزان
مصر وادى تيه وصارت غاب وسـكن وأبـراج خَـوَتْ رفعـة
وأمارتهـا الـذى كـانوا فـى هـنا مـن قـبل ذى الوقعـة
لـلمَلِك خـلان وهـم غـزلان وأسـود وأقمـار لهـم طالعـة
خفـت الأقمـار مـن الأبـراج وخَـلاَ المسـكن مـن الخِـلاَن
وعـن الغـاب غابـت الآسـاد وأقفـر الـوادى مـن الغـزلان
ضـم الأشـرف قبر ليت شعرى هـو لقـنديل نـور ضـياه جـامع
أو صـدف فـيه خـالص الجوهر أو فلـك فـيه غـاب قمـر طـالع
أو كـناس فـيه أحسـن الغـزلان أوحمـا فـيه أفـرس الفِرْسَـان
أو جسـد فـيه روح مـن الأرواح أو سـواد مقلـة وفـيها إنسـان
نسـألك يـا الله بجـاه موسـى وبعيسـى وأحمـد المحـبوب
غيـث الأشـرف واوهـبو رحمـة وعلـيه أفـرغ صـبر أيـوب
فـارق اذكـرنا فـراق يوسـف مـثل مـا أورثـنا حـزن يعقـوب
والخلـيل مـنا غـدا قـايل لخيلو حين يراه لهفان [ق٦٨ أ]
فـى سـفين الحـزن بعـد نـوح واجـرد معـك فـى الخدود طوفان
نصـر شـعبان تم بالكـامل لعـلى والحكـم للقـادر
نسـألك يـا حـق يـا عـادل كـن لجـيش المسـلمين ناصـر
وارزق العـالم عمـل صـالح واصـلح الـباطن مـع الظاهـر
واخمـد الفتـنة وطمـنا لا تشـتتنا مـن الأوطـان
وانصـر المنصـور عـلى واعفـو عـن أبـيه الأشـرف السـلطان

يـا مـن أمسـا مـثل ما صبح فى	فـــرح بالجـــاه وكـــثر المـــال
قـــط لا تـــركن لـــذى الدنـــيا	واحـــذر احـــذر حالهـــا إن حـــال
كـم عزيـز ذلـته صـار يطلـب	جـاء يجـيه مـا جـاه ومـا لو مال
فالـــبس الـــبس خلـــة لـــتقوى	قـــبل لبســـك شـــقة الأكفـــان
لا تغـــــرك زيـــــنة الدنـــــيا	كـــل مـــا تـــنظر علـــيها فـــان
آخـــر الـــثامن مـــن الســـبعين	بعـــد تـــاريخ ســـبعمائة عـــام
يـا غـبارى قلـت فـى الأشـرف	نظـم شـاع فـى إقلـيم مصر والشام
وأنــت فــى فــن الــزجل قــيم	بـــدروج تشـــهد بهـــا الحكـــام
وبـــنظم النـــثر فـــى فكـــرك	كـم وكـم صـنفت مـن ديـوان
والبديع لك صـــارت الفرســـان	فيـــه رجـــال والقيمـــة آدوان

٢٣ – ذكر سلطنة الملك المنصور على بن الملك الأشرف شعبان ابن الأمجد حسين بن محمد بن المنصور قلاوون [١]

وهو الثالث والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية . جلس على سرير الملك فى خامس ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، فتسلطن وله من العمر سبع سنين وأشهر، فلما حضر أمير المؤمنين من العقبة وكان توجه صحبة الملك الأشرف خليل بن شعبان فاجتمع الأمراء وبايع الخليفة إلى الملك المنصور على ولبس خلعة السلطنة من باب الستارة وركب إلى الإيوان وجلس هناك ثم دخل إلى القصر الأبلق ومد فيه السماط، فلما فرغ من ذلك أخلع على من يذكر من الأمراء وهم : الأمير أقتمر الصاحبى الشهير بالحنبلى واستقر نائب السلطنة بمصر وأخلع على الأمير طشتمر المحمدى اللفاف واستقر أتابك العساكر ورسم له بجميع برك الأمير أرغون شاه الأشرفى وأخلع على الأمير قرطاى [ق ٦٨ ب] الطازى واستقر رأس نوبة النواب وأخلع على الأمير أسندمر الصرغتمشى واستقر أمير سلاح وأخلع على الأمير قطلوبغا البدرى واستقر أمير مجلس ، وأفرج عن الأمير طشتمر العلائى واستقر نائب الشام ورسم له أن يخرج من نومه وأخلع على الأمير أينبك البدرى واستقر أمير أخور كبير وأخلع على الأمير إياس الصرغتمشى واستقر دوادارًا كبيرًا وأنعم

---

(١) انظر المزيد فى : بدائع الزهور ١ / ٢٣٨.

على جماعة من الأمراء بتقادم ألوف وعلى جماعة منهم بأربعينات وعلى جماعة منهم بعشروات واستقر كل واحد فى منزلته .

ثم دخلت سنة تسع وسبعون:

فمن الحوادث فيها : أن فى يوم الأحد فى العشرين من شهر صفر: عمل الأمير قرطاى الطارى وليمة فأهدى إليه الأمير أينبك البدرى هدية ومن جملتها ششش فى قراريت وعمل فيه بنجا فلما شرب منه الأمير قرطاى تبنج ورقد فعند ذلك ركب الأمير أينبك البدرى هو ومماليكه وطلع إلى الرملة ونزل السلطان إلى الإسطبل وجلس بالحراقة ودقت الكوسات حربى وقصد أينبك مسك قرطاى. فلما أفاق قرطاى من سكره اجتمع جماعة من الأمراء واشتوروا فى أمر أينبك ثم إن أينبك أرسل إلى قرطاى خنقه ورسم له أن يستقر نائب حلب فخرج قرطاى من نومه إلى سرياقوس ثم إن أينبك صار يمسك جماعة من الأمراء من كانوا من عصبة قرطاى. فلما كان يوم الثلاثاء ركب الأمير أقتمر الحنبلى نائب السلطنة ليستريحوا فى المطرية فأرسل إليه الأمير أينبك خلعة بأن يستقر نائب الشام ورسم له أن يتوجه من هناك إلى الشام فخرج من نومه فعند ذلك استقر الأمير أينبك البدرى أتابك العساكر وتصرف فى أمور المملكة فحسبما تختاره من ذلك وركز جماعة من مماليكه فى مدرسة السلطان حسن وفى الأشرفية التى فى السوة.

فلما كان يوم السبت سابع عشر ربيع الأول من السنة : جاءت الأخبار بان النواب خامروا جميعهم على السلطان وأظهروا العصيان : فجهز السلطان العساكر وخرج صحبتهم قاصدًا نحو البلاد الشامية ، فلما وصل إلى بلبيس فلم يشعر الناس إلا والسلطان قد رجع من هناك هو والأتابكى أينبك البدرى. وسبب ذلك أن الأمير قطلوقجاه أخو أينبك جاء فى جاليس العسكر الذى خرج من القاهرة فبلغه أن جماعة من المماليك السلطانية قصدهم مسكه. فهرب تحت الليل وجاء إلى أخيه أينبك وأعلمه بما جرى، فعند ذلك رجع الأتابكى أينبك من هناك ومعه السلطان . فلما كان يوم الاثنين [ق ٦٩ أ] ثالث ربيع الآخر ركب الأمير قطلقتمر العلائى والأمير الطنبغا السلطانى ومعهما جماعة من الأمراء فركب إليهم الأمير أينبك وقطلوقجاه أخوه وطلعا إلى الرملة ومعهما جماعة من الأمراء فاتقعوا معهم وقعة عظيمة فانكسر أينبك وهرب نحو كيمان مصر العتيقة فسجنه جماعة من المماليك السلطانية فلم يتبعوا له على أثر ثم فى أخر النهار وجدوا فرسه ولبسه عند قصر

الشمع ثم ظهر بعد أيام فمسك وقيد وأرسل إلى السجن بثغر الإسكندرية. وكان المتكلم يومئذ الأمير يلبغا الناصرى والكلمة مجتمعة فيه فمسك جماعة من الأمراء مع أينبك وأرسلهم إلى السجن بثغر الإسكندرية وفى ذلك يقول ابن العطار.

من بعد عز قد ذل أينبك وانحط بعد السمو من فتكا

وراح يبكى الدماء منفردا والناس لا يعرفون أين بكا

ثم إن الأمير يلبغا استقر مقيماً بالإسطبل السلطانى ستة أيام فطلع إليه الأمير برقوق العثمانى والأمير بركه الجوبانى وأنزلاه من الأسطبل إلى بيته ومسكا فى ذلك اليوم جماعة كبيرة من الأمراء وأرسلوهم إلى السجن بثغر الإسكندرية ثم إن السلطان استقر بالأمير برقوق أمير أخور كبير واستقر بالأمير بركة أمير مجلس واستقر الأمير يلبغا الناصرى أمير سلاح. ولما حضر الأمير طشتمر الدوادار من الشام أخلع عليه واستقر أتابك العساكر. وأفرج عن جماعة كبيرة من الأمراء ممن كانوا فى السجن وأنعم عليهم بتقادم ألوف. واستمر الأمر ساكنا مدة يسيرة. فوقعت فتنة بين مماليك الأمير طشتمر الذى حضر من الشام وبين مماليك الأمير بركة الجوبانى ولبسوا آلة الحرب وتقاتلوا قتالاً شديداً وذلك فى يوم عرفه. فطلع الأمير طشتمر إلى عند الأمير برقوق أمير أخور، فلما طلع إلى عنده مسكه وأرسله إلى السجن بثغر الإسكندرية ومعه جماعة كبيرة من الأمراء فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر ذى الحجة من السنة المذكورة أخلع على الأمير برقوق العثمانى واستقر أتابك العساكر بمصر عوضاً عن الأمير طشتمر وخلع على الأمير أيتمش البجاسى واستقر أمير أخور عوضاً عن برقوق ثم أقام الأمر على ذلك مدة يسيرة ومسك الأمير يلبغا الناصرى أمير سلاح. فعندها أرسل إلى السجن بثغر الإسكندرية وأخلع على الأمير إينال اليوسفى واستقر أمير سلاح عوضاً عن يلبغا الناصرى.

ومن الحوادث فى أوائل سنة ثمانين وسبعمائة:

فيها: وقع [ق ٦٩ ب] حريق بظاهر باب زويلة عند دار التفاح وعمل الحريق إلى البراد، ولو لم يكن السور على القاهرة لاحترقت. فركب الأمير بركة هو ومماليكه والأمير أيتمش النجاشى والأمير تغرى برمش حاجب الحجاب ومماليكهم معهم فاطفوا الحريق بعد ما قامت النار تعمل فى البيوت يومين بلياليهما وفى ذلك يقول بعض الشعراء.

ارتنـا دار تفـاح بليـــل حريقا وقده أمسى عظيمـا

ونالت بعد ذاك النور نارا   وكانت جنة فغدت جحيما

ثم دخلت سنة تسع وسبعون وسبعمائة:

فيها: في يوم الاثنين رابع عشرين شهر شعبان: ركب الأتابكي برقوق وليسير نحو قبة النصر وكان الأمير بركة الجوباني مسافرًا في البحيرة فركب الأمير إينال اليوسفي أمير سلاح والأمير سودون جركس المنجكي والتفت عليهما جماعة من الأمراء والمماليك، فطلع إينال اليوسفي منها وأنزل مماليك برقوق الصغار من الأطباق وألبسهم آلة الحرب وأوقفهم على الأبراج. فلما بلغ الأتابكي برقوق هذا الخبر رجع إلى بيت الأمير أيتمش النجاشي ففتح أيتمش زردخانية وألبس منها مماليكه ومماليك الأتابكي برقوق وطلعوا إلى الرملة واتقعوا مع إينال اليوسفي وهو في باب السلسلة فلما رأى مماليك برقوق أن أستاذهم قد حضر إلى باب السلسلة ارموا بالنشاب على إينال اليوسفي وسودون وهما في الأسطبل السلطاني فجاءت إينال نشابة في رقبته فخرج وهو هارب من باب الأسطبل الذى بالقرافة هو والأمير سودون فعند ذلك طلع الأتابكي برقوق إلى الأسطبل السلطاني وأرسل إلى بيت إينال كبسة فوجده فيه فمسكه ومسك سودون المنجكي من بيته أيضاً وقيدهما وأرسلهما إلى السجن بثغر الإسكندرية ذلك يقول الأديب شهاب الدين بن العطار المصرى رحمه الله تعالى :

قد ألبس الله برقوق المهابة في   نهار الاثنين من عز وتمكين
وراح إينال مع سودون وانكسرا   وكان يوما عسيرا يوم الاثنين

وقوله أيضا :

بغى إينال واعتقد الأماني   تساعده فما نال المؤمل
ومد لأخذ برقوق يديه   ولم يعلم بأن الخوخ أسفل

ثم دخلت سنة ثمانون وسبعمائة:

فيها: في يوم الأربعاء سابع عشر صفر: أرسل [ق ٧٠أ] الأمير بركة إلى عند الأتابكي برقوق يعلمه بأن الأمير أيتمش البجاسي لابس آله الحرب وهو في بيته، فأرسل الأتابكي برقوق يكشف عن ذلك فلم يجد لما قاله صحة فطلع أيتمش إلى عند برقوق، فأرسل برقوق الشيخ أكمل الدين الحنفي والشيخ أمين الدين الخلواني إلى عند الأمير بركة ومشيا بينه

وبين الأمير أيتمش البجاسى فى الصلح، فاصطلحا ونزل أيتمش إلى عند الأمير بركة وتعانقا واخلع بركة على أيتمش قبايح ومشى إلى بيته .

فلما كانت ليلة الجمعة تاسع عشر من صفر: لبس الأمراء آلة الحرب وطلعوا إلى الرملة وسبب ذلك أن الأمير بركة الجوبانى لبس آلة الحرب فى بيته وألبس مماليكه وقصد مسك جماعة من الأمراء. فما بلغ الأتابكى برقوق ذلك أرسل طلب القضاة الأربعة وأرسلهم إلى عند الأمير بركة ومشوا فى أمر الصلح بينه وبين الأمراء فاصطلحوا وسكن الأمر قليلاً.

ثم فى يوم الاثنين سابع ربيع الأول: ركب الأمراء ليسيروا نحو قبة النصر فسيروا ثم رجعوا إلى بيوتهم وطلع الأتابكى برقوق إلى الاسطبل السلطانى وكان برقوق قد جاءه ولد ذكر وسماه محمد، فعمل برقوق مهماً عظيماً ومد سماطاً كبيرا ودعا إليه سائر الأمراء فطلع إليه سائر الأمراء سوى الأمير بركة فأنه لم يطلع فبلغ الأتابكى برقوق وأن بركة لابس هو ومماليكه آلة الحرب فى بيته.

فلما مضى أمر السماط قبض الأتابكى برقوق على ثلاثة من الأمراء وهم: الأمير قرادمرداش والأمير طنبج والأمير أقتمر ومسك معهم صراى البرجى أخو الأمير بركة. ثم إن الأتابكى برقوق أمر مماليكه أن يتوجهوا إلى مدرسة السلطان حسن ومعهم نزلار العمرى فطلعوا إلى مدرسة السلطان حسن وغلقوا أبوابها وطلعوا فى أعلاها، ورمى النشاب على الأمير بركة وهو قاعد فى مقعده فهرب بركة وخرج هو ومماليكه من الباب الذى عند جدرة البقر وتوجه إلى عند قبة النصر، ثم إن الأتابكى برقوق نادى للعوام بنهب بيت الأمير بركة فنهبه العوام وأحرقوا بابه وأخذوا رخامه وأبوابه. فأقام الأمير بركة بقية النصر ذلك اليوم فلما أصبح يوم الأربعاء ركب الأمراء الذين من عصبة الأتابكى برقوق ووقفوا فى الرملة ونزل السلطان إلى الحراقة التى بالأسطبل ودقت الكوسات حربى والأتابكى برقوق فى باب السلسلة لم يتزحزح . فلما كان وقت الظهر أرسل بركة يقول للأتابكى برقوق ايش أخر هذا الحال؟ فأرسل برقوق يقول له: إلى أى مكان يختاره من سلك إليه. فلما رجع القاصد [ق ٧٠ ب] بهذا الخبر إلى بركة فما أعجبه هذا الجواب.

وكان ذلك اليوم نهار شديد الحر فينقلق الأمراء الذين كانوا مع بركة من شدة الحر، فقالوا: للأمير بركة إن هذا الوقت كل أحد من العسكر مقبل فى بيته والرملة خالية من العسكر فركب الأمير بركة فى ذلك الوقت المحر وقسم العسكر الذين كانوا معه فرقتين ،

فرقة فى الطريق السالكة. وفرقة من تحت الجبل الأحمر. فلما بلغ الأتابكى برقوق ذلك أرسل إليهم جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية من الخانين. فلما التقوا معهم كان بينهم وقعة عظيمة لم يسمع بمثلها وقتل من الفريقين جماعة كثيرة . وخرج منهم جماعة كبيرة فعند ذلك أرسل الأمير بركة يسحب من كان معه من العسكر وهرب الأمير بركة واختفى فى تربة حتى دخل الليل. فمضى هو وشخص من الأتراك يسمى آقبغاصوان وجاء إلى باب البحر عند جامع المقسى فدخلا هناك عند شخص من الصالحين يقال له الشيخ محمد القدسى. فلما طلع النهار أرسل بركة إلى برقوق يعلمه أنه قاعد فى جامع المقسى. فأرسل إليه برقوق من أحضره . فلما حضر بركة طلع إلى باب السلسلة فأقام بها إلى بعد المغرب فقيده برقوق وأرسله إلى السجن بثغر الإسكندرية ومسك كل من كان من عصبته من الأمراء والعسكر وفى ذلك يقول بدر الدين بن حبيب[1]

ياويحها من فتنة   وشومها من حركة
وقبحها من ذلة   ما صار فيها بركة

وفى هذه الواقعة يقول الغبارى من زجل لطيف

مصر صارت بعد القباص فى انشراح   وقلعها مزخرفة والقصور
يا إله احفظ لنا برقوق   واحرص الجند وانصر المنصور
جعل الله لكل وقعا سبب   ونقول لك سبب هدى الوقعة
بركاراد يعمل على أيتمش   وإلى الشام يسيروا بسرعة
طلب الصلح بينهم برقوق   فأرسلوا لو أخلع عليه خلعة
وبقا بعض ما بقا فى النفوس   والعليل ما اشتفى بغل الصدور
وقد أمسوا على حذر بايتين   وإيش يفيد الحذر مع المقدور
أصلحوا بينهم نهار جمعه   وصفا ودهم وطابو الجميع

---

(١) هو طاهر بن الحسن بن عمر بن حبيب أبو العز بن بدر الدين الحلبى المعروف بابن حبيب فاضل، ولد ونشأ بحلب، وكتب بها فى ديوان الإنشاء وانتقل إلى القاهرة فناب عن كاتب السر وتوفى فيها سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م عن زهاء سبعين عاما، من كتبه " ذيل" على تاريخ أبيه، و " مختصر المنار" فى أصول الفقه، و " وشى البردة" شرحها وتخميسها ونظم عدة كتب.

انظر المزيد فى: إعلام النبلاء ٥ / ١٤٨.

جـا أيـتمش عصـبة الأمـير بـرقوق وبقـا كـل حـد لأمـروا مطـيع
فمسـك فـى نهـار الاثـنين طنـبج ودمـرداش الدويـدار سريع[ق ٧١ أ]
بـركا حـين سمـع بذلـك طلـبا قـبة النصـر خـوف مـن المقـدور
كان حـذور حتى وقـع فى الشـرك والمثـل قـال مـا يوقـع إلا الحـذور

ثـم إن القاهـرة أقامـت ثلاثـة أيـام وهى مغلوقة الأبواب حتى مسكوا بقية الأمراء الذين ركـبوا مـع الأمـير بـركة : فلما كان يوم الاثنين أخلع على من يذكر من الأمراء وهم: الأمير أيـتمش البجاسـى واسـتقر رأس نوبـة الـنواب والأمـير الآن الشـعبانى واستقر به أمير سلاح وأخلـع عـلى الأمـير الطنـبغا الجوبـانى واستقر أمير مجلس وأخلع على الأمير بغا العثمانى واسـتقر دواداراً كبيراً واستقر بالأمير جركس الخليلى أمير أخور كبير وانعم على جماعة من الأمراء بأربعينات وعلى جماعة بعشروات واستمر الأمر على ذلك إلى أن .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانون وسبعمائة:

فـيها: زاد شـر عـربان البحيرة، وجاءت الأخبار بأن بدر بن سلام كبير العربان كبس عـلى دمـنهور ونـهب بيوتها وأسواقها وأخرب البلد. فلما سمع الأتابكى برقوق بذلك. عين إلـيهم الأمـير أيـتمش النجاشـى رأس نوبـة النوب والأمير الآن الشعبانى أمير سلاح والأمير الطنـبغا الجوبـانى أمـير مجلس والأمير مأمور القلمطاوى والأمير أحمد بن يلبغا العمرى أحد المقدمين والأمير بلاط الصرغتمش والأمير بهادر الجمالى والأمير نزلار العمرى الناصرى. وعين اثنى عشر أميراً طبلخاناة وعشروات، وعين معهم خمسمائة مملوك وتوجهوا إلى البحيرة فى يـوم الجمعـة رابـع جمـادى الأول مـن سنة إحدى وثمانين فنزلوا على تروجه وأقاموا هناك يومـين . فجـاء شـخص مـن العرب إلى الأمير أيتمش وأخبره بان بدر بن سلام كبير العربان أكمـن كميناً بالقرب من الخيام وأراد كبس الأمراء فى خيامهم. فلما بلغ الأمراء ذلك خرجوا مـن خـيامهم إلى الفضـاء، فـلما دخـل الليل كـبس بـدر بن سلام على الخيام فلم يجد بها أحـداً مـن الأمراء ولا من المماليك السلطانية فعند ذلك رجعوا عليهم النزل فقتل منهم نحو ألـف إنسـان مـن خـيار العـرب. فـلما أصبح الصباح نهبوا أموالهم وأسروا نساءهم وأولادهم وهـرب بـدر بـن سلام كبير العربان وما نجا منهم إلا القليل وأحاطوا على جمالهم وأغنامهم وخـيولهم فعـند ذلـك قصـد الأمـراء الـتوجه بالعرب فى جنازير نسائهم وأولادهم فى حبال

مربوطة وكان ذلك اليوم من الأيام المعدودة فى الفرجة والقصف . وفى ذلك يقول القيم خلف الغبارى من زجل [ق ٧١ ب] لطيف فى المعنى.

باسم رب السما ابتدى   فارج الهم والكرب
ونعيد للذى حضر   قصة الترك والعرب
جاء الخبر يوم الأربعا   بأن فى ليلة الأحد
جا دمنهور عرب خدوا   سوقها وأخربوا البلد
وابن سلام أميرهم   هو الذى للجميع حشد
فبرز أيتمش سريع   بمماليك وروس نوب
وعدد ما لها عدد   وبطلبوا لهم طلب
والأمرا المعينين   كل واحد بجيش بدا
عد بعد الصلاة وراح   وغدا قَصَدْ للعدا
فى المعادى رأيت لهم   يوم زحام طايش نقول غدا
لنروجا تروحوا   واستراحوا من التعب
ونصب كل حَدْ خيام   ولصيد العِدَا انتصب
حضروا ما التفوا أحد   من جميع العرب حضر
وابن عرام أتا لهم   بعثوه يكشف الخبر
ما عرف للعرب طريق   بعد وجا عبدو فى الأثر
ولأيتمش حدثو الصحيح   قام سريع أيتمش ركب
ما ترك فى الوطاق   والخيام حيل قد نصب
راحت الترك من مكان   وأنا بدر من مكان
واتفر عن وجا الوطاق   ولهم قال أنا فلان
ولموسى بن خضر صاح   مات بطعنا من السنان
ورأى الترك داركوه   فى طلوع النهار هرب
شحتوا أيتمش سريع   ورقاب من معوا ضرب
واقعة حرب ذى العرب   لا غنا مالها نبا
بدر فى الليل بعاديات   جاء البلد والنسا سَبَا

طلبوا النصر جالهم	ما لهم فى القصص سَبَا
فى القتال كان لهم نهار	لو تراه ساعة اقترب
يوم قياما وكم عرب	جاثية فيه على الركب
جس ذى النوب بالسماع	قد فهمنا من الأصول
ضرب موصول بمخ طار	هز عود دقت الطبول
فى الخروج تابت العرب	فازت الترك بالدخول
والسهام شببت على	جس الأوتار بلا قصب
غنت البيض على الخوذ	رقصوا الخيل من الطرب
وابن سلام مع الأجل	فاز بنفسو على فرس
والأمير أيتمش رحل	لتروجا سريع كبس
فى البيوت حارت النفوس	ما التقا حد لو نفس[ق ٧٢ أ]
نبشوهم من الشون	قببوهم من القبب
وخذوا فضة الجميع	وجميع ما لهم ذهب
وقع القتل فى الرجال	وقد انهتك الحريم
والذى كان مقيم رحل	ما عليها أحد مقيم
وكم إنسان بسيف وقوس	ما عرف لو هناك غريم
جبد السيف من الجفير	ولرأس من لقيه ضرب
وإن حماه مشترى النفاق	سرعا بالفوس عليه عقب
«البحيرا من الفتن	سعدها زال واختفا[(١)]»
وبقى فرجها حزن	وقد اتكدر الصفا
ولناس قلت إيش جرا	والذى قد جرا كذا
قالوا من تحت راس بدير	مال بثقلوا قد انتهب
ويناتوا الخدور سبوا	قلت سبوه فهو السبب
جاء ابن سلام معو رجال	كل حد شموتو رغيف
ذا على رقبته تقال	وذا فى رقبتو شليف

(١) ورد هذا البيت فى بدائع الزهور.

وذا لـــو درع سيســـبان   وذا لـــو درع خـــوص ولـــيف
والقســـى قـــيس مـــن نخـــيل   وخـــــرايطهم الجعـــــب
وصــــــوارمهم الجــــريد   وخوذهـــم قصــع خشـــب
فـاعل الـنحس فـى القـياس   مـــا عـــرف صـــنعة البـــنا
جابـــنا شـــىء بـــلا أســـاس   هـــدت الـــترك مـــا بـــنا
وتـــــروجا المعمـــــرة   خربـــت حـــن لهـــا دنـــا
قـــلموا أبوابهـــا الجمـــيع   والســـكفات مـــع العتـــب
يمســـكوا بـــدر يعقـــبوه   وعلـــيه يوقـــع العتـــب
بـــدر تبـــت بـــدر أبـــاه   لصـــلاح النســـا فســـد
كـــم ملـــيحا أتـــت وفـــى   جـــيدها حـــبل مـــن مســـد
ولى قـال شـخص مـن حـنين   بـــدر فـــى ذى الـــذى قصـــد
هـــو أبـــو جهـــل قلـــت لا   إلا قلـــبو أبـــو لهـــب
قـــالى وامـــراتو إيـــش تكـــون   قلـــت حمالـــة الحطـــب
حـــين غلـــب مـــنى راجحـــى   وانكســـر كســـر مـــا انجـــبر
[ق ٧٢ب]قالت أقوام يعد سوه   أنـــت قـــيم ديـــار مصـــر
جـــا الحكـــم طـــاقى وقـــال   يـــا غـــبارى جـــرا خـــبر
لديـــار مصـــر قـــيمين   فـــى الـــزجل ذا يكـــون عجـــب
قـــلت ذا قـــيم الســـفه   وأنـــا قيـــم الأدب

وفى هذه السنة المذكورة فى شهر رجب : جاءت الأخبار من ثغر الإسكندرية بأن الأمير بركة قد توفى إلى رحمة الله تعالى وهو فى السجن، فأرسل الأتابكى برقوق الشرقى يونس دوادار إلى ثغر الإسكندرية لكشف أخبار موت الأمير بركة، فلما توجه إلى الإسكندرية وجد الأمير خليل بن عرام نائب الإسكندرية قد قتل الأمير بركة ودفنه هناك فأخرجه الشرقى يونس من قبره وكشف عليه فوجد به ثلاث ضربات إحداهن فى رأسه ووجده قد دفن بثيابه من غير تغسيل ولا تكفين ، فكتب بذلك محضراً وأثبته على قاضى الإسكندرية. ثم أمر بتغسيله وتكفينه وصلوا عليه ودفنه خارج باب رشيد وبنى على قبره قبة هناك. ثم إن الشرقى يونس حضر إلى الديار المصرية وصحبته الأمير خليل بن عرام أخذ من الأمير بركة فصوصًا كانت فى رأسه فأنكر ذلك ابن عرام وحلف أنه ما رأى معه شيئاً من ذلك . فلما

كـان يـوم الخمـيس خـامس عشـرين من رجب أحضروا ابن عرام من السجن إلى باب القلعة فتسـلمه حاجـب الحجـاب وعـراه وضـربه بالمقـارع سـتة وثمانين شيبًا ثم أحضروا له حملاً ولعنه وسمروه عليه وأنزلوه من القلعة إلى سوق الخيل فأوقفوه قدام باب السلسلة ساعة فجاء مماليك بركة فقطعوه بالسيوف فقطع بعضهم رأسـه وقطع بعضهم فخذه وقطع بعضهم أذنه. وقـيل إنـه شـواها وأكـلها ، وبقـى لكـل واحـد يشـتفى منه حسبما يختاره ثم طافوا برأسـه وعلقوه على باب زويلة ثم جمعوا ما بقى من جسده ودفنوه فى مدرسته التى أنشأها بالقرب من قنطرة أمير حسين وفى ذلك يقول شهاب الدين بن العطار المصرى.

بدت أجزا ابن عرام خليل   مقطعة من الضرب التقيل

وأبدت أبحر الشعر المراثى   محـــررة بتقطيع الخـليل

[ق ٧٣ أ] وكـان ابن عرام قبل موته كتب له تاريخًا وذكر فيه وقائع أحواله فلما جرى له ذلك قال فيه بعض الشعراء.

يا ابن عرام قد سمرت مشتهرا   وصار ذلك مكتوبـــا ومحســـوبا

مازلت تجهد فى التاريخ تكتبه   حتى رأيناك فى التاريخ مكتوبا

ثم دخلت سنة اثنتا وثمانون وسبعمائة:

ففـى أواخرها فى ثامن ذى الحجة. وصل للديار المصرية السيفى انص وقيل يدعى أنس بالسين العثمانى والد الأتابكى برقوق فخرج إلى تلقيه وخرج صحبته سائر الأمراء من الأكابر والأصـاغر فـتلقاه من العلرشـة وهو المكان الذى التقا فيه يوسف عليه السلام مع أبيه يعقوب علـيه السـلام فلما التقى برقوق مع أبيه تعانقا وتباكيا وركبا ودخلا إلى سرياقوس ومد هناك سماطًا عظيمًا . فلما مضى أمر السماط فتوجها إلى القاهرة فى موكب عظيم ومعه سائر الأمراء وأرباب الوظـائف حـتى قضـاة القضاة الأربعة. وشق من القاهرة وزينت له وطلع إلى القلعة وأنعـم الأتـابكى برقوق على والده أنس بأمرية أربعين فأقام مدة على ذلك ثم بقى مقدم ألف ودام إلى أن مات فى أيام ابنه برقوق ودفن فى المدرسـة البرقوقية التى بين القصرين.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانون وسبعمائة:

فـيها: فى يوم الأحد ثالث عشرين شهر صفر توفى السلطان الملك المنصور على بن الملك الأشـرف شـعبان بـن الأمجـد حسـين بن الناصر محمد بن قلاوون وقيل إنه مات بالجدرى

ودفن فى ليلة الاثنين بعد العشاء فى تربة جدته خوند بركة التى فى التبانة. فكانت مدة سلطنته بمصر خمس سنين وثلاثة أشهر ونصف الشهر. ومات وله من العمر اثنى عشر عامًا وأشهر وكان ملكاً جميل الصورة كثير المكارم، وافر العقل ثابت الرأس غير عجول فى حركاته، ولما مات تولى بعده أخوه الملك الصالح أمير حاج .

٢٤ – ذكر سلطنة الملك الصالح زين الدين أبو الجود أمير حاجى بن اشرف شعبان بن الأمجد حسين بن محمد بن قلاوون(١)

وهو الرابع والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بمصر تسلطن بعد موت أخيه الملك المنصور على فى يوم الاثنين رابع عشرين صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة فتولى الملك وله من العمر إحدى عشرة سنة. ولما مات الملك المنصور على لم يجسر برقوق أن يتسلطن بعده فنصب الملك الصالح [ق ٧٣ ب] هذا فى السلطنة ليس إلا مجرد الاسم فقط والأمر كله للأتابكى برقوق، فحضر الخليفة والقضاة الأربعة ولبس خلعة السلطنة وركب من باب الستارة إلى الإيوان، وجلس على سرير الملك وحلف له الأمراء ومد السماط ودخل إلى القصر الأبلق وتم أمره فى السلطنة.

ثم دخلت سنة أربع وثمانون وسبعمائة:

فيها : اهتم الأمير جركس خليلى أمير أخور كبير بعمل جسر بين الروضة والجزيرة الوسطى وكان طوله نحو ثلاثمائة قصبة وعرضه عشر أقصاب، قاد الأمير جركس بنفسه ومماليكه بالقفة والمسحة وركزوا بظاهر هذا جسر خوازيق سنط، كل خازوق ثمانية أذرع. وسمر وعليها أفلاق نخل وانتهى منه العمل فى أقل من شهرين . فلما جاء أوان النيل زاد فى تلك السنة زيادة لم يقع مثلها قط فى الجاهلية ولا فى الإسلام، وهو أنه زاد أصبعين من اثنين وعشرين ذراعا وأقل جسر الذى عمل قبل الوفاء وقيل فيه[أشياء عجيبة](٢).

ومن الحوادث فى هذه السنة أن الأتابكى برقوق كان نائماً وقت الظهر فى الأسطبل السلطانى وكان عنده مملوك يلبسه يسمى شيخ الصفوى فمسك جنب برقوق واتكأ عليه بقوة

---

(١) ورد له ذكر فى بدائع الزهور ١ / ٢٥٧.

(٢) إضافة من النجوم الزاهرة .

ففتح برقوق عينيه بعد أن قام وقعد على حيله وقال للمملوك إيش الخبر؟ فقال إن أيتمش الخاصكى تواعد هو وجماعة من المماليك الاستادار فى هذه الساعة يريدون قتلك، فسكت برقوق ساعة. وإذا بأيتمش الخاصكى قد دخل عليه فلما رآه برقوق قام إليه وضربه بقوس كباد كان إلى جانبه، فأرماه إلى الأرض وداس عليه برجله، وقال له: يا مَرَا يا علق. الذى يريد أن يقتل الملوك يقع على الأرض من ضربة واحدة بقوس كباد.

ثم خرج برقوق إلى البيت، وقبض على أيتمش وسجنه بالبرج الذى بباب السلسلة ثم قعد فى المقعد وأرسل خلف الأمراء فطلعوا إليه فشكا بهم من ذلك فأشاروا عليه مسك مماليك الأسياد خمسة وستين مملوكا وأرسلهم برقوق إلى خزانة شمايل وهرب منهم جماعة إلى بلاد الروم وأمر بنفى أيتمش الخاصكى إلى قوص، فشفع فيه الأمراء فأرسله إلى الشام وبقى جماعة كبيرة من مماليك الأسياد إلى قوص فلما كان الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان من السنة المذكورة طلب الأتابكى برقوق القضاة الأربعة والخليفة وخلع الأمير صالح أمير حاج من السلطنة ورسم له بأن يقيم [ق ٧٤ أ] بدور الحرم عند أقاربه ، فكانت مدة سلطنته هذه ، بمصر سنة وسبعة أشهر ثم عاد إلى الملك ثانى مرة كما سيأتى ذكره فى موضعه ولما خلع الملك الصالح أمير حاج تسلطن بعده برقوق.

٢٥ - ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن آنص العثمانى الجركسى الجنس الكسائى(١)

وهو الخامس والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، وهو أول ملوك الجراكسة بمصر إن لم يصح أن بيبرس الجاشنكير كان جركسياً وأصله من مماليك يلبغا العمرى الخاصكى جلبه الخواجا عثمان بن مسافر فاشتراه منه الأتابكى يلبغا المذكور وأعتقه ومات يلبغا وهو صغير ووقع له فى أوائل عمره محن كثيرة وخدم عند منجك نائب الشام. ثم دخل إلى بيت السلطان فلما كانت قتلة الأشرف شعبان بن حسين كان برقوق من جملة من وافق على العصيان وكان يومئذ أمير عشرة ثم بقى أمير طبلخاناه ثم بقى أمير مائة مقدم ألف ثم بقى أمير أخور كبير ثم بقى أتابك العساكر فى دولة الملك المنصور على بن الأشرف شعبان ثم بقى سلطاناً بعد خلع الملك الصالح أمير حاج. وكانت سلطنته فى يوم الأربعاء

---

(١) انظر المزيد فى : بدائع الزهور ١/ ٢٥٨ ، الضوء اللامع ٣ / ١٠ تاريخ المماليك ١١١.

تاسع عشر من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة الموافق آخر يوم من هاتور. وكان الطالع برج الحوت. ولما تسلطن برقوق قال الأديب شهاب الدين بن العطار المصرى .

ظهر يوم الأربعاء ابتدى   با الظاهر المعتز بالقاهر
والبشر قد عم وكل امرئ   منشرح الباطن بالظاهر

وفى ذلك يقول القيم خلف الغبارى من زجل لطيف.

أشرقت شمس دولة المسلمين   وزها نجم سعدها الزاهر
وصبح يوم العدل نورو ظهر   واختفا ليل الظلم بالظاهر
مصر صارت روضة بهذا الملك   زاهيا طيب عبيرها منشوق
وبالأحمر تفاحها فى البياض   قد تخضب لسلطنة برقوق
ورأينا المشمش بلا زعفران   صار مخلق بجملة المخلوق
حمل البان صناجقو الزاهرة   قابلتها شطفات من التامر
زعق الطير: شاويش. وغنا الحمام   رقص الغصن والنسيم زامر

ثم إن برقوق لما تسلطن احضر الخليفة والقضاة وسائر الأمراء من الأكابر [ق ٧٤ ب] والأصاغر فى الأسطبل السلطانى وذكر لهم أن الأمور غير صالحة والأحوال غير مستقيمة وان الوقت محتاج إلى إقامة سلطان كبير لدفع العدو وسكون الاضطراب. فتكلم والقضاة مع الحنفية فى ذلك، فوقع الاختيار على سلطنة برقوق فعند ذلك خلعوا الملك الصالح أمير حاج وأخذوا الخلعة منه والترس وأحضروهما إلى برقوق فلما كان وقت الظهر صلوا وبايعه أمير المؤمنين المتوكل واحضروا له خلعة السلطنة وهى جبة سوداء وشاش أسود عذبة زركش وسيف بداوى مقلد به. وركب من الأسطبل السلطانى إلى باب سر القصر. فطلع منه إلى القصر وجلس على سرير الملك وفى حال جلوسه على التخت أمطرت السماء مطراً خفيفاً فاستبشر الناس بذلك ونودى باسمه فى القاهرة . ولقب بالملك الظاهر وضج الناس بالدعاء. ثم إن الظاهر برقوق رسم للملك الصالح أمير حاج بأن يدخل إلى دور الحرم عند إخوته. وزالت دولة بنى قلاوون وفى أولاده مائة وثلاث سنين .

ومن العجائب : أن الملك المنصور قلاوون أخذ الملك من أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقدارى. ثم إن الملك المنصور برقوق أخذ الملك من أولاد الملك المنصور قلاوون بعد ما أقام معهم هذه المدة الطويلة والمجاراة من جنس العمل. فلما كان يوم الاثنين عمل السلطان

الموكب وأخلع على من يذكر فيه من الأمراء من أرباب الوظائف وهم: الأمير سودون الفخرى الشيخونى واستقر نائب السلطنة بمصر وأخلع على الأمير أيتمش البجاسى واستقر أتابك العساكر بمصر وأخلع على الأمير الطنبغا المعلم واستقر أمير سلاح وأخلع على الأمير جركس الخليلى واستقر أمير أخور كبير على عادته، واخلع على الأمير قطلوبغا الكوكاى واستقر حاجب الحجاب وأخلع على الأمير قردم الحسنى واستقر رأس نوبة النواب وأخلع على الأمير يونس النوروزى واستقر دوادارًا كبيرًا، وأنعم على جماعة من الأمراء بتقادم ألوف وعلى جماعة منهم بطبلخانات وعلى جماعة منهم بعشروات، وأخلع على جماعة من المباشرين واستقر كل واحد منهم في وظيفة من الوظائف،وكذلك قضاة القضاة واستقر كل واحد منهم فى [ق ٧٥ أ] وظيفة من الوظائف، واستمر الأمر على ذلك وتم أمره فى السلطنة وحلف سائر الأمراء لنفسه .

ثم دخلت سنة خمس وثمانون وسبعمائة :

فيها : قبض السلطان على الخليفة المتوكل بالله وقيده وحبسه فى البرج بالقلعة وذلك لأمر بلغ السلطان عنه فتغير عليه ، وفى ذلك يقول بعضهم:

أبشر أمير المؤمنين فما جرى   أقوى دليل أن عزك سرمد
لا تختشى فيه العدى مغلولة   ويد الخلافة لا تطاوها يد

ثم إن السلطان أخلع على ابن عم الخليفة سيدى عمر أخو زكريا واستقر به خليفة ولقب بالواثق بالله.

وفى سنة ست وثمانين وسبعمائة:

فيها: غضب السلطان على القاضى تقى الدين ناظر الجيوش المنصورة وضربه علقة قوية نحو مائة وخمسين عصاه، فنزل إلى بيته فأقام فيه يومين فمات عقيب ذلك، وفيه يقول ابن العطار المصرى.

يكفى التقى كرامة أبدت له   نيل الشهادة واغتدى بأمان
بشرى الذى قد عاش طول حياته   عيش الملوك ومات بالسلطان

ولما مات تقى الدين أخلع السلطان على القاضى موفق الدين أبى الفرج واستقر به فى نظارة الجيوش المنصورة .

وفي هذه السنة : توفي الشيخ الإمام العالم العلامة أكمل الدين محمد الحنفي شيخ الخانقاه الشيخونية، وكانت جنازته مشهودة وحضرها السلطان الملك الظاهر برقوق فأخرجوه من الخانقاه الشيخونية وصلوا عليه في سبيل المؤمني، ومشى السلطان في جنازته من المصلاة إلى الخانقاه الشيخونية وأراد أن يحمل نعشه، فلم يمكنه الأمراء من ذلك، ودفن إلى جانب الأتابكي شيخو في القبة التي داخل الخانقاه.وكانت وفاته في ليلة الجمعة في التاسع عشر من شهر رمضان سنة خمس وثمانين وسبعمائة، وكان من أكابر الحنفية وقد تبحر في فنون العلوم وانفرد في علوم الحنفية رضي الله عنه .

وفي سنة ست وثمانين وسبعمائة:

فيها : تولى قاضي القضاة جمال الدين بن خير المالكي عوضاً عن القاضي ولي الدين بن خلدون.

وفيها : توفي قاضي القضاة جمال الدين بن العديم الحنفي، وكان تولى القضاء وهو شاب، وكان من خيار الحنفية .

وفي سنة سبع وثمانين وسبعمائة : فيها : ضرب القاضي موفق الدين أبو الفرج ناظر الجيوش المنصورة وخلع واستقر عوضه في نظارة الجيوش القاضي كريم الدين بن مكدنس والد الصاحب فخر الدين بن مكانس.

وفيها : تزوج الملك الظاهر برقوق بنت الأمير منكلي بغا الشمسي وهي بنت أخت [ق ٧٥ ب] الأشرف شعبان وأقام لهما سبعة أيام بالقلعة.

وفي سنة ثمان وثمانين وسبعمائة:

وفيها : كملت عمارة مدرسة السلطان التي أنشأها بين القصرين فنزل السلطان برقوق إلى المدرسة في يوم الخميس، ومد بها سماطا وملأ الفسقية التي فيها سكرًا وليمونًا. وأخلع في ذلك اليوم على الأمير جركس الخليلي أمير أخور كبير، وكان شاد العمارة وأخلع على معلم المعلمين الحباب الشهابي أحمد بن الطولوني، وأخلع على خمسة وعشرين مملوكا من مماليك جركس الخليلي، وأخلع على بقية المهندسين والبنائين والمرخمين لكل واحد خلعة، وقرر بها في ذلك اليوم الشيخ علاء الدين السيرامي الحنفي شيخ المدرسة وقرر بها صوفية يحضرون من بعد العصر، وقرر بها مدرسين وطلبة. وفيها يقول شهاب الدين بن العطار.

قلت للمليك الظاهر المرتضى هنيت بالمدرسة الفائقة

خنقت حسادك قهرا بها فيالها مدرسة خانقة

وقوله فيها أيضاً:

قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة فاقت على ارم مع سرعة العمد.

كفى الخليلى إن جاءت لدعوته ضم الحبال لها نسمعى على عمد

وفيها: أخلع على المقر الشهابى أحمد بن يلبغا العمرى الخاصكى واستقر أمير مجلس عوضاً عن الطنبغا الجوبانى.

وفى سنة تسع وثمانين وسبعمائة:

فيها: أخلع على الشيخ ناصر الدين بن المليق واستقر قاضى القضاة الشافعية بمصر.

وفيها: أخلع على علم الدين بن القسيس المعروف بابن كاتب سيدى. واستقر وزيراً عوضاً عن الصاحب شمس الدين بن أزلان.

وفى هذه السنة: نزل السلطان إلى الميدان الذى بسوق الخيل وجلس فيه للحكم بنفسه وهذا لم يعهد من ملك قبله، وهو أول من أحدث ذلك من الملوك، وأمر بأن ينادى فى القاهرة " من له ظلامة، ومن له شكاية عليه بالوقوف بين يدى السلطان فى الأسطبل فى كل يوم أحد وأربعاء" واستمر الأمر منه على ذلك.

ثم دخلت سنة تسعون وسبعمائة:

وفيها: أخلع على الحباب الجمالى محمود واستقر استاداراً عوضاً عن بهادر المنجكى.

وفيها: فى يوم السبت تاسع عشرين شوال: قبض السلطان على الأمير الطنبغا المعلم أمير سلاح والأمير قردم رأس نوبة النواب وقيدهما وأرسلهما إلى السجن بثغر الإسكندرية.

وفيها: أرسل السلطان قبض على الأمير بيدمر الخوارزمى نائب الشام.

وقبض على الأمير كمشبغا الحموى واستقر بالأمير سودون العثمانى فى نيابة حماه.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعون [ق ٧٦ أ] وسبعمائة:

فيها: فى شهر صفر: ابتدأ السلطان الملك الظاهر برقوق بشرب القمز فى الميدان ورسم للأمراء والخاصكية أن يحضروا لشرب القمز فى كل يوم أربعاء.

وفيها : جاءت الأخبار بأن يلبغا الناصرى نائب حلب خامر وخرج على الطاعة وقتل سودون المظفرى الذى كان نائب حلب قبله، وقتل معه من المماليك أربعة أنفس. وسبب ذلك أن يلبغا الناصرى كان قد وقع بينه وبين سودون المظفرى كلام فج، فأرسل سودون يشتكى من يلبغا الناصرى عند السلطان مرات عديدة . فأرسل السلطان مع ملكتمر المحمدى ليصلح بينهما . فلما توجه ملكتمر المحمدى إلى يلبغا الناصرى، أرسل السلطان مع ملكتمر مرسومًا إلى سودون المظفرى بقتل يلبغا الناصرى فى الدس. فلما شعر يلبغا بذلك خرج إلى ملتقى ملكتمر المحمدى وأدخله إلى دار السعادة وأقبل خلف سودون المظفرى أربع مرات وهو لم يحضر ثم حضر من بعد ذلك وهو لابس زردية من تحت ثيابه. وكان يلبغا ألبس مماليكه وأوقفهم ليقتلوا سودون المظفرى. فلما دخل سودون قال له شخص من مماليك يلبغا: يا أمير سودون الذى يطلب الصلح يدخل إلى دار السعادة وهو لابس من تحت ثيابه، فشتمه سودون ، فسل مازان مملوك يلبغا الناصرى سيفه وضرب به سودون المظفرى فقتله، وقتل معه أربعة من المماليك فى دار السعادة. فلما قتل سودون المظفرى، أظهر يلبغا الناصرى العصيان بما يظنه والتف عليه تمربغا الأفضلى المسمى منطاش، هذا أصله من مماليك الظاهر برقوق واشتراه فى سنة سبع وثمانين وسبعمائة، ثم أعتقه وأخرج له خيلاً وقماشًا، فأقام على ذلك مدة ثم وقع منه أمر، فخاف من السلطان، فهرب منطاش إلى البلاد الشامية ، والتف على يلبغا الناصرى لما خامر وأظهر العصيان. فلما رجع ملكتمر الدوادار أخبر السلطان بما جرى من يلبغا الناصرى . فلما كان يوم الأربعاء رسم السلطان بأن ينصب له فى الميدان الذى تحت القلعة صواوين ومدورة كبيرة. ونزل السلطان إلى الميدان وأرسل خلف الأمراء واشتوروا فى أمر يلبغا الناصرى وأبدا لهم ما وقع منه وأنه خرج على الطاعة، ثم بعد ذلك مد للأمراء سماطًا عظيمًا فى الميدان فأكلوا. ثم عين الأتابكى أيتمش البجاسى باش العسكر ومعه ستة أمراء مقدمين ألوف [ق ٧٦ ب] وجاءت الأخبار بأن نائب حماه ونائب طرابلس ونائب صفد جميعهم خامروا مع يلبغا الناصرى والتف عليهم جماعة كثيرة من التركمان وغيرهم وهو قاصد نحو الديار المصرية، وقد وصل أوائل عسكره إلى الشام، ويقاتل مع أهل الشام أشد القتال وانتصر عليهم.

ثم جاءت الأخبار بأن أوائل عسكر يلبغا وصل إلى غزة وهو قاصد نحو القاهرة، فلما كان يوم الأحد خامس عشرين جمادى الأول من السنة المذكورة حضر آقبغا الشمسى الحاجب وأخبر بأن جاليش يلبغا الناصرى وصل إلى المطرية، فعند ذلك أمر السلطان بشد

الخيول ودقت الكوسات حربى ، وركب السلطان ومن معه من الأمراء وتوجهوا إلى نحو قبة النصر، فوقفه السلطان هناك وتقدم الأمراء إلى الريدانية فلم يقاتلوا شيئًا، فأقام السلطان هناك إلى أخرا بها ورجع إلى الاسطبل السلطانى وبات فيه تلك الليلة فهرب من عنده فى تلك الليلة جماعة كبيرة من الأمراء والمماليك إلى عند يلبغا الناصرى، ولم يبق مع السلطان برقوق سوى الأمير سودون الفخرى النائب والأمير تمربغا المنجكى وسيدى أبو بكر بن سنقر الجمالى والأمير بيبرس التمان تمرى وسودون الطرنطاى وقجماس ابن عم السلطان وبعض مماليك ، فأراد السلطان أن يسلم نفسه فمنعه الأمراء من ذلك فأقام إلى بعد العصر، فزحف عسكر يلبغا الناصرى إلى بين العروسين فنزل إليهم من القلعة بطا الخاصكى وشكرى باى الخاصكى، ومعهما نحو عشرين مملوكًا، فكسروا جاليش عسكر يلبغا الناصرى وأبعدوهم إلى أخر الترب، وكاد يلبغا أن ينكسر فأرسل بركه وقماشه إلى عند المرج والزيات خوفا من الكسرة حتى إذا هرب يجده هناك.

فلما كان الليل تسحب من كان عند السلطان وتوجهوا إلى عند يلبغا ولم يبق عنده إلا بعض مماليك صغار، فعند ذلك طلب سيدى أبو بكر بن سنقر وبيدمر المحمدى وأرسلهما إلى عند يلبغا الناصرى وأرسل معهما النمجاة والترس وطلب من يلبغا الأمان على نفسه من القتل وكان ذلك خذلانًا من الله للسلطان برقوق.

فلما وصل سيدى أبو بكر بن سنقر إلى عند يلبغا الناصرى ومعه النمجاه والترس وبلغه رسالة السلطان برقوق، فاعتذر إليه يلبغا الناصرى أنه لا يطيق أن يعطيه الأمان فإن بقية الأمراء ما يوافقوا على ذلك، ولكن قل للسلطان يختفى أياماً حتى تنكسر حدة الأمراء والمماليك عنه.

وكان سبب عداوة يلبغا الناصرى مع السلطان برقوق لأن برقوق، قيد يلبغا الناصرى [ق ٧٧ أ] وأرسله إلى السجن بثغر الإسكندرية مرتين ، المرة الأولى فى دولة الملك المنصور على بن الأشرف شعبان وكان يلبغا أمير سلاح، والمرة الثانية فى دولة السلطان برقوق فأرسل بالقبض على يلبغا الناصرى وكان نائب حلب واستقر بالأمير سودون المظفرى فى نيابة حلب وسجن يلبغا هناك ثم أفرج عنه وأعاده إلى نيابة حلب ثانى مرة، ثم أرسل ملكتمر المحمدى الدوادار إلى حلب وكتب معه مراسيم فى الباطن إلى سودون المظفرى بقتل يلبغا الناصرى، فلما بلغ يلبغا سبق وقتل سودون المظفرى وخرج يلبغا على الطاعة وخامر

كما تقدم فبقى بينه وبين برقوق حظ نفس قديم ففعل ما فعل به واتفق مع النواب وتوجهوا إلى الديار المصرية فكانت النصرة ليلبغا الناصرى على برقوق ، وكما قيل فى المعنى لبعضهم:

توقع كيد من خاصمت يوما   ولا تركن إلى ود الأعادى
فإن الجرح ينلث بعد حين   إذا كان البناء على فساد

ومن هنا نرجع إلى أخبار برقوق مع يلبغا الناصرى فإنه لما رجع إليه سيدى أبو بكر بن سنقر الجمالى بما ذكره له يلبغا الناصرى بأنه لا يطيق أن يعطيه الأمان. فعند ذلك صلى برقوق صلاة العشاء هو وأمير المؤمنين فى الأسطبل السلطانى وقام الخليفة من عنده، وبقى برقوق فى نفر قليل من المماليك ثم أمرهم بالانصراف، فانصرفوا وقام برقوق من مكانه وتنكر حتى نزل من الأسطبل فعند ذلك وقع النهب فى الحواصل السلطانية وذلك فى ليلة الاثنين خامس جمادى الآخر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، فكانت مدة سلطنة الملك الظاهر برقوق فى هذه المرة ست سنين وثمانية أشهر وسبعة وعشرين يوماً، وتولى الأتابكية وأقام فيها خمس سنين إلا أشهر فكانت مدة حكمه بالديار المصرية فى هذه المرة أتابكاً وسلطاناً إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة عشر يوماً كما قيل فى المعنى .

على قدر فضل المرء تأتى خطوبه   ويعرف عنه الصبر فيما يصيبه
ومن قل فيما يتقيه اصطباره   فقد قل مما يرتجيه نصيبه

فلما كان يوم الاثنين خامس جمادى الآخر وصل الأمير يلبغا الناصرى وصحبته تمربغا الأفضلى منطاش فطلعوا إلى تخت القلعة، فتلقاهم أمير المؤمنين ونزلوا فى باب السلسلة، ثم اشتوروا ذلك اليوم فيمن يسلطنونه وباتوا [ق ٧٧ ب] تلك الليلة ، فلما أصبحوا يوم الثلاثاء وقع الاختيار على سلطنة الملك الصالح أمير حاج بن الأشرف شعبان. فطلع الأمراء جميعهم إلى الحوش السلطانى وطلبوا الملك الصالح أمير حاج، فخرج من دور الحرم فقام إليه الأمراء وباسوا له الأرض وأحضروا الخليفة والقضاة الأربعة وبايعوه بالسلطنة فكان كما قيل.

لا تعجبوا من كربه قد فرجت   فرج الشدائد مثل حل عقال

ذكر عود الملك الصالح المنصور أمير حاج بن الأشرف شعبان إلى السلطنة

وهى السلطنة الثانية فلما تسلطن غيروا لقبه ولقبوه بالملك المنصور . وهذا لم يتفق لغيره من الملوك فى تغير لقبهم بعد أن تسلطن ثانى مرة، . فإن الملك الناصر محمد بن قلاوون أعيد إلى السلطنة ثلاث مرات ولم يغيروا لقبه. ثم أحضروا له خلعة السلطنة فركب بشعار الملك من الحوش السلطانى إلى القصر الأبلق. ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعاء. فلما كان يوم الخميس عمل السلطان الموكب وطلع الأمراء إلى القلعة فقبض الأمير يلبغا الناصرى على جماعة كثيرة من الأمراء، وهم تسعة أمراء مقدمين ألوف، وقبض على أربعين أميراً ما بين أربعينات وعشروات ثم أفرج عن جماعة من الأمراء المسجونين بثغر الإسكندرية، هذا ما كان من أمر الملك المنصور بعد عوده إلى السلطنة، وأما ما كان من أمر الملك الظاهر برقوق فإنه أقام مختفيا إلى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة فحضر مملوك أبو يزيد الخازن واسمه سنقر إلى عند الأمير يلبغا الناصرى وقال له: إن السلطان برقوق مختفٍ عند أستاذى فى بيت شخص خياط . فطلب يلبغا الناصرى أبا يزيد وقرره عن ذلك فأقر به. فقال له يلبغا أما سمعت المناداة أن من خب السلطان برقوق عنده كانت روحه قبالة ذلك. فقال أبو يزيد الناصرى: نعم ولكن ما فعلت ذلك إلا وقد فزعت عن روحى. قال السلطان برقوق: كان له على فضل كبير، فلما جاء إلى بيتى ما قدرت أخالفه . فقال يلبغا الناصرى: انزل واحضره وأرسل معه الأمير ألطنبغا الجوبانى بمفرده، فلما وقعت عيناه على السلطان برقوق جرى ألطنبغا وقبل يد السلطان برقوق وقال له: يا مولانا السلطان أنت أستاذنا كلنا ونحن مماليكك قاطبة، وما يصيبك إلا ما يصيبنا. فعند ذلك قام برقوق من وقته ولبس على رأسه عمامة تطيلين من فوقها بطيلسان [ق ٧٨ أ] وركب فرسًا وإلى جانبه الأمير الطنبغا الجوبانى ومعهما أبو يزيد فى البرسيم.

فلما طلعوا به إلى الرملة طلع من باب السلسلة إلى القصر الأبلق فحبس فى قاعة الفضة المطلى سبايكها على الإيوان.

ثم إن الأمير يلبغا الناصرى قال لأبى يزيد احضر لنا ما كان مع السلطان برقوق من المال، فأخرج له كيسًا فيه ألف دينار. وقال له: ما أودع عندى غير هذا . فقال له يلبغا: خذه لك ومثلك من يحفظ صحبة الملوك وأخلع عليه ونزل إلى بيته.

وأمـا السـلطان بـرقوق فإنـه أقـام بقاعـة الفضـة ورتـبوا له سماطًـا وتركوا عنده مملوكين يخدمانـه فأقام ليلة الخميس ثانى عشرين جمادى الآخر فطلع إليه الأمير الطنبغا الجوبانى وأخـرجه فـى ثلث الليل من باب القرافة وأركبه على حمير وتوجه معه إلى بركة الحجاج، ثـم تسـلمه عيسى بن مهنا[1] البدوى مع جماعة من العربان وتوجهوا به إلى نحو عجرود ثم أرسـلوا صـحبته مملوكـين ليوصلوه إلى الكرك، فلما وصل إلى هناك أنزلوه فى مكان فى قلعة الكرك يعرف بقاعة النحاس. فأقام بها فكان كما قيل فى المعنى.

اصبر لدهر نال منك　　　فهكذا مضـت الدهـور

فرحا وحـزنا تـارة　　　لا الحزن دام ولا السرور

هذا ما كان من أمر الظاهر برقوق، وأما ما كان من أمر الملك المنصور أمير حاج بعد عوده إلى السـلطنة، فإنـه فـى يـوم الاثنين سادس عشرين جمادى الآخر من السنة المذكورة أخلع على من يذكر من الأمراء أرباب الوظائف وهو : الأمير يلبغا الناصرى واستقر أتابك العساكر المنصـورة واسـتقر بـالأمير الطنـبغا الجوبـانى رأس نوبـة النواب، واستقر بالأمير قرادمرداش الأحمـدى أمـير سـلاح، واسـتقر بـالأمير أحمـد بـن يلبغا العمرى أمير مجلس على عادته، واسـتقر بـالأمير تمـرباى الحسـنى حاجـب الحجـاب، واسـتقر بـالأمير الأَبُغـا دوادارًا كبيرًا،واسـتقر بـالأمير آقـبغا الجوهـرى أسـتادار العالية وأنعم على جماعة كثيرة من الأمراء بـتقادم ألـوف وبأربعيـنات وعشروات واستقر منهم بجماعة نواب فى البلاد الشامية واستمر على ذلك مدة يسيرة .

فـلما كـان يـوم الاثـنين سـادس عشـر شـعبان مـن السـنة المذكورة: رحـل الأمير الطنبغا الجوبانى على رأس نوبة النواب تمربغا الأفضلى منطاش أحد الأمراء المقدمين وكان ضعيفاً. فـلما دخل الأمير الطنبغا الجوبانى ليسلم عليه (٧٨ ب) فمسكه منطاش ومن كان معه من الأمـراء والمماليـك ثـم إن مـنطاش هـو ومماليكه ركبوا ولبسوا آلة الحرب وكانوا نحو أربعين مملوكـاً وطلـع إلى الأسـطبل السلطانى وأخذ الخيول التى فيه ورجع إلى بيته ثم أمر مماليكه بـأن يطلعـوا على مدرسة السلطان حسن ويرموا على كل من يمر بسوق الخيل ونادى للعوام بأن ينهبوا بيت آقبغا الجوهرى استادار فنهبوه وأخذوا كل شيء فيه .

---

(١) إضافة من بدائع الزهور.

فلما تسامعت المماليك الأشرفية والظاهرية بأن الأمير منطاش ركب، فحضروا إلى عنده، فاجتمع عنده فى ذلك اليوم نحو خمسمائة مملوك فباتوا عنده تلك الليلة، فلما أصبح يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان التف على منطاش جماعة كبيرة من العسكر فتكامل عنده نحو ألفين مملوك، فعند ذلك ركب منطاش على يلبغا الناصرى واتقع معه فى الرملة وجاءت إليه العوام والزعر بالمقاليع فكسروا يلبغا الناصرى مرتين ثم إن يلبغا الناصرى نصب مكاحل على مدرسة الملك الأشرف شعبان التى كانت فى أيامه، فلم يحصل لهم وقعة ولا أفاد منهم شيئًا فلما رأى من كان حول يلبغا الناصرى أن حاله قد تلاشى فسحبوا من عنده وحضروا إلى عند منطاش ولم يزل العيال عمالة بين يلبغا الناصرى ومنطاش إلى يوم الخميس بعد العصر.

فلما رأى يلبغا الناصرى أن أمره فى إدبار وسحب أكثر من كان معه. فلما جاء الليل هرب يلبغا الناصرى من باب القرافة هو والأمير قرادمرداش الأحمدى أمير سلاح وأحمد بن يلبغا أمير مجلس وآقبغا الجوهرى أمير استادار وجماعة كبيرة من الأمراء والمماليك الذى كانوا من عصبة يلبغا الناصرى.

فلما خرجوا من باب القرافة توجهوا إلى آخر القرافة وطلعوا من خلف الجبل وخرجوا من عند الجبل الأحمر وقصدوا التوجه إلى نحو البلاد الشامية ، هذا ما كان من أمر الأمير يلبغا الناصرى ومن معه من الأمراء . وأما ما كان من أمر الأمير تمربغا الأفضلى منطاش فإنه لما هرب يلبغا الناصرى ركب وطلع إلى الإسطبل السلطانى ووقع النهب فى خزائن يلبغا وحواصله، ثم إن منطاش بات تلك الليلة فى الإسطبل . فلما أصبح الصبح مسك الأمير أحمد بن يلبغا العمرى والأمير مامور القلمصاوى ، فأمر منطاش بحبسهما فى قاعة الفضة، وأما يلبغا الناصرى فلم يحصلوه، ثم إن منطاش مسك جماعة من الأمراء المقدمين والأربعينات والعشروات، ثم بعد يومين مسك الأمير يلبغا الناصرى من سرياقوس ومسك الأمير قرادمرداش والأمير آقبغا الجوهرى والأمير الطنبغا الجوبانى والأمير آقبغا الماردينى وجماعة كثيرة من الأمراء ممن كانوا صحبة يلبغا الناصرى لما [ق ٧٩ أ] قصد التوجه إلى نحو البلاد الشامية.

فلما حضروا إلى عند منطاش أمر بتقييدهم ونفيهم إلى ثغر الإسكندرية وأرسل منهم جماعة إلى قوص، فكان عدة من نفى من الأمراء ثمانية عشر أميراً ما بين أمراء مقدمين

وطبلخانات وعشروات.ونفى منهم جماعة وسجن جماعة . ثم إن منطاش أفرج عن جماعة من الأمراء ممن كانوا بثغر الإسكندرية ودمياط وأنعم عليهم بتقادم ألوف وغير ذلك .

وفي أثناء هذه الواقعة جاءت الأخبار من الكرك بأن السلطان برقوق ملك قلعة الكرك وعصى بها وسبب ذلك أن منطاش أرسل شخصاً من البريدية يسمى الشهاب البريدى، وكان له ترداد إلى الكرك وأرسل معه مراسيم سلطانية إلى نائب الكرك بقتل السلطان برقوق. فلما حضر البريدى إلى الكرك أحس برقوق بالشر.

ترقب عيون الحى لأن لها　　　عينا عليك إذا ما نمت لم تنم

وكان حضور اليزيدى إلى الكرك فى تاسع شهر رمضان، وكان السلطان برقوق حين دخل إلى الكرك، وأقام بها فى قاعة النحاس، وكان لها شبابيك إلى ناحية الخليل عليه السلام، فكان برقوق يقف فى كل يوم ساعة فى الشباك ويقول " يا خليل الله أنا فى حبسك ، نجينى من منطاش " فقيل إن شخصاً من الصلحاء رأى الخليل عليه السلام فى المنام وهو يقول له إن برقوق منصور ويعود إلى السلطنة.

فلما حضر الشهاب اليزيدى تنسم بذلك الحاج عبد الرحمن البابا الذى فى خدمة السلطان برقوق، وكان أصله من الكرك وله أقارب هناك. فلما أن اليزيدى جاء يقتل برقوقًا فأنزلوه فى الطارمة التى فى قلعة الكرك ،وكانت تلك الليلة نوبة أبى علوان السجَّان، وكان من أقارب الحاج عبد الرحمن البابا وكان نائب الكرك فى كل ليلة من شهر رمضان يفطر عند السلطان برقوق فلما كانت تلك الليلة لم يحضر نائب الكرك كعادته فتخوف برقوق من ذلك وقال: ما أكل شيئاً حتى يحضر النائب إلى عندى ، ثم إن الحاج عبد الرحمن البابا وأقاربه دخلوا على الشهاب البريدى وقتلوه وقصدوا قتل نائب الكرك واستجار بالسلطان برقوق فأجاره من القتل، ثم إن برقوق ملك قلعة الكرك وسجن النائب بها، فتسامعت عربان الكرك بذلك فأحاطوا على برقوق فلما بلغ منطاش ذلك تقلق وعرض العساكر وغير تجريده إلى برقوق .

فلما كان يوم الاثنين ثامن شوال:

فيه: أخلع السلطان الملك المنصور أمير حاج [ق ٧٩ ب] على من يذكر فيه من الأمراء وهو: الأمير تمربغا الأفضلى المدعو منطاش واستقر أتابك العساكر بمصر وأخلع على الأمير قطلوبغا واستقر أمير سلاح وأخلع على الأمير يمان تمر الأشرفى واستقر رأس نوبة

النواب، وأخلع على الأمير أسندمر الشرفى واستقر أمير مجلس وأخلع على الأمير ألطنبغا الحلبى واستقر أميرًا ودوادارًا كبيرًا، وأنعم على جماعة من الأمراء بتقادم ألوف وغير ذلك .

ثم بعد أيام جاءت الأخبار من الكرك بأن السلطان برقوق نزل من قلعة الكرك هارباً وأن العربان أحاطوا به ولم يكن لذلك صحة ،وإنما السلطان برقوق أرسل بهذا الكلام حيلة على الأمراء الذين بالديار المصرية حتى يبطل أمر التجريدة إلى أن يستقيم أمره .

فلما سمع الأتابكى منطاش بهذا الخبر أخلع على الهجان الذى جاء بهذا الخبر، فكان ذلك أول مكيدة صعدت للظاهر برقوق وبطل أمر التجريدة.

وفى أثناء هذه الواقعة جاءت الأخبار بأن الأمراء المسجونين بقوص كسروا باب السجن والتف عليهم جماعة من مماليك الظاهر برقوق وركبوا على والى قوص وقتلوه وأرادوا التوجه إلى الكرك من ناحية السويس.

ثم جاءت الأخبار: بأن كمشبغا الحموى نائب حلب خرج على الطاعة وخامر وكذلك نائب غزة وأنه جمع من العربان والعشيرة خلقاً كثيرة، وأنه توجه بهم إلى نحو الكرك، وهذا ما كان من أخبار أمراء الديار المصرية. وأما ما كان من أمر الظاهر برقوق فإنه لما بلغه مجىء الأمير حسام الدين بن باكيش نائب غزة ولم يدر هو معه أم عليه، فأراد برقوق أن يحصن قلعة الكرك ويقيم بها وكان الماء بالقلعة قليلاً فصاروا ينقلون إليها الماء على ظهور البهائم ، ثم بدا للظاهر برقوق بأن يتوجه إلى دمشق.

قال القاضى علاء الدين الكركى كاتب السر الشريف : طلبنى الظاهر برقوق وقال لى قد عزمت على التوجه إلى دمشق فاستعد لذلك ثم خرج من الكرك فى يوم الأحد سادس عشرين شوال وكان معه من العربان والعشيرة نحو مائتين وخمسين إنسانًا .

فلما خرج من الكرك تسامع به الناس والتف عليه نحو ألفين إنسان من العربان وغيرهم. وصار كلما مر ببلد يخرج إليه أهلها بالإقامات والضيافات ولاحت عليه بشائر النصرة ولوائح السعادة ثم حضر إلى عنده الأمير قرابغا ومعه من العسكر نحو مائتين إنسان فعند ذلك قوى قلب الملك الظاهر برقوق (ق ٨١ أ) فتلقاه الأمير حسام الدين بن باكيش نائب غزة وكان الظاهر برقوق ولاه،فحين وقعت عين برقوق على عسكر حسام الدين بن باكيش وقع فى قلوبهم الرعب منه، وانهزموا وهرب كل واحد منهم ناحية ، فنهب عسكر

برقوق جميع بركهم وسلاحهم ودوابهم وماشيتهم وأموالهم وقتل منهم جماعة كثيرة من عسكر غزة وانكسروا كسرة قوية .

فلما جاءت الأخبار إلى الديار المصرية بما وقع للظاهر برقوق فإنه أشرف على أخذ دمشق، فاضطربت الأحوال ثم دخل نائب صفد وهو الأمير قطلوبك وأخبر أنه جاء هارباً من برقوق وكذلك نائب حماة وأمراء دمشق وأخبروا أن برقوق ملك دمشق فعند ذلك أمر الأتابكى منطاش بعقد مجلس وجمع فيه القضاة الأربعة وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى وسائر الأمراء من الأكابر والأصاغر حتى أمير المؤمنين وجماعة كثيرة من أعيان العلماء وأحضروا لهم فتاوى بما فعله الظاهر برقوق وكانت صفة السؤال . ما يقوله السادة العلماء فى رجل خلعه الخليفة وسجنه وقيده من غير ذنب، وقتل رجلاً شريفاً فى الشهر الحرام فى البلد الحرام من غير ذنب ، واستحل أخذ أموال المسلمين بغير حق ، ثم إنهم كتبوا من هذا السؤال عدة نسخ .

فأول من كتب على السؤال شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى بأن الذى يفعل ذلك خارج ويجب على العالم قتاله . ثم كتب بقية القضاة والعلماء ما أفتى به شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى ثم إنهم أرسلوا من هذا السؤال عدة نسخ وعليها خطوط العلماء إلى سائر البلاد المصرية والشامية .

ثم بعد أيام جاءت الأخبار من دمشق بأن برقوق بعد أن ملك دمشق ودخل إليها ونزل بالميدان الكبير كبس عليه أهل دمشق ورجموه وأخرجوه هارباً على وجهه. فاخلع منطاش على اليزيدى الذى جاء بهذا الخبر.

وسبب مجىء هذا الخبر أن السلطان برقوق لما تقاتل مع أهل دمشق وكسرهم أقام على قبة يلبغا أياماً لم يدخل إلى دمشق حتى أتاه كمشبغا الحموى نائب حلب، فوجد السلطان برقوق فى خيمة صغيرة، خلقة فأحضر له كمشبغا نائب حلب خيمة كبيرة مدورة وأحضر له بيوتات بأوانيها محملة وأحضر له قماشًا ومالاً ورتب له كلما يحتاج إليه من أمر السلطنة حتى رتب له الحليلة برسم النوبة . [ق ٨١ ب] وصار سلطاناً كما كان أولاً ثم إن الظاهر برقوق دخل إلى دمشق ونزل بالقصر الأبلق الذى بها ثم إن بعض المماليك عبث على بعض سوقة دمشق وأخذ منه شيئًا بالغصب فأشار عليه فضربه ذلك المملوك فشجه فتعصب له أعوام الناس وضربوا ذلك المملوك فلما سمع خشداشيمه بذلك ركبوا على أهل دمشق

فبقيت فتنة عظيمة ورجموا السلطان برقوق بالحجارة حتى خرج من دمشق هارباً ونهبوا برك عسكره . فلما خرج برقوق من دمشق أقام فى قبة يلبغا هو ومن معه من الأمراء والنواب وأغلق أهل دمشق أبواب المدينة بعد ما كانوا فتحوها بالأمان، هذا ما كان من أمر الظاهر برقوق.

وأما ما كان من أمر منطاش فإنه تزايدت عظمته واجتمعت الكلمة فيه وصار إذا رسم بشيء لا يراجع فيه. فمن ذلك أنه رسم بأن يوحد من الأمراء المقدمين الألوف الذين هم مقيمون بالقاهرة من كل واحد منهم عشرة رؤس خيل، ومن كل أمير أربعين خمسة رؤس خيل، ومن كل أمير عشرة رأسين خيل، ثم أخذ من أعيان الناس من كل واحد على قدر مقامه وذلك بسبب التجريدة، فنفرت منه قلوب الأمراء والناس قاطبة بسبب ذلك وأمر والى القاهرة بأن ينادى بأن أحداً من الفقهاء ألا يركب فرسًا، وكل من كان عنده فرس يحضر به إلى الاسطبل السلطانى ثم رسم بأخذ الخيول التى فى الطواحين ، فأخذ جميع خيول الطواحين ويعطلون الناس من الدقيق، وصار الخبز ما يوجد وعز الدقيق فضجت الناس من ذلك. ثم إنه أمر بأن تسد أبواب القاهرة ، فسدوا باب الفرج وخوجة أيدعمش ، وأبواب القاهرة الصغار ، فلما سد باب الفرج تفاءل الناس بزوال أمره ثم رسم لولى القاهرة بأن يقبض على المماليك الظاهرية من مماليك برقوق، فمسك منهم جماعة وسجنهم فحصل منه غاية الضرر وإخبار كل أحد عود الملك الظاهر برقوق ، وصار منطاش يرتب حيلاً ويحضر شخصاً من العربان وعلى يده مطالعات دمشق بأن برقوق قد انكسر وقطعوا رأسه وقد وصلوا به إلى غزة، فتدق بسبب ذلك البشائر ثلاثة أيام ، وكل هذه الأخبار كذب مصنوعة ليس لها صحة وإنما يقصد تطمين خواطر الناس.

فلما كان يوم الاثنين نفق السلطان الملك المنصور [ق ٨١ ا] أمير حاج على العسكر نفقة بسبب التجريدة وعلق الجاليش وابن الخليفة فى الريدانية والنفقة على كل مملوك ألف درهم شامية ورسم لهم أن ينفقوا بوقهم فى ثمانية أيام .

فلما كان يوم الاثنين سابع عشر ذى الحجة خرج السلطان الملك المنصور من القاهرة وصحبته الخليفة المتوكل على الله والقضاة الأربعة والأتابكى منطاش وبقية الأمراء وأقام بالقاهرة الأمير صراى تمر نائب الغيبة ومعه جماعة من الأمراء المقدمين والطبلخانات والعشراوية فأقام فى الريدانية يومين ورحل منها ونزل العسكر شاة ، فلما نزل بالعسكر شاة

تقنطر به الفرس وأرماه، فتفاءل الناس بعكسه وعدم نصرته . ثم جاءت الأخبار بأن جماعة من المماليك السلطانية هربوا تحت الليل وتوجهوا عند السلطان برقوق: هذا ما كان من أمر السلطان بعد خروجه من القاهرة. وأما ما كان من أمر الأمير صراى تمر نائب الغيبة فإنه سد أبواب القلعة ورسم بأخذ الخيول أولاد الناس المقيمين بالقاهرة حتى الخدام وصار يكبس الاسطبلات بسبب ذلك وحصل منه الضرر الشامل .

ثم دخلت سنة اثنتا وتسعون وسبعمائة :

فيها : اضطربت الأحوال بالديار المصرية وقصد الأمراء يركبون على بعضهم عدة مرات. ثم فى سابع عشر من المحرم: استقاص بين الناس بالقاهرة أن الظاهر برقوق قد انتصر على الملك المنصور أمير حاج ومسكه واحتوى على الخزائن وهرب منطاش، ثم بعد ذلك تغير الكلام ، وقالوا إن برقوق انكسر وأن الملك المنصور هو الذى قد انتصر عليه وصار فى كل يوم يشيعوا خبرًا جديدًا، ثم وقعت فتنة بين مماليك برقوق الذين كانوا فى القاهرة وبين صراى تمر نائب الغيبة تحت الليل ونقبوا من سور القلعة نقبًا وطلعوا إلى القلعة وأخرجوا من كان بها محبوساً فى الأبراج من حشداشينهم وكذلك من كان محبوساً فى خزانة شمايل.

فلما رأى ذلك نائب الغيبة هرب ونزل من سور الأسطبل السلطانى وتوجه تحت الليل إلى بيت الأمير قطلوبغا حاجب الحجاب فرأى مماليك برقوق ، كبسوا على نائب الغيبة فلم يجدوه فنهبوا جميع قماشه وأخذوا الخيول التى كانت بالأسطبل السلطانى واستمر النهب عمال إلى باكر النهار.

وكان رأس الفتنة بطا الطولوتمرى، فلما جرى ذلك ركب بقية الأمراء الذين بالقاهرة وهم الأمير مقبل أمير [ق ٨١ ب] سلاح والأمير صراى تمر نائب الغيبة والأمير قطلوبغا حاجب الحجاب وغير ذلك من الأمراء فطلعوا إلى الرملة. واتقعوا مع الأمير بطا ومن معه من المماليك الظاهرية فانكسر الأمراء وهربوا إلى مدرسة السلطان حسن، ثم إن المماليك الظاهرية ملكوا باب السلسلة والطبلخانات السلطانية وقد تحاربوا وصاروا نحو ألفين مملوك من الظاهرية والسيفية، ثم إنهم نهبوا بيوت الأمراء فى التجريدة. ثم إن الأمير بطا رسم لمحمد بن العادلى بأن يكون والى القاهرة ، فنادى للناس بأن لكم الأمان والاطمئنان والدعاء للسلطان الملك الظاهر برقوق فضج الناس له بالدعاء وخطب له يوم الجمعة على المنابر بمصر وذلك كله من قبل أن يجىء من عند برقوق وخبره.

ثـم إن الأمـراء أرسـلوا يطلـبون مـن الأمـير بطـا الأمـان وحضـروا إلى بـين يديه فقيدهم وحبسـهم بالقلعـة هـذا مـا كان من أمر الديار المصرية بعد خروج السلطان الملك المنصور أمير حاج من القاهرة والأتابكى منطاش.

فـلما كـان يـوم الجمعـة بعد الصلاة حضر طبان العيسوى الخاصكى وأخبر بأن السلطان بـرقوق قـد انتصـر على الملك المنصور أمير حاج وقد وصل إلى غزة فدقت البشائر لذلك ثلاثة أيـام. فكتب الأمير بطا مراسيم إلى سائر البلاد والثغور بنصرة الملك الظاهر برقوق وعودته إلى السـلطنة. فـلما كـان يـوم الاثنين حضر الأمير يزيد بن يسى العابدى وكان قد توجه صحبة الملـك المنصور أمير حاج فأخبر بأن الملك المنصور لما توجه هو والأتابكى منطاش ولقيه الأمراء فـلما وصلوا إلى شقحب تلاقوا مع الظاهر برقوق هناك. فحصل بينهم وقعة عظيمة لم يسمع بمثـلها، وذلـك فـى يـوم الأحـد رابـع عشـر المحـرم. وقـتل فيها جماعة كثيرة من الأمراء والمماليك وانكسـر الأتـابكى مـنطاش وكان فى الجاليش . فلما انكسر العسكر توجه منطاش نحـو دمشـق. وأمـا الظاهـر بـرقوق فإنـه لـا انكسر العسكر فصار لا يعلم الغالب من المغلوب فـتوجه مـن وراء الجبل هو ومن معه من العسكر فوجد الملك المنصور هناك والخليفة والقضاة الأربعـة والخـزائن السـلطانية والصـناجق فـأوقع الله تعـالى الرعـب فى عسكر الملك المنصور وغلـت أيديهـم عـن القـتال فعند ذلك احتوى برقوق على الخزائن والصناجق وكلما كان مع عسـكر الملـك المنصـور ربمـا تـراجع إلى بـرقوق الأمـراء والـنواب وبقية العسكر ممن كان من عصـبته فبات تلك الليلة على شقحب فلما أصبح الصباح جاء الأتابكى [ق ٨٢ أ] منطاش فـى عسـكر عظيم من العسكر المصرى والشامى وخرج معه من دمشق السواد الأعظم بالمقاليع والحجـارة فجرى بينهم وقعه أعظم من القتال الأول، واستمر القتال عمال من شـروق الشمس إلى بعـد الغروب فعند ذلك انكسر الأتابكى منطاش كسرة قوية وحصل بينهما مقتلة عظيمة، لم يسـمع بمثلها، ثم إن الظاهر برقوق أقام تلك الليلة بشقحب ـ فلما أصبح الصباح جاء إلى الظاهـر بـرقوق الشـيخ الديـن الصوفى من كبار العلماء وقرر مع الملك الظاهر برقوق بأن الملك المنصـور أمير حاج دخل تحت طاعة الظاهر برقوق وأنه يخلع نفسه من الملك ويبايع الظاهر بـرقوق، فعـند ذلـك حضـر الخلـيفة المتوكل على الله والقضاة الأربعة، وخلعوا الملك المنصور أمـير حـاج مـن السـلطة وبايعوا برقوقًا وتسلطن هناك فعند ذلك قصد التوجه إلى نحو الديار المصرية وكـان قـد وقـع هـناك غـلاء عظيم وزحم وعدمت الأقوات والعليق حتى أبيعت كل بقسـماطة بخمسـة دراهـم وكـل قطعة سكر بعشرة دراهم، وعدم العليق حتى أبيع كل فرس

بعشرين درهما وابيع كل جمل بعشرة دراهم، ولا يوجد من يشترى بهذا السعر ثم إنّ السلطان برقوق أخلع على الأمير إياس الجرجاوى واستقربه نائب صفد وأخلع على الأمير القلمصاوى واستقر به نائب الكرك، ثم إن السلطان برقوق قصد التوجه إلى نحو الديار المصرية فنادى فى العسكر بالرحيل فرحل العسكر وبقى السلطان برقوق والملك المنصور صحبته والخليفة والقضاة وجماعة يسيرة من العسكر فأقامَ علِي شقحب عشرة أيام . فجاء إليه منطاش بجماعة من عسكر الشام فوقف على تل عال هناك ساعة، فركب برقوق ووقف قدامه فلم يجسر منطاش بأن يبرز إلى برقوق بمن معهً من العسكر فوقف ساعة طويلة ثم رجع إلى دمشق فعند ذلك رحل السلطان من شقحب وسار حتى وصل إلى غزة ويافا وأخلع على الأمير علاء الدين آقبغا السلطانى واستقر به نائب غزة ثم رحل من غزة فجاء الأمير آقبغا السكاش أخو الأمير بطا الظاهرى مبشراً بقدوم السلطان الملك الظاهر برقوق فحصل للناس بد طمأنينة وكان من جملة سعد الظاهر برقوق أنه من حين خلع من السلطنة إلى حين عاد إليها لم يجلس أحد على تخت المملكة إلى حين عودته إليه، وكانت سلطنة الملك المنصور أمير حاج عبارة عن نيابة عن الظاهر برقوق وهذا من جملة سعده .

فلما كان يوم السبت جاءت الأخبار بأن السلطان إلى قطيا وأرسل [ق ٨٢ ا] الأمير سودون الطيار وعلى يده منال شريف بالسلام على سائر الأمراء.

ولما كان يوم الثلاثاء أربع عشر صفر من السنة المذكورة: وصل السلطان برقوق إلى الصالحية فخرج أكثر الناس لملتقاه ثم ترك العسكر شاة ثم إلى سرياقوس ثم نزل فى خليج الزعفران ، فحضر إليه سائر الطوائف من أعيان الناس من الأمراء والفقهاء والعلماء حتى خرج إليه طائفة اليهود والنصارى وفى أيديهم الشموع حتى خرج إليه طائفة الصيادين وشباكهم فى أيديهم والصنانير حتى خرج إليه طائفة الحبوش والتكرور وهم يرقصون ومعهم سنجق وطبل، ثم إن السلطان يغدى .

وركب يوم الخميس وطلع إلى القلعة من بين الترب فلما وصل إلى تربة الطنبغا الطويل فرشت له الشقق الحرير فلما وصل السلطان برقوق إلى أوائل الشقق، أثنى عنان فرسه عن الشقق وأشار إلى الملك المنصور بأن يمشى بفرسه على الشقق. وكان الملك المنصور راكباً عن يمين الملك الظاهر برقوق فدعا له الناس الذى خبره بقلبه الملك المنصور وكان الخليفة راكناً قدام السلطان وهو عنه بعيد والقضاة عن يمين

الخليفة وعن يساره وكانت القبة والطير بين الملك الظاهر برقوق وبين الملك المنصور . فلما وصلا إلى باب السلسلة طلعا إلى الاسطبل السلطانى ونزلا فى المقعد فجلسا ساعة والخليفة حاضر والقضاة وشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى فجددوا البيعة للملك الظاهر برقوق وبايعه الخليفة وخلع الملك المنصور وانفض المجلس على ذلك، فقال السلطان برقوق للملك المنصور أمير حاج اطلع سلم على أمك فقام الملك المنصور فقدموا له الفرس فركب من المقعد الذى بالإسطبل فلما ركب الملك المنصور عضده الملك الظاهر برقوق وبالغ فى تعظيمه وخبر بقلبه، فطلع من الإسطبل إلى القلعة ودخل إلى قاعات الحرم وهو فى غاية التعظيم بخلاف من تقدمه أقاربه . فكانت مدة سلطنة الملك المنصور أمير الحاج هذه [المدة] الثانية ثمانية أشهر وستة عشر يوماً ودام بقلعة الجبل إلى أن مات بها، وقيل مات وهو مقعد فى الفراش حصل له ذلك من الطرانة، ومات وله من العمر نحو سبع وأربعين سنة ودفن فى تربة جدته خوند بركة التى فى التبانة وذلك فى ليلة الأربعاء تاسع عشر شوال سنة أربعة عشرة وثمانمائة ، وبه زالت دولة بنى قلاوون كأنها لم تكن بعدما قامت المملكة فيهم مائة سنة وثلاث سنين.

ومن غريب الاتفاق (ق ٨٣ أ) أن أول من تولى منهم قلاوون وتلقب بالملك المنصور وآخر من تولى من بنى قلاوون الملك المنصور أمير حاج وقد تلقب بالملك المنصور وهذا اتفاق غريب.

ذكــــــر
عود الملك الظاهر أبى سعيد برقوق ثانى مرة

وذلك في يوم الخميس رابع عشر صفر سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة فلما أتم أمره في السلطنة عمل الموكب وأخلع على من يذكر فيه من الأمراء، وهم: الأمير أينال اليوسفى واستقر به أتابك العساكر وأخلع على الأمير بطأ واستقر به دوادارًا كبيرًا، ثم أفرج عن الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب واستقر به أمير سلاح، وأفرج عن الأمير الطنبغا الجوبانى وعن الأمير أحمد بن يلبغا العمرى وعن جماعة كبيرة من الأمراء ممن كانوا مسجونين بثغر الإسكندرية من حين سجنهم الأتابكى منطاش في دولة الملك المنصور أمير حاج، وقد تقدم ذكر ذلك ولما أفرج عنهم أنعم عليهم بتقادم ألوف ثم أخلع على الأمير الطنبغا الجوبانى واستقر به نوبة النواب وأخلع على الأمير سودون الفخرى الشيخونى واستقر به نائب السلطنة بمصر وأخلع على الأمير كمشبغا الأشرفي واستقر به أمير مجلس وأخلع على الأمير بكلمش العلاى واستقر به أمير أخور كبير وأخلع على الأمير بتنخاص السودونى واستقربه حاجب الحجاب وغير ذلك من الأمراء الطبلخانات والعشروات. ثم أخلع على جماعة من المباشرين وهم: القاضى علاى الدين الكركى واستقر به كاتب السر الشريف وأخلع على القاضى موفق الدين أبسو الفرج واستقر به وزيراً وناظر الخواص وأخلع على القاضى كريم الدين بن عبد العزيز واستقر به استادارا وفي يوم الثلاثاء خامس ربيع الأول جلس السلطان بالميدان الذى تحت القلعة وحكم بين الناس على جارى عادته. وفي هذه المرة صفا للظاهر برقوق الوقت وأقبلت له الدنيا ودام في السلطنة إلى أن مات على فراشه كما سيأتى ذكره في موضعه فكان أحق يقول القائل حيث يقول :

تاب الزمان إليك مما قد جنى ... والله يأمر بالمتاب ويقبل
إن كان ماض من زمانك قد مضى ... بإساءة قد سرّك المستقبل
هذا بذاك فشفع الثانى الذى ... أرضاك فيما قد جناه الأول
واليسر بعد العسر موعود به ... والنصر بالفرج القريب موكل

(ق ٨٣ ب)

والله قد ولاك أمر عباده ... لما ارتضاك ولاية لا تعزل
وإذا تولاك الإله بقصره ... وقضى لك الحسنى فمن ذا يخذل

وفيها: في يوم الاثنين سابع عشر: أخلع فيه السلطان على الأمير الطنبغا الجوباني واستقر به نائب دمشق وأخلع على الأمير قرادمرداش واستقر به نائب طرابلس وأخلع على القاضي سعد الدين بن البقري واستقر به وزيراً عن أبي الفرج .

وفيها: حضر القاضي شمس الدين بن مشكور ناظر جيش الشام وأخبر أن الأتابكي منطاش ملك مدينة بعلبك وقد التف عليه جماعة كثيرة من العربان وتعصب له الأمير نعير كبير العربان .

وفيها: أخلع على الأمير جمال الدين محمود بن علي الظاهري واستقر به استادارا وناظر الخواص ومشير الدولة وقد رقي في أيام الظاهر برقوق إلى السر ، وتزايد في العظمة.

وفيها : أخلع السلطان على الأمير علاى الدين الطبلاوي واستقر به والي القاهرة عوضاً عن الصارمي .

وفيها: جاءت الأخبار من حلب بأن حضر إلى مدينة حلب الأمير منطاش وصحبته نعير وجماعة كثيرة من العربان، فخرج إليهم نائب حلب يلبغا الناصري واتقع معهم فوقع بينهم وقعة عظيمة وقتل منهم جماعة كثيرة وانكسر منطاش ونعير وهربا نحو الفرات ، فلما سمع السلطان بذلك أرسل ليلبغا الناصري تقليدا بنيابة دمشق.

ثم جاءت الأخبار بأن منطاش حضر إلى عنتاب وملك المدينة فلما جاء الليل كبس عليه نائب عنتاب وقتل منهم جماعة كثيرة نحو مائتين إنسان وهرب منطاش ونعير نحو الفرات.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعون وسبعمائة:

فيها : طلب السلطان الوزراء المعزولين فلما حضروا بين يدى السلطان أخلع على الصاحب شمس الدين المقسي واستقر به ناظر الدولة وأخلع على الصاحب سعد الدولة بن البقري واستقر به ناظر البيوتات الشريفة وأخلع على صاحب علم الدين سنبرة واستقر به كاتب الحوش خاناه وأخلع على الصاحب فخر الدين بن مكانس واستقر به وزيراً ومستوفي الدولة فأطلق عليه وزير الوزراء وكان ديوان الوزارة قد حصل فيه تعطيل فاستقر السلطان بالوزراء المنفصلين ووزعه عليهم لأجل السداد والصاحب فخر الدين بن مكانس هو صاحب ديوان الأشعار اللطيفة ثم إنه أقام في الوزارة مدة وغضب عليه السلطان فضربه ثم أنه

[ق ٨٤ أ] علقه بسرياق وهو منكوس على رأسه. ومن شعره فى هذه الواقعة وهو قول فى تغزله :

وما تعلقت بالسرياق منتكسا لذلة أوجبت تعذيب ناسوتى

لكننى مذ نفثت السحر فى عربى عذبت تعذيب هاروت وماروت

وفى يوم الخميس عاشر شهر شعبان من السنة المذكورة: علق السلطان الجاليش وأمر العسكر بالتجهز إلى التجريدة بسبب قتال منطاش ونعير فإن منطاش تزايد فى الأذى وخرب غالب البلاد الحلبية والشامية ونهب أموال الرعية فعند ذلك جرد إليه السلطان بنفسه . فلما كان يوم الأحد فى العشرين من شهر رمضان صلى السلطان الظهر وركب ونزل من القلعة وخرج من باب الإسطبل المعروف الشامي وتوجه إلى نحو الوطاق بالريدانية ورسم للأمير كمشبغا الحموى بأن يقيم بالإسطبل السلطانى وجعله نائب الغنية إلى أن يحضر السلطان واستقر به أتابك العساكر وأمر الأمير سودون الفخرى نائب السلطنة بأن يقيم فى دار النيابة بالقلعة ورسم للأمراء الذين هم يقيمون بالديار المصرية والمماليك السلطانية بأن يطلعوا فى كل يوم اثنين وخميس إلى الإسطبل السلطانى ويعطوا الخدمة للأتابكى كمشبغا .

ثم إن السلطان رحل من الريدانية بمن معه من الأمراء والعسكر وتوجه إلى نحو البلاد الشامية وكان صحبته الخليفة المتوكل بالله والقضاة الأربعة وشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى.

ولما كان يوم الخميس ثانى شهر شوال: حضر تريدى وعلى يده مثالات شريفة للأمراء الذين بالقاهرة من مضمونها أن السلطان برقوق قد وصل إلى دمشق ودخل إليها فى موكب عظيم، وكان أهل الشام متخوفين من السلطان برقوق مما وقع فى حقه منهم. لما توجه الملك المنصور والأتابكى منطاش بسبب قتال الظاهر برقوق ورجموه وقد تقدم ذلك ، فلما انتصر برقوق وتولى الملك ودخل إلى الشام وكان يوم دخوله إليها يوماً مشهوداً والأمراء مشاة بين يديه والأمير يلبغا الناصرى نائب الشام حامل القبة والطير على رأسه وزينت له دمشق فنزل بالقصر الأبلق فلما استقر به نادى لأهل دمشق بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء أن الماضى ما يعاد حسب المرسوم من المقام الشريف فضج الناس بالدعاء فأقام السلطان بدمشق أياماً وصلى بها الجمعة ثم دخل منها وقصد التوجه [٨٤ ب] إلى نحو حلب.فلما جاءت الأخبار بذلك إلى القاهرة دقت البشائر ثلاثة أيام ، ثم جاءت الأخبار من بعد ذلك بأن

السلطان لما دخل إلى حلب أرسل عسكراً خلف منطاش ونعير من العربان وعسكر الشام وأن منطاش ونعير هربا وانكسرا كسرة قوية وتوجها نحو سنجار ، وقد انتصر السلطان عليهما.

فلما جاءت الأخبار بذلك إلى القاهرة دقت البشائر بسبب ذلك سبعة أيام ثم بعد مدة جاءت الأخبار من عند السلطان بأنه قبض على يلبغا الناصرى نائب السلطان ومعه جماعة من الأمراء وحبسهم بقلعة حلب وسبب ذلك أن الأمير سالم الدوكارى أمير التركمان أرسل يعرف السلطان بأن يلبغا الناصرى أرسل مطالعة إلى منطاش يقول له بها امض إلى الأمير سالم الدوكارى واستنجد به فمادمت أنت موجود فنحن موجودون. وأرسل سالم الدوكارى كتاب يلبغا الناصرى الذى أرسله إلى منطاش إلى عند السلطان برقوق فلما تحقق السلطان ذلك أرسل طلب سائر الأمراء فلما حضروا أمرهم بالطلوع إلى قلعة حلب فلما طلعوا لطلب السلطان يلبغا الناصرى وقرأ عليهم كتاب يلبغا الناصرى الذى أرسله إلى منطاش ووبخه بالكلام بين الأمراء ثم أمر السلطان بالقبض على يلبغا الناصرى ومعه جماعة من الأمراء ممن كانوا من عصبته وسجنهم بقلعة حلب. فأقاموا أياما ثم أمر بخنقهم فخنقوا فى السجن ودفنوا تحت الليل ثم إن السلطان أخلع على الأمير بطا الدوادار واستقر به نائب دمشق وخلع على الأمير جلبان الكمشعاوى واستقر به نائب حلب وأخلع على الأمير إياس الجرجاوى واستقر به نائب طرابلس وأخلع على الأمير قرادمرداش المحمدى واستقر به نائب حماة ثم إن السلطان قصد التوجه إلى دمشق فدخل إليها فى يوم الاثنين ثالث عشر ذى الحجة فلما دخل إلى دمشق أمر بالقبض على جماعة من الأمراء نحو ثلاثة وعشرين أميراً ممن كانوا من عصبة منطاش ويلبغا الناصرى وأمر بتسميرهم فسمروا على الجمال وطافوا بهم فى دمشق ثم وسطوهم ثم جاءت الأخبار إلى القاهرة بأن السلطان خرج من دمشق ووصل إلى غزة.

ثم دخلت سنة أربع وتسعون وسبعمائة:

فيها: فى شهر محرم: ثم جاءت الأخبار بأن السلطان وصل إلى قطيا فنودى فى القاهرة بالزينة فلما وصل السلطان (ق ٨٥ أ) إلى بلبيس خرج الناس قاطبة إلى ملتقاه فدخل إلى القاهرة فى يوم الجمعة ثانى المحرم ففرشت له الشقق الحرير من قبة النصر إلى القلعة. فلما طلع إلى القلعة أخلع على سائر الأمراء وأرباب الوظائف وكان يوم دخوله إلى القاهرة يوماً مشهوداً . فلما استقر السلطان بالديار المصرية أخلع على الجناب الركنى بن

عمر بن قايماز واستقر به وزيراً عوضاً عن محمد بن الحسام الصغرى وأخلع على القاضى عماد الدين الكركى واستقربه قاضى قضاة الشافعية بمصر ثم انفصل الركنى بن عمر بن قايماز من الوزارة واستقر استادارا وأخلع على تاج الدين بن أبى شاكر واستقر وزيراً . ثم إن السلطان عمل الموكب وأخلع على الأمير بكلمش العلاى واستقر به أمير سلاح وأخلع على مملوكه شيخ الصفوى واستقر به أمير مجلس.

وفيها : حضر حاجب نعير وأخبر بأن نعير يسأل السلطان بأن ينعم عليه بأربع بلاد من حماة وأنه إذا أنعم عليه بذلك فقبض على منطاش ويرسله إليه فرسم السلطان للأمير أبى يزيد الدوادار بأن يكتب له الجواب عن لسانه ولم يحضره بين يده من حنقه على نعير فكتب له الأمير أبو يزيد الجواب إذا أردت أن تعطى كلما سألته وزيادة فسلم منطاش إلى نائب حلب ونحن نعطيك مهما أردت .

وفى هذه السنة فى يوم الاثنين فى العشرين من شوال أخلع على قاضى القضاة الحنفى جمال الدين محمود القيصرى واستقر ناظر الجيوش المنصورة مضافاً بيده من قضائه القضاة ومشيخة الخانقاه الشيخونية وهذا لم ينفق لأحد قبله من الأعيان.

ثم دخلت سنة خمس وتسعون وسبعمائة:

فيها: أخلع على قاضى القضاة صدر الدين المكاوى واستقر فى القصة الشافعية بمصر عوضاً عن القاضى عماد الدين الكركى.

وفيها : أرسل السلطان خلعة للأمير الحسنى بأن يستقر نائب دمشق وكان أتابكاً بدمشق واستقر بها عوضاً عن كمشبغا .

وفيها : حضر مملوك نائب حلب وأخبر بأن منطاش ونعير توجها إلى حماه ومعهما عسكر عظيم من العربان وغيرهم، فخرج إليهم نائب حماة وأدركه نائب طرابلس فاتقعوا معهما فانكسر النائبان ودخل منطاش إلى حماه ونهب كلما قرب. فلما بلغ نائب حلب ذلك ركب وكبس على بيوت نعير وقتل جماعة من أصحابه ونهب أموالهم وحرق بيوتهم وأسر نساءهم. وفى هذه السنة : أخلع السلطان على الأتابكى الأمير قلمطاى العثمانى واستقر به دواداراً كبيراً عوضاً عن أبى يزيد [ق ٨٥ ب] الدوادار. وفى يوم الثلاثاء رابع من شهر رمضان: حضر كمشبغا ملوك نائب حلب وأخبر بأن نعير مسك منطاش وأرسل إلى نائب حلب بأن يرسل إليه من يتسلمه وكان صعقة مسك منطاش أن نعير لما تلاشى أمر منطاش

وقلت عنه العساكر فعند ذلك خشى نعير على نفسه من سطوة السلطان فأرسل نعير عبداً من عبيده إلى عند منطاش وكان منطاش قد تزوج فى هذه المدة بإحدى بنات نعير بن خيار فلما حضر إليه عبد نعير أحس منطاش بالشر، وكان راكبا على هجين فنزل عنه وركب فرساً، فجاء العبد ومسك لجام فرسه وقال له: كلم الأمير نعير . فقال منطاش: وما يعمل بى نعير؟ فتكاثر عليه العبيد ومسكوه وأنزلوه عن فرسه غضباً وأخذوا سيفه من وسطه . فقال منطاش دعونى حتى أبول وكان مع منطاش كزلك صغير. فأخذه وضرب به نفسه فى أربعة مواضع فغشى عليه، فلما أفاق وحضر بين يدى نعير فسلمه إلى قاصد نائب حلب وأرسل معه نحو أربعمائة فارس من العرب حتى وصلوا به إلى حلب. فكان يوم دخوله إلى حلب يوماً مشهوداً فطلع إلى قلعة حلب وسجن بها وكتب بذلك محضراً بقضاة حلب وأحضره كمشبغا المذكور ومملوك نائب حلب إلى عند السلطان فأخلع عليه قبا بوجهين مطرزين ذهب عريض ورسم السلطان للأمراء أن يلبسه كل واحد ثم إن السلطان نادى الزينة ودقت البشائر سبعة أيام .

ثم إن السلطان أرسل الأمير طولو بن على شاد ليحضر منطاشًا من حلب. فلما وصل إلى حلب تسلم منطاشًا من السجن وعصره وقرره على الأموال الذى نهبها من البلاد، فلم يقر بشىء، فقطع رأسه وجعله فى علبة وحمله صحبته من البلاد. ودخل به إلى حماة وطافوا به المدينة وكذلك به فى دمشق إلى أن وصل به إلى غزة ثم أحضرها إلى القاهرة ، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً ، فطافوا به القاهرة ثم علقوه ذلك اليوم على باب القلعة ثم نقل وعلق على باب زويلة ثلاثة أيام، ثم رسم السلطان بأن يسلم الرأس إلى زوجة منطاش وهى بنت الأمير منكوتمر فأخذته ودفنته وذلك فى سادس عشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة. ثم قلعت الزينة وانقضى أمر منطاش كأنه لم يكن، وبطلت الفتن وسكنت الأمور. فسبحان القادر على كل شىء، وقد أفنى الظاهر برقوق عمره وهو فى غاية النكد والقهر من منطاش. إلى أن مسك وبلغ منه قصده، وكان منطاش من مشتروات الظاهر برقوق وقد تقدم [ق ٨٦ ا] ذلك ولما مسك منطاش قال بعض الشعراء.

كأن فجاج الأرض يمناك إن يسر بها خائف تجمع عليه الأنامل
فأين يفر المرء منك بجرمه إذا كان تطوى فى يديك المراحل

ثم إن السلطان أرسل إلى نعير بن خيار خلعة وأن تكون على عادته وأنعم عليه ببلاد كثيرة ودخل تحت طاعة السلطان وانطوى هذا الأمر.

فلما كان يوم الخميس تاسع عشر شوال من السنة المذكورة: حضر قاصد من عند صاحب ماردين وهو طواشي رومي، يسمى صفي الدين جوهر ، وأخبر السلطان بأن شخصا خارجيًا يسمى تمرلنك زحف على البلاد ومعه عساكر عظيمة وقد أخذ تبريز العجم وأرسل إلى صاحب ماردين بأن يدخل تحت طاعته فاعتذر إليه صاحب ماردين بأن على يده يد وهو صاحب مصر وأرسل صاحب ماردين كتاب تمرلنك على كتابه وقال للسلطان خذ حذرك من هذا الأمر وكن على يقين منه فكان كما قيل .

وثقيل مـا برحنا نتمنى البعد عنه
غاب عنا ففرحنا جـاءنا أثقل منه

ثم بعد مدة حضر قاصد صاحب بسطام وأخبر بأن تمرلنك وولده والسلطان محمود خان أستاذ تمرلنك ملكوا شيراز وقتلوا صاحبها. وأرسلوا رأسه إلى السلطان مغيث الدين أحمد ابن أويس صاحب بغداد ، وأرسل تمرلنك إلى السلطان يقول له: أنت سلطان بن سلطان ابن سلطان وقصدى أصاهرك وأتزوج بأختك[1] ونبقى واحد، وأزوجك أنا بنتى. فلما وصلت قصاد تمرلنك بهذه الرسالة إلى السلطان أحمد بن أويس ففرح بذلك وكان قد استخدم جماعة كثيرة من الفرسان واستعد إلى قتال تمرلنك.

فلما أرسل تمرلنك هذه الرسالة فرح بذلك واستعاد من الفرسان ما كان أنفقه عليهم بسبب تجهيز العساكر وأهمل أمر قتال تمرلنك وأطمأن من قبله ،وكل هذه حيلة من تمرلنك حتى يخذله عن القتال وقد أتكل على الكلام الزور ولم يعلم ما جرى به المقدور فلم يشعر إلا وقد دهمته العساكر وأنشده لسان الحال أفق من هذه الخمرة يا شاكر . فكان كما قيل فى المعنى.

كم لى ابنه منك مقلة نايم لم يهد غير سروره الأحلام
فكأنه إذ جيئه مستصرخا طفل تحرك مهده فينـــام

---

(١) سقطت من الناسخ .

فلما دهمته العساكر وركب ومن بقى معه من عسكره وخرج من أحد أبواب [ق ٨٦ ب] بغداد فلما خرج من بغداد فتح أهل المدينة بقية الأبواب فدخل إليها عسكر تمرلنك وملكوا البلد . فلما سمع السلطان أحمد بن أويس بذلك فما أمكنه إلا الهروب. فهرب تحت الليل وعدى من على الجسر ومن معه من العسكر. ثم قطع الجسر فلما طلع النهار تبعه جماعة من عسكر تمرلنك فوجدوا الجسر مقطوعًا فنزلوا فى الماء عن ما يحقوهم وتبعوا السلطان أحمد بن أويس فلم يحصلوه إلى مسيرة ثلاثة أيام . فلما يأسوا منه رجعوا إلى بغداد وملكوها.

فلما سمع الملك الظاهر برقوق هذه الأخبار طلب سائر الأمراء وضربوا المشورة فى هذا الأمر. فأشار الأمراء على السلطان بأن يرسل إلى السلطان أحمد بن أويس يحضر إلى القاهرة حتى يقع الاتفاق على ما يكون فيه المصلحة فى ذلك ، فعين السلطان برقوق الأمير أزدمر الشرفى بأن يتوجه لإحضار السلطان أحمد بن أويس وأرسل صحبته عشرة آلاف دينار لينفقها على السلطان أحمد حتى يصل إلى القاهرة ، فسافر الأمير أزدمر الشرفى بعد مضى يومين من ذلك، ثم بعد مدة يسيرة حضر قاصد ملك الروم وهو أبو يزيد بن مراد بك بن عثمان ومعه تقادم للسلطان هدايا عظيمة، وأرسل يعرف السلطان بأمر تمرلنك. وأن يكون هو والسلطان عوناً على هذا الأمر، وأرسل يطلب من السلطان طبيبًا حاذقًا وأدوية توافق مرضه، فإنه ذكر أن به ضربين مفاصل، فعين له السلطان الريس شمس الدين بن صغير وأرسل صحبته جملين أدوية توافق ذلك المرض وأرسل له هدايا عظيمة صحبة قاصده وسافر معه الريس شمس الدين بن صغير .

ثم جاءت من بعد ذلك الأخبار بأن تمرلنك وصل إلى مدينة البصرة. وأن صاحب البصرة جمع خلقا كثيرة من العربان وغيرهم. واتقع مع تمرلنك وقعة عظيمة فقتل فيها محمود خان استاذ تمرلنك، وأسروا ولد تمرلنك فى الوقعة. فأرسل تمرلنك يقول لصاحب البصرة أرسل أطلق ابن القان أحمد بن أويس صاحب بغداد وأنا أطلق ولدك .

فلما سمع تمرلنك ذلك أرسل عسكراً عظيماً إلى البصرة بعد أن رحل عنها وحاصرها أشد الحصار فانكسرت عساكر البصرة كسرة قوية، فلما بلغ السلطان برقوق هذه الأخبار رسم للأمير علاء الدين بن الطبلاوى والى القاهرة بإجهاز النداء بأن جميع العساكر المنصورة متجهزون لقتال العدو الباغى تمرلنك ، ثم صار يكرر النداء بذلك ثلاثة أيام .

ثم إن السلطان أحضر القضاة الأربعة وشيخ الإسلام (ق ٨٧ أ) سراج الدين البلقينى وأمير المؤمنين المتوكل على الله وسائر الأمراء وعقد مجلساً بسبب حل الأوقاف التى على الجوامع والمساجد، فتكلم معه القضاة كلامًا كثيرًا بسبب ذلك ، ولم يوافقوا على ذلك ، ثم وقع الاتفاق مع شيخ الإسلام والقضاة بأن يؤخذ من الأوقاف أجرة سنة ويتركوا على حالهم وانفصل المجلس على ذلك .

وفى أواخر هذه السنة : توفى الصاحب شمس الدين المقسى وكان وزير الديار المصرية وناظر الخواص الشريفة وهو صاحب الجامع الذى على الخليج الناصر.

ثم دخلت سنة ست وتسعون وسبعمائة:

فيها : فى يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول حضر إلى الأبواب الشريفة القان أحمد بن أويس صاحب بغداد وقد تقدم سبب مجيئه ما فيه كفاية . فركب السلطان وخرج إلى ملتقاه فتلقاه عند المطرية فنزل السلطان عن فرسه، ونزل القان أحمد واعتنقا. ثم إن السلطان ألبس القان قباء بنفسجيًا مفريًا بقاقم، بطرز زركش عريض وأركبه فرسًا بور بسرج ذهب وكنبوش، ومشى القان أحمد عن يمين السلطان وشق من القاهرة ، ودخل من باب النصر وسارا إلى أن وصلا إلى تحت الطبلخانات السلطانية فوقف السلطان هناك، وأشار للقان أحمد بأن يتوجه إلى مكان أعد له وقيل بيت الأمير طقزدمر نائب السلطنة المطل على بركة الفيل، فتوجه إليه ألقان أحمد وصحبته سائر الأمراء فدخل هناك ومد له سماطاً عظيماً فأكل هو والأمراء، ثم انصرف الأمراء إلى بيوتهم فأرسل السلطان إلى القان أحمد تقدمة منها طوالت خيل بسروج ذهب وكنابيش وعشرة مماليك صغار وعشر جوار وعشرة نفخ قماش وعشرة آلاف دينار، وأشياء كثيرة غير ذلك .

ثم جاءت الأخبار من حلب بأن جاليش تمرلنك وصل إلى الرها وحصل بينه وبين نائب الرها وقعة عظيمة وانكسر جاليش تمرلنك. ثم إن السلطان أعرض العسكر فى الميدان الذى تحت القلعة وهم لابسين آلة الحرب فأنفق عليهم فى ذلك اليوم لكل مملوك ألفين درهم شامية، فامتنعوا من الأخذ بعد تردد كثير ، فغضب السلطان من ذلك وصار يعطى النفقة للمماليك من يده فأخذوها على كره منهم .

فلما كان يوم الاثنين سابع ربيع الآخر: أبرز السلطان خامه فى الريدانية وكذلك سائر الأمراء من الأكابر والأصاغر، ثم إن السلطان خرج يوم الخميس عاشر شهر ربيع فنزل من

باب الأسطبل وتوجه نحو القرافة فوقف هناك حتى رتب ما يطلبه بنفسه [ق ٨٧ ب] وصار يسوق من باب القرافة إلى الرملة ويعود عليه قرقل مخمل أحمر بغير أكمام وعلى رأسه شاش فخر، فى طلبه مائتا فرس.

فلما تكامل خروج الطلب خرج السلطان فى موكب عظيم وسائر الأمراء فى خدمته وكان ألقان أحمد بن أويس راكباً عن يمينه، فسار حتى وصل إلى المخيم بالريدانية ثم ترادفت أطلاب الأمراء بالخروج أولاً بأول حتى انتهوا عن أخرهم . ولما نزل السلطان بالريدانية أخلع هناك على الناصرى محمد بن كلبك واستقر به وزيراً وأخلع على الصاحب سعد الدين ابن البقرى واستقر به ناظر الدولة . ثم إن السلطان جد فى السير حتى وصل إلى دمشق فى ثانى عشرين ربيع الآخر فنزل فى القصر الأبلق وحكم بين الناس، وأقام بدمشق أياماً ثم قصد التوجه إلى حلب.

ثم دخلت سنة سبع وتسعون وتسعمائة:

فيها: حضر إلى القاهرة مملوك محمود استادار العالية وأخبر بأن السلطان خرج من حلب فى مستهل المحرم وقد استقر بالأمير تغرى بردى بن يشبغا نائب حلب ،واستقر بالأمير أرغون شاه الإبراهيمى نائب طرابلس ، واستقر بالأمير آقبغا الجمالى نائب صفد وغير جماعة من النواب غيرها .وأما جان العدو المخذول فإنه لما بلغه مجىء السلطان رجع إلى بلاده .

فلما تحقق السلطان ذلك قصد التوجه إلى الديار المصرية ورجع ألقان أحمد بن أويس إلى بلاده ولم يقع بينه وبين تمرلنك قتال، ولم يعد تمرلنك من الرها ولا وصل إلى العراق هذه المرة .

ثم جاءت الأخبار: بأن السلطان دخل إلى دمشق وخرج منها ووصل إلى غزة ثم خرج من هناك إلى زيارة بيت المقدس والخليل عليه السلام.

فلما كان الثلاثاء ثالث عشر صفر وصل السلطان إلى الديار المصرية، وكان يوم دخوله إلى القاهرة يوماً مشهوداً وزينت له القاهرة وفرشت تحت رجل فرسه الشقق الحرير من قبة النصر إلى القلعة.

وفى هذه السنة: فى يوم السبت سادس شهر شوال الموافق لآخر (يوم من) أبيب من أشهر القبط: زاد الله فى النيل المبارك أربعين إصبعا وفى ثانى يوم وهو أول يوم من مسرى

زاد الله النيل المبارك أشبر وستين إصبعا وذلك يكون ذراعين ونصف الذراع وأصبعين فى يومين، وهذه الزيادة لم يعهد بمثلها لا فى الجاهلية ولا فى الإسلام.

وفى يوم الثلاثاء تاسع شوال الموافق لثالث مسرى: زاد الله النيل المبارك خمسين إصبعا وذلك فى ثالث مسرى وهذا لم يسمع بمثله فيما تقدم من السنين الماضية ، وفى ذلك يقول بعض الشعراء:

النيل أفرط فيضا بقبضه المتتابع
فصار مما دهانا حديثنا بالأصابع
النيل زاد جوراً يحكمه المطاع
[ق ٨٨ أ] يعمل فى الرعايا بالباع والذراع

وقال الصلاح الصفدى فى ذلك

قد زاد هذا النيل فى عامنا فأعرق الأرض بأنعامه
وكاد أن يعطف من مايه عرى على أزرار أهرامه

وفى أواخر هذه السنة : توفى قاضى القضاة الشافعى ناصر الدين بن الميلق ، وكان من أكابر العلماء.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعون وسبعمائة:

فيها :يوم السبت سادس شهر صفر أرسل السلطان طواشى يقال له فارس الدين شاهين الحسنى إلى بيت الأمير جمال الدين محمود استادار العالية فأخذ نساءه وسراريه وولده الناصر محمد، وطلع بهم إلى القلعة فهرب الأمير محمود.

ثم نزل لقاضى سعد الدين بن غراب وكيل بيت المال ومعه الأمير على باى الخازندار فنزلوا إلى بيت الأمير محمود، وأخذوا منه فى أول يوم ذخيرة وجدت تحت عقد سلم ومائة ألف دينار وخمسين ألف دينار. وفى ثانى يوم أخلع على الأمير قطلوبغا العلائى واستقر استادارًا عوضا عن محمود بن على الظاهر وأمرة ولده محمد ، وكان أمير أربعين .

ثم إن السلطان أخلع على القاضى سعد الدين بن غراب واستقر به ناظر الديوان الشريف المفرد . واستقر بالأمير مبارك شاه الظاهرى وزيراً عوضاً عن الناصرى محمد بن كلبك .

ثم رسم السلطان للأمير علاء الدين بن الطبلاوى والى القاهرة بأن يتسلم محمد بن محمود الاستادار ثم نزل الزينى صندل الخازندار إلى بيت الأمير محمود. فحضروا فى مكان خلف مدرسته التى فى القربيين فوجدوا عدة أزيار كبارًا وصغارًا والكل فيها دراهم نقرة. ثم حفروا فى مكان أخر خلف بيته فوجدوا فيه جرة كبيرة فيها ذهب، وأخرى فيها فضة. ثم قبضوا على بوّابه موسى وعصروه ، فأقر على مكان بالإسكندرية وهو مخزن حمار فأرسلوا إليه من حفره فوجدوا فيه مائتين وثلاثين ألف دينار وستة وثلاثين ألف دينار فأحضروها إلى الخزائن الشريفة ووجدوا له عند مملوكه لاجين ثلاثين ألف دينار .وعند مملوكه شاهين أربعين ألف دينار ، ووجدوا له عند قاضى القضاة المالكى ولى الدين بن خلدون عشرين ألف دينار، ووجدوا له عند إمامه سراج الدين ثلاثين ألف دينار، ووجدوا عند فراشه شقير ستين ألف دينار ، ثم حفروا مكانًا [ق ٨٨ ب] عند باب سره فوجدوا فيه بكلة نحاس فيها ذهب نحو ستين ألف دينار، ثم وجدوا فى مدرسته التى بالقربيين فى مكان فيها خمسين ألف دينار، ووجدوا له فى مكان عند جامع الأزهر زير فيه مائة وسبعة وثلاثون ألف دينار ، ووجدوا له فى مكان بالقرب من باب البرقية عند جارية سوداء زير فيه مائة ألف دينار وثلاث برانى فيها لؤلؤ كبار وفصوص مختلفة الألوان ، ووجدوا له عند شخص إسكافى كنابيش وطرز زركش وحوايص ذهب، ووجدوا له عند باب سره الذى فى حارة بنى سيس فى مكان زلعة كبيرة فيها ذهب فما علم قدر ما فيها فتسلم ذلك جميعه الزينى صندل المنجكى الخازندار وذلك كله، غير ما وجد من القماش والأوانى والفرش والبرك والأملاك والضياع والبساتين والمراكب والمعاصر والخيول والبغال والجمال والجوارى والعبيد والمماليك والطواشية وحلى نسائه وسراريه وأولاده وهذا الموجود مقرب من موجود الصاحب علم الدين بن زنبور وقد تقدم ذلك فى أول الكتاب فى دولة الملك الصالح ابن الناصر محمد بن قلاوون.

ثم إن السلطان أمر بتسليم الأمير محمود وولده محمد إلى شاد الدواوين فكان كما قيل فى المعنى .

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه ويلبس الثوب غيرمن قطعه

ثم دخلت سنة تسع وتسعون وسبعمائة:

فيها : وقع الغلاء بالديار المصرية وعزت الأقوات ، فرسم السلطان للأمير علاء الدين ابن الطبلاوى والى القاهرة بأن يعمل فى كل يوم عشرين أردب قمح يطحن ويعمل خبز ويفرق على الفقراء والمساكين .

وفيها : أخلع على الصاحب سعد الدين بن البقرى وأعيد إلى الوزارة عوضاً عن مبارك شاه، وأخلع على القاضى بدر الدين بن الطوخى واستقر به ناظر النظار.

وفيها : أرسل الأمير تنم نائب الشام يسأل فى الحضور إلى القاهرة ليرى وجه السلطان ويعود، فأذن له فى ذلك فحضر وصحبته الهدايا والتقادم ونزل بالميدان الناصرى .

وفيها : جاءت الأخبار من حلب بأن تمرلنك رجع إلى أطراف بلاد الروم وأخذ مدينة أزريكان وقتل وسبى أهلها، فبرز أمر السلطان للنواب بأن يخرجوا إلى ملطية إلى أن يدخل الشتاء ليسمع تمرلنك بذلك .

وفيها : أخلع على القاضى تقى الدين الزبير واستقر قاضى القضاة الشافعية بمصر وانفصل القاضى صدر الدين المناوى عنها .

وفيها : توفى جماعة من الأعيان، وهم: الأمير سودون الشيخونى نائب السلطنة والناصرى محمد بن رجب بن كلبك وزير [ق ٨٩ أ] الديار المصرية والصاحب سعد الدين ابن البقرى وقاضى القضاة محمود القيصرى وكان قاضى قضاة الحنفية وناظر الجيوش المنصورة، وشيخ الخانقاه الشيخونية .

وفيها : مات الأمير محمود الاستادار وكان محبوساً فى خزانة شمايل حتى مات بها فغسل وكفن وصلى عليه، ودفن فى مدرسته التى فى القربيين فكان كما قيل فى المعنى لبعضهم .

إن لدنيانا وأفعالها   فإنها اللهم مخلوقة
همومها لا تنقضى ساعة   عن ملك فيها ولا سوقة
واعجبا منها ومن فعلها   عدوة للناس معشوقة

ثم دخلت سنة ثمانمائة من الهجرة:

فيها :قبض السلطان على الأتابكي كمشبغا الحموى والأمير بكلمش العلاى أمير سلاح وقيدهما وأرسلهما إلى السجن بثغر الإسكندرية، ثم عمل الموكب فى يوم الاثنين . وأخلع على الأمير أيتمش البجاسي واستقر به أتابك العساكر عوضاً عن كمشبغا الحموى. وأخلع على الأمير تانى بك اليحياوى واستقر به أمير مجلس، وأخلع على الأمير قلمطاوى العثمانى واستقر به دوادارًا كبيرًا، وأخلع على الأمير نوروز الحافظى واستقر به رأس نوبة النواب، وأنعم على الأمير سودون فرتب السلطان بتقدمة ألف، ثم حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير تغرى بردى بن يشبغا نائب حلب، فلما حضر أخلع عليه واستقر به أمير سلاح. وفى هذه الحركة غير السلطان جماعة كبيرة من الأمراء والنواب بالبلاد الشامية والحلبية .

وفيها: غضب السلطان على مملوكه شيخ الصفوى أمير مجلس ونفاه إلى القدس الشريف.

وفيها : حضر إلى الأبواب الشريفة القاضى جمال الدين يوسف الملطى قاضى حلب: فلما حضر أخلع عليه واستقر به قاضى القضاة الحنفية بمصر عوضاً عن القاضى شمس الدين الطرابلسى .

وفيها: أخلع السلطان على مملوكه على باى ويسمى آل باى أيضاً فاستقر به رأس نوبة النواب، وأخلع على الأمير نوروز الحافظى واستقر به أمير أخور كبير، وأخلع على الأمير يشبك العثمانى بتقدمة ألف.

وفيها: قبض السلطان على القاضى علاء الدين متولى والى القاهرة المعروف بالطبلاوى، وقبض على أخيه وابن عمه وعلى جميع غلمانه وحاشيته.

فلما كان يوم السبت: طلع جماعة من العوام إلى تخت القلعة وعلى رءوسهم مصاحف وأعلام يسألون السلطان بأن يعفوا عن ابن الطبلاوى والى القاهرة، فأرسل السلطان إليهم الأوجاقية ضربوهم وشتتوهم.

فلما كان يوم [ق ٨٩ ب] الاثنين: أرسل ابن الطبلاوى يسأل فضل السلطان بأن يكلمه فى أذنه كلمتين فتحيل السلطان من ذلك - وأمر بتسليم ابن الطبلاوى إلى يلبغا الأحمدى الاستادار ليستخلص منه الأموال .

فلما خرجوا بابن الطبلاوى إلى عند باب الردخانات كان معه "كزلك" صغير فأخرجه وضرب به نفسه ليموت فمسكوه وأخذوا منه الكزلك وعرضوه على السلطان فتحقق منه السلطان أنه كان يطلب القرب من السلطان ليضربه بذلك "الكزلك" فتزايد عليه الحنق من السلطان، وكان ابن الطبلاوى ليس له الأ ذل عظيم بالسلطان فى أول الأمر. فظن أن ذلك الإذلال باقٍ كما قيل فى المعنى .

أياك أن نفرط فى حق من يعرف بالجود فقد تخنق

ولا تقل ذا حلمه واسع فالماء إن سخنته يحرق

فعند ذلك رسم السلطان بتسليمه إلى يلبغا الأحمدى فبات يعاقبه وعصره وسقطه بالجير والملح وقرره على الأموال ، فكان كما قيل .

جرع كأسا كان يسقى بها والمرء مجزى بأعماله

فأظهر فى تلك الليلة مائة ألف دينار، ثم أظهر فى ثانى ليلة خمسين ألف دينار ثم زادوا فى عقوبته فأخرج من رواقه الكبير الذى عمره وهو جندى أربع برانى وجرة فيها عشرون ألف دينار ، ثم أحاطوا على موجوده فقوم ذلك بثمانين ألف دينار. ثم أقاربه وابن عمه ونسائه وجميع حاشيته واستصفوا أموالهم (الذى خبث لا يخرج إلا نكدا).

وفيها: فى يوم السبت ثانى عشر ذى القعدة: عمل السلطان المهم عظيم فى الميدان الذى تحت القلعة، وسبب ذلك أن السلطان لعب بالأكره مع الأتابكى أيتمش البجاسى فغلبه السلطان، فقصد أيتمش أن يعمل وليمة للسلطان فمنعه السلطان من ذلك، ورسم السلطان أن يعمل الوليمة من ماله فتكفل بذلك الوزير والأستادار، فرسم السلطان أن يضرب صواوين صغار ومدورة كبيرة فى الميدان الذى تحت القلعة وكان الذى عمل فى ذلك المهم وهو من اللحم عشرون ألف رطل ومن الأوز مائتا زوج ومن الدجاج ألف طير ومن الخيل عشرون فرسًا برسم الذبح ، ومن السكر ثلاثون قنطارًا ، ومن الزبيب ثلاثون قنطارًا برسم. والشش وستين أردب دقيق ترسم البوزة، وهذا الأمر لم يعهد من ملك قبله ثم نزل [ق ٩٠ ا] السلطان إلى الميدان وقت السحر فأشار على السلطان بعض أخصائه بأن يمد السماط ويطلع إلى القلعة وكان عزم السلطان بأن يقيم فى الميدان إلى آخر النهار ويحضر جماعة من أرباب الملاهى والملاعيب . فلما أشار عليه بعض أخصائه بالطلوع إلى القلعة فمد السماط للأمراء، ثم ركب وطلع إلى القلعة قبل طلوع الشمس وأخلع على الأمراء وأرباب

الوظائف لكل واحد خلعة وفرس بسرج ذهب وكنبوش، وأخلع على الوزير الأستادار وناظر الخواص لكون أنهم تولوا أمر المهم .

فلما ركب السلطان والأمراء دخل العوام إلى الميدان ونهبوا السماط وأخذوا البرك والشش من الأذنان وحصل في ذلك اليوم بعض اضطراب بسبب ذلك، وفي ذلك يقول بعض الشعراء هذه الأبيات :

سلطان مصرا فندبه بناظرى واعيذه من نظره الشيطان

بالفضل يوم السبت لما عمنا قضيت ذاك اليوم بالسلطان

فيها: في يوم السبت تاسع عشر ذى القعدة: أوفى النيل المبارك فركب السلطان لتخليق المقياس وكسر السد على العادة، فخلق المقياس ونزل في الحراقة إلى كسر السد، فحضر إليه شخص من حشداشينه من مماليك يلبغا العمرى يسمى سودون الأعور، فأسر للسلطان في أذنه بأنه ساكن في بيت في الكبش مطل على بيت الأمير على باى رأس نوبة النواب. فرأى مماليك على باى ملبسين وهم واقفون تحت بوائك الخيل وقد ستروا البوائك بالانخاخ حتى لا يراهم أحد، وكان على باى أظهر أنه ضعيف منقطع في بيته وكان ظنه أن السلطان إذا نزل يكسر السد يدخل يسلم عليه فإذا دخل إلى بيته يمسك السلطان ويقتله، فألبس مماليكه وأوقفهم تحت البوائك وستر عليهم بالأنخاخ .

فلما سمع السلطان بذلك أرسل الأمير أرسطاى أحد رءوس النوب ليكشف الخبر فلـ حضر إلى بيت على باى اعلم حاشيته بأن السلطان إذا رجع من كسر السد يدخل يسـ على الأمير على باى ، فوقف الأمير ارسطاى على باب على باى إلى أن حضر السلطان إلى باب على باى فنادته امرأة من أعلا البيوت الذى في الكبش وقالت له : يا مولانا السلطان لا تدخل فإنهم لابسون آلة الحرب. وقيل إن المرأة أرمت على السلطان لما أراد أن يدخل إلى بيت على باى قلة ، فلما مال السلطان رأسه إليها قالت له : لا تدخل فإنهم لابسون، فعند ذلك رجع السلطان بعد أن كان (ق ٩٠ ب) داخلا إلى بيت على باى. فلما ولى السلطان أشار عليه بعض الأمراء بأن يسرع في مشيه حتى يطلع إلى القلعة، فنقل السلطان ومن معه من الأمراء فتقنطر الأمير فارس حاجب الحجاب والأمير بيبرس الدوادار. فلما طلع السلطان إلى الرملة وجد باب السلسلة مفتوحاً وكان ذلك من جملة سعده، فلما طلع السلطان إلى الاسطبل أغلقوا باب السلسلة فتبعه على باى وهو سابق ومعه نحو أربعين مملوكاً من

مماليكه، فوقف فى الرملة فنزل إليه بعض من كان مع السلطان من الأمراء والمماليك واتقعوا مع على باى فكان بينهم وبينه وقعة عظيمة ، وخرج فيها جماعة كثيرة من المماليك السلطانية ، وقتل شخص من الخاصكة يسمى بيسق المصارع ، ثم إن على باى انكسر وهرب هو ومماليكه فكان كما قيل فى الأمثال : هو " أن من حارب من لا يقوى لحربه جر لديه البلوى) فحارب الألفا والأقرانا فالمرء لا يحارب السلطان ، فأقنع إذا حاربت بالسلامة وأحذر فعالا توجب الندامة .

ثم إن المماليك السلطانية مسكوا يلبغا الأحمدى الاستادار وقصدوا قتله لكونه كان من أصحاب على باى ، فلم يمكنهم السلطان من قتله فقيدوه وحبسوه فى البرج بالقلعة.

ثم إن المماليك مسكوا مملوكًا من مماليك على باى وكان قد قاتل مع أستاذه أشد القتال فلما حضروا به بين يدى السلطان فرسم بقتله فضربوه بالسيوف فمات حين وقته .

ولما انكسر على باى وهرب نهب العوام بيته وأخذوا رخامه حتى أبوابه وكل ما فيه وكذلك موت حاشيته.

فلما دخل الليل مسك الأمير على باى مستوقد حمام بالقرب من بيته فنزل إليه الأمير بيبرس الدوادار وطلع به إلى القلعة فأمر السلطان بأن يقيد ويحبس.

فلما فرغ السلطان الموثب ودخل إلى الدهيشة فأمر بإحضار على باى فلما وقف قدامه قال له: لأى شىء فعلت هذا ؟ فقال له :على باى، فعلت هذا من قهرى منك.

وكان سبب ذلك أن شاد الشرنخاناه بتاع على باى كان سبباً لهذه الفتنة وذلك أنه تلاعب على بعض جوارى الأمير آقباى الطرنطاى أحد الأمراء الطبلخاناه وكان ساكناً بجوار بيت على باى. فلما بلغ الأمير آقباى ذلك مسك مملوك على باى المذكور وضربه نحو أربعمائة عصاه. فلما بلغ على باى ذلك طلع إلى القلعة فى وسط النهار واشتكى آقباى للسلطان فلم يلتفت السلطان إلى كلام على باى فشق [ق ٩١ أ] ذلك على باى وحمل على نفسه من السلطان، واستمر فى بيته لا يطلع إلى القلعة وأظهر أنه ضعيف إلى وفاء النيل المبارك ونزل السلطان ليكسر السدود ورجع ليدخل إلى بيت على باى ليسلم عليه، فجرى من على باى ما تقدم ذكره . ثم إن السلطان أحضر على باى وعاقبه وعصره قدامه وقرره هل كان لأحد من أمر أذنب فى ذلك ووزاه على الركوب على السلطان فقال لا وترى جميع الأمراء من ذلك .

فلما كانت ليلة الثلاثاء بعد المغرب أحضر السلطان على باى وعاقبه قدامه، ثم إن السلطان تزايد فى حنقه على على باى فضربه بعكاز فولاذ كان فى يده فخسف به صدره، ثم أمر بخنقه فخنق تحت الليل ودفن وانفصل أمره.

ثم إن السلطان أخلع على الأمير أرسطاى من خواجا على واستقر به رأس نوبة النواب عوضاً عن على باى .

ثم إن السلطان أرسل يلبغا الأحمدى الأستادار إلى السجن بثغر الإسكندرية وأخلع على الناصرى محمد بن سنقر البكجاوى واستقر أستادارًا عوضاً عن يلبغا الأحمدى.

وفى أواخر هذه السنة : توعك جسد السلطان توعكاً شديداً وانقطع أياماً كثيرة فتصدق فى مدة توعكه بثمانية وخمسين ألف دينار ثم شفى من هذه العلة . وزينت له مصر والقاهرة سبعة أيام.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانمائة:

فيها: فى يوم السبت سادس المحرم رسم السلطان بتسمير سبع أنفس منهم خاصكى من طبقة على باى، كان يتردد إليه ومنهم شخص عمى يسمى رمضان كان على باى يقول له يا أبى ومنهم خمس أنفس من حاشية على باى فسمروهم وطافوا بهم فى القاهرة ثم وسطوهم فكان أمرهم كما قيل فى المعنى لبعضهم.

فارقت أهل مودتى وصحبت إخوان الملق

كالشمع فارق شهده وبلى تقطن فاحترق

فلما كان يوم السبت ثالث عشر صفر: نزل السلطان إلى الأسطبل وحكم به بين الناس، ثم إنه أمر بالقبض على الأمير نوروز الحافظى أمير أخور كبير وسجنه بالبرج بالقلعة. وسبب ذلك أن نوروزو لما توعك السلطان أراد أن يركب على السلطان ويمسك جماعة من الأمراء فأشار عليه بعض الأمراء بترك ذلك إلى أن يصير من أمر السلطان ما تكون. فلما تفاقا السلطان وبلغه ذلك قبض على نورو الحافظى وأرسله إلى السجن بثغر الإسكندرية وأخلع [ق ٩١ ب] على الأمير آقبغا اللكاشى واستقر به نائب الكرك وأمره بالخروج من نومه.

ثم إن السلطان أنعم على الأمير الناصرى بتقدمة ألف، وأخلع على الأمير سودون الماردينى واستقر به أمير خور كبير عوضاً عن نوروز الحافظى، وأخلع على الأمير أرغون

الأقبغاري واستقر به أمير مجلس عوضاً عن آقبغا اللكاشي. ولما وصل آقبغا اللكاشي إلى غزة مسك وأرسل إلى السجن بقلعة الصبية .

وفي هذه السنة : رسم السلطان للناس بأن يحجوا رجبي وكان ذلك قد بطل من سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة .

ثم إن السلطان أخلع على القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السر بالديار المصرية عوضاً عن محمود الكلستاني الحنفي وذلك في سنة إحدى وثمانمائة .

وفيها : أفرج عن يلبغا الأحمدي واستقر أستادارًا على عادته وخلع على الناصري محمد ابن سنقر واستقر فيه أستادار الذخيرة والأملاك.

ثم إن السلطان أفرج عن الأمير علاء الدين بن الطبلاوي والى القاهرة وكان محبوساً بخزانة شمايل مدة أشهر . فلما خرج عنه كان يوم خروجه يوماً مشهوداً ، وأبيع في ذلك اليوم من الزعفران بعشرة آلاف درهم، وأوقدوا له الشموع والقناديل من خزانة شمايل إلى بيت يلبغا الأحمدي فأقام فيه أياماً .

ثم رسم السلطان بنفيه إلى الكرك فتوجه إليها موفي خامس شوال من السنة المذكورة. لعب السلطان بالرمح في يوم شديد الحر . فلما فرغ من لعب الرمح أكل عسل نحل كخباوي فطاب له فأكل منه كثيراً فاستحال صفرا واشتد به الحمي وضعف واشتد به المرض.

فلما كان يوم السبت: أشيع بموته ثم سكن الأمراء إلى يوم الأربعاء ثالث عشر شوال وطلع عليه الورستكين[1] وحصل له الفواز وأرجعت القاهرة بموته فركب إلى القاهرة ونادى بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء.

فلما كان يوم الخميس رابع عشر شوال حصل للسلطان إفاقة فطلب أمير المؤمنين المتوكل على الله والقضاة الأربعة وسائر الأمراء فخلع نفسه من الملك وعهد إلى ولده الأشرف فرج ثم من بعده لولده العزى عبد العزيز ومن بعده لولده الصارمي إبراهيم . ثم كتب وصية وأوصى فيها لزوجاته وسراريه وخدامه بمال، جملته مائتان ألف دينار، وأوصى بعشرين ألف دينار يعمر له بها تربة ويعمل فيها جامع يخطبه وأن يرتب فيه حضور من بعد العصر

(١) كلمة غير واضحة

ويكون [ق٩٢ أ] الصوفية فيه ساكنه وأوصى بأن يدفن فى لحد عند المشايخ الذين حوله وأوصى بثمانين ألف دينار يشترى بها أوقاف للجامع. وجعل الأتابكى أيتمش كافل ولده الناصر فرج وإليه أمر الحل والعقد والولاية والعزل. وجعل الأمير تغرى بردى أمير سلاح وصيًا والأمير بيبرس الدوادار وصيا[1] والأمير يشبك الشعبانى وصيًا والأمير تنم الحسنى وصيًا وهو نائب الشام. وجعل الخليفة المتوكل على الله ناظراً للجميع وإليه مرجع الأمر. ثم انفصل المجلس على ذلك ونزل الأتابكى أيتمش إلى بيته ومعه سائر الأمراء فى خدمته.

ثم إن السلطان بعد أن أفاق غرق فى الضعف . فلما كان وقت التسبيح توفى السلطان الملك الظاهر برقوق إلى رحمة الله تعالى كأنه لم يكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير . كما قيل فى المعنى.

ترجو البقاء بدار لا ثبات لها   فهل سمعت بظل غير منتقل

فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية إلى أن مات ستة عشرة سنة وأربعة أشهر وسبعة وعشرين يوماً. منها السلطنة الأولى ست سنين وثمانية أشهر وسبعة وعشرون يوماً ، والسلطنة الثانية إلى أن مات تسع سنين وثمانية شهور. والفترة بينهما لما تسلطن المنصور أمير حاج ثمانية شهور. وكانت مدة أتابكيته بمصر أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام. فكانت مدة حكمه أتابكيًا وسلطانًا إحدى وعشرين سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوماً فسبحان من لا يتغير كما يقال فى المعنى :

ومن يا من الدنيا يكن مثل قابض   على الماء خانته فروج الأصابع

ولما مات السلطان برقوق فى ليلة الجمعة خامس عشر شوال سنة إحدى وثمانمائة. فكان له من العمر نحو اثنتين وستين سنة . وخلف من الأولاد ستة. ثلاثة ذكور وهم: فرج وعبد العزيز وإبراهيم، وثلاث أناث وهن: خوند ساره وخوند ديرم وخوند زينب . وخلف من الذهب العين ألفين ألف دينار وأربعمائة ألف دينار. ومن الخيول ستة آلاف فرس. وقيل اثنى عشر ألف فرس، ومن الجمال خمسة آلاف ومثلها بغال. قال الحباب الشهابى أحمد ابن قطينة لما تولى أمير أستادار كان عليق السلطان برقوق فى كل شهر اثنى عشر ألف أردب من الشعير والفول. وبلغت عدة مماليكه سبعة آلاف وقيل أكثر من ذلك. وكان كثير

---

(١) إضافة من عندنا للسياق فى المعنى.

البر والصدقات. فمن ذلك أنه أوقف بلداً فى الجيزة على السحابة التى [ق ٩٢ ب] تطلع فى كل سنة إلى الحجاز الشريف. وكان له فى كل سنة فى شهر رمضان خمسة وعشرين بقرة تطبخ فى كل ليلة وتفرق مع ألف رغيف على الحبوس والأماكن المشهورة من الزوايا والمزارات ، وكان يفرق فى كل سنة من القمح سبعة آلاف أردب على الفقراء والمساكين ، وأبطل فى أيامه مكوْساً كثيرة من مصر وغيرها من البلاد وخطب باسمه فى أماكن لم يخطب فيها لأحد من الملوك قبله. وذلك أنه خطب باسمه فى توريز العجم والموصل وماردين وسنجار ودوركى وأرزنكان من أرض الروم وضربت السكة باسمه فى هذه الأماكن والذى عمره فى أيامه وهو جسر الشريعة بالغور. وجعل طوله مائة وعشرين ذراعاً فى عرض عشرين ذراعا وفى ذلك يقول بعض الشعراء.

يا ملكا بنى جسـر أبعدك — به جمل الأيام على الشريعة

له شرف على الجوزا بسام — وفوق الحوت أركان منيعة.

ومنها أنه أمر بتجديد خزائن السلاح بثغر الإسكندرية وأمر بعمارة زربية البرزخ بدمياط بعد أن ظهرت منها عظام الشهداء وأمر بعمارة سور دمنهور وعمر قناة العروب بالقدس الشريف وعمر الفساقى برأس وادى بنى سالم من طريق المدينة الشريعة، وعمر المجراه التى تجرى من بحر النيل إلى القلعة وعمل تحتها قناطر وكان قد عجز عن عمارتها جماعة كثيرة من الملوك وعمر الميدان الذى تحت القلعة بعد أن كان خرب فعمره وأرمى فى أرضه الطين وسقاه بماء النيل وزرع به القرط وطلع. وعمر الصهريج والسبيل بقلعة الجبل. وعمر بالقلعة طاحونًا ولم يكن قبل ذلك طاحونًا. وعمر المدرسة التى بين القصرين. وعمر الوكالة التى بالقرب من باب النصر. وله أثار كثيرة غير ذلك .

وأما قضاته الشافعية بمصر. فالقاضى برهان الدين بن جماعة والقاضى بدر الدين بن أبى البقاء السبكى والقاضى ناصر الدين بن المليق والقاضى عماد الدين الكركى والقاضى صدر الدين المناوى والقاضى تقى الدين الزبيرى .

وأما قضاته الحنفية بمصر : فالقاضى صدر الدين بن منصور والقاضى شمس الدين الطرابلسى والقاضى مجد الدين الكتانى والقاضى جمال الدين محمود القيصرى والقاضى جمال الدين الملطى.

وأما قضاته المالكية بمصر : فالقاضى جمال الدين بن خير والقاضى ولى الدين بن خلدون المغربى والقاضى شمس الدين [ق ٩٣ أ] محمد الركراكى والقاضى شهاب الدين النحريرى والقاضى ناصر الدين التنسى.

وأما قضاته الحنابلة بمصر: فالقاضى ناصر الدين العسقلانى وولده برهان الدين .

وأما كتاب سره: فالقاضى بدر الدين بن فضل الله، والقاضى علاى الدين الكركى والقاضى بدر الدين محمود الكلستانى والقاضى فتح الدين فتح الله .

وأما وزراؤه: فالصاحب شمس الدين بن كاتب أزلان والصاحب علم الدين بن القسيس والصاحب كريم الدين بن الغنام والصاحب ناصر الدين أبو الفرج والصاحب سعد الدين بن البقرى والصاحب ناصر الدين الحسام الصقرى والصاحب ركن الدين بن قايماز والصاحب تاج الدين بن أبى شاكر والصاحب ناصر الدين بن كليك والصاحب مبارك شاه الظاهرى والصاحب بدر الدين بن الطوخى والصاحب تاج الدين بن عبد الرزاق والصاحب شهاب الدين بن قطنية .

وأما نظار جيشه : فالقاضى تقى الدين بن عبد الرحمن والقاضى موفق الدين أبو الفرج والقاضى جمال الدين محمود بن القصيرى والقاضى كريم الدين بن عبد العزيز والقاضى شرف الدين بن الدمامينى والقاضى سعد الدين بن غراب .

وأما نظار خواصه : فالقاضى سعد الدين بن البقرى والقاضى موفق الدين أبو الفرج والقاضى سعد الدين بن تاج الدين موسى والقاضى سعد الدين بن غراب .

وأما استاداريته : فالأمير قرقماش الطشتمرى والأمير جمال الدين محمود بن على الظاهرى والركنى عمر ابن قايماز والأمير قطلوبك العلاى والأمير يلبغا الأحمدى والناصرى محمد بن سنقر البجكاوى والأمير بهادر والأمير يلبغا السالمى ومات الظاهر برقوق وكان يلبغا السالمى استادارًا . وفى الجملة كان الظاهر برقوق خيار الترك بمصر. وله محاسن كثيرة وآثار غزيرة. وكان غير عجول فى أموره يتروى فى عمل الشىء أشهر قبل أن يعمله ، وكان من أجل الملوك قدراً ، ولما مات تولى من بعده ابنه فرج .

ذكر من توفى فى دولة الظاهر برقوق

ومن الأعيان وهم : الشيخ أكمل الدين الحنفى شيخ الخانقاه الشيخونية والقاضى عز الدين بن جماعة والقاضى تاج الدين بن السبكى والشيخ شهاب الدين بن أبى جحلة صاحب كتاب السكردان والشيخ زين الدين العراقى والشيخ شهاب الدين بن النقيب والشيخ

صلاح الدين الصفدى صاحب الأشعار اللطيفة والشيخ بهاء الدين السبكى أخو تاج الدين والشيخ جمال الأسنوى والشيخ [ق ٩٣ ب] شمس الدين بن الصايغ الحنفى صاحب الأشعار اللطيفة والشيخ شهاب الدين الأذراعى والشيخ زين الدين بن حبيب والشيخ سراج الدين الهندى وابن كثير المؤرخ والشيخ بدر الدين الزركشى والشيخ عماد الدين الحسبانى والشيخ ضياء الدين الغرمى والشيخ سراج الدين بن الملقن وابن رافع وأبو البقاء السبكى والشيخ يحيى الصفافيرى الزاهد والشيخ بهاء الزاهد والشيخ على الودنى الزاهد والقيم خلف الغبارى صاحب الأزجال العربية والأديب إبراهيم بن المعمار وغيرهم من هؤلاء من أعيان العلماء والصلحاء والشعراء .

٢٦ ـ ذكر سلطنة الملك الناصر زين الدين أبى السعادات فرج بن الملك الظاهر أبى سعيد برقوق بن آنص العثمانى الجركسى [١]

تولى الملك بعد موت أبيه الظاهر برقوق فى يوم الجمعة خامس عشر شوال سنة إحدى وثمانمائة بعهد من أبيه له، فاجتمع الخليفة المتوكل على الله والقضاة الأربعة وشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى والأتابكى أيتمش البجاسى وسائر الأمراء. فتسلطن بالإسطبل السلطانى ولبس خلعة السلطنة ، وركب من الأسطبل وطلع من باب السلطنة إلى القصر الأبلق. وجلس على سرير الملك وباس له الأمراء الأرض وخطب باسمه فى ذلك اليوم .

ولما جلس على سرير الملك جاء ابن أبى الرداد بشارة النيل المبارك، فاستبشروا الناس بذلك وتولى الملك وله من العمر اثنتا عشرة سنة ونصف السنة. وأمه أم ولد رومية تسمى شيرين . وهو السادس والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية والبلاد الشامية وفيه يقول بعض الشعراء.

مضى الظاهر السلطان أكرم مالك   إلى ربه يرقى إلى الخلد فى الدرج
وقالوا ستأتى شدة بعد موته   فأكذبهم ربى وما جاء سوى فرج

(١) انظر المزيد فى : بدائع الزهور ١ / ٣١٧ و ٣٥٠ و ٣٥٤ - ٣٥٧ ، الضوء اللامع ٦ / ١٦٨ ، تاريخ المماليك ١٢٣٤

ولما انقضى الموكب فى يوم الجمعة شرع الأمراء فى تجهيز المرحوم الملك الظاهر برقوق ودفنه، فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه فى القلعة ، ونزل به والأمراء مشاة قدامه وكانت جنازته مشهودة بخلاف الملوك السالفة وكثر عليه الأسف والحزن والبكاء حتى دفن فى البقعة التى اختارها عند جماعة من المشايخ الصلحاء .

فلما دفن ضربوا على قبره خيمة مدورة وأقام القراء يقرأون على قبره ثمانية أيام بلياليها. وكان المتولى بعمل المأتم الناصرى محمد بن سنقر البجكاوى أستادار الذخيرة والأمير يلبغا السالمى الأستادار هو الذى [ق ٩٤ أ] يصرف على المأتم.

ثم إن الأتابكى أيتمش البجاسى عين الأمير سودون الناصرى الطيار بأن يتوجه بالبشارة والتعزية إلى سائر النواب وأرسلوا إلى الأمير محمد بن نعير خلعة بأن يكون على عادته أمير آل فضل فتوجه الأمير سودون ومعه جماعة من الأمراء إلى النواب. ثم إن السلطان عمل الموكب فى يوم الاثنين ثامن عشر شوال فطلع إلى القلعة سائر الأمراء على جارى العادة وأرسلوا إلى الأمير سودون قريب الملك الظاهر برقوق بأن يطلع إلى القلعة. وكان أمير أخور كبير فامتنع من الحضور فى ذلك اليوم فأرسلوا خلفه عدة مرات وهو يأبى من الحضور. فأرسلوا يقولون له انزل من باب السلسلة، فامتنع من ذلك فنزل إليه جماعة من المماليك السلطانية وقبضوا عليه وهو فى باب السلسلة وقيدوه وأرسلوه إلى السجن بثغر الإسكندرية. ثم إن الأتابكى أيتمش طلع إلى الأسطبل السلطانى وسكن به .

فلما كان يوم الخميس عمل السلطان الموكب وأخلع على من يذكر من الأمراء من أرباب الوظائف وهم: الأتابكى أيتمش البجاسى على عادته أتابك العساكر وأخلع على الأمير تغرى بردى أمير سلاح على عادته، وأخلع على الأمير أرغون شاه وأستقر أمير مجلس وأخلع على الأمير بيبرس واستقر دوادارًا كبيرًا وأخلع على الأمير أرسطاى واستقر رأس نوبة النواب، وأخلع على الأمير فارس واستقر حاجب الحجاب وأخلع على القاضى تاج الدين واستقر وزيرًا

فلما انفض الموكب ونزلوا إلى بيوتهم فأرسل السلطان مسك جماعة من الأمراء من بيوتهم وقيدهم، ومن جملتهم يلبغا السالمى الأستادار وأرسلهم إلى السجن بثغر الإسكندرية. ثم أخلع على الزينى مبارك شاه واستقر أستاداراً عوضاً عن يلبغا السالمى .

ثـم إن السـلطان نفـق على العسكر نفقة كاملة حتى على الخدام والنقباء وغيرهم. ثم إن الأتـابكى أيـتمش حلـف سـائر الأمراء بأن يكونوا كلمة واحدة على فعل المعروف والنظر فى مصـالح المسـلمين. ثـم بعـد مـدة حضر الأمير سودون الطيار الذى كان توجه إلى النواب كما تقـدم فأخـبر بـأن تـنم نائـب الشام أجاب بالسمع والطاعة وأمر بأن يزين دمشق سبعة أيام لأجل تولية الملك الناصر فرج . فلما حضر سودون الطيار أخلع عليه واستقر أمير أخور كبير عوضاً عن سودون قريب (ق ٩٤ ب) المقام الشريف.

ثـم إن السـلطان أخلـع عـلى القاضـى سـعد الدين بن غراب واستقر به وزيراً وأفرج عن يلبغا السالمى واستقر استادارا كما كان أولاً .

وفـى هـذه السـنة : جـاءت الأخـبار بـأن ابـن عثمان صاحب بلاد الروم تحرك وجمع العسـاكر ووصـل إلى الابلسـتين. فـلما بلـغ الأتابكى أيتمش هذه الأخبار عقد مجلساً بالقصر الكـبير وجمع القضاة الأربعة والخليفة وسـائر الأمراء وضربوا مشورة فى أمر ابن عثمان فوقع الاتفاق على الخروج إليه وقباله .

ثم جاءت الأخبار بأن ابن عثمان لما وصل إلى الأبلستين ولم يشوش على أحد من الرعية ولم يـأخذوا لهم شيئا يساوى درهمًا إلا ثمنه ووصفوا من عدله فى حق الرعية أشياء كثيرة . ثم به رجع ابن عثمان إلى بلاده وبطل أمر التجريد .

ثم دخلت سنة اثنتا وثمانمائة:

فـيها: فـى يـوم الـثلاثاء حـادى عشر المحرم ركب السلطان الملك الناصر فرج ونزل من القلعـة وزار قـبر والـده الملـك الظاهـر بـرقوق ودخـل من باب النصر وشق القاهرة فى موكب عظيم فزينت له ومشى الأمراء قدامه حتى طلع القلعة فى ذلك الموكب العظيم .

وفـى يـوم الاثـنين : تاسع عشر صفر: جاءت الأخبار بأن تنم نائب الشام أرسل مركباً يغـزو دمـياط ، وقصـد أن يـأخذ الأمير نوروز الحافظى من السجن هو ومن هناك من الأمراء المسجونين، وقد اتفق نائب الشام ونائب طرابلس على المخامرة والعصيان .

وفى يوم الخميس سابع ربيع الأول: طلب السلطان الأتابكى أيتمش البجاسى فلما طلع إلى القلعـة قـال له السـلطان أنا قد بلغت وقصدى لن أترشد، فقال الأتابكى أيتمش: السمع والطاعة، وطلب أمير المؤمنين والقضاة الأربعة . فلما كمل المجلس أدعى وكيل السلطان وهو المعـز السـعدى سـعد الديـن بـن غـراب عـلى الأتـابكى أيـتمش وأقامـت البينة بذلك فاعذر

الأتابكى أيتمش وبث رشدا سلطان الملك الناصر فرج وحكم به القضاة الأربعة وسلموا إليه أمر المملكة فأخلع على أمير المؤمنين المتوكل على الله وعلى القضاة الأربعة وعلى الأتابكى أيتمش ثم دقت الكوسات لذلك ثلاثة أيام، ونودى فى القاهرة بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء والدعاء للسلطان الملك الناصر فرج فارتفعت الأصوات له بالدعاء من الخاص والعام.

وفى يوم الاثنين عاشر ربيع الأول من السنة المذكورة: وثب الأتابكى أيتمش البجاسى على السلطان ولبس آلة الحرب هو وجماعة من الأمراء ممن كانوا [ق ٩٥ أ] من عصبته.

فلما بلغ السلطان ذلك نزل إلى الحراقة التى فى الأسطبل وركب المدافع، فطلع إليه من الأمراء، الأمير يشبك الشعبانى، والأمير سودون الطيارى والأمير سودون الماردينى والأمير بيبرس الدوادار والأمير اينال باى بن قجماس وغيرهم من الأمراء المقدمين والطبلخانات والعشروات، فكان بينهم وبين الأتابكى أيتمش وقعة عظيمة من باكر النهار إلى بعد العشاء، فنادى الأتابكى أيتمش إن من مسك مملوكًا من مماليك السلطان وأحضره إلى عند الأتابكى أيتمش يأخذ عريه . فلما سمع المماليك السلطانية بذلك تسحبوا من عند أيتمش وطلعوا إلى القلعة وقاتلوا أيتمش أشد القتال حتى انكسر وهرب هو ومن معه من الأمراء وتوجهوا إلى نحو قبة النصر. وكان أيتمش أخذ من الإسطبل السلطانى أول ما ركب نحو أربعمائة فرس، فلما انكسر توجه إلى قبة النصر فوقف هناك ساعة حتى تكاملت جماعته ثم توجه إلى سرياقوس وأخذ الخيول التى أعدها لذلك وأخذ بركه وتوجه من سرياقوس إلى بلبيس ثم إلى الصالحية ، وقصد التوجه إلى دمشق وكان مع الأتابكى أيتمش من الأمراء المقدمين وهم: الأمير تغرى بردى أمير سلاح والأمير أرغون شاه أمير مجلس والأمير فارس حاجب الحجاب والأمير يعقوب شاه الكمشيغاوى أحد الأمراء المقدمين وجماعة من الأمراء الطبلخانات والعشروات ، هذا ما كان من أخبار الأتابكى أيتمش بعد كسرته . وأما ما كان من أخبار السلطان الملك الناصر فرج فإنه قبض على جماعة من الأمراء ممن كانوا من عصبة أيتمش فقيدهم وأرسلهم إلى السجن بثغر الإسكندرية .

ثم إن العوام نهبوا بيوت الأمراء المتشحين مع أيتمش[1] وباب الوزير ونهبوا جامع سنقر المجاور لبيت أيتمش ونهبوا مدرسة أيتمش إلى عند باب الوزير وحفروا قبر أولاده، وقيل إن فيه مالاً فلم يجدوا فيه شيئًا وأحرقوا الربع الذى بناه خارج تربة خوند زهرا بنت الملك

---

(١) إضافة من بدائع الزهور.

الناصر محمد بن قلاوون المجاورة لبيت أيتمش ، وأقام النهب عمال فى الناس يومين وكسروا حبس الرحبة وأطلقوا من فيه من المسجونين وكثر الذعر والحرامية وصارت القاهرة همجًا وقلة أمان لصغر سن السلطان .

ثم جاءت بعد ذلك الأخبار بأن الأتابكى أيتمش وصل إلى دمشق فى يوم الاثنين رابع عشرين ربيع الأول فتلقاه الأمير تنم نائب الشام أحسن ملتقى ، وكان يوم دخوله إلى الشام يوماً مشهوداً فنزل بالقصر الأبلق الذى فى الميدان بدمشق ، فمد له نائب الشام سماطًا عظيمًا وأكرمه غاية الإكرام.

ثم إن السلطان [ق ٩٥ ب] لما جرى ذلك أرسل بالإفراج عن من يذكر من الأمراء وهم الأمير نوروز الحافظى وكان بثغر دمياط، وأفرج عن الأمير سودون قريب المقام الشريف وكان بثغر الإسكندرية ، وأفرج عن الأمير تمراز الناصرى . فلما حضروا عمل السلطان الموكب وأخلع على الأمير نوروز الحافظى واستقر رأس نوبة النواب وأخلع على الأمير تمراز الناصرى واستقر أمير مجلس وأخلع على الأمير بيبرس قريب السلطان فى الموكب الثانى واستقر أتابك العساكر بمصر عوضاً عن أيتمش وأخلع على الأمير سودون قريب السلطان واستقر دوادارًا كبيرًا وأخلع على الأمير سودون الطيار واستقر أمير أخور كبير عوضاً عن سودون الطيار.

ثم جاءت الأخبار من دمشق بأن تنم نائب الشام خرج من دمشق وصحبته الأتابكى أيتمش ومن معه من الأمراء الذين تسحبوا من مصر وأن نائب الشام تنم جمع عسكرا عظيماً من العسكر الشامى والعربان والعشير وهو قاصد نحو الديار المصرية فى عسكر لا يطاق ، وقد وصل أوائل جاليشهم إلى غزة ، فعند ذلك تجهز السلطان للسفر وعلق الجاليش على الطلبخانات السلطانية وهما جاليشان كما جرت به العادة ونادى بالرحيل فى أول جمادى الأخر .

ثم برم المخيم الشريف إلى نحو الريدانية ثم إن السلطان أرسل الأمير سودون المامورى أحد الحجاب إلى ثغر دمياط وأخذ الأمراء الذين كانوا فى السجن بثغر دمياط للسفر. ونزل من القلعة فى يوم الاثنين رابع شهر رجب من السنة المذكورة فتوجه إلى المخيم بالريدانية وصحبته الأمراء.

ثم إن السلطان استقر بالأتابكى بيبرس نائب الغيبة ومعه جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية لحفظ القاهرة . ثم إن السلطان رحل من الريدانية وعين جماعة من الأمراء بأن

تقدموا قبل توجه السلطان إلى دمشق. فتقدم الأمير نوروز الحافظى رأس نوبة النواب والأمير بكتمر أمير سلاح والأمير شيخ المحمودى والأمير سودون قريب السلطان من الأمراء المقدمين وغيرهم هذا ما كان من أخبار السلطان الملك الناصر فرج وأما ما كان من أخبار تنم نائب الشام والأتابكى أيتمش فإنه لما حضر الأمراء كما تقدم تلقاهم تنم وأكرمهم. فلما بلغ نائب حلب مجىء الأمراء خرج عن الطاعة ووافق تنم نائب الشام على العصيان وكذلك نائب طرابلس ونائب حماه فالتفوا على تنم نائب الشام وتحالفوا بأن يكونوا كلمة واحدة . واتفقوا على ذلك وكان تنم نائب الشام من حين حضر الأتابكى أيتمش ومن معه من الأمراء يركب كل يوم فى موكب عظيم مثل مواكب السلطان . بل [ق ٦٩ أ] أعظم منه. وتركب قدامه الأمراء من المصريين والشاميين نحو خمسة وعشرين أميراً مقدم ألف والنواب وعساكر البلاد الشامية والحلبية ويركب والشبابة السلطانية قدامه الشعراء والجاويشية والغواشى الذهب. وكان قد التف عليه من التركمان والعرب والعشير نحو أربعة آلاف إنسان وكان ينفق عليهم الأموال ومن الخيول والسلاح ما لا يحصى لكثرته.فلما اجتمع معه هذه العساكر عظم فى نفسه وحدثته آماله بالسلطنة فقصد التوجه نحو الديار المصرية فكان كما قيل.

ومن يطلب العليا ولا هو قبالها ترحله الأيام لو كان راكبا

فخرج تنم نائب الشام بمن معه العساكر من دمشق وخرج الملك الناصر فرج بمن معه من العساكر من القاهرة فتلاقا العسكران على مدينة غزة هذا ما كان من أمر تنم نائب الشام .

وأما ما كان من أمر الملك الناصر فرج بن برقوق فأنه لما توجه إلى تنم نائب الشام وخرج من مصر جعل الأتابكى بيبرس نائب نائب الغيبة بمصر إلى أن نفاه السلطان .

فلما رحل السلطان من بلبيس أمر الأتابكى بيبرس سد أبواب القاهرة فتخيل الناس من ذلك وظنوا أن السلطان مكسور لا محالة . فلما كان يوم الثلاثاء سادس عشرين رجب وصل مقدم البريدية ومعه خاصكى من عند السلطان ومعه مرسوم شريف من عند السلطان إلى الأتابكى بيبرس نائب الغيبة يذكر فيه أن السلطان انتصر على تنم نائب الشام ومسكه وانهزم من كان معه من العسكر الشامى والمصرى فنودى بذلك فى القاهرة ففرحوا فرحاً شديداً . وسبب هذه النصرة أن السلطان الملك الناصر فرج لما وجه إلى الشام وصحبته الخليفة المتوكل على الله والقضاة الأربعة والأمراء والعسكر وكان الناس لا تشكوا بأن السلطان هو الذى

ينكسر وكان أكبر العسكر من الأمراء والمماليك فخامر على السلطان فى الباطن وقصدهم عدده، والله غالب على أمره فكان الأمر كما قيل فى المعنى .

خف إذا أصبحت ترجوا وارج إن أمسيت خايف

رب مكروه مخوف فيه لله لطائف

قيل لما وصل عسكر السلطان إلى غزة فى ثامن عشر رجب من السنة المذكورة أرسل دمرداش نائب حماه يقول للأمير نوروز الحافظى إن أخذتم مدينة غزة قبل تنم نائب الشام فأنا أكون معلماً فلما التقا العسكران كان اللكاشى (ق ٩٦ ب) بغزة وكان من عصبة تنم نائب الشام فأنا أكون معلماً فتقاتل عسكر مصر وعسكر الشام أشد القتال وكان اللكاشى مقدم ذلك فانكسر اللكاشى وهرب نحو الشام فعند ذلك دخل دمرداش تحت طاعة السلطان الملك الناصر هو وعسكر حماه، فلما سمع بذلك من كان مع تنم نائب الشام تسحب من عنده وأتى إلى عند السلطان وصار يأتى إليه جماعة بعد جماعة طالعين. ثم إن السلطان أرسل قاضى القضاة الشافعى صدر الدين المناوى إلى تنم نائب الشام وإلى الأتابكى أيتمش فى طلب الصلح فلم يوافق على ذلك الأتابكى أيتمش وتنم نائب الشام فرجع القاضى صدر الدين وأعلم السلطان بأنهما لم يسمعا من أمر الصلح شيئًا .

فلما كان يوم السبت ثالث عشرين رجب: اقتتل عسكر السلطان مع عسكره فحصل بينهما وقعة عظيمة لم يسمع بمثلها وقتل فيها جماعة كثيرة من الفريقين فانكسر تنم نائب الشام كسرة قوية وانهزم من كان معه من العسكر الشامى وغيره ثم بعد ساعة مسك الأتابكى أيتمش والأمير تغرى بردى أمير سلاح والأمير آقبغا اللكاش والأمير طيقور والأمير أرغون شاه وجماعة كثيرة من الأمراء المصريين والشاميين وأحاطوا على الجهات ودوابهم فلما مسكوا قيدهم الأمير جلم العوصى ثم إن السلطان الملك الناصر دخل إلى الشام وقدامه تنم نائب الشام وهو راكب مقيد وكذلك الأتابكى أيتمش راكب وهو مقيد وكذلك بقية الأمراء فى قيودهم راكبون قدام السلطان، وكان يوم دخوله إلى دمشق يوماً مشهوداً لم يمر بمثله والخليفة راكب قدامه والقضاة الأربعة والأمراء وكان له موكب عظيم، ثم أمر السلطان بحبس الأمراء المسوكين فى قلعة دمشق وهذه النصرة كانت على غير القياس وكان الظن غير ذلك والله غالب على أمره وقد قال القائل.

املت أنك لا تزال بكل من عاداك بالنصر لقريب مظفرا

ورجوت أن تطأ الكواكب رفعة 		من فوق وأعناق العدا ولد أجرى

ثم صاروا يمسكون حاشية تنم نائب الشام ومن جملتهم الأمير علاء الدين بن الطبلاوى والى القاهرة وكان الملك الظاهر برقوق نفاه إلى القدس. فلما مات برقوق التجأ ابن الطبلاوى إلى تنم نائب الشام وصار من جماعته وبقي يحكم فى دمشق بعدما كان يحكم فى مصر. فلما مسكوا حاشية تنم مسكوا ابن [ق ٩٧ ا] الطبلاوى من جملتهم وقيدوه ثم إن السلطان اخلع على الأمير سودون قريب السلطان واستقر به نائب الشام عوضا عن تنم وأخلع على الأمير دمرداش المحمدى واستقربه نائب حلب وخلع على الأمير شيخ المحمودى واستقر به نائب طرابلس وأخلع على الأمير دقماق المحمدى واستقر به نائب حماة وأخلع على الأمير الطنبغا العثمانى واستقر به نائب صفد على عادته وأخلع على حنتمر التركمانى واستقر به نائب بعلبك، وعين فى هذه الحركة جماعة كبيرة من النواب ثم إن السلطان أمر بذبح الأمراء الذين خامروا عليه وتوجهوا إلى عند نائب الشام وهم الأتابكى أيتمش البجاسى وآقبغا اللكاش وجلبان الكمشبغاوى وفارس حاجب الحجاب وجماعة كثيرة من الأمراء والنواب نحو أربعة عشر إنسان فذبحوا فى ليلة واحدة فى برج الحمام بقلعة دمشق ثم إن السلطان أرسل رأس الأتابكى أيتمش البجاسى ورأس الأمير فارس حاجب الحجاب إلى مصر فعلقوهما على باب زويلة ثلاثة أيام ثم إن السلطان أمر بخنق تنم نائب الشام فخنق تحت الليل هو والأمير يونس نائب طرابلس مع جماعة من النواب والأمراء ثم إن السلطان قصد التوجه إلى نحو الديار المصرية .

فلما كان يوم السبت فى العشرين من شهر رمضان: وصل المقر السعدى سعد الدين إبراهيم بن غراب وصحبته حريم السلطان اللائى كن معه . فلما توجه إلى الشام وأخبر بأن السلطان خرج من غزة وهو واصل قريب وكان ابن غراب قد حضر معه بعلاى الدين بن الطبلاوى والقاضى ناصر الدين كاتب سر الشام.

فلما وصل ابن غراب إلى بلبيس خنق علاى الدين بن الطبلاوى فى بلبيس ودفنه هناك وأحضر معه كاتب سر الشام .

فلما كان يوم الجمعة: وصل السلطان الملك الناصر فرج إلى الديار المصرية فخرج الأمراء والناس قاطبة إلى ملتقاه فطلع يوم السبت سادس عشرين شهر رمضان إلى القلعة فزينت له القاهرة وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً وفرشت له الشقق الحرير من عند تربة الطنبغا الطويل إلى القلعة فطلع وجلس على سرير ملكه.

ومن الحوادث في هذه السنة حضر بجات من مكة واخبر بأن حرم مكة قد احترق منه قدر ثلاثة ولولا العمد كان قد احترق جميعه.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانمائة:

فيها: حضر مملوك نائب حلب وأخبر بأن تمرلنك قد تحرك على [ق ٩٧ ب] البلاد الحلبية وقد وصل أوائل عسكره إلى عنتاب وهو في عسكر يقتل. فبرزت المراسيم الشريفة إلى سائر النواب بأن يتوجهوا إلى حلب إلى أن يحضر الركاب الشريف فتوجه النواب جميعهم إلى حلب. فلما ملك تمرلنك مدينة عنتاب أرسل يقول إلى دمرداش نائب حلب سلم إليّ مدينة حلب، وأنا أخليك على عادتك نائب حلب، فلما قدم رسول تمرلنك بهذه الرسالة إلى نائب حلب فحنق منه دمرداش نائب حلب، فأغلظ بهول تمرلنك على نائب حلب وقال له إذا كان مثل ابن عثمان أسرناه وملكنا مدينته[١] (وأضاف)أنت وأسنادك حتى يقول لا ما أسلم وأمر نائب حلب بضرب عنق رسول تمرلنك فضرب عنقه وحلقوا ذقون عنه. فلما بلغ تمرلنك ذلك زحف على حلب ومعه من العساكر .

فلما كان يوم السبت حادى عشر ربيع الأول من السنة المذكورة: برز عساكر حلب وخرجوا إلى الفضاء فاتقعوا مع عساكر تمرلنك فوقع بينهم وبين عسكر تمرلنك وقعة عظيمة لم يسمع بمثلها، فما كان غير ساعة حتى دهمهم عساكر تمرلنك مثل أمواج البحر فانكسر عساكر حلب وولوا مدبرين وأقبلوا نحو البلد منهزمين ومددت الحوافر أجساد المشاة من العامة وحل بهم من البؤس كل داهية طامة فدخل عساكر حلب إلى المدينة وأغلقوا الأبواب فتتبعوهم عساكر تمرلنك وصاروا ينهبون ويقتلون ويحرقون دارح مدينة حلب. وكان قد احتمى بالجوامع والمساجد والمزارات جماعة كثيرة من الرجال والنساء والصغار والأطفال فدخلوا إليهم ونهبوا أموالهم وافتضوا أبكارهم وقتلوا أطفالهم وصاروا لا يرتوا لبكاء الرضع ولا يرعوا عهد المساجد للركع حتى لقد صارت المساجد كالمحررة لشناعة ما يطرح فيها من القتل وسفك الدماء ووطء الحرمات. واستمر هذا القبح المستبشع والخطب المستشنع من يوم السبت إلى يوم الثلاثاء. فعند ذلك نزل دمرداش نائب حلب وفي رقبته منديل ووسطه محلول وهو يطلب الأمان من تمرلنك ومعه جماعة من النواب فأجابهم تمرلنك إلى ذلك

(١) إضافة للسياق مع المعنى.

وخلـع علـيهم أقبـية محمل ملون وتيجان كما هى عادتهم فلما عادوا وطلعوا إلى قلعة حلب وملـك تمرلـنك المديـنة وحاصر من فى قلعتها أشد المحاصرة حتى استنزل من كان فيها من الـنواب والأمـراء فـنزلوا وهـم فـى قـيود وجنازير فأسرهم ثم إنه صار وتنهب الأموال ويقتل الـرجال ويقطـع الأشـجار وأسـرف فى القتل حتى (ق ٩٨ ا) كادت الأرجل تطأ إلا على حـبه إنسـان حـتى بـنى عـلى بـاب المدينة موازن من رءوس القتلى وكانن عدة الموازن اثنتى عشـرة مـئذنة نحـو عشـرين ذراعاً وصعودها فى الهواء نحو عشرة أذرع وجعل الوجوه بارزة تسـقى عليها الرماح. وأما الأجساد فتناهشتها الكلاب والوحوش وهذا غير الذى هلك تحت حوافر الخيل عند اقتحام الأبواب وغير الذى هلك من الجوع والعطش وهم فى الأسر ولازال تمرلـنك يسـرف فـى القتل والنهب نحو شهر وهو مقيم على حلب، ثم ارتحل عنها بعد ما أخـربها وجعـلها خاويـة عـلى عروشـها خالـية من سكانها ولقد أخبر من كان ماسورا عند عسـكر تمرلنك بأنهم لم يقم عندهم أذان إلا فى حين وقت الصبح وأنهم يعتزلون النساء فى الحـيض ولا يعـاودون الـوطء إلا بعـد الاغتسال وأنهم يكلفون النساء الاغتسال حتى ولو فى الشتاء بالماء البارد .

ولـما رحل تمرلنك عن حلب توجه إلى المعرة وحماة وحمص ففعل فى أهلها كما فعل فى حلـب. فـلما كـان يـوم السبت حضر إلى القاهرة مملوك تكلمش العلاى وأخبر بما جرى من هذه الأحوال وأن العسكر الحلبى والشامى انكسروا من مدة خمسة وعشرين يوما وأن تمرلنك أسـر الـنواب و ملـك حلب وحماة حمص وقد أسرف فى القتل والنهب وأن بقية النواب ما يعلم لهم الخير .

فـلما بلـغ هـذا الخبر إلى السلطان والأمراء فحصل عليهم من الحزن والأسف ما لا خير فيه واضطربت القاهرة لهذا الخبر. ثم إن السلطان أرسل اينال خطط رأس نوبة على الهجن تكشـف الأخـبار. ثم جاءت الأخبار بأن أوائل عسكر تمرلنك وصل إلى دمشق فعند ذلك برز المخـيم الشـريف إلى الريدانـية وخـرج السلطان من غير تهاون وكان صحبته الخليفة المتوكل عـلى الله والقضاء الأربعة والأمراء والعسكر فعين السلطان جماعة من الأمراء بأن يتقدموا فى الجالـيش المنصـور فعـين ستة أمراء مقدمين وهم : الأتابكى بيبرس والأمير نوروز والحافظى رأس نوبـة الـنواب والأمـير بكـتمر أمـير سـلاح والأمـير يلبغا الناصرى أحد الأمراء المقدمين الألـوف والأمـير ايـنال بـن قجمـاس والأمير أقباى الطرنطاى حاجب الحجاب وجماعة من

الأمراء العشروات مع جماعة من المماليك السلطانية فرحلوا من الريدانية فى يوم الخميس خامس عشر ربيع الآخر من السنة المذكورة . ثم رحل السلطان بعد ذلك من الريدانية واستقر بالأمير تمراز الناصرى أمير مجلس نائب الغيبة والأمير جكا أحد الأمراء المقدمين وجماعة من الأمراء غير ذلك ممن تأخر لحفظ القاهرة فى غيبة السلطان [ق ٩٨ ب].

فلما رحل السلطان من الريدانية جاءت الأخبار بأن السلطان رحل إلى غزة، ثم رحل منها إلى دمشق وأقام بها وحكم بين الناس ثم إنه خرج من الشام وضرب خامه فى الفضاء.

فلما كان يوم السبت من جمادى الأول وأن الجاليش تمرلنك قد أقبل من عند جبل الثلج وهم تقدير ألف فارس فخرج إليهم جاليش السلطان وهم نحو المائة فاتقعوا معهم فانكسر جاليش تمرلنك كسرة قوية وقتل منهم جماعة كبيرة وهرب الباقون على وجوههم.

وفى تلك الليلة حضر جماعة منَ عسكر تمرلنك إلى السلطان الملك الناصر ودخلوا تحت طاعته وأخبروا بأن مايران شاة ولد تمرلنك وصهره نور الدين قتلا مع جماعة من التركمان فى الجاليش وقد حصل لتمرلنك أسف عظيم على ولده وصار يحضر إلى عند السلطان فى كل يوم جماعة من العسكر بتاع تمرلنك فدخلوا تحت طاعته فيخلع عليهم السلطان ويحسن إليهم.

ثم إن تمرلنك أرسل إلى السلطان يطلب الصلح مراراً فما أجيب إلى ذلك وكل هذا حيل منه وخداع وليس حقيقة وصار يموت كل يوم من عسكره جماعة كثيرة من الثلج وقوة البرد حتى مات منهم فى مدة يسيرة نحو ثلاثة آلاف إنسان.

وصار فى كل وقت تأتى من عند السلطان أخبار مليحة تدل على نصرته وكثرة عسكره فإن السلطان لما توجه إلى الشام حضر إليه جماعة كثيرة من العربان والعشير منهم الأمير محمد بن نعير والأمير عيسى بن فضل وبنى مهدى وعرب حارثة وابن القاق وعربان جبل نابلس والتف على السلطان عربان كثيرة وعشير نحو اثنى عشر ألف إنسان ، وكانت طوالعه كلها سعيدة والنصر لاح عليه ولكن كما قال القائل فى المعنى .

يريد المرء أن يعطى مناه ويأتى الله إلا ما أراده

فلما كان يوم الخميس خامس جمادى الآخر من السنة المذكورة: حضر السلطان الملك الناصر إلى الديار المصرية على حين غفلة وحضر معه الخليفة المتوكل والأمراء ونائب الشام وغالب أمراء دمشق ونائب صفد ونائب غزة ، وحضر مع السلطان من المماليك نحو ألف

مملوك وحضر مع كل أمير من مماليكه مملوك أو مملوكان لا غير وليس معهم خيل ولا برك ولا قماش ولا مال ولا شيء من الأشياء وكان سبب حضور السلطان على هذا الوجه أن العسكر المصرى لما اتقع مع عسكر تمرلنك مرتين ، فأرسل تمرلنك يسأل السلطان فى الصلح وأن السلطان يطلق لتمرلنك قرابته اطلمش الذى أسر فى الواقعة فأحضر الأمراء وشاورهم فى أمر الصلح ، فأبى الأمراء [ق ٩٩ أ] من الصلح . وقالوا: هذا حيل وخداع. فأرسل تمرلنك فى ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الأولى قاصده إلى عند السلطان يسأل فى الصلح . فأقام عند السلطان إلى ثلث الليل. واتفق مع السلطان أن فى صبيحة يوم الجمعة ينعقد بينهما الصلح . وكان قبل ذلك بيومين هرب من عسكر السلطان جماعة من الأمراء وهم : الأمير سودون الطيار والأمير قانى باى العلاى والأمير جقمق وجماعة من المماليك السلطانية. فلما هربوا هاج وماج العسكر بعضهم فى بعض إلى وقت السحر من تلك الليلة وهى ليلة الجمعة اجتمع الأمراء وجاءوا إلى عند السلطان وركبوه بالغصب هو والخليفة والأمراء وبعض مماليك سلطانية، وهربوا تحت الليل من على الصالحية التى بدمشق وطلعوا من على عقبة هناك ونزلوا على ساحل البحر المالح وساروا إلى أن وصلوا إلى صفد، فأخذوا نائب صفد معهم وتوجهوا إلى غزة .

فلما دخل السلطان إلى غزة وجد الأمراء الذى هربوا من دمشق فى غزة فأقام السلطان فى غزة أياماً حتى تراجع إليه بقية العسكر. ثم إنه قصد التوجه إلى الديار المصرية فدخلها على حين غفلة ، فاضطربت الديار المصرية وماجت بأهلها حتى هموا بالهروب نحو بلاد الصعيد. ثم إن الأمير يلبغا الناصرى استادار العالية لما حضر السلطان والأمراء وهم لا برك ولا قماش، احضر للسلطان كسوة وكل ما يحتاج إليه وأرسل للأمراء لكل واحد كسوة على قدر مقامه ، وأرسل للخليفة كسوة وكل ما يحتاج إليه. وكانت كسرة الملك الناصر هذه من الأمور الشنيعة فإن الأمراء وقع بينهم خلاف فى دمشق. فتوجه منهم جماعة إلى مصر. واتفقوا بأن يسلطنوا شخصا من الأمراء يقال له لاجين الجركسى ، وكان السلطان صغير السن فضاعت أمور المسلمين حتى نفد القضاء والقدر كما قيل فى الأمثال ،

من أنكر القضاء فهو مشرك   إن القضاء بالعباد أملك
وليس فى العالم ظلم جارى   إن كان ما يجرى. بحلم البارى

هـذا مـا كـان مـن أمر السلطان الملك الناصر فرج . وأما ما كان من أمراء أهل دمشق من بعـد مجـيء السلطان إلى مصر فإنه خرج من دمشق فى ليلة الجمعة فى الرابع والعشرين من جمـادى الأولى مـن سـنة ثلاث وثمانمائة فأصبح الناس مائجين بعضهم فى بعض وقد ركبوا عـلى الأسـوار وقد صاروا يستحثون بعضهم بعضا على القتال ويترامون بالنشاب على عسكر تمرلـنك مـن أعـلى السور فقتلوا منهم جماعة كبيرة بالنشاب واستمروا على ذلك والقتال فى كل يوم عمال.

ثـم إن تمرلـنك أرسل يطلب من أهل دمشق [ق ٩٩ ب] الصلح وأن يرسلوا إليه أحداً مـن العقـلاء حـتى يكلمه فوقع الاختيار من أهل دمشق إلى أن يرسلوا إليه القاضى ابن مفلح الحنبـلى فـأرجوه مـن الـسـور بحـبال . فغـاب ساعة، ثم رجع من عند تمرلنك وأخبر بأنه تلطـف معـه فـى القـول حـتى قال له : هذه بلد الأنبياء عليهم السلام وقد عتقها لأجلهم . فـلما رجـع ابن مفلح صار يجدل أهل دمشق عن القتال فصار أهل البلد فرقتين، فرقة يرأها رأه ابـن مفلح من الصلح ، وفرقة يرى ما هى عليه من المحاربة هم الأكثر، فباتوا على ذلك تلـك الـليلة فـلما احـتجوا غلبـت الفـرقة الـتى من جـهة ابن مفلح بأن يدخلوا تحت طاعة تمرلنك وإن كل من خالفهم من العامة يقتلونه .

ثـم إن ابـن مفـلح أراد أن يفـتح بـاب النصـر الذى بدمشق. فمنعه نائب القلعة من ذلك وهددهم بإحراق البلد. ثم إن ابن مفلح تدلى من السور هو وجماعة من أعيان أهل دمشق ممن ضل عقولهم وأحسن ببالهم هذا الخداع. فلما دخلوا على تمرلنك أخذوا معهم أشياء من نوع الهدية فقبلها منهم .

ثـم إن تمرلـنك أرسـل معهـم قاضـيًا من عنده وعلى يده مرسوم مكتوب فيه تسعة أسطر تتضمن الإمارة لأهل دمشق على أنفسهم وأهاليهم فقرىء هذا المرسوم على المنبر بجامع بنى أمية بدمشق ففرح أهل دمشق بذلك كما قيل فى المعنى.

أمور تضحك السفهاء منها ويبكى من عواقبها اللبيب

وفى الأمثال :

لذلك من سينصح الأعـادى تـرد وبه بالغش والفسـاد

ثـم إن ابـن مفـلح فتح من أبواب دمشق بابًا صغيرًا، وجاء أمير من أمراء تمرلنك وجلس علـيه لـيحفظ المديـنة من التتار، كى لا يقتحمون البلد. ثم إن تمرلنك أرسل خلف ابن مفلح

وأفرض على أهل دمشق مالاً. فلما رجع ابن مفلح شرع فى جباية ما قرره تمرلنك على أهل دمشق من المال ألف ألف دينار. فلما جبيت وحملت إلى تمرلنك خوفاً وقد رضى بذلك. وقال أنا ما آخذ إلا ألف يومار واليومار عندهم عشرة آلاف ألف دينار. فعند ذلك تزايدت البلايا وتعاظمت الرزايا ، فصار ابن مفلح وأشياعه يفرضون على الناس الفرائض الثقيلة منها أجرة كل مسكن ثلاثة أشهر . وعلى كل رأس من عيال صاحب المنزل وأولاده عشرة دراهم، وفرضوا على أوقاف الجوامع والمساجد والمشاهد والربط حسبما يختارون من ذلك . فعند ذلك اشتدت العقوبة على الناس بسبب استخلاص الأموال. وفى هذه المدة عزت الأقوات على الناس حتى بلغ كل مد قمح بأربعين درهما والمد عبارة عن أربعة أقداح وصارت الجوامع [ق ١٠٠ أ] معطلة لم يقم فيها صلاة ولم يعد فيها قنديل . وكان فى أول ما استولى تمرلنك على البلد خطب باسمه جمعة واحدة . ثم بعد ذلك لم يقم فى دمشق صلاة جمعة وترك فى جامع بنى أمية أميراً من أمراء تمرلنك يقال له شاه ملك وأغلق أبوابه ونزل فيه بعياله ونسائه وأخذ ما كان بالجامع من بسط وحصر. فستر بها بوابك الجامع على حريمه وصار هو ومن معه يضربون بالطنبور فى الجامع ويلعبون بالكعايب .

وفى هذه المدة غلقت الأسواق ومنع البيع والشراء. فلما جمع ابن مفلح بقية الأموال وحضر بها بين يدى تمرلنك . قال له هذا الحساب لنا ثلاثة آلاف ألف دينار وقد بقى من ذلك سبعة آلاف ألف دينار . وكان تمرلنك قرر مع ابن مفلح أن هذا المال الذى جمعه يكون خارجا عما تركه عسكر السلطان من السلاح والدواب وغير ذلك .

فنادى ابن مفلح فى البلدان كل من كان عنده شىء من سلاح العسكر أو قماش ودواب يحضره إلى بين يدى القاضى ابن مفلح ومن أخفى أحد من ذلك شيئًا كانت روحه قبالة ذلك فأحضروا جميع أموال العسكر بين يديه فحمله ابن مفلح إلى تمرلنك. فقال له تمرلنك بقى أموال التجار الغائبين عن دمشق فأحضر له ما قدر عليه من ذلك .

فلما مثل بين يديه قال لابن مفلح بقى عليك أن تجمع كل دابة فى البلد من فرس وبغل وجمل وحمار ، فجمع إليه ابن مفلح جميع دواب البلد فكانت عدتها ما يزيد على اثنى عشر ألف دابة. فلما حضرت بين يدى تمرلنك قال لابن مفلح هل بقى فى البلد شىء من سلاح أو دواب؟ فحلف ابن مفلح أن ما بقى فى البلد شىء من سلاح ولا دواب غير ذلك . فقال له تمرلنك : اكتب لى أسماء الخطط والحارات التى بدمشق. فكتب له ذلك .

ففرق تمرلنك أوراقًا على أمرائه بأسماء الخطط والحارات، وكان تمرلنك فى مدة استيلائه على دمشق يعد النار بالليل على رءوس الجبال فى أماكن عديدة حتى يرعب قلوب الناس بذلك وأحرق عدة بيوت التى كانت خارج السور فى مدة المحاصرة.

فلما فرق تلك الأوراق التى بأسماء الحارات على أمرائه فنزل كل أمير من أمرائه فى حارة من الحارات وطلب سكان ذلك الخط، فكان الرجل يقام على باب داره فى الحسن هيئة وهو عريان مكشوف الرأس ويطالب بالمال الثقيل الذى لا يقدر على بعضه فيخرج جميع ما فى داره من قماش ونحاس وأثاث البيت ونسائه وبناته. فتوطأ بين يديه وهو يشاهد ويفض أبكاره وبلاطه بولده. وهو يرى ذلك فإذا قضوا من الوطء أوطارهم أوجعوهم ضرباً هذا وصاحب البيت يضرب على بابه [ق ١٠٠ب] وقد تفننوا فى أنواع العذاب تفنينًا حتى كان أحدهم يشد رأس الرجل بحبل ثم يلوونه لياً عنيفاً حتى يغوص الحبل فى رأسه، ويؤخذ من تحت إبطيه ويربط به ابهام يديه من ورائه، ويلقى على ظهره ويقيم بخرقة فيها رماد ساخن وبعضهم يعلق بإبهام رجليه فى شقق البيت وتوقد لحيته النار بالقرب من وجهه حتى يموت من الغم .

وصاروا يفعلون من هذه الأنواع أشياء يشيب عند سماعها النواصى ويذهب منها العقول فأقاموا على ذلك تسعة عشر يوماً آخرها يوم الثلاثاء ثامن عشرين شهر رجب فهلك فى هذه المدة من الناس ما لا يحصى عددهم مشاة بأيديهم سيوف مسللة، فنهبوا ما بقى فى البلد من قماش وأثاث وأسروا الرجال والنساء،وألقوا الأطفال الرضع فى الطرقات تحت أرجل الخيل ، وصاروا يدخلون إلى البيوت فيأخذوا جميع ما فيها، ويسوقوا الرجال والنساء وهم مصفدين فى الحبال لا يدرون إلى أين يمضون بهم ثم يطرحون فى البيت النار حتى لقد صار البلد يرمى بشرر كالقصر وحرقوا الجوامع والمساجد حتى جامع بنى أمية الذى كان من جملة عجائب الدنيا، فاحترق غالبه وحرقوا دار السعادة التى بدمشق وغالب قلعتها، واستمر ذلك من يوم الأربعاء إلى يوم الخميس.

فلما كان يوم الجمعة ثانى شهر شعبان رحل تمرلنك عن دمشق بعدما فعل من هذه الأخبار الشنيعة كما تقدم ، ثم إنه أسر أعيان الناس من دمشق، وأسر من بقى هناك من أعيان الديار المصرية مثل قاضى القضاة الشافعى صدر الدين المناوى وغيرهم من أكابر القضاة العلماء والأعيان، وأسر القاضى ابن مفلح الحموى الحنبلى الذى كان سبباً لجمع الأموال،

وصار يخذل أهل دمشق عن قتال تمرلنك حتى جرى ما جرى عليهم من ذلك ، وأسر جماعة من النواب مثل شيخ المحمودى نائب طرابلس وغيره من النواب . ومن المماليك السلطانية جماعة كثيرة ، وأسر من الرجال والنساء ما لا يحصى عددهم. فكانت مدة إقامته على دمشق إلى حين رحل عنها السلطان الملك الناصر فرج نحو ثمانين يوماً منها مدة استيلائه على المدينة تسعة وعشرون مما حكى عن تمرلنك من حيلة ودهاء.

فمن ذلك أنه أول ما نزل على دمشق زار قبر أم حبيبة إحدى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل دمشق ما لكم نظر فى هذا القبر، ما يبنوا عليه قبة ؟ فأنا إن شاء الله ابنى عليه قبة. هذه من أمهات المؤمنين ومن حيله أنه كان كثيراً ما يذكر الله فى مجلسه ويستغفر مرات كثيرة ولا تزال السبحة في يده [ق ١٠١ أ] وكان له ورد يقرأه كل يوم ، وكل هذا من أنواع الحيل والرياء ، كما قيل فى مشايخ الرياء والسمعة لبعضهم.

سجدة فى الحبر قد طبعت　　　اشبه شىء برأس مسمار
صاحبها لا يزال فى خجل　　　لأنها ضرب خارج الدار

وقيل إن تمرلنك لما أراد أن يرحل عن دمشق فجمعوا له أطفال المدينة ما بين من شهر إلى ابن خمس سنين، ممن أسرت أمهاتهم فركب تمرلنك وأتى نحوهم فوقف ساعة وهو ينظر إليهم، ثم أمر أن يساق عليهم بالخيل، فساقوا عليهم بالخيل حتى ماتوا أجمعين. ثم بعد ذلك لامه أصحابه على هذه الفعلة، فقال ما أخذتنى فيهم رحمة، وكان يقول : أنا غضب الله فى أرضه يسلطنى على من يشاء من خلقه .

فلما رحل تمرلنك فأمر بحرق مدينة دمشق حتى الجوامع والأسواق والقياصر والحمامات، وقد أصبحت بعد البهجة والسرور والنضارة والخيول أطلالا بالية ورسوماً خالية قد خوت على عروشها واقفرت من زخرفها ونقوشها لا يرى فيها دابة ولا حيوان يهب سوى جثث قد انحرقت وصور قد تعفرت وأطفال قد أكلتهم الكلاب وآخرون قد اكتسوا ثوبا من الذباب.

وكانت هذه المصيبة أمرًا مقدرًا من الله تعالى بذنوب سلفت من الخلائق والله عزيز ذو انتقام ، كما قيل فى المعنى لبعضهم .

أن ترمك الأقدار فى أزمة　　　أوجبها اجرامك السالفة
فادع إلى ربك فى كشفها　　　ليس لها من دونه كاشفة

ولما رحل تمرلنك عن دمشق صار ما بقى من الناس ومن عسكر السلطان يجتمعون ويترافقون جماعة ويسافرون إلى نحو الديار المصرية . فلما يخرجوا من دمشق يلاقيهم العربان والعشير فيجرى عليهم من العربان والعشير ما لا يجرى عليهم من تمرلنك من أخذ الأموال وقتل النفوس والسب الفاحش وقد ذهبت حرمة المملكة وصاروا يعرون مماليك السلطان ، ولم يتركوا لهم غير اللباس فى وسطهم وكان أكثرهم يجىء من البحر المالح من على السواحل حتى يدخلوا إلى مصر. فكان السلطان يرسم لكل مملوك من المماليك السلطانية بجامكية شهرين وألف درهم إنعامًا لترقيع أحوالهم .

ثم إن السلطان رسم للأمير يلبغا السالمى استادار العالية بأن يأخذ من بلاد الأمراء والجند عن العبرة على كل ألف دينار خمسمائة درهم. وأن يأخذ من أملاك القاهرة من كل ملك أجرة شهر واحد . وعن الرزق على كل فدان عشرة دراهم . وعلى البساتين على كل فدان مائة درهم.؟ ورسم بأن يأخذ [ق ١٠١ ب] من أموال التجار والأيتام على سبيل الفرض. فصاروا يكبسون حواصل التجار والأيتام أصحاب الأموال ، فإن كان صاحب الحاصل موجودًا فمهما وجدوا فيه من الذهب العين يتركون للتاجر النصف وإن كان صاحب الحاصل غائبًا فيفتحوا مخزنه ويأخذوا جميع ما فيه من الذهب العين وغيره . ورسم بأن يؤخذ من أوقاف الجوامع والمدارس والبيمارستان المنصورى أجرة شهر واحد . فحصل للناس بذلك الضرر الشامل، وكثر الدعاء على السلطان بسبب ذلك . وكان السلطان قصده فى تحصيل المال لإقامة العسكر حتى يعود إلى قتال تمرلنك فإنهم أشاعوا أن تمرلنك قاصد الديار المصرية حتى هم أهل مصر بالخلاء إلى نحو بلاد الصعيد .

ثم إن السلطان أمر بإحضار عربان البحيرة فجمعوا منهم ستة آلاف إنسان وإبرام شيخ العرب أن يقر بإحضار ألفين وخمسمائة إنسان. وحضر من عربان بنى وائل ألفا إنسان فنفق عليهم السلطان نفقة السفر. وكان المتكلف فى جمع الأموال الأمير يلبغا السالمى أمير استادار فتكلموا فى حقه بأنه أخذ فى هذه الحركة جملة مال. فقبض عليه السلطان وصادره وعزله. واستقر بالمقر السعيدى إبراهيم بن غراب استادار العالية مع ما بيده من الواردة ونظر الجيوش المنصورة والخواص الشريفة . ثم تسلم يلبغا السالمى والشهابى أحمد ابن قطيبة. فعاقب يلبغا السالمى واستخلص منه الأموال التى جمعها فى هذه الحركة ثم أفرج عن ابن قطيبة وتوجه إلى بيته .

وفـي يـوم السـبت ثالث وعشرين شهر رمضان من السنة المذكورة : خلع على من يذكر فـيه مـن القضـاة وهـم : قاضـي القضـاة ناصـر الديـن بـن الصالحي . واستقر قاضي القضاة الشافعية بمصر عوضاً عن القاضي صدر الدين المناوي بحكم أسره عند تمرلنك .

وأخلع على القاضي أمين الدين الطرابلسي واستقر قاضي قضاة الحنفية بمصر عوضا عن قاضـي القضـاة جمـال الديـن الملطـي بحكم وفاته. وأخلع على القاضي ولى الدين بن خلدون المغربي واسـتقر قاضـي القضـاة المالكية بمصر عوضا عن قاضي القضاة نور الدين بن الجلال بحكـم وفاتـه. وأخلـع على القاضي مجد الدين بن سالم واستقر قاضي قضاة الحنابلة بمصر عوضاً عن قاضي القضاة موفق الدين بحكم موته.

وأخلـع عـلى مـن يذكـر مـن الأمراء أرباب الوظائف والنواب وهم : المقر السيفي تغرى بردى،واستقر نائب الشام وخرج من يومه إلى دمشق ليعمر ما أفسده تمرلنك من دمشق. فقد بلـغ السـلطان أن تمرلنك رحل عن دمشق [ق ١٠٢ أ] ثم حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير شيخ المحمودي نائـب طـرابلس وكـان تمرلـنك أسـره، فهـرب منه فلما حضر أخلع عليه السـلطان واسـتقر بـه نائـب طـرابلس عـلى عادتـه كما كان ، وخرج من يومه بسبب عمارة طـرابلس. ثـم حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير دقماق المحمدي نائب حماه وكان أسـيرا عند تمرلنك فهرب منه .

فـلما حضر أخلع عليه واستقر به نائب حماة على عادته. وخرج من يومه بسبب عمارة حماه ، وأخلع على الأمير تمربغا المنجكي واستقر نائب صفد.

وأخلـع عـلى الأمـير تـنكز الحطـطي واستقر نائب بعلبك، وأخلع على الأمير طولوا من عـلى شـاة واسـتقر نائـب ثغـر الإسـكندرية ، وأخلـع عـلى الأمـير بشباى من باكي واستقر حاجـبًا ثانـيًا ثـم بقي في أخر دولته حاجب الحجاب، وأخلع على الأمير نوروز الحافظي والأمـير يشـبك الشعباني واستقر كل منهما مشير الدولة الشريفة ولتدبير أمور المملكة ثم بعد مدة يسيرة حضر إلى الأبواب الشريفة بريدي ومملوك من عند نائب قلعة حلب وعلى يديهما كـتاب مـن عند تمرلنك يتضمن طلب قرابته اطلمش وتسمي أيضا اطلندي، وكان قد أسر في جالـيش عسـكر تمرلنك، لما كان السلطان نازلاً على دمشق فأرسل تمرلنك يقول للسلطان إذا أطلقـت اطلمش أطلق لك جميع من عندي من الأسرى ، فأحضر السلطان الأمراء وقرأ عليهم كـتاب تمرلـنك واستشـارهم فـي ذلك ، فأشاروا عليه بأن يطلق اطلمش ويرسله إلى تمرلنك.

فعين السلطان قانباى النوروزى حشداس سودون نفجه وعين الشهابى أحمد بن كليك من أمراء حلب بأن يتوجهوا إلى تمرلنك وصحبتهم اطلمش المذكور، فأكساه السلطان وأحسن إليه .

فلما وصلوا إلى تمرلنك فأكرم قانباى النوروزى والشهابى أحمد بن كليك وتقارش تمرلنك وبكى، وقال السلطان ولدى وهذا الذى جرى كان مقدرًا من الله تعالى . وكان تمرلنك من حين خرج من دمشق وهو ضعيف طلع فيه حمرة فرعت فى جسده واشتغل بنفسه .

وقيل إن تمرلنك من هذه السطوة العظيمة كان أعرج بوركه اليمين وكان إذا ركب حمل على أكتاف الرجال.

فلما حضر اطلمش عند تمرلنك اطلق الأسرى الذين كانوا عنده كما قرر مع السلطان وأرسلهم صحبة قانباى النوروزى وأرسل إلى السلطان هدية صحبة الخواجا مسعود الملجانى، وأرسل من حمله الهدية فيلا عظيم الخلقة وعلى ظهره صندوق وخشب يجلس فيه نحو عشر أنفس وأرسل مع الفيل أشياء غير ذلك من أنواع الهدية [ق ١٠٢ ب]

فلما وصل قانباى النوروزى إلى مصر دخل وعليه خلعة مجمل وتاج اللذين أخلعهما عليه تمرلنك ، وكان يوم دخوله إلى القاهرة يوماً مشهوداً ولما عاد قانباى المذكور من عند تمرلنك صار يدعى تمر قانباى التمركنكى ثم بعد مدة أخلع عليه السلطان واستقر به نائب الكرك ثم بعد مدة بقى نائب الإسكندرية، واستمر الأمر مبنيًا على السكون مدة يسيرة .

فلما كان يوم الأحد ثامن شهر شوال من السنة المذكورة : نزل الأمير قطلوبغا الكركى والأمير أقباى الكركى من القلعة فتلقاهما جماعة من المماليك السلطانية قدر ثلاثمائة مملوك فضربوهما بالدبابيس، فهرب قطلوبغا وطلع إلى باب السلسلة وهرب أقباى إلى بيت الأمير يشبك الشعبانى.

فلما بلغ السلطان ذلك نادى أن سائر الأمراء والمماليك السلطانية يطلعوا إلى القلعة فطلع منهم جماعة إلى القلعة.

ثم إن الأمير يشبك الشعبانى ظهر إلى بعد العشاء وطلع إلى القلعة وهو والأمير قطلوبغا الكركى وأقباى ونوروز الحافظى. ثم إن نوروز ينزل من القلعة نصف الليل.

فلما أصبحوا لم يطلع الأمير جكم العوصى والأمير قانباى العلاى ولا الأمير سودون الطيار ولا الأمير قرقماش الاينالى ولا الأمير تمربغا المشطوب فلما طلع النهار لبسوا آلة

الحرب ووقفوا فى سوق الخيل والتف عليهم نحو خمسمائة، فوقفوا هناك ساعة، ثم توجهوا إلى بركة الحبش فأقاموا هناك يومين.

فلما كان يوم الأربعاء: ركب الأمير سودون من على باب أمير أخور كبيرهم ومماليكه ونزل من باب السلسلة وأخذ من الخيول الخاصة التى فى الاسطبل السلطانى، وتوجه إلى بركة الحبش عند الأمراء الذين هناك.

فلما سمع السلطان بذلك نزل إلى الأسطبل وجلس بالمقعد المطل على سوق الخيل ودقت الكوسات حربى ، فطلعوا إلى الأسطبل واجتمعوا بالسلطان بقية الأمراء فأقام بالمقعد إلى وقت الظهر، فلم يجىء أحد من الأمراء الذين فى بركة الحبش، فأرسل لهم السلطان أمانًا.

ورسم للأمير جكم العوصى بنيابة صفد ثم إن السلطان أرسل إليهم قاضى القضاة ناصر الدين بن الصالحى الشافعى، فتوجه إلى بركة الحبش واجتمع بالأمراء وتكلم معهم فى أمر الصلح . فقالوا له: نحن لنا عرما وما نرجع عنهم فلما عاد القاضى بهذا الجواب . فقال السلطان . ومن عرماهم؟ فقال القاضى : ذكروا أن الأمير يشبك الشعبانى وغيره من الأمراء . فقال السلطان للأمير يشبك افتصل أنت وعرما بك. فنزل الأمير يشبك إلى بيته، ثم عاد [ق ١٠٣أ] إلى عند السلطان فلم يتمكن من الدخول إلى عند السلطان فنزل ووقف فى سوق الخيل ساعة وإذا بالأمراء قد أقبلوا من بركة الحبش وهم فى جمع عظيم توقفوا عند سبيل المومنى ساعة .

ثم إن الأمير يشبك الشعبانى نادى للناس ومماليك السلطان أن كل من قاتل معه يأخذ له عشرة آلاف درهم، فتوجه إلى عنده بعض مماليك سلطانية ، فأرسل السلطان رؤوس النواب ضربوا المماليك الذين توجهوا إلى عند الأمير يشبك .

فلما انصرفوا من عنده بقى وحده ، فهرب من وقته، فلما هرب نهبوا العوام بيته وبيت قطلوبغا الكركى وجركس القاسمى المصارع، فلما مسكوا قيدوهم وأرسلوهم إلى السجن بثغر الإسكندرية .

وأما الأمير يشبك الشعبانى الدوادار فإنه لما هرب بعد كسرته لم يعلم له خبر، فأقام أياماً ومسك من تربة خوند سمرا التى بالقرب من باب القرافة ، فلما مسكوه قيدوه وأرسلوه إلى السجن بثغر بالإسكندرية .

ثـم لمـا خمـدت هـذه الفتنة عمل للسلطان الموكب فى يوم الخميس تاسع عشر شوال من السنة المذكورة .

وأخلـع عـلى مـن يذكر من الأمراء وهم : الأمير جكم العوصى واستقر دوادارًا عوضاً عن يشـبك الشـعبانى ، وأخلـع عـلى الأمير سودون من زاده واستقر خازندارًا كبيرًا مقدم ألف. وأخلـع عـلى جماعـة كـثيرة مـن الأمـراء وأرباب الوظائف وأخلع على الجناب العلمى علم الديـن بـرانى كـم واسـتقر وزيـراً وناظـر الخواص، فأقام مدة يسيرة ، ثم عزل ثم أعيد المقر السعدى سعد الدين بن غراب إلى وظائفه كما كان أولاً.

ثم دخلت سنة أربع وثمانمائة:

فيها : تزوج الأمير نوروز الحافظى بأخت السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق، وتزوج الأمير إينال باى قجماس بأخت السلطان الصغرى .

وفـيها : أخلـع عـلى الأمـير آقبغا الجمالى واستقر نائب الشام عوضاً عن تغرى بردى، وأخلع على الأمير دقماق المحمدى واستقر نائب حلب عوضاً عن دمرداش المحمدى.

وفـى هـذه الأيـام : عظم أمر الأمير نوروز الحافظى واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية والبلاد الشامية .

وفـيها : حضـر إلى الأبـواب الشـريفة الطواشـى جمال الدين عبد اللطيف الساقى وكان مأسـوراً عـند تمرلـنك فأخـبر بـأن تمرلـنك ملك نوريز العجم وأخربها ونهب كل ما فيها . وأخـبرنا بـأن القاضـى صدر الدين المناوى غرق فى نهر الزاب عند القنطرة، وأخبر عن وفاة جماعة كثيرة من الأعيان ممن كانوا مأسورين عند تمرلنك.

وفـيها : أخلـع [ق ١٠٣ ب] عـلى القاضى جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سـراج الديـن عمـر البلقيـنى واسـتقر قاضـى القضـاة الشافعية بمصر عوضاً عن القاضى ناصر الديـن بن الصالحى، وأخلع على القاضى جمال الدين البساطى واستقر قاضى قضاة المالكية بمصر عوضاً عن ابن خلدون المغربى الحضرمى .

وفـيها : جـاءت الأخـبار بـأن شـيخ المحمودى نائب طرابلس أظهر العصيان واستخدم جماعة كثيرة من التركمان والعشير.

وجـاءت الأخبار بأن الأمير صرق الظاهرى نائب غزة خرج على الطاعة وأظهر العصيان وخرج من غزة فتبعه الأمير خرم ومسكه وقطع رأسه وأرسلها إلى السلطان ، فأخلع السلطان على الأمير الطنبغا العثمانى واستقر نائب غزة عوضاً عن صرق.

وفى هذه السنة : حضر الأمير يتسق الذى كان توجه إلى مكة بسبب عمارة حرم مكة لما احترق، فعمره السلطان وأصرف عليه نحو اثنى عشر ألف دينار.

وفـيها : فـى يـوم الاثـنين فى ثانى شهر شعبان أخرجوا الفيل الكبير الذى كان تمرلنك أرسـله إلى السـلطان صـحبة الأمـير قانباى النوروزى فسيروا به الغلمان إلى نحو بولاق، فلما رجعـوا بـه عـلى قـنطرة الفخـر عـند رأس العطفـة، فهـناك حمـور قديم يخرج منه الماء من الخلـيج الناصرى إلى الخلـيج الصـغير المتوصـل إلى بولاق فهناك داس الفيل، فانخسف به الحمـور فنزلـت فـيه رجلـه إلى فخـذه فلم يقدر أحد يخلص رجله من الحمور فأقام ساعة. ومـات وكـان يومـاً مشـهوداً ، فخرج إليه الناس قاطبة يتفرجون عليه وقد نظم فيه الشعراء مراثى كثيرة ، فمن ذلك يقول بعض الزجالة :

تعـا اسمعـوا بالله يا ناس إلى جـرَة
الفيـل وقـع يـوم الاثنين فى القنطرة
لما افلسوا غلمان الفيـل، راموا الحراف
خذوه وراحوا صوب بولاق يحبوا المطاف
رأوا شويخ من أهل الله، ما فيه خلاف
جـرا فأخـذوا شـبوا منوا بالزنطـرة
دعـا عـلى الفيل اتقنطر فى القنطرة
قالوا بأنو فى البجمون ، مغروس يصيح
فقلت حتى روح أبصر، إن كان صحيح
آجى ألاقى الفيـل ميت ملقى طريح

والخلــق[1] تطلــع فــوق ظهــروا مســتظهرة
لمــا وقــع يــوم الاثــنين فــى القــنطرة
وأولاد ديــار مصــر الســادة ، حولــوا زمــر
يــتفرجون مــن هــذا الفــيل ، الــلى انحصــر
« رأوا دمــوع عيــنو تجــرى مــثل المطــر
ولو جعبروا العالم فيه متفكرة» [ق ١٠٤ أ]
لمــا وقــع يــوم الاثــنين فــى القــنطرة
والفــيل لســان حــالو نــاطق الــناس يقــول
كــم كنــت أدور فــى الــزفات، فوقــى طــبول
وكنــت أدور فــى المحمــل ، ولى قــبول
كــنى عروســه حــين تجلــه فــى مــنظره
والــيوم كــان آخــر مشــى فــى القــنطرة
وقالــت الفــيلة امــراتوا ، مــن لى معــين
ســهم الفــراق قــد صــاب قلــبى ، يــا مســلمين
وَنَــا غريــبة هــندية، قلــبى حــزين
وكــان الفــيل زوجــى لا معــيرة
والــيوم كــان آخــر عمــرو فــى القــنطرة
وعيطــت حــتى أبكــت ، جيرانهــا
مــن كــتر مــا ناحــت نــاحوا، لأحــزانها
مــن نارهــا صــارت تلطــم ، بودانهــا
حــتى الــزرافة جاتهــا متحســرة
تــبكى عــلى الفــيل الــلى مــات فــى القــنطرة
وناصــر الديــن مــن عمــرى أدرك الدخــول
والــناس تقــول إنــى قــيم ، صــاحب قــبول

---

(١) وردت فى بعض المصادر " الناس "
(٢) انظر : بدائع الزهور جـ ١ ق ٢ ٦٤٩

لـــا هلـــك ذا الفـــيل مـــرزوق ، فصـــرت أقـــول
تعـــا اسمعـــوا بـــالله يـــا نـــاس إلى جـــرة
الفيـــل وقـــع يـــوم الاثنين فى القنطـــــرة

ولما كان يوم الجمعة ثانى شوال من السنة المذكورة : وقع بين الأمراء تشاجر وهم: الأمير نوروز الحافظى والأمير جكم العوصى والأمير سودون طاز أمير أخور كبير، فألبسوا آلة الحرب، وطلعوا إلى الرملة، فنزل السلطان إلى المقعد المطل على سوق الخيل فاستمرت الحرب قائمة فى ذلك اليوم . فأرسل السلطان الخليفة والقضاة الأربعة ، فمشوا بين الأمراء بالصلح ، فاصطلحوا وخمدت بينهم الفتنة وطلعوا إلى القلعة ، فأخلع عليهم السلطان ونزلوا إلى بيوتهم .

فلما نزلوا أرسل السلطان إلى الأمير جكم العوصى خلعة وقال له هذه الخلعة لا حول. وقانباى بأن يكون نائب حماة. فقال : امضوا بها إليه، فلما جاءوا إلى بيته لم يجدوه فى بيته، ثم إن الأمير جكم خرج بعد العشاء هو وأخوه قانى باى العلاى والأمير قرقماس الإينالى وجماعة من المماليك نحو خمسمائة مملوك، فتوجهوا إلى بركة الحبش ونصبوا خيامهم هناك، وأقاموا على سبيل التنزه.

ثم إن الأمير نوروز طلع إلى القلعة وصلى الجمعة مع السلطان ونزل إلى بيته، ثم بعد ساعة أرسل السلطان خلعة، فقال: أنا كما كنت عند السلطان ايش يعمل بى كما كان . ثم إن نوروز اجتمع بالأمير تمربغا المشطوب والأمير سودون من زادة وغيرهما [ق ١٠٤ ب] من الأمراء وتوجهوا تحت الليل عند الأمير جكم الدوادار فى بركة الحبش.

فلما كان يوم السبت : اجتمع الأمراء الذين من غضبة السلطان الملك الناصر فرج وطلعوا إلى سوق الخيل ، فنزل السلطان إلى الإسطبل ، فأشار عليه الأمراء بأن يتوجه إلى بركة الحبش ويقع مع الأمراء الذين هناك.

فركب السلطان ومعه الخليفة المتوكل والقضاة الأربعة وجميع العسكر ممن بقى من الأمراء وتوجهوا نحو بركة الحبش فأقبل إليهم الأمراء الذين كانوا هناك ، فاتقعوا عند القاضى بكار ، فكان بينهم وقعة عظيمة فقتل هناك ثلاثة من المماليك السلطانية وجماعة كثيرة من الغلمان. وأقبل السلطان ومعه السواد الأعظم من العسكر والزعر بالمقاليع والترك بالنشاب، فانكسر جكم ونوروز وبقية الأمراء الذين كانوا معهم.

ثـم مسـك الأمـير تمـربغا المشطوب والأمير سودون من زاده وجماعة من الأمراء والمماليك السـلطانية. وأمـا جكـم ونـوروز وقانـباى وقـرقماش الإيـنالى لما انكسروا وهربوا وعدوا إلى بر الجـيزة، فـرجع السـلطان إلى القلعـة وهـو مؤيد منصور وقدامه الأمراء الذين أسرهم وهم فى قـيود، ورجـع فى موكب عظيم والخليفة والقضاة الأربعة قدامه. هذا ما كان من أمر الناصر فرج .

وأمـا مـا كـان من أمر جكم ونوروز ومن بقى معهم من الأمراء والمماليك فإنهم لما انكسروا هـربوا وتوجهـوا إلى نحو ابناية فأقاموا هناك يومين ثم رجعوا إلى الجيزة فأخذوا منها خيل الدشـار وهجـن كانت هناك. فأقاموا فى الجيزة ثلاثة أيام ، فأرسل إليهم السلطان الأمان، وأن الأمـير نـوروز الحـافظى يكـون نائب الشام، فعند ذلك حضر الأمير نوروز الحافظى إلى بيـت الأتـابكى بيـبرس ويقـرر الحـال عـلى أنه يطلع إلى القلعة ويلبس خلعة ويستقر نائب الشـام. فـلما طلع إلى القلعة مسك وقيد وأرسل إلى البحر بثغر الإسكندرية . وأما الأمير جكم العوصى وسـودون من زاده وتمربغا المشطوب وقانباى وبقية الأمراء الذين خامروا وأخرجوا إلى بـركة الحـبش، فصاروا يمسكون واحدًا بعد واحد ويرسلونهم إلى السجن بثغر الإسكندرية . قـيل ولـو صبر الأمـير نـوروز لـيلة واحدة فإن جماعة من المماليك السلطانية اتفقوا فى تلك الليلة بـأن يـتوجهوا إلى عند الأمراء الذين كانوا فى الجيزة وكان المماليك الذين اتفقوا نحو ألـف مملـوك من المماليك السلطانية ، وكان [ق ١٠٥ أ] طلوع الأمير نوروز وهو خاضع من جملة سعد الملك الناصر فرج ، فلما مسكوا الأمراء وسجنوا خمدت الفتنة .

ثـم إن السـلطان رسـم بالإفراج عن الأمير يشبك الشعبانى والأمير إقباى الإينالى وجماعة مـن الأمراء الذين كانوا فى السجن بثغر الإسكندرية قبل ذلك وقد تقدم سبب سجنهم . فلما حضروا أخلع عليهم واستقروا كما كانوا .

وفـى يـوم الاثـنين تاسـع عشـر شـوال من السنة المذكورة : جاءت الأخبار من عند ابن عـثمان بأن تمرلنك قد مات ولذلك أرسل الغاز أحمد بن أويس يخبر بذلك وأن الحمرة التى طلعـت فـيه مازالت ترعى فى جسده حتى هلك. وقيل لما دفن كان يسمع له عوى فى قبره مثل عوى الكلاب، وذكر بعض السواحين أنه شـاهد الدخان يطلع من قبره كما قيل:

زبانية النيران تكره وجهه ومنه استعادت مذراته جهنم

وفى هذه السنة : تأخر المحمل الشريف ولم يخرج من القاهرة إلى يوم الثانى والعشرين من شوال ولم يعهد بأن المحمل تأخر مثل هذه السنة، وكان أمير المحمل فى تلك السنة تكبية الأزدمرى أحد الأمراء المقدمين.

وفى أواخر هذه السنة : زاد شر العربان فى البحيرة ونهبوا البلاد التى حولها وأخذوا المقل التى كان بها فرسم السلطان بإخراج تجريدة ، وعين من الأمراء المقدمين عشرة من الأمراء الأربعينات والعشروات أربعة عشر أميرًا، ومن المماليك السلطانية ثلاثمائة مملوك. وخرجوا إليهم مسرعين من غير تهاون .

ثم دخلت سنة خمس وثمانمائة:

فيها: رسم السلطان للأتابكى بيبرس بأن يتوجه إلى ثغر دمياط هو وحريمه، وأن يخرج من يومه ، وطلع الأمراء وتكلموا مع السلطان بسببه، فبطل أمر سفره إلى دمياط. وكان سبب ذلك أنه تعصب للأمير نوروز الحافظى والأمير جكم العوصى وشفع فيهما من التقى فشق ذلك على السلطان وكمن له فى نفسه .

ثم دخلت سنة ست وثمانمائة:

فيها: اضطربت أحوال الديار المصرية وكثر الفساد فى البر والبحر وقويت رؤوس العربان فى البلاد ، وعصت الفلاحين عن وزن الخراج وخامروا أكثر النواب بالبلاد الشامية وصار الأمراء كل يوم فى خلاف بينهم، واستمر الأمراء كل يوم يتزايدون إلى أن **دخلت سنة ثمان وثمانمائة.**

فيها : ضاق الأمر على الملك الناصر فرج حتى كادت تزهق نفسه فهزا فلما كان يوم الأحد خامس عشرين ربيع الأول من [ق ١٠٥ ب] سنة ثمان وثمانمائة نزل السلطان الملك الناصر من القلعة بعد الظهر واختفى فلم يعلم له مكان .

فلما بلغ الأمر ذلك ركبوا وطلعوا إلى القلعة فلما اجتمعوا ضربوا مشورة فيمن يسلطنونه فاجتمع رأيهم على سلطنة أخيه عبد العزيز فطلبوه من الدور السلطانية وسلطنوه ولقبوه الملك المنصور. فكانت مدة سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق فى هذه المرة ست سنين وخمسة أشهر وعشرة أيام، ثم عاد إلى المملكة كما سيأتى ذكر عوده فى موضعه .

٢٧ـ ذكر سلطنة الملك السلطان المنصور عز الدين أبو العز عبد العزيز بن الملك الظاهر برقوق بن آنص وقيل أنس العثمانى الجركسى[(١)]

وهو السابع والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، وهو الثالث من ملوك الجراكسة . تسلطن بعد خلع أخيه الناصر فرج فى يوم الاثنين سادس عشرين ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة بعهد من أبيه له، وتسلطن وهو لم يبلغ الحلم. وأمه أم ولد تركية الجنس تسمى قنقباى.

فلما اختفى الملك الناصر فرج وسلطنوا أخاه عبد العزيز فلبس خلعة السلطنة من دور الحرم وركب من باب البشارة إلى القصر الأبلق، والأمراء مشاة بين يديه وجلس على سرير الملك وباس له الأمراء الأرض ونودى باسمه فى القاهرة ولقب بالملك المنصور ، ولكنه لم يتم أمره فى السلطنة ووقع الخلاف من الأمراء ولا سيما الأمير يشبك الشعبانى الدوادار فإنه كان فى دولة الملك الناصر فرج له كلمة نافذة وحرمة زائدة، فكان كما قيل فى المعنى :

ملك إذا قابلت بشر جبينه فارقته والبشر فوق جبينى
واذ التمت يمينه وخرجت من أبوابه لثم الملوك يمينى

وكان يتصرف فى أمور المملكة بحسبما يختار من ذلك ، فصار غيره متكلمًا فى أمور المملكة ، فالتفت لعود الملك الناصر فرج . فلما رأى ذلك المقر السعدى سعد الدين بن غراب اعلم الأمير يشبك الشعبانى بأن الملك الناصر عنده ففرح يشبك بذلك وأخذ فى أسباب ظهور الملك الناصر فرج .

فلما كان يوم الخميس ليلة الجمعة رابع جمادى الآخر من السنة المذكورة: ظهر الملك الناصر فرج من بيت سودون الحمزاوى فحضر إليه جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية لبسين آلة الحرب وصار الأمراء والعسكر فرقتين ، فرقة مع الملك الناصر فرج

---

(١) انظر المزيد فى : بدائع الزهور ١ / ٣٤٩ - ٣٥١ ، الضوء اللامع ٤ / ٢١٧

[ق ١٠٦ أ] [(١)] والـذى من عصبة الملك الناصر فرج الأمير يشبك الشعبانى الدوادار وجماعة عشـرة مـن الأمـراء وفـرقة مـع أخـيه عبد العزيز وكان من عصبة أخيه عبد العزيز الأتابكى بيـبرس والأمـير سـودون المحـمدى والأمـير إينال باى بن قجماس والأمير سودون الماردينى وجماعـة كـبيرة من الأمراء والمماليك السلطانية أكثر من هاتيك الفرقة التى مع عبد العزيز . فـثارت الحـرب بيـنهما ذلـك الـيوم إلى بعـد الظهـر، فانكسر الأتابكى بيبرس ومن معه من الأمـراء وانهـزموا وتعصـب الأمـير يشـبك الشـعبانى للملك الناصر فرج وطلع به إلى القلعة. وخلع أخاه الملك المنصور عبد العزيز وقبض على الأتابكى بيبرس وبقية الأمراء الذين تعصبوا علـيه فقـيدهم وأرسـلهم إلى السـجن بثغر الإسكندرية . وأما أخوه عبد العزيز فإنه دخل إلى دور الحـرم فأقـام بهـا إلى شـهر صـفر مـن سنة تسـع وثمانمائة فأخرجه إلى ثغر الإسكندرية ومعـه أخـوه سيدى إبراهيم بن الملك الظاهر برقوق فأقام بثغر الإسكندرية نحو أربعين يوما، ومات هو وأخوه إبراهيم فى شهر واحد، فقيل إن الملك الناصر أشعلهما فى خلوى.

فكانـت مـدة سـلطنة الملـك المنصور عبد العزيز بن برقوق بالديار المصرية شهرين وعشرة أيـام وتوفـى بالإسكندرية فى ليلة الاثنين سابع ربيع الأول من سنة تسـع وثمانمائة . ومات سـيدى إبراهـيم بعـده بأيـام قلائـل ونقلا بعد موتهما من الإسكندرية ودفنا عند والدهما فى البرقوقية التى فى الصحراء.

---

(١) سقطت من الناسخ

ذكر عود الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق

وهى السلطنة الثانية . فلما عاد الملك الناصر وجلس على سرير الملك أخلع على الأمير تغرى بردى واستقر به أتابكى العساكر بالديار المصرية وشرع فى مسك جماعة من مماليك أبيه الظاهرية .

وفى هذه **السنة وهى سنة ثمان وثمانمائة** : توفى أمير المؤمنين المتوكل على الله محمد ابن المعتضد بالله ، توفى ليلة الثلاثاء ثامن عشرين رجب من السنة المذكورة ، فكان مجموع خلافته من يوم خلعه وحبسه إلى أن مات نحو خمس وأربعين سنة ، وقيل جاءه من صلبه أكثر من مائة ولد ما بين ذكر وإناث ومسقوط، وتولى الخلافة من أولاده خمسة وهم العباس وداود وسليمان وحمزة ويوسف ، وقد تقدم ذلك عند ترجمة الخلفاء. ولما توفى المتوكل تولى ابنه العباس الخلافة وتلقب بالمستعين بالله .

ولما عاد الملك الناصر فرج إلى السلطنة هذه المرة . صار يقتل من مماليك أبيه جماعة كبيرة . وكان يذبح منهم بيده فى كل ليلة حسبما يختار من ذلك . حتى قيل إنه ذبح بيده نحو ألفين مملوك [ق ١٠٦ ب] غير ما قتل من الأمراء وغيرهم من الناس. وجرى له مع مماليك أبيه أمور يطول شرحها عن هذا المختصر، وكان معذوراً فى قتله لهم فإنه كان يسامح الواحد منهم المرة والمرتين والثالثة . ثم يعد رواية حتى كان يقول الملك المؤيد شيخ بعد موت الملك الناصر فرج ما صبر أحد كصبر الملك الناصر فرج على مماليك أبيه فإنه لم يقتل منهم أحدًا حتى يكون قد عصى عليه المرة والمرتين والثالثة .

ثم دخلت سنة تسع وثمانمائة:

فيها: ارتد الأمراء على الملك الناصر وعصوا عليه النواب، وصار حكمه ما يتجاوز إلى قطيا فى غالب الأمور ولا سيما عصى جكم العوصى بعد خروجه من السجن بثغر الإسكندرية، وبقى نائب حلب فخامر هناك وتسلطن بحلب وباسوا له الأرض فتلاشا أمر الملك الناصر إلى أن قتل جكم ولا يعرف من قتله، فإنه كان باغيًا ولكل باغ مصرع فعند ذلك تراجع أمر الملك الناصر قليلاً فمد يده فى قتل مماليك أبيه. وكان الأتابكى تغرى بردى يرجعه عن ذلك وهو لا يسمع له شيئًا.

فلما استقر تغرى بردى نائب الشام وخرج من مصر أسرف الملك الناصر فى القتل حتى جاوز الحد فى ذلك .

ثم دخلت سنة عشر وثمانمائة:

فمن الحوادث فيها: قد ظهر فى السماء بعد مغيب الشفق حمرة عظيمة من جهة الغرب. ثم اشتدت الحمرة حتى صارت كالنار الموقدة وكان وراء تلك الحمرة برق ساطع فصار كلما لمع حال للناظر أنها نار لا محالة. وانتشرت تلك الحمرة حتى كادت تغطى ثلث السماء، واستمر ذلك إلى نصف الليل فخاف الناس من ذلك. وتضرعوا إلى الله تعالى. فانكشفت تلك الحمرة قليلا قليلاً حتى انجلت وصبح الناس يتحدثون بما جرى فى تلك الليلة ، من عجائب صنع الله تعالى ذكر لذلك المقريزى .

ومن الحوادث فى أيام الملك الناصر فرج أيضاً قيل إن فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة كسر النيل المبارك أول يوم من مسرى وبلغت الزيادة فى تلك السنة اثنين وعشرين ذراعًا وأصبح من ثلاثة وعشرين ذراعًا فحصل للناس بذلك الضرر الشامل .وغرق أكثر البلاد والبساتين وانقطعت الطرق وهذا لم يسمع بمثله فيما تقدم. وفى معنى ذلك يقول بعضهم.

يارب أن النيل زاد زيادة أدت إلى هدم فرط تشتت

ما صره لوجه على عاداته فى دفعه أو كان بدفع بالتى

ومن هنا نرجع إلى أخبار الملك الناصر فرج فإنه استمر يذبح فى كل ليلة من المماليك بحسبما يختار، قيل كان يخرج بعد العشاء وهو سكران فيعرضون عليه المماليك وهم [ق ١٠٧ أ] فى جنازير فيذبح منهم بيده ما يختار. ثم بعد أن يذبحهم يقول هذا من؟ فيقولوا له: هذا فلان من الطبقة الفلانية فيدوس وجهه برجله وهو بالزربول. وقيل كان يبول على وجوههم. وذكروا عنه أشياء من هذه الأفعال الشنيعة يطول شرحها فعند ذلك نفرت منه القلوب وصارت المماليك تنسحب من الديار المصرية ويتوجهون إلى الأمير نوروز الحافظى والأمير شيخ المحمودى بالشام فالتف عليهما جماعة من النواب ومن المماليك السلطانية وقويت شوكتهما وصار الملك الناصر فرج كل يوم فى إدبار وانحطاط. فعند ذلك خرج إليهم هو والعساكر والأمراء وصحبته الخليفة العباسى والقضاة الأربعة. وقيل خرج فى هذه التجريدة وهو لابس آلة الحرب هو والعسكر وذلك فى أواخر سنة أربعة عشرة وثمانمائة وهى التجريدة الثالثة التى قتل فيها . فإنه خرج فى أول سلطنته إلى تنم الحسنى نائب الشام لما عصى وخرج إلى تمرلنك لما وصل إلى دمشق وجرى ما قد تقدم ذكره. وهذه التجريدة بسبب نوروز وشيخ لما أظهرا العصيان فلما وصل الملك الناصر إلى دمشق بقى

يتسحب من عسكره جماعة من المماليك السلطانية ويتوجهون إلى عند نوروز وشيخ. وقد اجتمع عندهما من الأمراء والنواب ما يزيد على عشرين أميراً مثل قرقماس المسمى بسيدى الكبير وبكتمر جلق وسودون المحمدى وشاهين الأقزم وطوغان الحنينى وغيرهم من الأمراء.

فلما وصل الملك الناصر إلى دمشق صار النواب والأمراء الذين خامروا يتوجهون كل يوم من بلد إلى بلد والملك الناصر فى أثرهم سوقاً هو والعسكر وقد انقطع من العسكر جماعة كثيرة من شدة السوق والتعب إلى أن بلغ هو والنواب فى مكان يعرف باللجون بالقرب من دمشق قد كبس الملك الناصر فرج وهو لا يعى من شدة السكر فكلمه الأمراء والقاضى فتح الله كاتب السر بأن ينزل هناك ساعة حتى يستريح العسكر ويريحوا خيولهم.

فلم يلتفت إلى شيء من ذلك ولا عبأ بكلامهم. وقال: أنا لى سنون انتظر هذا اليوم ومتى ما تهاونت ساعة، فهربوا متى قد كبس عليهم فهرب الأمير قجق أمير سلاح. وتوجه إلى شيخ ونوروز. فلما رأى بقية العسكر هذا الحال فلوا من حوله. وهو مع ذلك مصر على القتال فلم يكن إلا ساعة وقد انكسر الملك الناصر فرج وانهزم إلى نحو دمشق. فدخل إلى دمشق فى نفر قليل من المماليك الصغار نحو ثلاثمائة مملوك [ق ١٠٧ ب] وذلك فى ليلة الأربعاء خامس عشرين المحرم سنة خمسة عشرة وثمانمائة فبات تلك الليلة فى تربة تنم نائب الشام. ثم إن شيخ ونوروز استوليا على الخزائن والأطلاب وتوجها إلى دمشق ومعهما الأمراء والعسكر وقد انتصرا على الملك الناصر فرج وكسراه وفى ذلك يقول الشيخ تقى الدين ابن حجة من قصيدة

نثروا على اللجون نظم عساكر وأطاعهم فى النظم بحر وافر
وجميع هاتيك البغاة بأسرهم دارت عليهم بالفلوس دواير

فلما استقروا بالشام أحضروا الخليفة العباسى والقضاة الأربعة وعقدوا مجلس بسبب خلع الملك الناصر من السلطنة، ومن يتسلطن عوضه، ثم خلعوا الملك الناصر من السلطنة فأرسل الملك الناصر يطلب الأمان من الأمير شيخ فقبض عليه وقيده وحبسه بقلعة دمشق، ولو أن الملك التجأ إلى الأمير نوروز الحافظى لكان خيراً له لأنه كان صهره متزوجًا بأخت الملك الناصر ولكن التجأ إلى الأمير شيخ وخاف من الأمير نوروز والذى خاف منه وقع فيه ولما خلع الملك الناصر فرج من السلطة كتب محضرًا بأفعاله الشنيعة وقامت بذلك البينة

فحكم القضاة بقتله. فلما كانت ليلة السبت سادس شهر صفر من السنة المذكورة قتل الملك الناصر فرج بدمشق، قيل دخل عليه فداو به فقتلوه بالخناجر حتى مات. فلما مات ألقوه على مزبلة وهو عريان والناس ينظرون إليه. ثم بعد ثلاثة أيام غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه في مقبرة باب الفراديس بمدح المدحداح بدمشق ولو أمكن الأمراء والمماليك أن يحرقوه لحرقوه بالنار من قهرهم منه فكان كما قيل.

كأسا كان يسقى بها والمرء مجزى بأعماله

فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية، السلطنة الأولى بعد موت أبيه الملك الظاهر برقوق ست سنين وخمسة أشهر وعشرة أيام، السلطنة الثانية إلى أن خلع بدمشق ست سنين وعشرة أشهر وأحد عشر يوما * بمجموع ذلك أولا وثانيا ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر * ومات وله من العمر ست وعشرون سنة ، وخلف من الأولاد أربعة صبية وثلاث بنات وهم: سيدى خليل توفى بثغر الإسكندرية ونقل إلى مصر ودفن بالبرقوقية التى بالصحراء. وأما البنات فخوندا شقرا وخوند زينب وخونداسيه وكان الملك الناصر فرج شجاعاً بطلاً مقداماً لكنه كان مسرفاً على نفسه، منهمكاً [ق ١٠٨ أ] على اللذات، سفاكاً للدماء، قتل خلقاً لا يحصى عددهم إلا الله تعالى .

وكان صفته أبيض اللون يميل إلى الصفرة، أشهل العينين وافر الأنف. نحيف الجسد. معتدل القامة، مستدير اللحية . أشقر الشعر عربى الوجه. مهاب الشكل وكان عنده كرم زايد مع جهل عظيم .

ومما أنشأه فى أيامه وهو الجامع الذى بالحوش السلطانى بالقرب من الدهيشة والمدرسة التى تجاه باب زويلة والربعين التى كانت عند جامع الصالح وأماكن غير ذلك .

وقد انتهت أخبار الملك الناصر فرج على سبيل الاختصار من ذلك.

ذكر من توفى فى أيام دولته من الأعيان

وهم : الخليفة المتوكل على الله وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى قيل إنه أدرك دولة الملك الناصر فرج وتوفى بها وهو الأصح وقاضى القضاة الشافعى صدر الدين المناوى ومات أسيراً عند تمرلنك .

والقاضى جمال الدين الملطى الحنفى والقاضى بن الجلال المالكى والقاضى موفق الدين الحنبلى والصاحب فخر الدين بن مكانس والأمير شيخ الصفوى أمير مجلس كان قد توفى بالقدس والخواجا نور الدين بن الحزونى التاجر الكارمى والأمير قجماس النوروزى أحد الأمراء المقدمين والأمير سودون قريب السلطان الذى كان نائب الشام مات أسيرا عند تمرلنك وغيرهم. من أعيان الناس وأكابر العلماء والعقلاء والصلحاء.

٢٨ ـ ذكر سلطنة الخليفة المستعين بالله أبى العباس بن المتوكل على الله محمد بن المعتضد بالله بن المستكفى بالله بن الإمام الحاكم بأمر الله أحمد (١)

المفضل النسب إلى العباس رضى الله عنه، تسلطن بدمشق بعد خلع الناصر فرج بن برقوق فى يوم الاثنين من أوائل شهر صفر سنة خمسة عشرة وثمانمائة . فمن المؤرخين من عده من جملة ملوك مصر، ومنهم من عده من خلفاء أبى العباس، وهذا لم يتفق لخليفة قبله من بنى العباس بمصر قال بعضهم :

خليفتنا حاز الفخار بأسره ... وبأسره مجموع كل الناس
ولقد روى الضحاك عن تعزله ... والحصر فى الأعضاء عن العباس

وكان سبب سلطنته لما جرد الملك الناصر فرج إلى دمشق بسبب عصيان شيخ ونوروز كما تقدم ، فكان الخليفة العباس بصحبته والقضاة الأربعة : فلما انكسر الملك الناصر فرج وخلع ، عقد نوروز مجلساً فيمن يولونه السلطنة. فقال: نوروز لشيخ المحمودى لا أنا ولا أنت نتسلطن وأحق ما يتسلطن الخليفة وأكون أنا نائب الشام وأنت يا أمير شيخ أتابك

---

(١) انظر المزيد فى : تاريخ الخميس ٢ / ٣٨٤ ، بدائع الزهور ١/ ٣٥٧ ، الخطط ٢/ ٢٤٢ ، التبر المسبوك ٢٥ ، الضوء اللامع ٤ / ١٩.

العساكر بمصر ومدبر أمر المملكة . فاتفقا على ذلك وكان [ق ١٠٨ أ] القائم فى سلطنته الخليفة الأمير نوروز الحافظى . فرضى كل منهما بذلك وطلبا الخليفة ليسلطنوه فامتنع من ذلك غاية الامتناع فلازالا عليه حتى سلطنوه على كره منه، بعد أن شرط عليهم شروطا منها أنه إذا خلع من السلطنة يكون خليفة كما كان . فأجاباه إلى ذلك وأحضرا له خلعة السلطنة فلبسها وبأس الأمراء الأرض، واستقر الأمير نوروز نائب الشام. واستقر الأمير شيخ المحمودى أتابك العساكر ونظام المملكة، واتفقوا على أن نوروز نائب الشام يحكم من الشام إلى الفرات، ومن غزة إلى مصر يكون تحت حكم الخليفة وشيخ ووقع الأخبار على ذلك .

فلما تسلطن العباس وتم أمره فى السلطنة قصد التوجه إلى الديار المصرية فخرج من الشام فى عظمة زائدة وكلمة نافذة وأطاعه سائر الأمراء والعسكر ، فدخل إلى القاهرة وصحبته الأتابكى فطلع الخليفة إلى القلعة وسكن بها كعادة السلاطين وسكن الأتابكى شيخ باب السلسلة فكاتب الأمراء إذا فرغوا من خدمة القصر نزلوا إلى باب السلسلة وأعطوا الأتابكى شيخ الخدمة، ويقع بين يده الابرام والنقض والحل والعقد. وكان الأتابكى شيخ لا يمكن للخليفة من كتب العلامة على المراسيم والمياسير والمربعات إلا بعد عرضها عليه .واستمر الأمر على ذلك مدة إلى أن بدا للأتابكى شيخ أن يخلع الخليفة العباسى ويتسلطن هو ، فجمع القضاة الأربعة وكتب محضراً بأن الفساد قد كثر فى البر والبحر وزاد شر العربان فى البلاد، وخرجوا على الطاعة وصاروا ينهبون المغل من البلاد، وأن الوقت محتاج إلى إقامة سلطان تركى ليدفع الفساد وأن الأتابكى شيخ كفء لذلك، وشهد جماعة من الأعيان بذلك وكتبوا خطوطهم، فعند ذلك خلعوا الخليفة العباس من السلطنة من غير أن يوافق الخليفة على خلع نفسه ، فلازال شيخ يضيق عليه حتى خلع نفسه من السلطنة غصباً، واستمر بعد خلعه من السلطنة فى الخلافة وهو بالقلعة محبوساً بها إلى أن خلعه شيخ من الخلافة أيضاً.

وولى أخاه داوود ولقب بالمعتضد بالله وذلك فى سنة ستة عشرة وثمانمائة فى سادس ذى الحجة ، وكان العباس عهد بالخلافة إلى ولده يحيى فلم يمض له شيخ ذلك وولى أخاه داوود وأرسل العباس الذى تسلطن إلى السجن بثغر الإسكندرية فأقام بها إلى أن مات فى دولة الأشرف برسباى فأخرجه من السجن وأسكنه فى بيت من بيوت الإسكندرية ودام

هـناك إلى أن مـات فـى يـوم الأربعـاء حـادى عشـرين جمـادى الأخـرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة [ق ١٠٩ أ] وذلك فى الوباء الذى كان فى تلك السنة.

وكانـت مدة سلطنة الخليفة العباس بمصر ستة أشهر إلا أياماً وكانت مدته فى الخلافة دون السـلطنة ثمـانى سـنين وكـان ليس له فى السلطنة مع وجود شيخ إلا مجرد الاسم فقط والأمر كله للأتابكى شيخ .

ومـن الحـوادث فـى أيامه ذكر الشيخ شهاب الدين بن حجر العسقلانى فى تاريخه فى سـنة سـتة عشـرة وثمانمائـة تـولى قاضـى القضـاة الحنفى صدر الدين بن المجلامى الحسبة الشـريفة مضافة لما مده من قضائه القضاة الحنفية . وهو أول من جمع بين القضاء والحسبة ولم يسمع مثل ذلك فيما تقدم من الدول الماضية .

٢٩ـ ذكر سلطنة الملك المؤيدى شيخ بن عبد الله المحمودى الظاهرى(١)

وهـو الـثامن والعشـرون مـن ملـوك الـترك وأولادهـم بالديـار المصرية، والرابع من ملوك الجراكسـة، وأصـله من مماليك الملك الظاهر برقوق اشتراه من الخواجا محمود شاه وأعتقه. ثم صار "خاصكيًا"، ثم بقى "سـاقيًا"، ثم بقى أمير عشرة، ثم بقى أمير أربعين ، وسـافر إلى الحجـاز أمـيراً ، وفى سنة إحدى وثمانمائة بقى مقدم ألف فى دولة الملك الناصر فرج ، ثم تولى نيابة طرابلس وأسره تمرلنك كما تقدم مع من أسر من النواب، فهرب منه ووقع له فى أيـام الناصـر فـرج أمـور شتى ومحن عظيمة، وحبسه الملك الناصر فى خزانة شمايل. فأقام بها مدة وأقام فى عجاج وعصيان فى بلاد الشامية حتى مضى أكثر عمره إلى أن كان من أمر الناصر فرج ما تقدم ذكره .

وتسلطن الخليفة العباس فيظى شيخ أتابك العساكر ونظام المملكة بمصر ثم خلع الخليفة وتسـلطن عوضـه وذلك فى يوم الاثنين مستهل شهر شعبان سنة خمسة عشرة وثمانمائة وفى ذلك يقول ابن كميل ناصر الدين:

تسلطن الشيخ وزال العنا   فالناس فى بشر وتيه وفنج
فـلا تقـاتل بصـبى ولا   تلق به جيشا وقاتل بشيخ

---

(١) انظر المزيد فى : شذرات الذهب ٧/ ١٦٤ ، الضوء اللامع ٣/ ٣٠٨ ، بدائع الزهور ٢/ ٢

فلما تسلطن تلقب بالملك المؤيد ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعاء، فلما بلغ نوروز الحافظى بأن شيخ خلع الخليفة من السلطنة وتسلطن عوضه ، فشق ذلك عليه وخرج على الطاعة وأظهر العصيان، فإن نوروز حلف لشيخ وشيخ حلف لنوروز على المصحف بأن أحداً منهما لم يتسلطن وأن الخليفة يكون هو سلطانًا، فلما خان شيخ اليمين وخلع الخليفة وتسلطن فعز ذلك على نوروز وخرج على الطاعة واستمر يدعو للخليفة العباس بدمشق وأعمالها.

ثم دخلت سنة ستة عشرة وثمانمائة:

فيها: ظهر بالقاهرة شخص يدعى أنه يصعد إلى السماء [ق ١٠٩ ب] ويشاهد النهار ويحل علا ويكلمه واعتقد جماعة كبيرة من العوام ، فعقد له مجلس وحضر فيه القضاة الأربعة، فحكم القاضى المالكى بقتله بشهادة اثنين بأنه حاضر العقل، فشهد الجماعة من أهل الجهة بأنه مختل العقل، فسجن.

وفى أيام المؤيد شيخ تولى الحسبة الشريفة منكلى بغا وهو أول من تولى الحسبة من الأتراك بمصر، ولما أظهر نوروز العصيان جرد إليه الملك المؤيد شيخ فى سنة سبعة عشرة وثمانمائة، فحصن نوروز كثير دمشق . فلما وصل المؤيد شيخ إلى دمشق حاصر نوروز أشد المحاصرة ونصب مناجنيق على دمشق واستمر حصارها حتى ضجر نوروز ، ومن ذلك وصل من شيخ الأمان وسلم نفسه بعد أمور جرت بينهما يطول شرحها عن هذا المختصر، وآخر الأمر قتل نوروز بقلعة دمشق وقطعت رأسه وجاء به إلى القاهرة وعلق على باب زويلة ثلاثة أيام.

وفيها: أنشد الشيخ تقى الدين بن حجة الشاعر، السبب أنشد إلىّ مولانا السلطان الملك المؤيد شيخ أعز الله أنصاره قصيدة، وقد كسر النيل فى مسرى من شهور القبط فتبعه فى يوم الكسير أن نوروز قد وصل أوائل عسكره إلى نيل وهو قاصد نحو الديار المصرية فكان ما أنشد به ومن هذه الأبيات:

أيا ملكا بالله صار مؤيدا ومنتصبا فى ملكه نصب تمييز
كسرت بمسرى سدّ مصر وتنقضى وحقك بعد الكسر أيام نوروز

وكان الفأل بالمنطق وكسر نوروز تلك السنة لما توجه إليه الملك المؤيد. فلما قتل نوروز أخلع السلطان على الأمير قايتباى المحمدى واستقر به نائب الشام، وأخلع على الأمير

إينال الصصلانى واستقر به نائب حلب واخلع على الأمير سودون من عبد الرحمن واستقر به نائب طرابلس وأخلع على الأمير بابى بك البجاسى واستقر به نائب حماة، ومهد البلاد الشامية وقصد التوجه إلى نحو الديار المصرية ورجع إلى مصر وهو فى غاية النصر، فلم تمض عليه سنة حتى جاءت الأخبار بأن النواب المذكورين عصوا أجمعين فخرج إليهم بنفسه ثانياً وتحارب معهم، فقبض على إينال الصصلانى نائب حلب وعلى قانباى المحمدى نائب دمشق وقطع رأسيهما وهرب من بقى من النواب إلى عند قرايوسف أمير التركمان.

ثم إن الملك المؤيد استقر بجماعة أمراء نواب البلاد الشامية والحلبية. ومهد البلاد ورجع إلى الديار المصرية ولم يمض دون السنة من هذه العجيبة حتى جاءت الأخبار بأن النواب عصوا أجمعين فخرج إليهم بنفسه ثالثاً وقتل منهم جماعة كثيرة، ومهد البلاد ورجع نحو الديار المصرية وبقى [ق ١١٠ أ] له بعد ذلك الوقت وعاش فى أرغد عيش، وكان لا يبرح القلعة إلا قليلاً بل غالب أيامه كان فى بولاق عند القاضى ناصر الدين بن البارزى كاتب السر وكان يعمل الموكب هناك فى البارزية التى فى بولاق. وكان إذا أوفى النيل توجه إلى المقياس ويخلعه وينزل إلى الذهبية ويكسر السد كما كان يفعل أستاذه الملك الظاهر برقوق. وكان فى يوم الوفاء يأمر كل أمير مقدم ألف بأن يزين حراقه بالسناجق والسلاح والكوسات، وكان له كل موكب فى يوم الوفاء لم يسمع بمثله. وكان فى بعض الأوقات يعوم فى البحر فى بولاق مع أخصائه ويقول " فلكم القيم صلوا " وكان يميل إلى اللهو والطرب ويقرب أرباب الآلات والمعانى، وكانت أرباب القبول تلتهى عنده فتوسم لجودة فهمه وحسن معرفته بالنسبة إلى غيره من أبناء جنسه وكان ينظم الشعر ويركز الفن وإلى الآن أقواله دائرة بين المعانى ويقولون هذا من نظم الملك المؤيد شيخ. ومما يحضرنى من نظمه وهو قوله من أبيات نظمه.

قتلتنا سوالف وخدود   وعيون بسواعس وقدود
أسرتنا الظبا وهن بقانين   وخضعنا بها ونحن الأسود

إلى أن نصل إلى الاستشهاد باسمه يقول فى ذلك .

وأنا الخاصكى وشيخ المؤيد   نظم شعرى جواهر وعقود

وكان معظماً للشريعة محباً للعلماء والفقهاء، ثم إنه شرع فى إنشاء الجامع المؤيدى الذى هو داخل باب زويلة وكان بناؤه فى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة وكان هذا المكان قديماً

سجناً يحبسون فيه أصحاب الجرائم يسمى خزانة شمايل، وقد تقدم سبب ذلك فى أول التاريخ فى دولة بنى أيوب، وكان الملك المؤيد شيخ من جملة من حبس فيها فنذر على نفسه أن بقى سلطاناً يهدم ذلك ويبنى مكانه جامعًا فكان الأمر كذلك، وبنى ذلك جامعاً وقد تناهى فى زخرفه ورخامه وأبوابه وسقوفه، حتى قيل ما بنى بمصر مثله ومثل مدرسة السلطان حسن، وأودع فيه من الكتب النفيسة أشياء كثيرة وقرر فيه حضوراً من بعد العصر وطلبه ، وقرر الشيخ شمس الدين الديرى الحنفى شيخ الحضور قيل إنه أول ما حضر فى الجامع ، حضر العلماء والفقهاء والسلطان المؤيدى فخرج الشيخ شمس الدين الديرى من الخلوة والمقر الصارمى إبراهيم ولد السلطان الملك المؤيد حامل سجادة الشيخ شمس الدين وفرشها له فى المحراب وملأ السلطان فى ذلك اليوم الفسقية التى فى صحن الجامع سكراً وماء ليمون [ق ١١٠ ب] ووقف رءوس النواب يفرقون على الناس السكر بالطالسات، وأخلع السلطان فى ذلك اليوم خلعاً كثيرة على مشيدين العمارة والمهندسين لكل واحد خلعة ولما بنوا مأذنة هذا الجامع مالت عندما كمل بناؤها فأمر السلطان بهدمها فهدمت وأعيدت ثانياً وقد تداعب فى هذه الواقعة قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر.

لجامع مولانا المؤيد رونق   منارته تزهوا من الحسن والدين
يقول وقد مالت عليهم ترفقوا   فليس على هدمى أضر من العين

فأجاب عن ذلك القاضى بدر الدين العينى فقال :

منارة كعروس الحسن قد جليت   وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا اطلت بعين قلت ذا غلط   ما اوجب الهدم إلا حنتة الحجر

ومما قيل فيها أيضاً :

منارة لبواب الله قد بنيت   فكيف هذه فقالوا توضح الخيرا
أضاءت العين أحجار بها ايفلقت   ونظرة العين قالوا تفلق الحجرا

وقال الشعراء فى ذلك مداعبات كثيرة ، ولما كان أول جمعة خطبت فى هذا الجامع حضر القضاة وأعيان الناس وأكابر العلماء وسائر الأمراء فخطب القاضى ناصر الدين بن البارزى فيه وكان يوماً مشهوداً .

قال الشيخ شهاب الدين بن حجر فى تاريخه : فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة فى دولة الملك المؤيد الشيخ ولدت بمدينة بلبيس جاموسة مولودًا له رأسان وأربع أيد وسلسلتا ظهر ودبر واحد ورجلان اثنتان لا غير وفرج واحد وذنب مفروق باثنين ، فجاءت إلى القاهرة وشوهدت وعاشت أياماً ثم ماتت ، فكانت من بديع صنع الله تعالى.

ومن العجائب ما ذكره أيضاً فى **سنة خمس وعشرين وثمانمائة**: ولدت المصونة فاطمة بنت الشيخ جلال الدين البلقينى ولداً له ذكر وفرج وله يدان زائدتان فى كتفه وفى رأسه قرنان كقرنى الثور فأقام ساعة ومات، وهذا أيضاً من العجايب.

ومن العجائب ما ذكره أيضاً: أن فى **سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة** ذبح بمدينة غزة جمل فأضاء لحمه كما يضىء الشمع فى الليل وقيل رمى من لحمه لكلب قطعة فلم يأكلها، وهذا من العجائب أيضاً.

ومن هنا نرجع إلى أخبار المؤيد شيخ فإنه أقام فى المملكة إلى أن قوى عليه ألم المفاصل، وصار مقعداً فكان يحمل على الأكتاف وينقلونه إلى الأماكن فى محفة ، ثم إنه قوى عليه الألم وسلسل فى [ق ١١١ أ] المرض ولزم الوسادة مدة طويلة حتى مات فى يوم الاثنين تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة ودفن فى جامعه الذى أنشأه داخل باب زويلة، ومات وله من العمر نحو إحدى وستين سنة، وخلف من الأولاد ثلاثة وهو المظفر أحمد الذى تسلطن بعده، وبنتين إحداهما زوجة الأتابكى قرقماش الشعبانى والأخرى زوجة الأمير يشبك الفقيه الدوادار وهى أم ولده سيدى يحيى، فكانت مدة سلطنة الملك المؤيد شيخ بالديار المصرية ثمانى سنين وخمسة أشهر وثمانية أيام. وكان ملكاً جليلاً مهاباً عارفاً بأمور المملكة ثابت العقل مقداماً، وله فى الحرب محايد وخيل وبيات عظيم ، وكان كريماً على من يستحق الكرم، بخيلاً على من يستحق البخل، وكان يضع الشىء فى محله، وكانت دولته ثابتة القواعد، وهو الذى انشأ القاضى عبد الباسط بن القرشى خليل والقاضى علم الدين الشهير بابن الكويز ناصر الدين بن البارزى والقاضى ابن مزهر الكبير والد القاضى كاتب السر الزينى أبو بكر، وأنشأ التاج الذى كان والى القاهرة وأنشأ جماعة كبيرة حضروا صحبته من البلاد الشامية إلى الديار المصرية فرمهم وأعطاهم الوظائف السنية حتى صاروا من أعيان أكابر الدولة بالديار المصرية ، وكان الملك المؤيد ناظراً إلى فعل الخير كثير البر والمعروف، وله أوقاف كثيرة على جهات بر وصدقة، وله آثار كثيرة بالديار المصرية منها

المدرسة التى أنشأها مكان الأشرفية القديمة التى هدمت فى دولة الناصر فرج ، ومنها الجامع الذى عند المقياس المطل على بحر النيل والمدرسة الجروبية التى بين الجيزة، وأمر فى أيامه بترميم عمارة التاج والسبع وجوه التى كانت قديماً من متنزهات القاهرة والآن قد هدمت فى دولة الظاهر جقمق وله غير ذلك آثار كثيرة ، فهذا بما عد من محاسنه .

وأما ما عد من مساوئه فقد ذكر المقريزى عنه أشياء كثيرة ، فمنها أنه كان جهورى الصوت وذا كرش كبير واسع العينين أشهل اللحية كثير بياض الشعر بلحيته.

ومنها أنه كان سفاكاً للدماء، ومنها أنه كان يكبس البيوت بسبب الرخام الذى صنعه فى جامعه ، وأخذ العامود السماقى الذى فى محراب المؤيدية من جامع قوصون وأخذ الباب الذى على مدرسة السلطان حسن والتنور الكبير النحاس وجعلها فى جامعه واعطاً فيها هنا بخساً . ومنها أنه أحدث فى أيامه أشياء كثيرة من وجوه الظلمة. بسبب التجاريد التى جردها نحو البلاد الشامية لما عصى عليه النواب، وصادر لليهود [ق ١١١ ب] والنصارى . ومنها أنه قيل عنه بأنه أسفا ولده سيدى إبراهيم فمات ، وذكر عنه المقريزى أشياء شنيعة السكوت عنها أجمل. وقد انتهت أخبار الملك المؤيد شيخ على سبيل الاختصار من ذلك .

ذكر من توفى فى أيامه من الأعيان

وهم: القاضى برهان الدين بن روعه والشيخ جمال الدين بن ظهير عالم مكة والشيخ مجد الدين الشيرازى والشيخ خلف النحريرى من كبار المالكية، والشيخ شمس الدين النباتى من كبار الحنفية والشيخ عز الدين بن جماعة وابن هشام العجمى والقاضى ناصر الدين بن البارزى والقاضى كاتب السر فتح الله مات خنقا والقاضى جلال الدين بن البلقينى ولما مات جلال الدين البلقينى قال الشيخ شهاب الدين بن حجر مداعبة لطيفة .

مات جلال الدين قالوا ابنه يخلفه أو فالأخ الكاشح
فقلت تاج الدين لا لائق بمنصب الحكم ولا صالح

وتوفى غيرهم وجماعة كثيرة من أعيان العلماء والصلحاء فى أيامه.

٣٠ـ ذكر سلطنة الملك المظفر أبو السعادات أحمد
ابن الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهرى [1]

تسلطن بعد موت أبيه الملك المؤيد شيخ فى يوم الاثنين تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، وكان له من العمر لما تسلطن سنة وثمانية شهور وسبعة أيام. وأمه خوند سعادات بنت الأمير صرغتمش [الناصرى] وهو التاسع والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية . وهو الخامس من أولاد الجراكسة .

ولما تسلطن صار الأمير ططر أمير مجلس ومدبر المملكة ووصى على الملك المظفر أحمد. ولما بايعه الخليفة اشترط على ططر بأنه هو الذى يكون قائماً بمصالح المسلمين وذلك لكون الأتابكى ألطنبغا القرمشى كان غائباً فى التجريدة هو وجماعة من أمراء فى البلاد الشامية ، فتعصب المماليك المؤيدية لابن أستاذهم وسلطنوه ، وصار ططر فى يدهم مثل اللولب يديرونه كيف شاءوا، فصار ططر يرضيهم بالإقطاعات والوظائف السنية. فاستقر بالأمير على باى المؤيدى دواداراً كبيرًا، وكان أمير عشرة ، واستقر بالأمير تغرى بردى من قصروه أمير آخور كبير، وكان أمير عشرة وغيرهما وجماعة كثيرة من المؤيدية وأرضاهم بكل ما يختارونه . ثم جاءت الأخبار من البلاد الشامية بأن الأمير جقمق الأرغون شاوى نائب الشام خامر وخرج على الطاعة وكذلك يشبك المؤيدى نائب حلب وبقية النواب، ووقع فى البلاد الشامية فى تلك الأيام فتن وحروب عظيمة وانكسر الطنبغا القرمشى وهرب إلى نحو صرخد. ثم إن الأتابكى الطنبغا [ق ١١٢ أ] القرمشى تحايل وجمع عربان وعشير ورجع إلى دمشق وتحارب مع جقمق نائب الشام، فكسر جقمق وهرب وملك ألطنبغا القرمشى دمشق وقلعتها وحصنها، فلما بلغ الأمير ططر هذه الأخبار جرد وخرج من القاهرة وأخذ معه السلطان المظفر أحمد فى محفة معه المرضعة وأمه خوندة.

فلما وصل إلى دمشق خرج إليه الأتابكى ألطنبغا القرمشى وهو طايع وقبل الأرض للملك المظفر وهو فى المحفة ، فلما استقر ططر فى دمشق قبض على ألطنبغا القرمشى وعلى جقمق الأرغون شاوى نائب الشام وقتلهما خنقا . ثم من بعد ذلك صفا للأمير ططر الوقت والتفت عليه بحشداشينه الظاهرية وأخذ فى أسباب مسك جماعة من المؤيدية. فقبض فى يوم

---

(١) انظر المزيد فى : بدائع الزهور ٢/ ١٠ ، الضوء اللامع ١ / ٣١٣ .

واحد على جماعة منهم ما يزيد على أربعين إنسانًا ما بين أمراء ومماليك وحبسهم فى قلعة دمشق وفرق إقطاعاتهم على حشداشينه.

فلما قويت شوكة ططر خلع المظفر أحمد من السلطنة وتسلطن عوضه بدمشق فى يوم الجمعة تاسع عشرين شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة . وكان ططر من حين عصى الأتابكى ألطنبغا القرمشى استقر أتابك العساكر ونظام المملكة وتزوج بخوند سعادات أم الملك المظفر أحمد ، فلما خلع المظفر أحمد من السلطنة طلق ططر خوند سعادات . فلما تسلطن ططر فى دمشق وصفا له الوقت قصد التوجه إلى نحو الديار المصرية فدخل إلى القاهرة وصحبته الملك المظفر أحمد فى محفة ، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً وحملت على رأسه القبة والطير ولعبوا قدامه بالقواشى الذهب. فلما طلع إلى القلعة أرسل المظفر أحمد إلى السجن بثغر الإسكندرية فأقام بها إلى أن مات بالطاعون فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فى دولة الملك الأشرف برسباى ، ونقل من الإسكندرية بعد موته ودفن مع أبيه الملك المؤيد فى الجامع المؤيدى فكانت مدة سلطنة الملك المؤيد شيخ بالديار المصرية سبعة أشهر وعشرين يوماً ، وكان المظفر أحمد حسن الوجه غير أنه بعينه حول فاحش حصل له عندما أجلسوه على تخت المملكة حين دقت الكوسات على غفلة فارتجف من ذلك ، وحصل له هذا الحول بعينه من الرجفة . فهذا ما حصل له من فائدة السلطنة وأخر الأمر سجن إلى أن مات فى السجن ، وقد دخل مماليك أبيه فى حظيته بتعصبهم له حتى سلطنوه وهذا آخر ما انتهى إلينا من أخباره .

وفى هذه السنة . وهى سنة أربع وعشرون وثمانمائة: استمرت زيادة النيل إلى آخر هاتور فحصل بذلك الضرر الشامل وغرق فى تلك السنة [ق ١١٢ ب] زروع كثيرة وبساتين وتخربت الأرض فى تلك السنة من زيادة النيل، وفى ذلك يقول بعض الشعراء.

يا نيل يا ملك الأنهار قد شربت   منك البرايا شرابا طيبا وغذاءه
وقد دخلت القرى تنعى منافعها   فعمها بعد فرط النفع منك أذاه
فقال تذكر عنى أننى ملك   وتنتنى ناسيا أن الملوك أذاه

وقيل فى آخر دولة الملك المؤيد شيخ توفى ولى الدين العراقى وهو من كبار الشافعية والشيخ شمس الدين الديرى وهو من كبار الحنفية وقيل بل ادركا أوائل دولة الأشرف برسباى والله أعلم بذلك .

٣١ ـ ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين أبى سعيد ططر الظاهرى الجركسى[١]

وهو الثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو السادس من ملوك الجراكسة وأولادهم. وأصله من مماليك الظاهر برقوق اشتراه وأعتقه وجعله من جملة المماليك السلطانية ثم إنه التف على جكم العوضى نائب حلب، لما تسلطن جكم بحلب فى دولة الناصر فرج، فلما قتل جكم ولا يعلم من قتله ، فالتف ططر على شيخ ونوروز الحافظى ودام معهما إلى أن قتل الناصر فرج وتسلطن الخليفة العباس. فبقى ططر أمير عشرة، ثم بقى أمير أربعين، ثم بقى مقدم ألف فى دولة المؤيد شيخ ، ثم انتقل بعد ذلك بقى رأس نوبة النواب، ثم بقى أمير مجلس كل ذلك فى دولة المؤيد شيخ . فلما مات الملك المؤيد كان الأتابكى ألطنبغا القرمشى غائباً فى التجريدة فى البلاد الشامية لما عصى النواب، فلما تسلطن الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ صار ططر نظام المملكة وجرد إلى الشام وصحبته الملك المظفر فى محفة والمرضعة معه. فلما دخل إلى دمشق قبض على الأتابكى ألطنبغا القرمشى وقجقار القردمى أمير سلاح وقبض على نائب الشام ونائب حلب وقتلهما بقلعة دمشق فعند ذلك عظمت شوكة ططر والتف عليه حشداشينه فقبض على جماعة كثيرة من المؤيدية، وحبسهم فى قلعة دمشق، فعند ذلك خلع المظفر أحمد وتسلطن عوضه . فعند ذلك تسامع حشداشينه الذين كانوا هربوا من الملك المؤيد شيخ وتفرقوا فى بلاد الشرق. فلما سمعوا بسلطنة ططر حضروا إليه والتفوا عليه فعند ذلك توجه ططر من دمشق إلى الديار المصرية فمرض فى أثناء الطريق فوصل إلى القاهرة وهو محسنك فى بدنه فطلع إلى القلعة فى موكب عظيم كما تقدم، فجلس على سرير الملك وحكم بين الناس عدة مواكب، ثم إنه ثقل فى المرض ولزم الفراش إلى أن مات فى يوم الأحد رابع ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وكان له [ق ١١٣ أ] من العمر لما مات نحو أربعة وخمسين سنة، ودفن بالقرافة الكبرى بجوار قبر الإمام الليث بن سعد رضى الله عنه . فكانت مدة سلطنته بالشام وبمصر ثلاثة أشهر وأيامًا بما فيها من توعكه وانقطاعه، ومات وقد تحمل فى هذه المدة اليسيرة ألم من قتله من الأمراء والمماليك المؤيدية، وقد مهد لغيره ثم إنه لما مرض عهد

---

(١) انظر المزيد فى : مورد اللطافة ١١٥ - ١١٦ ، بدائع الزهور ٢ / ١٣ .

بالسلطنة إلى ولده المقر الناصر محمد وجعل الأتابكى جانى بك الصوفى وصى على ولده ومدبر مملكته فلم يتم له هذا الأمر.

٣٢ـ ذكر سلطنة الملك الصالح ناصر الدين محمد بن أبى السعادات ابن الملك الظاهر ططر (١)

تسلطن بعد موت أبيه فى يوم الأحد رابع ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة وتسلطن وله من العمر نحو إحدى عشرة سنة ، وهو الحادى والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، وهو السابع من أولاد الجراكسة. فلما تم أمره فى السلطنة صار الأتابكى جانى بك الصوفى مدبر المملكة وصاحب الحل والعقد فوقع بينه وبين الأمير برسباى الدقماقى الدوادار الكبير والأمير طراباى الظاهرى حاجب الحجاب فوثبوا على الأتابكى جانى بك الصوفى فى يوم عيد النحر فى السنة المذكورة فاتقع معهم الأتابكى جانى بك فانكسر جانى بك الصوفى وقبض عليه برسباى فى ذلك اليوم وأرسله إلى السجن بثغر الإسكندرية ، وصار الأمير برسباى هو المتكلم فى المملكة ثم وقع بينه وبين الأمير طراباى حاجب الحجاب فقبض عليه برسباى وأرسله إلى السجن بثغر الإسكندرية فعند ذلك قويت شوكة برسباى وانحصرت الكلمة فيه، فتعصب له جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية وخلعوا الملك الصالح محمد بن ططر بمصر ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوم، ليس له فى السلطنة إلا مجرد الاسم فقط. ولما خلع من السلطنة دخل إلى دور الحكم عنه أمه خوند بنت سودون الفقيه، واستمر على ذلك وهو مقيم بالقلعة وزوجه الملك الأشرف برسباى بنت الأتابكى يشبك الأعرج وكان يركب فى بعض الأحيان وينزل إلى القاهرة مع المقر الناصرى محمد بن الأشرف برسباى ، وتوفى فى حياة والده واستمر ابن ططر على ذلك حتى توفى وهو بالقلعة فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فى الفصل الذى جاء فى أيام الأشرف برسباى وتوفى فى ليلة الخميس ثانى عشرين جمادى الآخرة. مات وله من العمر نحو عشرين سنة وكان عنده بعض تبهلله فكان يسمى الفرس " البوز" الفرس الأبيض وقال له بعض خدامه " لا تقل الفرس الأبيض، وقل الفرس البوز" [ق ١١٣ ب] فحفظ منه ذلك

---

(١) انظر المزيد فى : بدائع الزهور ٢/ ١٣ ، الضوء اللامع ٧ / ٢٧٤

فطلب يوماً سلطانية صينى أبيض فقال: هات السلطانية البوز". فنهره بعض الخدام ونهاه عن ذلك فقال: " لا لتى علمنى ذلك " وكان له من هذا النوع أشياء كثيرة . فكان كما قيل.

فى الناس من تسعده الأقدار وفعـــله جميعـــه إدبــــار

٣٢ـ ذكر سلطنة الملك الأشرف سيف الدين أبى النصر برسباى الدقماقى الظاهرى(١)

وهـو الـثانى والـثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية . وهو الثامن من ملوك الجراكسة. قيل جليه بعض التجار إلى البلاد الشامية فاشتراه الأمير دقماق المحمدى نائب ملطية مع جملة مماليك الأطناق بطبقة الزمامية. وكان أغاته جركس القاسمى المصارع . ثم إن الملك الظاهر اعـتقه ثـم بقـى فـى دولـة الناصر فرج ساقياً ثم التف على شيخ ونوروز لما عصيا. فلما بقى المؤيد شيخ سلطاناً جعله أمير عشرة، ثم بقى أمير طلبخاناه، ثم بقى مقدم ألـف، ثم تولى نيابة طرابلس، ثم مسك وحبس وسجن فى المرقب مدة. ثم أطلق وأنعم عليه بـتقدمة ألـف بدمشق ثم قبض عليه الأمير جقمق الأرغون شاوى نائب الشام بعد موت المؤيد شـيخ وسـجنه ثـم أطلقـه ططر لما كان بدمشق.فلما تسلطن ططر حضر معه إلى الديار المصرية فاسـتقر بـه دوادارًا كـبيرًا عوضـاً عن الأمير على باى المحمدى. ثم استمر على ذلك إلى أن مات ططر فوقع بينه وبين الأتابكى جانى بك الصوفى فى دولة الملك الصالح محمد بن ططر فقـبض على جانى بك الصوفى وسجنه فعند ذلك خلع الملك الصالح محمد بن ططر وتسلطن فى يوم الأربعاء ثامن ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين وثمانمائة .

فلما تسلطن لبس خلعة السلطنة وحملت على رأسه القبة والطير وباس له الأمراء الأرض وجلـس عـلى سـرير الملـك. فلما تم أمره فى السلطنة عمل الموكب وأخلع على من يذكر فيه مـن الأمـراء أربـاب الوظائف وهم الأتابكى يلبغا المظفرى أتابك العساكر على عادته. وأخلع عـلى الأمـير قجمق واستقر أمير سلاح وأخلع على الأمير آقبغا التمرازى واستقر أمير مجلس وأخلـع عـلى الأمـير سـودون مـن عـبد الـرحمن واسـتقر به دوادارًا كبيرًا وأخلع على الأمير قصـروه مـن عـثمان واسـتقر بـه أمير أخور كبير وأخلع على الأمير جقمق العلاى واستقر به

---

(١) انظـــر المـــزيد فى : الضوء اللامع ٣ / ٨ ، بدائع الزهور ٢/ ١٥، تاريخ المماليك ١٣٣، تاريخ الكعبة ١٤١ .

حاجب الحجاب وأخلع على الأمير أزبك المحمدى واستقر رأس نوبة النواب وأخلع على الأمير تانى بك البجاسى واستقر به نائب الشام وأخلع على مملوكه جانى بك واستقر به [ق ١١٤ أ] دوادارًا ثانيًّا وعظم أمر جانى بك فى دولة انشاده إلى الغاية وهو صاحب المدرسة التى بالقرب من المنجبية وله بر ومعروف على جهات الصدقات. ومات فى أثناء دولة أستاذه الأشرف، وخلع على التاج واستقر به والى القاهرة ، فهذا كان ترتيب الأمراء أرباب الوظائف فى صدر دولته. ثم انقلب من بعد ذلك الوظائف إلى جماعة كثيرة من الأمراء وأنعم بتقادم ألوف على جماعة كبيرة من الأمراء فى أيامه. وأخلع على القاضى عبد الباسط واستقر به ناظر الجيوش المنصورة مع ما بيده من الوظائف السنية ورق أمر القاضى عبد الباسط فى دولة الأشرف برسباى. وصار صاحب الحل والعقد فى أيامه حتى أطلق عليه عظيم الدولة وصار مملوكه جانى بك أستادار العالية فى دولة الأشرف برسباى واستقر بجماعة كبيرة من المباشرين كل واحد فى وظيفة من الوظائف وكذلك القضاة الأربعة وتم أمره فى المملكة وطالت أيامه فى السلطنة وحسنت أوقاته بها وراقت الدنيا فى أيامه من الفتن وخمدت الحروب التى كانت قائمة بالديار المصرية .

ومن الحوادث اللطيفة فى أيامه: أن النيل المبارك أوفى فى ثامن عشر أبيب من شهور القبط وذلك فى سنة ست وعشرين وثمانمائة وهذا لم يسمع بمثله فيما تقدم من السنين الماضية. وقد قال بعض الشعراء فى المعنى .

لما وفا بابيب عاجل نيلنا   عم البلاد وللروانى طفقا
تسروا القلوع وبشروا بوفائه   فالراية البيضاء عليه بالوفا

ومن الحوادث فى أيامه: أن الأتابكى جانى بك الصوفى هرب من السجن بثغر الإسكندرية وجرى بسببه على الناس ما لا خير فيه وخربت بسبب ذلك دور من أعيان الناس.

ثم إن جانى بك الصوفى ظهر فى بلاد الشرق وأقام هناك مدة، ثم إن جماعة من التركمان قطعوا رأسه وأرسلوها إلى القاهرة وطافوا به وعلقوه على باب زويلة ثلاثة أيام .

ومن الحوادث فى أيامه : أنه جرد العساكر إلى مدينة قبرص فأعطاه الله النصر وفتحها وأسر ملكها وكان يوم دخولهم إلى القاهرة يوماً مشهوداً وأدخلوا الفرنج وهم فى جنازير وملكهم راكبًا وعليه آلة الحرب وذلك فى سنة تسع وعشرين وثمانمائة وإلى الآن جردة ملك الفرنج معلقة فى المدرسة الأشرفية التى بالقرب من باب الرهومة.

ومـن الحوادث فى أيامه : جاء فناء عظيم بمصر حتى قيل: كان يخرج من القاهرة فى كـل يـوم نحـو أربعـة وعشـرين ألف [ق ١١٤ ب] جنازة فضج الناس من ذلك فرفعه الله تعالى بالطف فى ليلة واحدة وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة.

ومـن الحـوادث فـى أيامـه: أن السـلطان جـرد إلى آمـد وتوجـه إليها بنفسه هو والأمراء والعسـكر قاطبة، وكان صحبته أمير المؤمنين المعتضد بالله داود والقضاة الأربعة، وكان سبب خـروج الملـك الأشـرف برسباى إلى آمد لأنه بلغه أن قرايلك أظهر الطغيان وقصد أن يزحف عـلى بـلاد السـلطان فخـرج إلـيه الأشـرف. فـلما وصل إلى آمد حاصر قلعتها أياماً فلم يقدر علـيها وتغلـب علـيه العسـكر هـناك، فخشـى أن يقـوم هناك فتنة فمشوا بينه وبين قرايلك بالصـلح فاصـطلحا، فعـند ذلـك رجع الأشرف إلى الديار المصرية وطلع إلى القلعة فى موكب عظيم، وحملت القبة والطير على رأسه وذلك فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة .

ولـا عـاد الأشـرف من آمد عظم أمره واستكثر من مشترى المماليك حتى قيل بلغت عدة مماليـكه خمسة آلاف مملوك واستمر فى المملكة إلى أن مات على فراشه . قيل جاء فى آخر دولـته فضل بابى فمرض الأشرف عقيبه وسلسل فى المرض وحصل له ما حصل وخف عقله مـن الضـعف، فأمـر بتوسـيط الحكمـاء فوسـط الرئـيس خضر وابن العفيف. ثم إنه أمر بنفى الكـلاب إلى بـر الجـيزة ورسـم لكـل مـن جـاء بكلب يأخذ له نصف فضة فجمع منهم عدة كلاب ونفاهم إلى بر الجيزة.

ثم إنـه رسـم أن فلاحًـا لا يلبس زنطا ونادى بذلك ، ثم إنه رسم أن المرأة لا تخرج من بيـتها فكانـت الغاسـلة إذا خرجـت لـلموتى تأخذ من المحتسب ورقة وتجعلها فى رأسها. واستمر الأمر على ذلك حتى توفى الأشرف برسباى فى يوم السبت بعد العصر ودفن فى يوم أحـد ثالـث عشـر ذى الحجـة سـنة إحـدى وأربعـين وثمانمائـة ودفـن فـى تربته التى فى الصحراء فكثر عليه الأسى والحزن من الناس قاطبة فكان كما قيل.

المـــرء كالظـل ولابد أن　　　يزول ذاك الظل بعد امتداد

فكانـت مـدة سـلطنته بالديـار المصـرية ستة عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام، وكان ملكـاً جلـيلاً معظماً مبجلاً فى موكبه، وكان رجلاً طويل القامة قبيح الوجه ، أبيض اللحية أبيض اللون عربى الوجه، مهاباً عليه وقار وحشمة مدبراً بشوشا للرعية لين الجانب. وكان محـبا لجمع الأموال محباً للعلماء والفقهاء منقاداً للشريعة. ومما أنشأه فى أيامه هى المدرسة

التى بالقرب من باب الرهومة والمدرسة التى فى الصحراء والمدرسة التى فى سرياقوس والوكالة التى فى الصليبة، وله عدة ربع بالديار المصرية وله غير ذلك آثار كثيرة وأوقاف كبيرة على جهات بر وصدقة [١١٥ أ] .

ومن معروفه أنه أمر بحفر فم خليج الإسكندرية وكان قد طم بالرمال فندب لحفره الأمير جرباش الكريمى المعروف بفاشق فتوجه إلى الإسكندرية وجمع ما قدر عليه من الرجال فكان عدتهم بثمانمائة إنسان غير الصغار، وابتدأ فى حفره فى حادى عشر جمادى الأولى سنة ست وعشرين وثمانمائة. فانتهى العمل منه فى تسعين يوماً. وجرى الماء فيه فسر الناس بذلك . وكان الأشرف برسباى من خيار ملوك الجراكسة فى عصره. ولما مات عهد إلى ولده العزيز يوسف، انتهت أخبارالملك الأشرف برسباى على سبيل الاختصار من ذلك .

ذكر من توفى من الأعيان فى أيامه

وهو القاضى علاء الدين بن مغلى الحنفى وابن النقاش من كبار العلماء والشيخ صلاح الدين الأقفهسى وقاضى القضاة التفهنى الحنفى وتقى الدين الحصينى شارح أبو شجاع والشيخ بدر الدين الدمامينى المالكى والهروى والمقريزى المؤرخ وزين الدين بن الخراط الشاعر وغيرهم وجماعة كثيرة من أعيان العلماء والصلحاء وغير ذلك .

٣٤ـ ذكر سلطنة الملك العزيز أبى المحاسن جمال الدين يوسف ابن الملك الأشرف برسباى الدقماقى الظاهرى(١)

وهو الثالث والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم وهو التاسع من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية ، تسلطن بعد موت أبيه بعهد منه وذلك فى يوم السبت ثالث عشر ذى الحجة سنة **إحدى وأربعين وثمانمائة**، وتسلطن وله من العمر أربعة عشرة سنة وأمه أم ولد جركسية تسمى خوند جلبان. فلما تسلطن وجلس على سرير الملك استقر بالأمير جقمق أتابك العساكر على عادته وصار نظام المملكة فاستمر على ذلك مدة يسيرة ثم إن جماعة من الأشرفية صاروا يعارضون الأتابكى جقمق فى الأمور، ووقع الخلاف بينه وبين الأشرفية، وقصدوا قتله مرات عديدة. ثم إن جماعة من المؤيدية والناصرية والسيفية تعصبوا للأتابكى

---

(١) انظر المزيد فى : مورد اللطافة ١٢٢، الضوء اللامع ١٠ / ٣٠٣ ، شذرات الذهب ٧/ ٢٣٩ – ٢٤٢ ، بدائع الزهور ٢/ ٢٣ – ٢٦.

جقمق فقويت شوكته. فوثب على الملك العزيز يوسف فانكسرت الأشرفية وانتصر عليهم جقمق بعد أمور يطول شرحها إلى أن خلع الملك العزيز وتسلطن جقمق وكان خلعه في يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، فكانت مدة سلطنة الملك العزيز يوسف بالديار المصرية ثلاثة أشهر وستة أيام ليس فيها إلا مجرد الاسم فقط لأجل كتب العلامة. ولما خلع الملك العزيز من السلطنة استمر مقيماً بالقلعة وسكن في قاعة البربرية من داخل دور الحرم، وكان قصد [ق ١١٥ أ] الظاهر أن يزوجه ويصير مقيماً في القلعة ولا يرسله إلى الإسكندرية. فلعب بعض الأشرفية بعقل الملك العزيز وحسن ببـاله أن تنسحب من القلعة فانسحب من القلعة ونزل وقت المغرب في هيئة طي الطباخ وعليه ثيابه رثة.

فلما نزل من القلعة أصبح الناس في شعلة نار وصار الوالي يكبس البيوت والحارات، وحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل واستمر الأمر على ذلك نحو شهر. ثم إن العزيز جاء في الليل إلى بعض الأمراء فقبض عليه وطلع به إلى القلعة فسكن ولو صبر الملك العزيز لكان خيراً له وكم من عجلة اعقدت ندامة كما قيل:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

فلما طلع العزيز إلى القلعة أشار الأمراء على السلطان فأرسله إلى الإسكندرية فأرسله إلى السجن بثغر الإسكندرية، فأقام بها إلى دولة الملك الأشرف إينال فرسم باطلاقه من السجن وأن يسكن في بعض دور الإسكندرية، ورسم له بالركوب إلى الجامع وغيره. واستمر في الإسكندرية إلى أن مات في دولة الملك الظاهر خشقدم هو وأخوه الصغير الذى كان مقيماً عند الأمير قرقماش بالقاهرة، انتهت أخبار الملك العزيز يوسف بن الأشرف برسباى على سبيل الاختصار.

٣٥ ـ ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين أبى سعيد محمد جقمق العلاى الظاهرى[(١)]

وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم، وهو العاشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية ، تسلطن بعد خلع الملك العزيز يوسف فى يوم الأربعاء تاسع شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة . وكان أصله جركسى الجنس. جلبه الخواجا كزل فاشتراه منه العلاى على بن الأتابكى إينال اليوسفى ، ثم انتقل إلى الملك الظاهر برقوق وصار من جملة المماليك السلطانية ثم بقى خاصكيًا ثم بقى ساقيًا فى دولة الناصر فرج ثم بقى أمير عشرة ثم مسك وحبس، ثم أطلق وصار أمير أربعين خازندار فى دولة الملك المؤيد شيخ. ثم بقى مقدم ألف فى دولة الملك الظاهر ططر. ثم بقى حاجب الحجاب فى دولة الأشرف برسباى، ثم بقى أمير أخور كبير. ثم بقى أمير سلاح، ثم بقى أتابك العساكر. وكل ذلك فى دولة الأشرف برسباى. فلما مات الأشرف برسباى تسلطن ابنه العزيز يوسف ثم خلع وتسلطن جقمق كما تقدم. فلما تم أمره فى السلطنة أخلع على من يذكر من الأمراء أرباب الوظائف وهم الأمير قرقماس الشعبانى واستقر أتابك العساكر بمصر وأخلع على [ق ١١٦ ا] الأمير آقبغا التمرازى واستقر أمير سلاح عوضاً عن الأتابكى قرقماش الشعبانى وأخلع على الأمير يشبك السودونى واستقر أمير مجلس عوضاً عن آقبغا التمرازى وأخلع على الأمير تمراز القرمشى واستقر أمير أخور كبير عوضاً عن الأمير جاتم الأشرفى وأخلع على الأمير قراقجا الحسنى، واستقر رأس نوبة النواب عوضاً عن تمراز القرمشى وأخلع على الأمير تغرى بردى البكلمشى المؤيدى واستقر حاجب الحجاب عوضاً عن يشبك السودونى، وأخلع على الأمير أركماس الظاهرى واستقر دوادارًا كبيرًا على عادته كما كان فى أيام الأشرف برسباى. فهذا ما كان من ترتيب الأمراء فى أيامه وأنعم فى أيامه بتقادم ألوف على جماعة كثيرة من الأمراء المؤيدية والظاهرية والناصرية. وأنعم بأمريات أربعينات وطبلخاناه وعشروات على جماعة كثيرة فى أيامه. وفرقوا الإقطاعات على المماليك. وأرضى العسكر بكل ما يمكن من ذلك واستمر الأمر على ذلك ونفق على العسكر نفقة كاملة لكل مملوك سلطان مائة دينار. وفى أوائل دولته حضروا إلى القاهرة ووثب الأتابكى قرقماش

---

(١) انظر المزيد فى : بدائع الزهور ٢٤- ٣٤ ، حوادث الدهور ٢/ ٣٤٩ ٢/ ٣٤٩ ، شذرات الذهب ٧ / ٢٩١ ، الضوء اللامع ٣/ ٧١ .

الشعبانى على الملك الظاهر جقمق وركب وطلع إلى الرملة فنزل السلطان إلى المقعد المطل على سوق الخيل وطلع الأتابكى قرقماش إلى الرملة وكان أكبر الأمراء مع السلطان فوقع فى ذلك فتنة عظيمة وقتل فيها جماعة من المماليك السلطانية .

فبينما الأتابكى قرقماش واقفاً عند مدرسة السلطان حسن فعاينه بعض المماليك ورمى عليه بسهم نشاب فجاءه فى يده فتألم لذلك وهرب وانكسر وانفل من كان معه من العساكر فاستمر مختفيًا أياماً وأرسل يطلب من السلطان الأمان .

فلما ظهر وطلع إلى القلعة فقيد وأرسل إلى السجن بثغر الإسكندرية فأقام هناك مدة ثم إن السلطان أثبت على الأتابكى قرقماش أشياء توجب الكفر وحكم المالكى بذلك. ثم إن السلطان أرسل ضرب عنقه وهو فى السجن ثم إن السلطان أخلع على الأمير آقبغا التمرازى واستقر أتابك العساكر عوضاً عن قرقماش الشعبانى واستقر أيضاً نائب السلطنة بالديار المصرية وهو آخر من تولى نيابة السلطنة بمصر ثم يطلب هذه الوظيفة من يومئذ وكان نائب السلطنة يسكن بالقلعة ويحكم على الأمراء المقدمين [ق ١١٦ ب] ويخرج الإقطاعات للمباشرين من دون الثلاثين ألف إلى أقل من ذلك فبطل من يومئذ هذا للأمراء.

ثم جاءت الأخبار بأن تغرى بردى نائب حلب خرج على الطاعة وكذلك نائب الشام أينال الحكمى وأرسل إليهما السلطان تجريدة وانتصر عليهما. فعند ذلك استقر الأتابكى آقبغا التمرازى نائب الشام واستقر الأمير يشبك السودونى أتابك العساكر بمصر واضطربت أحوال الظاهر جقمق فى أول سلطنته إلى الغاية .

فيها هروب الملك العزيز يوسف وفيها وثب الأتابكى قرقماش الشعبانى عليه . وفيها عصيان نواب. ثم من بعد ذلك صفا له الوقت وطالت أيامه فى السلطنة وحسنت أوقاته ودام فى السلطنة إلى أن مات على فراشه، وكانت الدنيا فى أيامه هادئة من الفتن والتجاريد، وكان الملك الظاهر جقمق صاهر ابن عثمان ملك الروم وتزوج بإحدى بناته، وكان الملك الظاهر يعطى أمراء التركمان العطايا الجزيلة ويرضيهم بكل ما يمكن وكانت بلاد الشرق فى أيامه غزوًا.

ومن الحوادث فى أيامه أن النيل توقف عن الزيادة عند ليالى الوفاء على أربعة أصابع وقيل ثلاثة وأقام على ذلك مدة أيام لم يزد شيئاً. وخرج الناس للاستسقاء وتوجهوا إلى قرب الجبل الأحمر فى الصحراء، وخرج الناس قاطبة من القضاة والمشايخ وأكابر العلماء

والفقهاء وأكابر الصلحاء والزهاد حتى طائفة اليهود ومعهم التوراية وطائفة النصارى ومعهم الإنجيل، وخرجوا بالأطفال الذين فى الكتاتيب ومعهم المصاحف وخرجوا ببعض الأبقار والأغنام وخرج معهم السواد الأعظم من العوام وهم يستغيثون بالله ارحمنا، وحضر الخليفة المستكفى بالله سليمان إلى هناك، ولم ينزل السلطان الملك الظاهر فعز ذلك على الناس وقد تقدم أن الملك المؤيد شيخ نزل فى أيامه للاستسقاء ولبس جبة صوف أبيض فلم يرض الملك الظاهر على ذلك ، ثم أحضروا هناك منبراً وخطب عليه قاضى القضاة شرف الدين بن يحيى المناوى خطبة الاستسقاء كما جرت العادة .

فلما أراد أن يحول رداءه وهو فى الخطبة كما جرت به العادة فسقط الرداء إلى الأرض فتضرر الناس من ذلك ، ولم يعد من ذلك الاستسقاء شيء ونزل البحر عقيب ذلك . كما حكى عن بعض الصلحاء أنه خرج ليستسقى بالناس وكان بالسماء بعض سحاب وقت خروجه فلما خرج ودعا للناس اسمحت السماء وتقطع السحاب واشتد حر الشمس فخجل ذلك الصالح من الناس فقال بعضهم فى هذا المعنى قول مداعبة [ق ١١٧ أ] .

خرجنا لنستسقى بفضل دعائه وقد كان سحب الغيم أن يلحو الأرضاء

فلما بدا يدعو تكشفت السماء فما تم إلا والسحاب قد انقضا

فلما رجع الناس من الاستسقاء أشاعوا أن البحر زاد منبعًا ولم يكن هذا الكلام له صحة ثم نزل البحر أصبعين فكسروا السد من غير وفاء فلم يجر الماء إلا قليلاً ودخل عاليه إلى بركة الفيل من عند قنطرة عمر شاه، ثم نزل البحر بعد ذلك، ولم يزد شيئاً فتسرقت البلاد فى تلك السنة وحصل للناس الضرر الشامل وسخطت الغلال وصار القمح يتزايد فى السعر فى كل يوم حتى انتهى من أربعة أشرفية إلى ستة أشرفية كل أردب وقيل سبعة أشرفية وعم الغلاء سائر البلاد وماتت أكثر البهائم والأشجار وعقب ذلك مات فيه خلق كثيرة . وكان مبتدأ هذا الغلاء من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة واستمر سعر القمح فى هذه التشويطة إلى سنة خمس وخمسين وثمانماثة وصارت الأمراء تنقل غلاتهم التى فى الشون إلى بيوتهم ومعهم المماليك بالسلاح خوفاً من القوم أن ينهبوه، وصار العوام ينهبون الخبز من على الدكاكين فى بعض الأوقات وتزاحم الأكابر مثل أبو الخير بن النحاس وكيل بيت المال وغيره من الأعيان، وحصل للناس الضرر الشامل فى هذه الأيام وقد رثا بعض الشعراء الخبز فقال:

قسما بلوح الخبز عند خروجه   من فرنه وله الغداة فوار
ورغائف منه تروقك وهى فى   سحب الثقال كأنها أقمار
من كل مصقول السوالف أحمرال   خدين للشبونير فيه عذار
كالفضة البيضاء لكن تغتدى   ذهبا إذا قويت عليه النار
فلقى عليه فى الخوان جلاله   لا تستطيع تجده الأبصار
فكأن باطنه بكفك درهم   وكأن ظاهر لونه دنيار
ما كان أجهلنا بواجب حقه   لو لم تبينه لنا الأسعار
إن دام هذا السعر فأعلم أنه   لا حبة تبقى ولا معيار

ومن الحوادث فى أيامه: أن شخصاً شريفاً عجميًا أدعى أنه يعرف صنعة الكيمياء فاحتوى على عقل الملك الظاهر بسبب الكيمياء وأنفق عليه جملة مال فلم يصح معه الكيمياء فأفتى بعض القضاة بقتله فأمر السلطان بضرب عنقه تحت شباك المدرسة الصالحية وذلك فى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة. ثم إن السلطان حصل له ضعف فى جسده فاستمر على ذلك مدة، ثم تزايد به المرض ولزم الفراش فعند ذلك جمع القضاة [ق ١١٧ ب] الأربعة والخليفة وعهد إلى ولده المقر الفخرى عثمان واستمر ملازماً الفراش إلى أن توفى فى ليلة الثلاثاء رابع شهر صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى عليه الخليفة القائم بأمر الله حمزة، ودفن فى تربة الأمير جركس القاسمى المصارع الذى جددها الأمير قانباى الجركسى وهى تجاه القلعة بالقرب من دار الضيافة. ومات الملك الظاهر جقمق وله من العمر نحو الثمانين سنة، فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية أربعة عشرة سنة وعشرة أشهر ويومين وعاش بعد خلعه من السلطنة اثنى عشر يوماً. وكان غليظ الجسم معتدل القامة مستدير اللحية درى اللون، وكان يميل إلى النساء الحسان، وكان له عدة سرارى جراكسة ومن النساء أربع، وعاش فى أرغد عيش إلى أن مات، وكان ديناً خيراً كريماً متواضعاً محباً للعلماء والصلحاء ويقوم لهم إذا دخلوا عليه وكان يحب الأيتام ويكتب لهم جوامك والا يخرج إقطاعًا لمن له، وله ولد، وكان عفيفاً عن الزنا واللواط وكان فصيح اللسان بالعربية. متفقها وله مسائل فى الفقه عويصة، وكان يقع منه فى بعض الأحيان غلطات كثيرة وغوامض عظيمة وإخراق فى حق العلماء والفقهاء، منها أنه سجن القاضى ولى الدين السفطى فى المبشرة وغدر بالشيخ شمس الدين الكاتب وفعل أشياء كثيرة من هذا النمط وكان

غالب ذلك من الوسائط السوء لأنه كان على قاعدة الترك عنده الدعوى لمن سبق وكانت عنده حدة زائدة ونادرة فى الأمور وفى الجملة كانت محاسنه أكثر من مساوئه وكان من خيار ملوك الجراكسة بالنسبة إلى غيره كما قيل.

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء فضلا أن تعد معايبه

وكانت دولته ثابتة القواعد نافذ الكلمة وافر الحرمة . وأما قضاته الشافعية فالقاضى شهاب الدين بن حجر والقاضى علم الدين بن صالح البلقينى والقاضى شهاب الدين القاياتى والقاضى ولى الدين السفطى والقاضى شرف الدين بن يحيى المناوى. وأما قضاته الحنفية فالقاضى سعد الدين بن سعد بن الديرى، وأما قضاته المالكية فالقاضى بدر الدين بن التنسى والقاضى شمس الدين البساطى والقاضى الأموى المالكى. وأما قضاته الحنابلة فالقاضى محب الدين العسقلانى الحنبلى والقاضى بدر الدين البغدادى والقاضى عز الدين الحنبلى . وأما أتابكيته: فالمقر السيفى قرقماش الشعبانى والمقر السيفى آقبغا التمرازى والمقر السيفى يشبك السودونى والمقر السيفى أينال العلاى. وأما دواداريته فالمقر السيفى اركماس الظاهرى والمقر السيفى تغرى بردى البكلمشى الشهير المؤيدى والمقر أينال العلاى والمقر السيفى قائباى الجركسى [ق ١١٨ أ] والمقر السيفى دولات باى المؤيدى كاتب السر الشريف. وكان الملك الظاهر جقمق متزوجًا بأخت القاضى كمال الدين بن البارزى. وأما نظار جيشه فالقاضى عبد الباسط أولاً، ثم إن الملك الظاهر قبض عليه وصادره ونفاه إلى مكة ثم نقله إلى القدس فقام مدة ثم عاد إلى الديار المصرية وأقام بها بطالاً وهو فى غاية العز إلى أن مات فى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة. وتزوج الملك الظاهر ببنت القاضى عبد الباسط بعد موته، وأقامت معه إلى أن مات الظاهر وهى فى عصمته.

ولما عزل القاضى عبد الباسط عن نظارة الجيوش تولى عوضه القاضى محب الدين بن الأشقر كاتب السر عوضاً عن القاضى كمال الدين البارزى.

أما نظار الجيش: فالجمالى يوسف بن كاتب جكم فاستقر ناظر الجيش ناظر الخاص وتولى الوزارة أيضاً فأقام بها مدة يسيرة ثم استعفى منها وبقى ناظر الخواص ناظر الجيش.

وأما وزراؤه: فالصاحب كريم الدين بن كاتب المناخات والصاحب أمين الدين بن الهيثم وغيرهما. وأما استاداريته: فالأمير عبد الرحمن بن الكويز والأمير زين الدين الأستادار وهو صاحب الجامع الذى فى بولاق، وله عدة مدارس بالديار المصرية وكان فى

أيام الملك الظاهر جقمق عز عظيم ودامت أيامه فى الأستادارية وعظم أمره ومشى على طريقة من تقدمه من الأستادارية فى الفتك والشهامة وكان مقرباً عند الملك الظاهر جقمق.

وأما من تولى ولاية القاهرة فى أيام الظاهر جقمق: فدولات خجا الكاشف ومنصور بن الطبلاوى وجانى بك وقراجا.

وأما من تولى الحسبة فى أيامه : فالشيخ على المحتسب والعلاى على بن القبسى وغيرهما. وقد انتهت أخبار دولة الملك الظاهر جقمق على سبيل الاختصار من ذلك .

ذكر من توفى فى أيام الظاهر

جقمق من الأعيان

وهم: الخليفة المعتضد بالله داوود والخليفة المستكفى بالله سليمان وقاضى القضاة بدر الدين بن التنسى المالكى والقاضى ولى الدين السفطى المالكى والسيد الشريف الطيامى وابن الجزرى شيخ القراءات وقاضى القضاة شهاب الدين القاياتى وقاضى القضاة بدر الدين البغدادى الحنبلى والحافظ عبد الرحيم الحموى المحدث وشيخ الإسلام شهاب الدين بن حجر الشافعى توفى سنة أربع وخمسين وثمانمائة والشيخ عبادة من الزهاد والشيخ محمد بن سلطان والشيخ كمال الدين المجذوب والشيخ شمس الدين الحنفى الزاهد. ومن أعيان الخدام الأمير جوهر الفتق باى الخازندار ، ومن أعيان الشعراء الشيخ تقى [ق ١١٨ ب] الدين بن حجه والبدر البشيكى وابن كميل وشمس الدين النواحى صاحب حلية الكميت .

٣٦ـ ذكر سلطنة الملك المنصور أبى السعادات

فخر الدين عثمان بن الملك الظاهر جقمق محمد العلاى[(١)]

وهو الخامس والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، وهو الحادى عشر من الجراكسة وأولادهم، تسلطن بعد خلع أبيه الملك الظاهر من السلطنة فى يوم الخميس حادى عشرين المحرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة من أم ولد رومية، وتسلطن وله من العمر دون العشرين سنة وركب بشعار السلطنة من الدهيشية إلى القصر الأبلق، والأتابكى أينال العلاى حاملاً لقبه والطير على رأسه إلى أن دخل إلى القصر، وباس له الأمراء الأرض ودقت له الكوسات ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعاء وكل ذلك ووالده الملك الظاهر جقمق على قيد الحياة. فلما أتم أمره فى السلطنة وجلس على سرير الملك ثم عاد إلى سكنه بالحوش السلطانى مراعاة لوالده إلى أن توفى والده، فلما توفى قبض على الأمير زين الدين الاستادار وكان بينه وبين زين الدين الاستادار حظ نفس من أيام والده، فلما قبض عليه استقر بالأمير جانى بك نائب جده فى الأستادارية فعند ذلك تسلم زين الدين وعصره بالمعصار فى رجليه وصادره وأخذ منه نحو خمسين ألف دينار، وفى ذلك يقول بعض الشعراء.

أخبار زين الدين قد أضحى بها طير المدائح فى الورى يتغرد
أن قيدوه وبالغوا فى عصره فالكرم يعصر والجواد يقيد

ومن الحوادث فى أيامه : أنه فى يوم الاثنين مستهل ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثمانمائة ركب المماليك الأشرفية والمؤيدية ومعهم المماليك السيفية وتوجهوا إلى بيت الأتابكى أينال العلاى وركبوه من بيته إلى البيت الكبير الذى عند حدرة البقر، ثم إن الأتابكى أينال أرسل خلف أمير المؤمنين حمزة فلما حضر إلى عند الأتابكى أينال، قام معه الخليفة حمزة وخلع الملك المنصور عثمان من السلطنة، وولى أينال واستمرت الحرب ثائرة بين أينال وبين الملك المنصور وطلع إلى الدور السلطانية، وملك أينال باب السلسلة ثم لبس خلعة السلطنة من الأسطبل السلطانى وطلع إلى القصر الأبلق وجلس على سرير الملك فعند

(١) انظر المزيد فى : بدائع الزهور ٢/ ٣٧ و ٢٤٢، تاريخ المماليك ١٤٦.

ذلك أمر بالقبض على الملك المنصور وحبسه فى قاعة بالبحرة وقبض على جماعة من الظاهرية منهم الأمير تمربغا والأمير قانباى الجركسى [ق ١١٩ أ] والأمير تيم المؤيدى وغيرهم من الأمراء، فقيدهم وأرسلهم إلى السجن بثغر الإسكندرية . وأما الملك المنصور فإنه أقام فى السجن إلى يوم الأحد ثامن عشرين ربيع الأول من السنة المذكورة فأنزلوه من باب القرافة وهو مقيد وخلفه أوجاقى وأرسلوه إلى السجن بثغر الإسكندرية وكان المتسفسر عليه خايربك الأشقر أمير أخور ثانٍ بالديار المصرية فأوصله إلى ثغر الإسكندرية. ورجع فكانت مدة سلطنة الملك المنصور عثمانَ إلى يوم خلعه من السلطنة ثلاثة وأربعين يوماً لا غير. فلم تساعده الأقدار كما قيل فى المعنى.

فلم يقم إلا بمقدار أن قلت له أهلا وسهلا ومرحبا

واستمر الملك المنصور فى السجن إلى دولة الملك الظاهر خشقدم فرسم له بالإطلاق وأن يسكن فى بعض دور الإسكندرية واستمر على ذلك إلى دولة الملك الأشرف قايتباى فنقله إلى دمياط ورسم له بالركوب فى الجامع وإلى السبيرة والعسكر، ثم إن الملك المنصور أرسل يسأل نقل السلطان فى أن يتوجه إلى الحجاز الشريف فأذن له فى ذلك. فحضر إلى القاهرة وهو فى غاية العز والعظمة فسافر إلى الحجاز وأنعم عليه السلطان بأشياء كثيرة، ثم عاد من الحجاز إلى القاهرة فأقام بها نحو شهر وكان يطلع إلى القلعة فيلعب مع السلطان الأكره فى المواكب وهو لابس كلوته وهو يبدو أصفر بلا طراز ذهب، وقد بالغ الملك الأشرف قايتباى فى إكرامه لكونه ابن أستاذه الملك الظاهر جقمق.

وكان أكبر الأمراء فى مماليك أبيه الملك الظاهر جقمق ولا سيما الأتابكى أزبك ابن ططخ كان صهره متزوجا بابنة الملك الظاهر جقمق وكان المقر السيفى تمراز الشمسى أمير سلاح متزوجًا ببنت الملك المنصور عثمان، بهذا فساعدته الأقدار من كل جانب، فأقام فى القاهرة مدة ثم إنه طلب العود إلى دمياط فعاد إليها وأقام بها إلى أن مات فى أواخر دولة الملك الأشرف قايتباى، ونقل من دمياط بعد موته ودفن عند والده الملك الظاهر جقمق، ومات وقد ناف على الخمسين سنة من العمر. انتهت أخبار الملك المنصور عثمان على سبيل الاختصار.

٣٧ - ذكر سلطنة الملك الأشرف أبى النصر سيف الدين اينال العلاى الظاهرى (١)

وهو السادس والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم وهو الثانى عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية، تسلطن بعد خلع الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر جقمق فى يوم الاثنين ثامن ربيع الأول سنة [ق ١١٩ ب] سبع وخمسين وثمانمائة وكان أصله جركسياً جلبه الخواجا علاء الدين إلى مصر فاشتراه منه الظاهر برقوق وأعتقه ابن الناصر فرج وجعله فى أخر دولته خاصكياً، ثم بقى فى دولة المظفر أحمد بن المؤيد شيخ أمير عشرة، ثم بقى فى دولة الملك الأشرف برسباى أمير أربعين رأس نوبة ثانى، ثم بقى نائب غزة. ثم نقله الأشرف برسباى لما توجه إلى أمد وجعله نائب الرها وذلك فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة فدام بها إلى أن أحضره الأشرف برسباى إلى القاهرة وأعطاه تقدمة ألف واستمرت نيابة الرها بيده زيادة على ذلك ، ثم جعله الأشرف برسباى نائب صفد وذلك فى سنة أربعين وثمانمائة ، واستمر بصفد إلى دولة الظاهر جقمق، فأحضره إلى مصر، وبقى مقدم ألف، ثم بقى دوادارًا كبيرًا بعد موت تغرى بردى المؤيدى، ثم بقى أتابك العساكر بعد موت الأتابكى يشبك السودونى وذلك فى سنة تسع وأربعين، ودام بها إلى أن بقى سلطاناً بعد خلع الملك المنصور عثمان، فلما تم أمره فى السلطنة خلع على من يذكر من الأمراء أرباب الوظائف وهم: الأمير تانى بك الظاهرى واستقر أتابك العساكر بمصر، وأخلع على الأمير خشقدم المؤيدى، واستقر أمير سلاح وأخلع على الأمير طوخ بونى بازق واستقر أمير مجلس، وأخلع على الأمير قرقماش الجلب واستقر رأس نوبة النواب وأخلع على الأمير جرباش كرت واستقر أمير أخور كبير وأخلع على الأمير يونس النواب واستقر دوادارًا كبيرًا واستقر بالأمير برد بك دوادارًا ثانيًا وهو مملوك الأشرف أينال وكان قبله تمراز الأشرفى دوادار ثانى، فلما نفى تمراز استقر الأمير برد بك دوادارًا ثانيًا عوضاً عن تمراز الأشرفى وأخلع على الأمير جانى بك القرمانى واستقر حاجب الحجاب، وأنعم على ولده المقر الشهابى أحمد بتقدمة ألف، وأنعم على جماعة من الأمراء المؤيدية والأشرفية بتقادم ألوف.

---

(١) انظر المزيد فى : بدائع الزهور ٢ / ٣٩ - ٦٤، حوادث الدهور ٣ / ٥٥٨ ، الضوء اللامع ٢ / ٣٢٨.

وعلى جماعةمن الأمراء بأمريات أربعين وعشراوات ثم انتقلت الوظائف من بعد ذلك إلى جماعة كثيرة من الأمراء. فلما استقر فى السلطنة واستقام أمره وثب عليه جماعة من المماليك الظاهرية، والتف عليهم جماعة من المماليك السيفية، فلبسوا آلة الحرب وطلعوا إلى الرملة، فنزل السلطان إلى باب السلسلة وجلس بالمقعد المطل على سوق الخيل ودقت الكوسات حربى ، ثم إن المماليك توجهوا إلى بيت الخليفة حمزة وركبوه من عنده وأترابه إلى البيت الكبير الذى فى حدرة البقر فأقام هناك ساعة وإذا بالجمع قد انفض بعد قتال هين، فعند ذلك قام الخليفة وتوجه إلى بيته وكان [ق ١٢٠ أ] السلطان لما بلغه هذه الحركة أرسل يقول للخليفة غيب من بيتك إلى أن تنقضى هذه الحركة فلم يسمع الخليفة ذلك، ولم يغب من بيته وظن أن هذه الحركة تحصل له فيها نفع كما حصل له فى سلطنة الأشرف أينال، فكان الأمر بخلاف ذلك وما حصل له طايل كما قيل المدع التعرض أن الأمر مقدوره وليس للسعى فى الإدراك نابير.

هو المرء يعجز عن تحصيل خرذلة بالسعى إن لم يساعده المقادير

فلما أصبح السلطان طلب الخليفة ووبخه بالكلام فلم يقدر الخليفة بنطق بحرف واحد وأمسك لسانه عن حجته وكان بعض صمم، ثم إن السلطان أمر بإدخال الخليفة إلى قاعة البحرة ثم أرسله إلى السجن بثغر الإسكندرية وولى أخاه الجمالى يوسف ودام الخليفة مقيماً بالإسكندرية إلى أن مات بها، وقد تقدم ذلك عند تراجم الخلفاء، ثم فى أثناء دولة الأشرف اينال جاءت الأخبار بأن قرمان أظهر العصيان، فأرسل السلطان له تجريدة وتوجه جماعة من الأمراء والعسكر إلى هناك وأقاموا مدة وعادوا وهم سالمون .

ثم من بعد ذلك عين السلطان تجريدة إلى بلاد الفرنج وكان باش العسكر أمير يونس الدوادار الكبير وأمر السلطان بعمارة مراكب الأغربة بسبب الغزاة فقاموا نحو اثنى عشر غرابًا، فنزل السلطان أينال إلى الجزيرة الوسطى وكشف عن هذه الأغربة وعاد إلى القلعة وكان يوم نزوله إلى الأغربة يوماً مشهوداً وتوجهوا إلى الأمراء إلى بلاد الفرنج وعادوا وهم سالمون بغير قتال.

ثم فى سنة ستين وثمانمائة :حجت خوند بنت خاص بك زوجة الملك الأشرف أينال وكان أمير المحمل المقر الشهابى أحمد ولد الملك الأشرف أينال، فخرج من القاهرة فى محمل يزايد من العظمة، وحج معه أخوته وهى زوجة الأمير يونس الدوادار الكبير والأخرى

زوجة الأمير برد بك الدوادار ثانى مملوك الأشرف أينال فحجوا ورجعوا إلى القاهرة فى سنة إحدى وستين وثمانمائة .

ومن الحوادث فى أيامه : أنه أبطل معاملة الفضة العتيقة جميعها وأخرج فضة جديدة تصرف معاددة كل أشرفى بخمسة وعشرين نصف واستمر على ذلك إلى الآن وبطلت تلك المعاملة القديمة .

ومن الحوادث فى أيامه : أن نجما ظهر فى السماء من جهة الشرق وله ذنب طويل فأقام مدة واختفى فجاء عقب ذلك فناء عظيم وأقام مدة طويلة وفنى فيه من المماليك والعبيد والجوارى والأطفال كثير وكان من الفصول القوية وذلك فى سنة ثلاث وستين وثمانمائة.

ومن الحوادث [ق ١٢٠ ب] فى أيامه : قد وقع حريق ببولاق من عند جامع زين الدين الأستادار إلى حمام ابن البارزى فاحترق فى هذه الواقعة عدة ربوع وبيوت، وكان ذلك فى يوم الجمعة بعد العصر إلى آخر الليل واستمر فى ثلث السنة يحترق فى كل ليلة أماكن كثيرة فى الحارات والشوارع وأقام ذلك مدة طويلة وصار الناس فى وجل من ذلك حتى خف هذا الأمر عن الناس ولا علم من كان يفعل ذلك . ثم إن الأشرف أينال اعتمر فى السلطنة وطالت أيامه بها وعاش فى أرغد عيش إلى أن مرض وسلسل فى المرض حتى مات فى يوم الخميس خامس عشر جمادى الأول سنة خمس وستين وثمانمائة، ودفن من يومه بعد العصر فى تربته التى أنشأها فى الصحراء، ومات وله من العمر نحو الثمانين سنة . وخلف من الأولاد أربعة : اثنان ذكور وهما المقر الشهابى أحمد والمقر الناصرى محمد. واثنان بنات إحداهما زوجة الأمير يونس الدوادار الكبير والأخرى زوجة الأمير برد بك الدوادار الثانى. فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية ثمانى سنين وشهرين وستة أيام وكان خلع نفسه من الملك وتسلطن ولده المقر الشهابى أحمد وعاش بعد خلعه من السلطنة أياماً حتى مات .

وكان طويل القامة ، أسمر اللون، خفيف العوارض وكان يعرف بأينال الأجرود ؛ وكان ملكاً حليماً هيناً ليناً قليل السفك للدماء، قليل الأذى للرعية ولولا جور مماليكه فى حق الناس لكان خيار ملوك الجراكسة كلهم. وكانت أيامه لهوًا وانشراحًا ودام فى السلطنة بين أولاده إلى أن مات على فراشه. وكان غالب الأمراء أصهاره وكانت دولته ثابتة القواعد. أما أتابكيته فالمقر السيفى تانى بك الظاهرى وولده المقر الشهابى أحمد . وأما دواداريته :

فالأمير يونس النواب صهره والأمير برد بك الدوادار الثانى صهره . وأما قضاته الشافعية بالديار المصرية فشيخ الإسلام العلامة القاضى علم الدين بن صالح البلقينى. وأما قضاته الحنفية فالقاضى سعد الدين بن سعد بن الديرى الحنفى. وأما قضاته المالكية . فالقاضى الأموى المالكى والسيد الشريف سرج الدين بن حريز. وأما قضاته الحنابلة: فالقاضى عز الدين الحنبلى . وأما أرباب وظائف من المتعممين. فالقاضى محب الدين بن الأشقر كاتب السر والقاضى محب الدين بن الشحنة كاتب السر. وأما نظار جيشه: فالجمالى يوسف بن كاتب جكم فكان ناظر الجيوش المنصورة وناظر الخواص الشريفة ورقى فى دولة الأشرف أينال وعظم أمره إلى الغاية كما كان القاضى عبد الباسط فى دولة الملك الأشرف برسباى واستمر الجمالى يوسف فى عزه إلى أن مات فى دولة الأشرف [ق ١٢١ أ] أينال ثم استقر فى الخواص الأمير عبد الرحمن بن الكويز. واستقر من بعد ذلك فى نظارة الجيوش جماعة أعيان فلم تطل مدتهم بها. وأما وزراؤه: فمنهم العلاى على بن الأهناسى ومنهم الصاحب سعد الدين فرج وباشر الأستادارية أيضاً فى أيامه . وأما أستاداريته: فمنهم زين الدين ألاستادار أولاً ثم قبض عليه وضربه علقة قوية ونفاه إلى المدينة الشريفة ، ثم استقر بجماعة من الأعيان فى الاستادارية وهما الصاحب علاى الدين على بن الأهناسى والصاحب سعد الدين فرج فهذه أستاداريته ثم بعد مدة رضى على الأمير زين الدين وأحضره إلى مصر واستقر به أستادارا على عادته، كما كان . انتهت أخبار دولة الملك الأشرف أينال على سبيل الاختصار من ذلك .

ذكر من توفى فى أيامه من الأعيان

وهم: الشيخ كمال الدين بن التمام من كبار الحنفية وأخوه الشيخ عز الدين بن التمام من كبار العلماء وقاضى القضاة المالكى ولى الدين الأموى والقاضى محب الدين بن الأشقر كاتب السر والقاضى ناظر الخواص الجمالى يوسف والأتابكى تانى بك الظاهرى والقاضى برهان الدين بن الجيعان وهو صاحب المدرسة التى فى بولاق والصاحب سعد الدين فرج والناصرى محمد بن الخضرى ابن خالة الملك المؤيد أحمد . ومن الخدام الأمير فيروز النوروزى الخازندار. وتوفى فى أواخر دولته واشتملت تركته على مال كبير. فمن جملة ذلك قيل ابتاع له حواصل فحم بألف دينار وتوفى من الشعراء فى أيامه الشيخ شهاب الدين الحجازى والشهاب بن الشاب الثانية . ومن الزهاد الشيخ مدين الزاهد وتوفى فى

أواخر دولته والشيخ المبارك خروف المجذوب والشيخ ريحان المجذوب والشيخ محمد المغربى المجذوب. ومن المغانى الريس ناصر الدين المازوى توفى فى أثناء دولته وكان قد فاق على أهل زمانه فى حسن الصوت وسعة امتداده. ورأى عزاً عظيماً من الأكابر فى أيامه. ولما مات رثاه الشهاب المنصورى الهائم بهذه الأبيات.

يا نزهة السمع سكنت الثرى فللملاهى أيّما لهفى

كم لطمة من قدم أو يد فى خدىّ الدكّة والدّف

وقوله فيه أيضاً :

كانت به لذاتنا موصولة فانقطعت بموته اللذات

وكانت الأصوات تزهو بهجة فارتفعت لموته أصوات

وقد توفى جماعة كثيرة فى أيامه من الأعيان والعلماء والصلحاء

٣٨ - ذكر سلطنة الملك المؤيد أبى الفتح شهاب الدين أحمد ابن الملك الأشرف أينال العلاى الظاهرى [(١)]

وهو السابع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم. وهو الثالث عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم. تسلطن [ق ١٢١ ب] بعد خلع أبيه من السلطنة فى يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الأول سنة خمس وستين وثمانمائة . وتسلطن وله من العمر نحو أربعين سنة. وأمه خوند زينب بنت الأمير خاص بك تسلطن فى حياة والده الأشرف اينال ولبس خلعة السلطنة وركب من الدهيشة والمقر السيفى خشقدم أمير سلاح حامل القبة والطير على رأسه حتى وصل إلى القصر الأبلق. فجلس على سرير الملك وفيه يقول بعض الشعراء:

بمهجتى أفدى مليكا غدا مؤيدا بالنصر كالشمس

فلو تراه فوق كرسيه لقلت هذا آية الكرسى

فلما تسلطن دقت الكوسات ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعاء وتلقب بالملك المؤيد ، فلما تم أمره فى السلطنة أخلع على المقر السيفى خشقدم أمير سلاح واستقر

---

(١) انظر المزيد فى : حوادث الدهور ١/ ٣٢٥ ، بدائع الزهور ٢ / ٦٥ و ٢٨٤.

بـه أتـابك العسـاكر عوضـاً عـن نفسـه ، ثـم أخـذ فى أسباب تدبير أمور مملكته ونفق على العسكر نفقة كاملة لكل مملوك ثلاثمائة دينار، وساس الناس فى مدة سلطنته أحسن سياسة وقمـع ممالـيك أبـيه الأجلاب عن أفعالهم القبيحة التى كانوا فعلوها مع الناس من الأذى ، ففرح الناس به وكثر الدعاء له، وكان ناظراً إلى مصالح الرعية وكان كفئا للسلطنة وافر العقل كـامل الهيـئة، مهـاب الشـكل مستدير اللحية أسود الشعر طويل القامة جسيم القدر أبيض اللـون، مليح الشكل ولكن لم تساعده الأقدار ولم تتم أمره فى السلطنة وتعصب عليه مماليك أبيه ووثبوا عليه وخلعوه من السلطنة وولوا الظاهر خشقدم فكان كما قيل فى المعنى.

إلى أيما تسعى من بعض بلعمة　　فأين للهيفى الذى قد غص بالماء
أنى وجـدت السم عند احبنى　　فهل عند اعـداى أصـيب دوا

فوثـب علـيه ممالـيك أبـيه فـى شـهر رمضـان وحـاربوه ثلاثـة أيـام فانكسر الملك المؤيد وتسلطن خشقدم، فقبض على الملك المؤيد وحبسه فى البحرة فأقام أياماً ثم قيده، وأرسله إلى السجن بـثغر الإسـكندرية هـو وأخـوه المقر الناصـر محمـد، ونـزل مـن الصليبة على ابتداء والاجهـار واوجـاقى يحجز إلى جانبه حتى وصل إلى البحر، وكان المستقر عليه الأمير خاير بـك المصـارع ، فلما وصل إلى الإسكندرية سجن بها وأقام بها مدة فمات أخوه سيدى محمد هـناك ونقـل إلى القاهـرة بعـد موتـه ودفـن على أبيه الأشرف وكان له من العمر نحو خمسة عشـرة سنة ، وأقام الملك المؤيد [ق ١٢٢ أ] فى السجن بالإسكندرية إلى دولة الملك الظاهر تمـربغا، فأخـرجه من السجن ورسـم أن يسكن فى أى مكان شاء من دور الإسكندرية. فبنى له هناك قاعة وسكن بها إلى دولة الملك الأشرف قايتباى. وكانت دولة الملك المؤيد أحمد ابن الأشـرف أيـنال بالديـار المصرية أربعـة أشـهر وثلاثـة أيـام. ولـما كانت دولة الملك الأشرف قايتـباى عظـم أمـر الملـك المؤيـد وصـار له كـلمة نـافذة وزوج ابنته بالأمير يشبك من مهدى الـدوادار الكـبير، فأقـام عـلى ذلك مدة . ثم إن والدته خوند زينب بنت خاص بك مرضت مرضـاً شديداً فجاء إليها الأمير يشبك الدوادار يسلم عليها. فقالت له قصدى انظر إلى ولدى المؤيـد قـبل أن أمـوت. فـلما طلـع الأمـير يشبك إلى السلطان قايتباى سأله فى حضور الملك المؤيـد ليرى والدته قبل أن تموت، فرسـم بإحضاره إلى القاهرة فحضر وطلع إلى القلعة فأخلع علـيه السـلطان خلعـة عظيمة أركبه فرسًا بسرج ذهب وكنبوش ونزل إلى بيته فأقام بالقاهرة نحو أربعين يوماً حتى ماتت والدته ودفنها وغفل عليها، ثم رجع إلى الإسكندرية وأقام بها

إلى أن مات في أواخر دولة الملك الأشرف أينال ودفن في تربته التي في الصحراء، انتهت أخبار الملك المؤيد أحمد بن الأشرف أحمد على سبيل الاختصار من ذلك .

٣٩ - ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد سيف الدين خشقدم الناصري المؤيدي (١)

وهو الثامن والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، وهو أول ملوك الروم. بمصر إن لم يكن أيبك التركماني من الروم ولا لاجين من الروم . فهو أولهم . وأصله رومي الجنس جلبه الخواجا ناصر الدين وبه كان يعرف بالناصري فاشتراه منه الملك المؤيد شيخ وصار خاصكياً في دولة ابنه الملك المظفر أحمد، ودام على ذلك دهراً طويلاً إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق، فأمره أمرية عشرة وذلك في سنة ست وأربعين وثمانمائة، وجعله من جملة رءوس النواب، واستمر على ذلك إلى سنة خمسين وثمانمائة فنقله الملك الظاهر إلى مقدمة ألف بدمشق فدام بها إلى أن يعين السلطان الملك الظاهر على الأمير تاني بك الظاهري حاجب الحجاب بسبب عبد قاسم الكاشف الذي كان قد اشتهر بالصلاح فلما خرج الأمير تاني بك إلى دمياط بطالاً فسعى القاضي زين الدين أبو الخير بن النحاس وكيل بيت المال هو والأمير تمربغا الدوادار الثاني إلى الأمير خشقدم حتى يحضر من دمشق فأنعم عليه الملك الظاهر [ق ١٢٢ ب] بتقدمة ألف التي كانت بيد الأمير تاني بك حاجب الحجاب وذلك في صفر سنة أربع وستين وثمانمائة فقام على ذلك إلى أن مات الملك الظاهر جقمق وتسلطن أينال فأخلع عليه واستقر به أمير سلاح وسافر في أيامه باش العسكر إلى تجريدة بن قرمان فلما رجع منها ومات الأشرف أينال وتسلطن ولده الملك المؤيد أحمد في سنة خمس وستين وثمانمائة استقر بالأمير خشقدم أتابك العساكر عوضاً عن نفسه فلما وثب المماليك على الملك المؤيد في شهر رمضان وانكسر فتسلطن الأتابكي خشقدم وخلع الملك المؤيد من السلطنة وذلك في يوم الأحد سابع عشر شهر رمضان من سنة خمس وستين وذلك بعد الظهر من اليوم المذكور، فلبس خلعة السلطنة من الحراقة التي بالأسطبل السلطاني، وركب من هناك وحمل القبة والطير على رأسه المقر السيفي جرباش المحمدي المعروف بكرت أمير سلاح

---

(١) انظر المزيد في : حوادث الدهور ٣ / ٥٥٤ - ٦٥٧ ، تاريخ المماليك ١٥١

وطلع من باب سر القصر الأمير الأبلق وجلس على سرير الملك ودقت الكوسات ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعاء وتلقب بالملك الظاهر وباس له الأمراء الأرض.

فلما تم أمره فى السلطنة أخلع على من يذكر من الأمراء من أرباب الوظائف. وهم : المقر السيفى جرباش المحمدى واستقر أتابك العساكر عوضاً عن نفسه، وأخلع على الأمير قرقماش الجلب واستقر به أمير سلاح وأخلع على الأمير قائم التاجر المؤيدى واستقر به أمير مجلس، وأخلع على الأمير جانى بك نائب جده واستقر دوادارًا كبيرًا وأخلع على الأمير جانى بك الظريف واستقر به دوادارًا ثانيًا بتقدمة ألف. وأخلع على الأمير يلباى المؤيدى واستقر أمير أخور كبير وأخلع على الأمير أزبك من ططخ واستقر به حاجب الحجاب ورسم بإحضار الأمير تمربغا من مكة، فلما حضر استقر به رأس نوبة النواب. وخلع على الأمير أينال الأشقر واستقر به والى القاهرة فأقام مدة ثم نقله إلى نيابة ملطية واستقر بالأمير تمراز والى القاهرة وانخلع على الأمير تنم رصاص واستقر به محتسب القاهرة ثم أنعم بتقادم ألوف على جماعة من الأشرفية والظاهرية والمؤيدية وعلى جماعة منهم بإمريات أربعين وأمريات عشرة، فهذا كان ترتيب الأمراء أرباب الوظائف فى صدر دولته، ثم انتقلت الوظائف من بعد ذلك إلى جماعة كبيرة من الأمراء حسبما يأتى ذكرهم فى مواضعه. ثم إنه فرق الإقطاعات السنية على جماعة كثيرة من المماليك السلطانية، أنفق على العسكر نفقة كاملة لكل مملوك مائة دينار وأرضى العسكر بكل ما يمكن وتم أمره فى السلطنة واستقامت [ق ١٢٣ أ] أموره .

ثم فى أوائل دولته فى أواخر شهر رمضان. وصل المقر السيفى جانم الأشرفى نائب الشام إلى خانقاه سرياقوس وكان جماعة من الأشرفية قد كتبوا للأمير جانم على أنه يحضر حتى يولوه السلطنة. فلما ركبوا على الملك المؤيد أحمد وخلعه من السلطنة وولوا به الظاهر خشقدم فلم ينل الأمير جانم شيئاً وتعصب جماعة من الظاهرية والمؤيدية للظاهر خشقدم ومنعوا الأمير جانم من دخوله إلى القاهرة وأرسلو إليه الصاحب علاى الدين الأهناسى إلى سرياقوس ليلة عيد الفطر فمد له هناك مدة عظيمة .

ثم إن الظاهر خشقدم أنعم على الأمير جانم نائب الشام، وبترك الأمير يونس الدوادار جميعه وأنعم عليه بمال ورسم له أن يتوجه إلى الشام على عادته. فلما توجه إلى الشام أرسل السلطان إلى نائب قلعة دمشق بأن يقبض على جانم نائب الشام فأرمى عليه وهو فى

دار السعادة فخرج الأمير جانم هو وعياله من الشام هاربين واستمر هاجحا فى البلاد إلى أن قتل هناك، قيل قتله بعض الفداوية وقتل الفداوى أيضاً بعده، ثم بعد مدة يسيرة ركب المماليك الأشرفية والأينالية ولبسوا آلة الحرب وطلعوا إلى الرملة ونزل السلطان إلى الأسطبل وجلس بالمقعد المطل على سوق الخيل. ثم إن المماليك الأشرفية والأينالية توجهوا إلى الأتابكى جرباش كرت وكان مقيماً بتربة الملك الظاهر برقوق بسبب مأتم ابنته التى ماتت، فركبوه من هناك بالغصب وتوجهوا به إلى باب النصر وشق القاهرة وحملوا على رأسه سنجق ولقبوه بالملك الناصر، فلما حضر إلى الرملة جلس بالبيت الكبير الذى عند حدرة البقرة فأقام هناك ساعة، فنزل إليه جماعة من المماليك الظاهرية فاتفق مع المماليك الأشرفية والأينالية فكسروهم وهربوا، ثم إن السلطان طلع إلى القلعة وأرسل خلف الأتابكى جرباش فطلع إلى القلعة وانفض ذلك الجمع، ثم إن السلطان أخذ فى أسباب مسك جماعة. من الأمراء الأشرفية والأينالية فمسك منهم جماعة وأرسلهم إلى السجن بثغر الإسكندرية ونفى جماعة من المماليك الإينالية إلى بلاد الصعيد وغيرها.

وكان القائم بتدبير أمر المملكة يومئذ الأمير جانى بك نائب جده أمير دوادار كبير. ثم إن السلطان أخلع على الأمير تنم المؤيدى واستقر به نائب الشام عوضاً عن الأمير جانم الأشرفى .

ومن الحوادث فى أيامه : أن النيل توقف فى أول الزيادة واستمر نحو خمسة عشر يوماً ما يزد شيئا ، فأمر السلطان القضاة والعلماء أن ينزلوا إلى المقياس ويباتوا هناك ويدعوا إلى الله تعالى بالزيادة فزاد وأوفى فى آخر مسرى .

وفى أيام الظاهر خشقدم كسفت الشمس كسوفا فاختبأ حتى أظلمت الدنيا وأقامت نحو ساعة حتى انجلت .

ومن الحوادث فى أيامه فى أواخر شهور سنة ثمان وستين وثمانمائة قتل الأمير جانى بك نائب جده الدوادار الكبير فى القلعة وذلك يوم الثلاثاء فى أوائل ذى الحجة قتل عند باب الزردخاناه وقت الصبح وهو طالع إلى القلعة قيل قتله بعض المماليك الأجلاب الخشقدمية وذلك لما نقل أمره على الظاهر خشقدم فندب له من قتله، فقيل هو والأمير تنم رصاص المحتسب فى يوم واحد، ودفن الأمير جانى بك فى تربته التى أنشأها بالقرب من باب القرافة .

وفى أثناء هذه الواقعة قبض السلطان على الأمير تمربغا رأس نوبة النواب والأمير أزبك من ططخ حاجب الحجاب والأمير برقوق أحد الأمراء العشروات ونزلوهم من القلعة وهم فى قيود وحولهم الأوجاقية بخناجر وشقوا من الصليبة حتى وصلوا إلى البحر فلما وصلوا إلى ثغر الإسكندرية أقاموا بها ثلاثة أيام، وخلع الأتابكى قائم التاجر هو والأمراء المقدمين كلهم شفعوا فى الأمراء الذين توجهوا إلى ثغر الإسكندرية، فرسم السلطان لهم. بالعودة . فعادوا إلى القاهرة وخلع عليهم السلطان ونزلوا إلى بيوتهم على عادتهم وكان قبل هذه الواقعة رسم السلطان إلى الأتابكى جرباش كرت بأن يتوجه إلى دمياط بطالاً هو وولده سيدى محمد بن خوند سفرا فتوجهوا إلى دمياط وأقاموا بها إلى دولة الأشرف قايتباى فأمر بإحضارهما إلى القاهرة فحضر وأقاما بها إلى أن مات الأتابكى جرباش ثم مات ولده سيدى محمد من بعده .

فلما توجه الأتابكى جرباش إلى دمياط أخلع السلطان على الأمير قائم التاجر واستقر أتابك العساكر بمصر عوضاً عن الأمير جرباش كرت فأقام فى الأتابكية مدة، ثم مات وكان قد صفا للملك الظاهر خشقدم الوقت وأمر جماعة من مماليكه ورقاء حشداشينه المؤيدية فاستقر بالأمير قائم التاجر أتابك العساكر فلما مات استقر بالأمير يلباى المؤيدى أتابك العساكر عوضاً عن قائم التاجر واستقر بالأمير يشبك الفقيه دوادارًا كبيرًا عوضاً عن الأمير جانى بك نائب جده وأنعم على الأمير يشبك المحمودى المؤيدى بتقدمة ألف وأنعم على الأمير جانى بك فوهبه المؤيدى بتقدمة ألف وأنعم على الأمير مغلباى المؤيدى بتقدمة ألف وأنعم على جماعة كبيرة من حشداشينه المؤيدية بأمريات أربعين وعشروات وأنعم على سبطة المقر الشهابى أحمد بن العينى بتقدمة ألف ثم نقله وبقى [ق ١٢٤ ا] أمير أخور كبير، وأنعم على مملوكه الأمير خير بك بأمرية أربعين واستقر به دوادارًا ثانيًا عوضاً عن الأمير جانى بك، ثم أنعم على جماعة من مماليكه بأمريات عشروات.

ثم دخلت سنة تسع وستون وثمانمائة :

فيها: توجه المقر الشهابى أحمد بن العينى إلى الحجاز الشريف وصحبته خوند الأحمدية زوجة الملك الظاهر خشقدم وهى جدة المقر الشهابى أحمد بن العينى فخرج من القاهرة فى محمل زايد ونزل عظيم وخرج فى خلق عظيم واقترح فى طلبه أشياء كثيرة مما لم يقترحها أبناء الملوك من قبله ، فمن جملة ذلك أنه اتخذ أكوارًا من ذهب مرصعة

بفصوص بلخش وفيروز واتخذها بسق من ذهب ولؤلؤ وربض واحترف بأشياء كثيرة من هذا أعظم لم يسبق إليها، ولما رجع من الحجاز تزايدت عظمته وتضاعفت حزمته واجتمعت الكلمة فيه وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية وفيه يقول على بن برد بك الشاعر.

يا طاهر الأصل يا سبط الملوك ومن   حاز الطهارة من أصل بوجهين

البحـر جدك والإجماع منعقـد   على طهارة ماء البحـر والعين

واستمر الظاهر خشقدم فى السلطنة وهو فى أرغد عيش إلى أن مات على فراشه سيأتى ذكره فى موضعه، وكان ماشياً فى السلطنة على طريقة الملوك السالفة فى عمل المواكب، وبالقصر الكبير كان ينزل يوم وفاء النيل ويكسر السد بنفسه كما كان يفعل أستاذه الملك المؤيد شيخ، وكان كثير الرمايات فى بركة الحاج، وكان يلبس الأمراء الصوف فى المطعم ويدخل إلى القاهرة فى موكب عظيم والأمراء مشاة بين يديه وتزين لذلك القاهرة فى ذلك اليوم. وكان يدور المحمل فى شهر رجب على العادة القديمة وتزين لذلك القاهرة ثلاثة أيام ويخلع فيه على أرباب الوظائف من الأمراء والمتعممين وينفق فى هذه الحركة أموالاً طائلة وكان السلطان فى آخر ليلة منه يحرق نفطاً عظيماً فى الرملة ويجتمع الناس للفرجة، كان جماعة من فرسان المماليك السلطانية وعدتهم أربعون مملوكاً وأربعة نواب ومعلم يلعبون بالرمح على الخيل قبل تدوير المحمل بأربعين يومًا ويأتون بأشياء غريبة فى بنود اللعب بالرمح تحير الناظرين، وكان يوم تدوير المحمل يطلعون إلى الرملة ويسوقون هناك مرتين مرة فى أول النهار ومرة بعد الظهر وهم لابسون الأحمر وعليهم آلة الحرب، وكان المعلم يومئذ الأمير قايتباى شاد السربخاناة الشريفة وكانوا عند فروغهم من اللعب ينزل الأربعون عن خيولهم ويبوسون الأرض للسلطان [ق ١٢٤ ب] ثم ينزل الباشات الأربعة ويبوسون الأرض ثم ينزل المعلم ويبوس الأرض والسلطان ينظر إليهم من الجزخاناه التى فى القصر، وكان السلطان ينعم على المعلم فى ذلك اليوم بفرش وكبنوش وخلعة سنية وقد بطل ذلك من مصر مع جملة ما بطل من شعار المملكة .

وكانت أيام الظاهر خشقدم لهوًا وانشراحًا ولم يجىء على أيامه فضل ولا توجهت على أيامه تجريدة إلى بلاد الشرق سوى تجريدة إلى بلاد الفرنج. فأقامت مدة يسيرة وعادوا وهم سالمين، واستمر الظاهر خشقدم فى السلطة إلى أن مرض وسلسل فى المرض إلى أن مات فى

يوم السبت بعد الظهر عاشر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ومات وقد ناف على السبعين سنة من العمر.

ولما مات خلف من الأولاد اثنين ذكور أحدهما مات صغيرًا والآخر عاش حتى تزوج بنت الأمير أزدمر تمساح أحد الأمراء المقدمين واستمر مقيماً بالقاهرة ولم يسجن كعادة أولاد الملوك. ولما مات الظاهر خشقدم دفن فى تربته التى أنشأها فى الصحراء. فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية إلى أن مات ست سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً بما فيها مدة توعكه وانقطاعه. وكان ملكاً مهاباً عارفاً بأمور الملكة وكان محباً لجمع الأموال وكان معتدل القامة كبير اللحية قد شاب أكثرها. وكان أبيض اللون مشرب بحمرة مستدير الوجه أنيقا فى ملبسه جميل الهيئة وكان غير عفيف الدين ولولا أذى مماليكه فى حق الرعية لكان خيار ملوك الترك وكانت أيامه أحسن من أيام غيره من الملوك، وكانت دولته ثابتة القواعد وأما قضاته الشافعية فالقاضى شرف الدين بن يحيى المناوى والقاضى علم الدين بن صالح البلقينى ثم القاضى ولى الدين الأسيوطى. وأما قضاته الحنفية فالقاضى سعد الدين الديرى أولاً ثم ابن الصواف ثم القاضى محب الدين بن الشحنة ثم القاضى برهان الدين بن الديرى ثم أعيد القاضى محب الدين بن الشحنة ثانياً.

وأما قضاته المالكية فالقاضى سراج الدين بن حريز السيد الشريف، وأما قضاته الحنابلة فالقاضى عز الدين الحنبلى . وأما كتاب سره فالقاضى محب الدين بن الشحنة أولاً ثم القاضى برهان الدين الديرى ثم القاضى زين الدين أبى بكر بن مزهر. وأما نظار جيشه فقد تولى فى أيامه جماعة من الأعيان لم تطل مدتهم بها ثم تولى القاضى كمال الدين ابن المقر الجمالى يوسف ناظر الخواص.

وأما وزراؤه فالصاحب [ق ١٢٥ أ] علاء الدين بن الأهناسى أولاً ثم ابن صنيعة ثم أعيد الصاحب علاى ثانياً واستقر وزيراً وناظر الخواص الشريفة وتولى الاستادارية أيضاً قبل دولة الظاهر خشقدم.

ثم إن الظاهر خشقدم قبض على الصاحب علاى الدين بن الأهناسى وصادره واستصفى أمواله ونفاه إلى مكة ثم استقر بالأمير مجد الدين بن البقرى وزيراً وكان قبل ذلك تولى الاستادارية مدة تم تولى الوزارة فى أيامه الشرفى يونس، فلم تطل أيامه بها. ثم تولى

الصاحب شمس الدين البباوى ثم من بعده الزينى قاسم. وأما استاداريته فالأمير زين الدين أولاً ثم مجد الدين بن البقرى ثم منصور القبطى ثم تولى بها جماعة غيرهم.

وأما نظار خواصه: فالزينى عبد الرحمن بن الكويز والقاضى شرف الدين الأنصارى والقاضى تاج الدين بن المقسى وغيرهم من جماعة .

انتهت أخبار دولة الملك الظاهر خشقدم على سبيل الاختصار من ذلك .

ذكر من توفى فى أيامه من الأعيان

وهم : شيخ الإسلام سعد الدين الديرى الحنفى وقاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى وقاضى القضاة شرف الدين المناوى والأتابكى قائم التاجر والصاحب علاء الدين بن الأهناسى توفى بمكة والصاحب شمس الدين البباوى مات غريقاً. ومن الزهاد الشيخ عمر الكردى والشيخ محمد الشريفى. ومن الشعراء الشهاب الدين بن أبى السعود ونور الدين على بن برد بك وغيرهم من جماعة كبيرة من أعيان العلماء والصلحاء وغير ذلك .

٤٠ـ ذكر سلطنة الملك الظاهر أبى سعيد سيف الدين يلباى المؤيدى[١]

وهو التاسع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم وهو الرابع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية . وأصله جركسى الجنس جلبه الأمير أينال ضضع من بلاد جركس فاشتراه منه الملك المؤيد شيخ فى سنة عشرين وثمانمائة ثم أعتقه وصار خاصكياً ثم بقى ساقياً فى دولة الملك الظاهر جقمق، ثم بقى أمير عشرة، ثم بقى أمير أربعين، ثم بقى مقدم ألف فى دولة الملك الأشرف أينال، ثم بقى حاجب الحجاب فى دولة الظاهر خشقدم، ثم بقى أمير أخور كبير ثم بقى أتابك العساكر بعد موت الأتابكى قائم التاجر فى سنة تسع وستين وثمانمائة ثم بقى سلطاناً بعد موت الظاهر خشقدم. تسلطن فى يوم السبت بعد العصر فى عاشر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ولقب بالملك الظاهر وباس له الأمراء الأرض ونودى باسمه فى القاهرة ودقت له الكوسات وجلس على سرير الملك . فلما

---

(١) انظر المزيد فى : الضوء اللامع ١٠/ ٢٨٧ ، شذرات الذهب ٧ / ٣١٥ .

تم أمره فى السلطنة [ق ١٢٥ ب] أخلع على المقر السيفى تمربغا الظاهرى أمير مجلس واستقر به أتابك العساكر عوضا عن نفسه وأخلع على المقر الشهابى أحمد بن العينى واستقر به أمير مجلس وأخلع على الأمير يشبك المحمودى المؤيدى واستقر به أمير سلاح عوضاً عن الأمير قرقماش الجلب وأخلع على الأمير برد بك هجين واستقر أمير أخور كبير عوضاً عن ابن العينى، فلما استقر فى السلطنة ضعف أمره عن تدبير المملكة وظهر عليه العجز، وصارت أمور المملكة معدومة بالأمير خاير بك الدوادار الثانى مملوك خشقدم. ثم إن الظاهر يلباى ركز له مسك الأمير قرقماش الجلب فأرسل للقبض عليه وعلى الأمير أرغون شاه أستادار الصحبة، وكان الظاهر خشقدم أرسل الأمير يشبك الفقيه وقرقماش الجلب إلى نحو بلاد الصعيد بسبب أن العربان لما تزايد أمرهم فى الفساد فأرسل الظاهر يلباى قبض على الأمير قرقماش الجلب وأرغون شاه وأرسلهما من هناك إلى السجن بثغر الإسكندرية فنفرت منه قلوب العساكر، ثم إنه لما نفق على العسكر لم يعط أولاد الناس شيئًا ولا الخدام فكثر الدعاء عليه، ثم إن فى أثناء سلطنته حضر الأمير أزبك من ططخ وكان الملك الظاهر خشقدم أرسله إلى العقبة بسبب فساد العربان فوصل إلى قريب الأزلم وأحضر معه جماعة من العربان، فلما حضروا إلى القاهرة رسم الملك الظاهر يلباى يتوسط مائة وعشرين إنسانًا من العرب الذين حضروا صحبة الأمير أزبك، وكان فيهم جماعة صغار فلم يعلم الظالم من المظلوم ووسطهم أجمعين. ثم إن الظاهر يلباى حدثته نفسه بأن يمسك الأمير خايربك وجماعة من المماليك الخشقدمية فدبر فى ذلك حيلة كان فيها دهاء، كما قيل فى المعنى.

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده

ومازال إلا أنه أرسل قال لخشداشيته المؤيدية بأن يركبوا على المماليك الأخلاء الخشقدمية فركب الأمير يشبك الفقيه الدوادار الكبير والأمير قنبك المحمودى أمير سلاح والأمير جانى بك كوهيه والأمير مغلباى طار وجماعة من الأمراء المؤيدية، والتف عليهم جماعة من الاينالية والسيفية وغيرهم.

فأقام يشبك الفقيه فى المدرسة الجاولية وحفر خنادق فى الطريق واتفق مع المماليك الظاهرية والخشقدمية من يوم الخميس إلى يوم الجمعة بعد الصلاة فنزل إليهم الأمير قايتباى المحمودى رأس نوبة النواب ومعه جماعة كثيرة من الظاهرية والخشقدمية فاتقعوا معهم فأنكسر جماعة المؤيدية وهربوا فنهب العوام بيوتهم. فلما كان يوم السبت سابع

جمادى الأول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة: خلع الملك الظاهر يلباى من السلطنة وتولى الملك الظاهر [ق ١٢٦ أ] تمربغا كما سيأتى ذكره فى موضعه ثم صاروا فمسكوا الأمراء المؤيدية أولاً بأول ثم حبسوا الظاهر يلباى فى قاعة البحرة. فلما كان يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأول من السنة المذكورة أرسلوا الظاهر يلباى إلى السجن بثغر الإسكندرية هو والأمير قنبك أمير سلاح وهما فى قيود فأقام الظاهر يلباى فى السجن إلى أن مات فى أثناء الأشرف قايتباى، وذلك فى شهر صفر سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة، ودفن هناك وقد جاوز من العمر نحو ستة وسبعين سنة ومات الأمير قنبك المحمودى أيضاً هناك فى دولة الأشرف قايتباى فكانت مدة سلطنة الملك الظاهر يلباى بالديار المصرية شهرين إلا أربعة أيام، فكان كما قيل فى المعنى:

ركب الأهوال فى زورقه ثم ما سلم حتى ودعـا

وبه زالت دولة المؤيدية كأن لم تكن فسبحان القادر على كل شىء، وكان أكثر المؤيدية أمراء ومقدمين ألوف وأرباب وظائف فنفوا منهم جماعة إلى ثغر الإسكندرية وجماعة إلى دمياط.

ثم إن الملك الأشرف قايتباى أحضر الأمير يشبك الفقيه والأمير جانى بك كوهيه إلى الديار المصرية ، وأقام بها بطالين إلى أن ماتا أجمعين وانقرضت دولتهم وزالت، وكان الظاهر يلباى فى يد الأمير خاير بك الدوادار مثل اللولب يدوره كيف يشاء فكان الأمير خايربك قصده ليمهد لنفسه، فأشار على الظاهر يلباى بمسك الأمير قرقماش الجلب وأرغون شاه فأمسكهما، وأشار عليه بأن يولى أمير أزبك من ططخ نيابة الشام فولاه، ورسم له بأن يخرج من يومه فخرج وكان خاير بك يصح لنفسه مما ساعدته الأقدار على ذلك، وكان الظاهر يلباى ليس له فى السلطنة إلا مجرد الاسم فقط، والأمر كله للأمير خاير بك حتى أن العامة سميت السلطان " ايش كنت أنا " وكان الظاهر يلباى من عمره قليل المعرفة وكان يعرف بيلباى المجنون من حين كان خاصكيًا وقد حوى من كل شىء أو حينه فى ملبسه ومأكله ومماليكه، وكان غير مقبول الشكل فجمع بين الشكل والفعل وقلة التدبير وعدم الرأى، فخرج ما له على أقبح وجه وزال سعده جملة واحدة، وكانت سلطنته وأيامه أنحس أيام مع قصرها، فهو كما قال القائل فى المعنى:

وفظ غليظ الطبع لا ود عنده وليس لديه للأخـلاء تأنيس

تواضعه كبر وتقريبــه جفــا وترحيبه مقت وبشراه تعبيس

انتهت أخبار دولة الملك الظاهر يلباى على سبيل الاختصار من ذلك . [ق ١٢٦ ب].

٤١ـ ذكر سلطنة الملك الظاهر أبى سعيد

تمربغا الظاهرى(١)

هـو الأربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثانى من الروم. وكان أصله رومـى الجـنس مـن ممالـيك الملـك الظاهـر جقمـق ربـاه صـغيراً . فـلما تسلطن جقمق جعله خاصـكيًا، ثم بقى سلحداراً، ثم بقى فى خازندار ثم أمير أربعين دوادار ثانى. ثم بقى مقدم ألـف دوادار كـبير فى دولة الملك المنصور عثمان، ثم حبس بثغر الإسكندرية لما خلع المنصور من السلطنة فأقام فى السجن نحو ست سنين، ثم أفرج عنه فى دولة الأشرف اينال وتوجه إلى مكـة، فأقـام بهـا نحـو ثـلاث سـنين، إلى أن قـدم إلى القاهرة فى أول دول دولة الظاهر خشـقدم ثـم فى أتابك العسـاكر فى دولة الظاهر يلباى. فلما خلع الظاهر يلباى من السلطنة تسـلطن عوضـه وذلك فى يوم السبت سـابع جمادى الأول من سـنة اثنتين وسـبعين وثمانمائة فلـبس خلعـة السـلطنة مـن الحـراقة التى فى الإسطبل وركب منها والخليفة قدامه والأمراء مشـاة بـين يديـه وحمل القبة والطير على رأسه الأمير قايتباى المحمودى رأس نوبة النواب فطلـع من باب سر القصر وجلس على سرير الملك وباس له الأمراء الأرض ونودى باسمه فى القاهـرة وضـج له الـناس بالدعـاء، وتلقـب بالملك الظاهر ودقت له البشائر. وفرح به الناس لكونه رجلاً عاقلاً عارفًا بأحوال المملكة. وكان كفئا للسلطنة واشتمل على جملة محاسن من الفروسية وغيرها، ولكن لم يساعده الدهر وغلبت عليه الأقدار كما قيل فى المعنى:

وإذا جفاك الدهر وهو أبو الورى طرافــلا تعتب على أبنائه

فـلم يـتم أمـره فى السلطنة ولا صفا له الوقت، ومما وقع فى أيامه أنه أمر بالإفراج عن الأمـير قـرقماش الجلـب، وأحضـره من ثغر الإسكندرية فأقام بالقاهرة أياماً، ثم رسم له بأن يـتوجه إلى دمياط بطالاً من غير سجن فتوجه إليها ثم أمر بالإفراج عن الأمير تمراز الشمسى مـن ثغـر دمـياط، فحضـر هـو والأمير دولات باى النجمى. وكان مقيماً بها من دولة الظاهر

---

(١) انظر المزيد فى : الضوء اللامع ٣ / ٤٠ ، بدائع الزهور ٢/ ٨٧ / ١٥٦.

خشـقدم، ثم أخلع على الأمير قايتباى المحمودى واستقر به أتابك العساكر عوضاً عن نفسه وأخلـع عـلى الأمـير جـانى بـك قلقسـيز واسـتقر بـه أمير سلاح عوضاً عن قنبك المحمودى وأخلـع عـلى الأمـير خاير بك واستقر به دوادارا كبيراً عوضاً عن الأمير يشبك الفقيه وأخلع عـلى الأمير تمراز واستقر به حاجب الحجاب بعدما كان والياً ثم قبض على الشرفى يحيى ابـن الأمـير يشـبك الفقيه وصادره بسبب فرار ابنه، واستمر الملك الظاهر تمربغا فى السلطنة أياماً يسيرة ثم وثب عليه الأمير خاير بك طلع إلى القلعة هو وحشداشيته الخشقدمية. وذلك أن الأمـير [ق ١٢٧ أ] خايـر بك طلع إلى القلعة فى ليلة الاثنين سادس شهر رجب. فلما طلـع بعـد المغـرب دخـل إلى القصر الكبير وكانت ليلة موكب والأمراء مجتمعين فقبض على السـلطان تمـربغا وعـلى الأمـراء وحبسـهم تحت الخرجة التى يجلس فيها السلطان ، ثم إن خايـر بـك جلـس عـلى سـرير الملـك فـى تلـك الليلة من غير مبايعة، ولا حضر الخليفة ولا القضاة ثم إن جماعة من الخشقدمية باسوا له الأرض فى القصر الكبير، وتلقب بالظاهر مثل أسـتاذه خشـقدم. فـلما بلـغ الأتابكى قايتباى ذلك وكان ثانياً من الأمراء فى الربيع فحضر تحـت اللـيل والتف عليه جماعة من الاينالية والظاهرية وركب فى الليل وطلع إلى الرملة : فـلما بلـغ الأمـير خايـر بك ذلك ضاق عليه الأمر، فأطلق السلطان تمربغا والأمراء الذين كان سـجنهم كمـا تقـدم تحـت الخـرجة، وأجلسه على سرير الملك وانبطح بين يديه وقال له : وسـطنى فـلا بـاغى علـيك فعفـا عنه الملك الظاهر تمربغا. فلما استقر الصباح انكسر المماليك الخشـقدمية وملـك الأتـابكى قايتـباى باب السلسلة والأسطبل السلطانى، فعند ذلك اجتمع رأى الأمـراء عـلى سـلطنة الأتـابكى قايتـباى وأحضـروا له خلعة السلطنة. فامتنع من ذلك وصـار يـبكى ويقـول دعونـى مـن ذلك فلازالوا عليه حتى سلطنوه وخلعوا الظاهر تمربغا من السـلطنة ودخلـوا بـه إلى الـبحرة. فكانـت مـدة سـلطنة الملـك الظاهر تمربغا بالديار المصرية شهرين إلا يومين فكان الأمر القائل فى المعنى .

لم أستتم عناقه لقدومه حتى ابتدأت عناقه لوداعه

ولم يعـلم بـأن أحـداً مـن ملوك الترك خلع وهو فى هذا الشرف أقل من هذه المدة سوى يلباى وتمربغا فما كان أغناهما عن هذه السلطة . ولما خلع الظاهر تمربغا من السلطنة ودخل إلى الـبحرة، فأقـام بها وهو فى غاية العز والإكرام، ثم رسم له السلطان قايتباى بأن يتوجه

إلى دمياط فخرج تحت الليل من غير قيد ولا أوجاقى خلفه، كما جرت به العادة، وبالغ السلطان فى تعظيمه واحترامه إلى الغاية .

فلما وصل إلى دمياط لم يسجن بها وصار يركب ويسير بها، وأقام على ذلك مدة، وهو فى أحسن حاله إلى أن حسن له بعض الجهال أن ينسحب من ثغر دمياط فتسحب منها وأراد أن يتوجه إلى نحو البلاد الشامية، وكان غالب الأمراء والعسكر فى البلاد الحلبية بسبب سوار لما خرج على الطاعة كما سيأتى ذكره فى موضعه. فلما وصل السلطان تمربغا إلى قرب مدينة غزة خرج إليه نائب غزة الأمير أرغون شاه فمسكه فى أثناء الطريق، فأرسل إليه السلطان الأمير يشبك الدوادار فقبض عليه وتوجه [ق ١٢٧ ب] إلى ثغر الإسكندرية، فأقام بها من غير سجن ولا تقييد وكان ذلك علماً من السلطان قايتباى، فأقام الظاهر تمربغا فى ثغر الإسكندرية إلى أن مات فى أثناء دولة الأشرف قايتباى فكان كما قال القائل فى المعنى.

فغض الطرف أنك من تميزه   فلا سعد أبلغت ولاكلاباه

انتهت أخبار دولة الملك الظاهر تمربغا على سبيل الاختصار .

٤٢ـ ذكر سلطنة الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين قايتباى المحمودى الظاهرى(١)

وهو الحادى والأربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، وهو الخامس عشر من ملوك الجراكسة ، كان أصله جركسى الجنس، جلبه الخواجا محمود إلى الديار المصرية فاشتراه منه الأشرف برسباى فى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة، ثم انتقل بعد موت الأشرف برسباى إلى ملك الملك الظاهر جقمق، فأعتقه وجعله خاصكيًا، ثم بقى بعمله الدوادار، ثم بقى أمير عشرة فى أثناء دولة الأشرف أينال، ثم بقى أمير أربعين شاد السربخاناه الشريفة فى دولة الظاهر خشقدم، ثم بقى مقدم ألف رأس نوبة النواب ثم بقى أتابك العساكر فى دولة الظاهر تمربغا، فأقام على ذلك مدة يسيرة، فلما جرى للملك الظاهر تمربغا ما تقدم ذكره، وخلع من السلطنة فتولى الأتابكى قايتباى عوضه كما تقدم وذلك فى يوم الاثنين

---

(١) انظر المزيد فى : بدائع الزهور ٢ / ٩٠ - ٣٠٣ ، تاريخ المماليك ١٥٧ ، تاريخ الكعبة ١٣٨ .

سادس شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة، فلبس خلعة السلطنة من الحراقة التى فى الأسطبل السلطانى وركب منها وطلع إلى باب سر القصر الكبير، وكان الأمير جانى بك قلقسيز أمير سلاح حامل السنجق السلطانى على رأسه، وذلك لفقد القبة. وله الطير من الرردخاناه. فلما طلع إلى القصر باس له الأمراء الأرض. ودقت الكوسات له ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعاء وتلقب بالملك الأشرف وفرح به الناس ولاسيما المماليك الخشقدمية وكان اشترط على العسكر أنه ما ينفق عليهم نفقة السلطنة فرضوا بذلك منه وتم أمره فى السلطنة، واستقامت أحواله بها فعند ذلك أخلع على من يذكر من الأمراء أرباب الوظائف وهم: الأمير جانى بك قلقسيز أمير سلاح فأخلع عليه واستقر به أتابك العساكر عوضاً عن نفسه وأخلع على الأمير برد بك هجين واستقر به أمير سلاح عوضاً عن الأمير جانى بك قلقسيز، وأمر بإحضار الأمير قرقماش الجلب من دمياط. فلما حضر أخلع عليه واستقر به أمير مجلس عوضاً عن المقر الشهابى وأحمد بن العينى، وكان الأمير قرقماش الجلب قبل أن [ق ١٢٨ أ] يبقى أمير سلاح وأخلع على الأمير يشبك من مهدى واستقر به دوادارًا كبيرًا عوضاً عن خاير بك وخلع على الأمير جانى بك الفقيه واستقر به أمير اخور كبير عوضاً عن الأمير برد بك هجين وأخلع على الأمير نانق واستقر به رأس نوبة النواب عوضاً عن الأمير مشكلدى البيسقى واستقر بالأمير تمر حاجب الحجاب على عادته وأخلع على الأمير فانى يزدى الأينالى واستقر به دوادارًا ثانيًا فأقام مدة يسيرة ومات فى الفصل ما استقر من بعده بالأمير يشبك وقيل تانى بك قرا دوادار ثانى فى الفصل. فاستقر من بعده بالأمير يشبك من حيدر والى القاهرة، وأخلع على الأمير قانصوه الخسيف واستقر به محتسب القاهرة، ثم بقى ساد السربخاناه الشريفة. ثم أنعم عليه بتقدمة ألف بعد مدة. وأنعم على الأمير تمراز الشمسى بتقدمة ألف. وأنعم على الأمير برقوق الظاهرى بتقدمة ألف، وأنعم على جماعة من الأمراء الظاهرية بتقادم ألوف، وعلى جماعة من الأينالية والأشرفية بأمريات أربعين وأمريات عشرة. فهذا كان ترتيب الأمراء أرباب الوظائف فى صدر دولته، ثم انتقلت الوظائف من بعد ذلك إلى جماعة كثيرة من الأمراء الظاهرية والأينالية والأشرفية حسبما يأتى ذكرهم فى مواضعه، فاستقامت أموره فى السلطنة وفيه يقول الشهاب المنصورى.

سلطاننا الأشرف فى بذله　　　وعدله قد جمع الفضلا

تقبــل الله الـذى عـــزه   بالنصر منه الصرف والعدلا

ثـم فـى أوائـل دولـتـه : جاءت الأخبار من البلاد الحلبية بأن شاه سوار أمير التركمان، وهـو مـن الأزد وذلغـادر قـد أظهـر العصـيان وخرج على الطاعة وكان قد أظهر العصيان فى أواخـر دولـة الظاهـر خشـقدم فعـين له الأمير برد بك البشمقدار نائب حلب فخرج إليه مع جماعـة من النواب فكسرهم فعين له الظاهر خشقدم تجريدة فمات عقب ذلك ولم يجرد له. فـلما تسـلطن الأشـرف قايتـباى عين له تجريدة وكان ناس العسكر المقر الأتابكى جانى بك قلقسـيز مـع جماعـة مـن الأمـراء المقدمـين والمماليك السلطانية. فلما وصلوا إليه أتقعوا معه فكسـرهم وأسر الأتابكى جانى بك قلقسيز أرسـل السلطان أحضر المقر السيفى أزبك من ططخ نائب الشام وقد تقدم أن الظاهر يلباى ولاه نائب الشام فلما حضر [ق ١٢٨ ب] إلى الديار المصـرية أخلع عليه. واستقر به أتابك العساكر بمصر عوضاً عن جانى بك قلقسيز وذلك فى سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة . ثم بعد مدة أطلق سوار الأتابكى جانى بك قلقسـيز وحضر إلى الديار المصرية ، فاسـتقر بـه أمـير سلاح وخرج إلى التجريدة بسبب حسن بك الطويل فلما مـات الأمـير بـرقوق نائـب الشـام أرسـلوا إلـيه خلعة وتولى بعده نيابة الشام بحكم صحبته وموت الأمير برقوق.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعون وثمانمائة:

فـيها : عـين السـلطان تجـريدة ثانية إلى سوار وكان باش العساكر أمير كبير أزبك وكان الجلـب أمـير مجلـس والأمـير قـرقماش والأمـير سـودون القصروى وتمراز حـاجب الحجاب وجماعة من الأمراء المقدمين معه والعسكر فتوجهوا إلى هناك.

وفـى هـذه السـنة : دخـل الوبـاء إلى الديار المصرية فمات فيه جماعة كبيرة من الأمراء الأينالية والمماليك السلطانية وغير ذلك وفيه يقول الشهاب المنصورى.

يا نعـم عيشة مصر   وبئس ما قد دهاهـا

لما فشى الطعن فيها   حاكى السهام وباها

وفـيها : توجـه السـلطان الملـك الأشـرف قايتـباى إلى نحـو الشرقية والغربية وأقام فى سـرحته نحـو أربعـين يوماً . فلما رجع شق من القاهرة وزينت له وفرشت له الشقق الحرير مـن قـدام مدرسـة أم السلطان إلى القلعة وحملت القبة والطير على رأسه. وكان الأمير برقوق

هو الذى حمل القبة والطير على رأسه، وكان يومئذ مقدم ألف، وكان العسكر غائباً فى التجريدة فأقام الأمير برقوق بعد ذلك مدة ثم بقى نائب الشام.

ثم جاءت الأخبار من البلاد الحلبية بأن العسكر قد انكسر وقيل الأمير قرقماش الجلب وجماعة من الأمراء المقدمين والعشراوات والمماليك السلطانية، فاضطربت أحوال الديار المصرية وقد استطال سوار على العسكر وقوى عسكره من نهب العسكر السلطانى. وصار العسكر يدخل إلى القاهرة وهم انحس حالة والذى مات هناك أكثر ووقع الصراخ فى القاهرة مثل أيام الفصول بسبب العسكر الذى قتل هناك.

وفيها: استقر الأمير لاجين الظاهرى أمير مجلس عوضاً عن الأمير قرقماش الجلب. وفيها: أخلع على سودون القصروى واستقر رأس نوبة النواب عوضاً عن نافق وتوجه إلى التجريدة وقتل هناك كثير من الأمراء والعسكر وتعطلت غالب البلاد الحلبية فى هذه المدة: وفى ذلك يقول بعض الشعراء [ق ١٢٩ أ].

يارب إن سوارا قد بغى به قد أصبحوا الناس فى ضيق وفى قلق

فاكسر سوارا ودعه فى السلاسل فى خواتم الأمر يستعطى من الحلق

واستمر الأمر على ذلك إلى أن دخلت سنة **خمس وسبعون وثمانمائة** فيها: عين السلطان تجريدة ثالثة إلى سوار وعين الأمير يشبك الدوادار الكبير والأمير تمراز الشمسى قريب المقام الشريف، وعين جماعة من الأمراء المقدمين والعشروات والمماليك السلطانية نحو ألفين مملوك وخرج الأمير يشبك من القاهرة فى طلب عظيم إلى الغاية. وكان له موكب عظيم فتفاءل الناس بنصرتهم على سوار فى هذه المرة. فلما وصلوا إلى حلب توجهوا منها إلى زمنطوا وهو مكان محل سوار فوجدوه فى قلعتها فحاصروه. فأرسل سوار يطلب السلاح من الأمير يشبك الدوادار فأجابه إلى ذلك وأنه ينزل ويقاتل ويلبس خلعة السلطان ويعود إلى قلعة زمنطوا. فأرسل سوار يطلب الأمير تمراز قريب المقام الشريف فتوجه إليه الأمير تمراز ومعه القاضى شمس الدين بن أجا. فلما طلع إليه الأمير تمراز لطف به فى الكلام وسايسه حتى نزل معه سوار فى نفر قليل من عسكره. فلما نزل توجه إلى عند الأمير يشبك الدوادار فأكرمه وعظمه وألبسه خلعة سنية وقال له امض إلى عند الأمير برقوق نائب الشام فسلم عليه. فمضى سوار إلى عند الأمير برقوق فسلم عليه فلما مثل سوار بين يدى برقوق قام له ثم أحضر له خلعة وفيها زنجير، فلما ألبسه الخلعة وضع زنجيرًا فى رقبته وكان معه

الأمير تمراز فشق ذلك عليه وحصل بينه وبين الأمير برقوق وتشاجرا بسبب سوار، نزل معه وأركن إليه فلم يسمع له برقوق شيئًا فلما جرى ذلك قصد العسكر التوجه إلى نحو الديار المصرية وصحبتهم سوار وأقاربه وأخوته، فكان يوم دخوله إلى حلب مشهوداً وكذلك فى الشام، وزينوا له زينة عظيمة فلما وصل العسكر إلى الديار المصرية زينت له زينة عظيمة ودقت البشائر وخرجت البيوت فى حذرها تنظر إلى سوار الذى يتم الأطفال ورمل النسوان. فدخل الأمراء والأمير يشبك الدوادار إلى القاهرة فى موكب عظيم وقدامهم سوار وهو راكب على فرس وعليه خلعة تماسيح مذهب على أسود وهو فى زنجير طويل ومشكول معه شخص من الأمراء العشراوات يسمى تنم الضبع من الظاهرية وقدام سوار أخوته وأقاربه وهم راكبون وفى أعناقهم جنازير. فلما طلعوا إلى القلعة ومثل سوار بين يدى السلطان [ق ١٢٩ ب] فعاتبه عتاباً لطيفاً ثم أمر بتسليمه إلى الأمير يشبك من حيدر والى القاهرة، فلما تسلمه نزع الخلعة من عليه وأبقى عليه ماطلاً أبيض فأركبوه على جمل وجعلوا فى عنقه جلجلاً كبيرًا وشمروا أخوته وأقاربه على جمال وهم عرايا ورؤوسهم مشقة والمشاغلية تنادى عليهم هذا أجر من يعصى على الملوك ونزلوا بهم من حوله وذلك فى يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثمانمائة فأقام سوار وأقاربه معلقين على باب زويلة يومين حتى دفن هو وأقاربه.

وكان سوار حسن الشكل مستدير الوجه أحمر اللون أسود اللحية أشهل العينين، طويل القامة مليء ضخم وقد جاوز من العمر نحو الأربعين سنة. فلما مات سوار شق ذلك على الأمير تمراز قريب المقام الشريف لكون أن سوار ركن إليه ونزل معه من قلعة زمنطوا وكان قصده أن سوارًا يسجن إلى ما تقتضيه الآراء الشريفة والذى فعله السلطان بسوار كان عين الصواب حتى يعتبر كل أحد فعند ذلك خمدت الفتن واطمأن الناس وفى ذلك يقول الشهاب المنصورى.

يا أيها الملك الذى سطواته تغنى عن العسال والبتار
علق سوار فوق باب زويلة إن كنت منه آخذا بالتار
فلأنت تعلم أن ذلك معصم ما كنت تتركه بغير سوار

وقوله فى الأمير يشبك لما دخل إلى مصر ومعه سوار

منذ وافا الأمير يشبك مصرا جندا مصر موطن الأوطار

لبست حجـل نيلها وتحلى   زنـدبـابى زويلة بســوار

ثـم أقامـت الـناس هادئـة من الفتن أوائل سنة ثمان وتسعين فجاءت الأخبار بأن حسن بـك الطويـل ملك العراقيين قد تحرك على بلاد السلطان ووصل أوائل عسكره إلى البيرة وأن نائـب البيرة محاصـر معهـم فاضـطربت أحـوال الديـار المصـرية ونـادى السـلطان للعسكر بالعرض، فكان الأمر كما قال القائل:

سـلوت جـلوس إنسـان تقبل   فجاءنا آخر من ذاك أثقل

فكنت كمن شكى الطاعون يوماً   فجاء على الطاعون دمـل

ثـم إن السـلطان عـين الأمـير يشـبك الـدوادار ومعـه جماعة من الأمراء المقدمين والأمراء العشـراوات والمماليـك السلطانية فخرجوا إليهم واتقعوا معهم على [ق ١٣٠ أ] البيرة وقعة عظـيمة فقـتل بهـا مـن الأمـراء العشـروات شـخص يسـمى قرقماس العلاى أمير خوار رابع وبعض مماليك سلطان ثم جاليس حسن الطويل انكسر وهرب ورجع إلى بلاده وكان له رعب قوى فى قلوب الناس ولكن أخذله الله تعالى ورجع إلى بلاده فعند ذلك قصد العسكر المصرى الـرجوع إلى القاهـرة فـرجعوا إلـيها فى أثناء سنة ثمان وسبعين وثمانمائة وقد انتصر العسكر عـلى حسن الطويل. وفيها تولى الأمير تمراز الشمسى قريب المقام الشريف رأس نوبة النواب عوضاً عن أينال الأشقر لما بقى أمير سلاح ، وفى ذلك يقول الشهاب المنصورى .

أيها العسكر الذى سـار قصدا   لقتــال الطــويل لا تنظــروه

لا تطيـلوا مـع العـدو كلاما   فى وغى الحرب والطويل أقصروه

وقال الشيخ شمس الدين القادرى

أيا حسن الطويل بعثت جيشا   كأغنام وهــن لنـا غنـايم

فنار الحرب قد سبكت سوارا   وأنت لسبكها لا شك خاتم

وقوله فيه أيضاً:

عروس الحرب نقطها المواضى   بأرواح الأعـارب والأعـاجم

وقـد جـليت وفى يدها سوار   وها حسن لكف الحرب خاتم

وقال شمس الدين بن شادى خجا

أيا حسن الطويل قصرت عمرا   وفاتتـك المعـالى والمغـانم

سـوار قـد سبكنـــاه ابتـداء وأنت بنـــاره للسبك خـــاتم

ثم دخلت سنة ثمانون وثمانمائة:

فـيها : جـاءت الأخـبار بـأن حسـن بـك الطويل قد مات وتولى بعده ابنه يعقوب بك. وكان حسن بك الطويل قصده العود إلى محاربة عسكر فأخذه الله تعالى.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانون :

فـيها : دخـل الوبـاء إلى الديـار المصرية ومـات فـيه جماعـة كبيرة من المماليك والعبيد والجوارى والأطفال ومات عقيبه الأمير أينال الأشقر أمير سلاح وتولى الأمير جانى بك الفقيه أمـير سـلاح وأقـام الفصل بالديار المصرية نحو أربعة شهور عمال. وفى ذلك يقول الشهابى المنصورى:

لهفى عـــلى مصر وولدانها أضحوا إلى الموت يساقونا

ما نشر الفصل سهام الردى عــــليهم إلا طواعينــا

ثم دخلت سنة اثنتان وثمانون :

فـيها : خـرج السلطان على حين غفلة من الناس وسافر إلى نحو البلاد الشامية ولم يُعْلِمْ أحـداً مـن الناس بسفره وكان معه من الأمراء الأمير [ق ١٣٠ ب] ناقى بك قرا وكان يومئذ دوادارًا ثانـيًا وكـان معـه مـن المباشـرين القاضـى أبـو الـبقاء بـن الجـيعان، وكـان معـه من الخاصـكية نحـو خمسـين إنسـانًا. وكـان جمـيع الأمـراء المقدمين مقيمين بالقاهرة والخليفة والقضـاة الأربعـة وجمـيع العسـكر فاسـتطرد السـلطان فـى هذه السفرة إلى أن وصل إلى بحر الفـرات، وكشـف عـلى القلاع والنواب وأخذ تقاديهم وهداياتهم وأقام بحلب أياماً ثم توجه إلى دمشـق فمـرض فـى أثـناء الطـريق واشـتد بـه المرض وأشيع فى القاهرة بموته واضطربت أحوال الديار المصرية بسبب ذلك وكثر الكلام بين الأمراء وكان الأتابكى أزبك والأمير يشبك الـدوادار فـى مصـر أربـاب الحـل والعقد والكلمة مجتمعة فيهما. ثم بعد مدة يـسيرة جاءت الأخـبار بـأن السـلطان قـد شـفى من ذلك المرض، ثم إن السلطان أرسل عدة منالات سريعة عـلى يـد خاصـكى يسـمى بـرد بـك سـكر إلى سـائر الأمراء واعيان الناس والخليفة والقضاة الأربعـة بأن السلطان قد شفى من ذلك العارض وهو قاصد نحو الديار المصرية . ففرح الناس

لذلك وأخلعوا على ذلك المبشر جميع الأمراء إلى تلقيه وزينت له القاهرة زينة عظيمة . وكان يوم دخوله إلى القاهرة يوماً مشهوداً ودخل فى موكب عظيم والأتابكى أزبك حامل القبة والطير على رأسه ولعبوا بالعواسى الذهب قدامه وفرشت له الشقق الحرير من القباية إلى القلعة وسائر الأمراء قدامه والقضاة فى شهر جمادى الأخرى من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة وفى ذلك يقول بدر الدين بن الزيتونى.

سلطاننا الأشرف خرج فى أربعين ... من العساكر حين سافر حماه
ومن حلب عدى يروم الفراة ... فأسقى الخيول من ماه وربو حماه
فى مصر فرسان أربعين فى العدد ... لدورة المحمل يسوقوا الجياد
ورعيهم ساكن قلوب الملوك ... يردوا الخارج وأهل العناد
فى ذا العدد راح الملك وافتخر ... بهم على سائر ملوك البلاد
وخوسوار لاقاه وفى صحبته ... ولد حسن بك بالخدم ما أباه

[ق ١٣١ أ]

وأخلع عليه اطمن وأخلع على ... ولد حسن خلعة وشتت أباه
كامل مظفر بالعدا لم يزل ... تجرى دماهم من حسامه نهر
خرج لتطمين العباد فى البلاد ... فكم شكر عادل وظالم نهر
إمامنا الأعظم مليك الزمان ... بالعدل فى هذا الوجود اشتهر
كشف على النواب فمن حاف وجار ... أنكر عليه فله وبالعزل جاه
ومن رآه عادل وفعله حسن ... خلع عليه وأعطاه منازل وجاه
[1]لما دخل للشام توعك وكان ... من الهوا والشرب من ما العيون
فقلت كادت عين تصيبه فكان ... توعكه حرزه لدفع العيون
وربنا عافاه وجبه لنا ... سالم وقرت به جميع العيون
ومهد الدنيا وأن يعدلوه ... أن ينثنى عزمه الشديد ما ثناه
وفاز بتاريخ ما فرح به ملك ... قبله ونال قصده بيض ثناه
أهل الفضائل والعلوم ورخوا ... وكل واحد فى الكتابة ذهب
يكتب تواريخ الملوك بالمداد ... إلا لقايتباى كتب بالذهب

---

(١) انظر بدائع الزهور ٣ / ١٤٠.

هو فارس الإسلام وليث الوغا وفهلوان الحرب مبدى العجب
وخالقه علا مقامه الشريف على الملوك وانشاه ومن ما يراه
وكل ذا فى اللوح قديم فى الأزل خطو القلم جل الذى قد يراه
[1]لأجله الدوادار الكبير قد برز أمره بتوسيع الطريق المضيق
وكشف أبواب المساجد وما بين المدارس كان على غير طريق
وصلح الأبواب وشىء بيضه وأخلع على واحد مشد الطريق
ووكله بالقاهرة كل يوم بقى يدور راكب وفى إيده عصاه
ويأمر الناس بالبياض والدهان طاع الجميع أمره ولا حد عصاه
صارت مدينتنا عروساً للملك وذا عجب كيف العريس هو الولى
ونقشوها بالدهان فى البياض وأضحت عروسه بالطراز تتجلى
ومدت المدات نهار الفرح وزينوها بالحلا والحلى
وبان لها سيقان عواميد رخام حلاهم الصانع ونعم جلاء
ودقت الكوسات نهار الدخول وكان دخوله فى المواكب جلاه
تاريخ سنة اثنين جمادى الأخير تلى ثمانين من ثمان من مئين
[ق ١٣١ب]
من هجرة الهادى عليه السلام خير النبيين سيد المرسلين
تجهز السلطان يريد السفر وأخفا عن العسكر خرج فى أربعين
وفر لبيت المال خزائن ذهب ما يحصروها من قلم مع دواه
وريح العسكر وكم من ضعيف كان التخلف فى بلاده دواه
هذا المعانى والبديع والجناس من نظم زيتونى لفقه دخول
آبو النجا العوفى نظم فى الملك من حين خروجه فى السفر للدخول
فإن تجد له عيب فسد الخلل إذا سمعته فى نظامه يقول
سلطاننا الأشرف خرج فى أربعين من العساكر حين سافر حماه
ومن حلب عدى يروم الفراة فأسقى الخيول من ماه وربه حماه

انتهى ذلك .

---

(١) انظر بدائع الزهور ٣ /١٤١.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانون وثمانمائة:

فيها: استقر الأمير يشبك الدوادار أمير سلاح عوضاً عن الأمير جانى بك الفقيه لما توجه إلى القدس بطالاً فعظم أمر الأمير يشبك وترقى وصار أمير سلاح ودوادارًا كبيرًا ووزيرًا واستادارًا وكاشف الكشاف وكانت له فى مصر حرمة حارقة وكلمة نافذة .

ولما دخلت سنة خمس وثمانون وثمانمائة :

فيها: توجه الملك الأشرف قايتباى إلى الحجاز الشريف وأخفى سفره عن الناس ولم يصحب معه أحداً من الأمراء المقدمين ولا غيرهم، فلما خرج المحمل من القاهرة خرج السلطان بعده بيومين وكان أمير المحمل فى تلك السنة الصاحب خشقدم الأحمدى، فلما وصل السلطان إلى مكة نزل فى مدرسته التى أنشأها عند باب السلام، فلما قضى حجه توجه إلى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصدق هناك بمال جزيل ثم قصد التوجه إلى نحو الديار المصرية ، فدخل إلى القاهرة قبل مجىء الحجاج بثمانية أيام ونزل فى قبة الأمير يشبك التى فى المطرية فمد له الأتابكى أزبك هناك مدة عظيمة، ثم دخل إلى القاهرة فى موكب عظيم وحملت القبة والطير على رأسه وفرشت له الشقق الحرير وكان يوم دخوله إلى القاهرة يوماً مشهوداً، حتى طلع إلى القلعة فمد له الأمير يشبك فى القلعة مدة عظيمة أعظم من مدة الأتابكى أزبك وينصب له خوند القلعة والحوش السلطانى على مجيئه من الحجاز ودخل له تقادم عظيمة ومدحته الشعراء عند عودته من الحجاز بقصائد سنية فمن ذلك قول الشهاب المنصورى : [ق ١٣٢ أ] .

قدم السرور بمقدم السلطان ... من حجه المقبول بالرضوان
سلطاننا الملك الهمام الأشرف ... الراقى سماء الحسن والإحسان
فدعاؤنا ببقائه فى نعمة ... وسلامة فرض على الأعيان
لما نوى حجا ولبى محرما ... عم الأمان مراتع الغزلان
والوحش فى أبياتها والدوح فى ... أنباتها والطير فى الطيران
حظيت به أم القرى مذ زارها ... واشتاقه مصر أبو البلدان
والكعبة افتخرت وودت أنها ... فى اخد دولته من الخيلات
نصبت ستائر لرفع مقامه ... ثم انتهت مجرورة الأردان
لو أنها عقلت لخرت حرمة ... لله ساجدة على الأذقان

أو أحسنت رقصا لفرحتها به رقصت له بمعاطف الأركان
ولسلمت جهرا عليه وأبذلت سر السلام عليه بالإعلان
فاطوف الملك الهمام بها إلى سبع ولولا الحد زاد ثمان
وصفا له قلب الصفا والمروة استر قت به مرقى بنى مروان
وافاض منذ أفاض من عرفاتها دمع اشتياق سال كالغدران
وعلى منى بلغت المنى من ربه ورمى الجمار بمهجة الشيطان
وقضى مناسك حجه فأتمها مختومة بالحمد والشكران
فاستبشرت مصر وهنا بعضها بعضا بعودته إلى الأوطان
فالحمد لله الذى جبر الورى ورعى القرى بسلامة السلطان

فلما رجع السلطان من الحجاز أقام مدة ثم توجه إلى زيارة بيت المقدس فزاره ثم رجع إلى القاهرة بعد مدة .

فى سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة :

فيها : توجه إلى الإسكندرية ومعه جماعة من الأمراء المقدمين ومنهم الأتابكى أزبك والأمير أزدمر الطويل حاجب الحجاب والأمير يشبك الدوادار الكبير والأمير تمراز الشمسى قريب المقام الشريف وغيرهم من الأمراء، وسبب توجه السلطان إلى الإسكندرية لأجل أنه كشف على عمارة البرج الذى عمره فى الإسكندرية مكان المنار القديم. وكان يوم دخوله إلى الإسكندرية يوماً معلوماً مشهوداً وحملت القبة والطير على رأسه والأمراء بين يديه ونثروا على رأسه الفرنج[ق ١٣٢ ب] لما شق المدينة ذهب بنادقه دنانير نحو خمسمائة دينار ولاقاه الملك المؤيد أحمد بن أينال وهو بالشاش والقماش راكباً قدامه، فشق المدينة ونزل بالمخيم الشريف، وأقام بها، ثم رحل من الإسكندرية وتوجه أيضاً بعد ذلك إلى مدينة دمياط وأقام بها ونزل فى موكب صغير ودخل إلى البحيرة المالحة وتفرج على صيد السمك البورى وغيره هناك، ورجع إلى الديار المصرية وسافر أيضاً إلى مدينة الفيوم ودخلها وزينت له. وسافر أيضاً فى أيامه إلى وادى العباسة وبيرة وتوجه فى أيامه إلى أماكن كبيرة على حسن عقله .

ثم دخلت سنة ست وثمانون وثمانمائة :

فيها: جاءت الأخبار من المدينة الشريفة بأن المسجد النبوى قد احترق وحتى الحجرة الشريفة والقبة وجميع سقوف المسجد كلها وذلك فى شهر رمضان من سنة ست وثمانين وثمانمائة وكتب بذلك محضر ثبت على قضاة المدينة، بأن وقت التسبيح نزلت صاعقة عظيمة من السماء فى المسجد الشريف فاحترق جميعه وقد شاهدوا فى الليل طيورًا بيض قدر الرخم طائفين حول المسجد، فمنعت النار لا تحرق البيوت التى حول المسجد فلما بلغ السلطان ذلك شق عليه وبكى ثم إن السلطان عين الخواجا ابن الزمن لعمارة المسجد الشريف، فسافر فى سنة سبع وثمانين وأخذ معه جماعة من البنائين والنجارين واصرف السلطان على ذلك مالاً كثيراً وانتهى العمل منه فى أسرع مدة ومن أحسن ما كان أولاً فى الزخرف والبناء ، قال شمس الدين القادرى:

بطيبة سيئات الركب بدلها رب العلا حسنات عندما زاروا
وعندما قبلت ضاهت لذى حرم المختار من أكلت قربانه النار

وقال بعض الشعراء فى ذلك :

لم يحترق حرم النبى لحادث يخشى عليه ولا دهاه العار
لكنما أيدى الروافض لامست ذاك الجناب فطهرته النار

وفى هذه السنة: وقعت زلزلة عظيمة بالديار المصرية وأقامت نحو ست درج ووقع فيها أماكن وحيطان وقتل فيها قاضى القضاة الحنفى بن عيد، ومات فيها من الرجفة الجنان الزينى أبو بكر بن المقر الزينى عبد الباسط.

وفى أوائل هذه السنة : حضر إلى الأبواب الشريفة الخام ابن عثمان ويدعى أيضاً الجمجمة، فلما حضر أكرمه السلطان وعظمه وكان سبب حضوره إلى القاهرة ، قيل حصل بينه وبين أخيه الكبير خط نفس فالتجأ إلى سلطان مصر فأقام بالقاهرة مدة ثم قصد العود إلى بلاده وله زلة [ق ١٣٣ أ] فى ذلك فترك عياله وأولاده بالقاهرة وتوجه هو إلى نحو بلاده، فلما صار فى أثناء الطريق أسروه الفرنج ثم إنه أقام عندهم مدة طويلة حتى مات هناك، وكان هذا سبب الشر الذى وقع بين السلطان وبين ابن عثمان أخا الجمجمة كما سيأتى ذكر هذا الكلام فى موضعه.

فيها : توجه الأمير يشبك الدوادار إلى نحو مدينة حماة بسبب سيف أمير عربان نعير لما خرج على الطاعة وأظهر العصيان فجرد إليه الأمير يشبك ومعه جماعة من الأمراء، وهم: الأمير برسباى قرا أمير مجلس والأمير بانى بك قرا حاجب الحجاب وغيرهما من الأمراء العشروات والمماليك السلطانية، فلما توجه إلى حماه فهرب منه سيف الدين وعدى إلى بحر الفرات فتتبعه الأمير يشبك ومن معه من العسكر وأخذ معه نائب الشام المقر السيفى قانصوه اليحياوى ومعه العساكر الشامية ونائب حلب المقر السيفى أزدمر ومعه العساكر الحلبية ولذلك يفيد النواب وجمع معه عساكر عظيمة وعربان كثيرة ، وكان قصد الأمير يشبك أن يأخذ مملكة حسن بك الطويل من يد ابنه يعقوب، فإن بعض الأعاجم حس للأمير يشبك ذلك وأوحى إليه أن مملكة العراق سايبة في يد يعقوب بن حسن وأن عسكره مختلف عليه فطمعت آمال الأمير يشبك بذلك وحسن يناله أن ملك مملكة العراق وكان الأمير يشبك وقع بينه وبين المماليك الأجلاب قبل سفره وتعى متحيل منهم، فقصد أن يأخذ مملكة العراق وينفرد بها وطمع فى ذلك فكان كما قال القائل :

اتطمع من ليلى يوميل وانماه   فقطع أعناق الرجال المطامع

فلما عدى الأمير يشبك من الفرات وصل إلى مدينة الرها فحاصر قلعتها أشد الحصار وكان نائب الرها شخصاً يسمى باينذر من بعض نواب يعقوب بن حسن بك الطويل فلما حاصر الأمير يشبك قلعة الرها أرسل إليه باينذر يسأله بمال يعطيه له وأنه يرحل عنهم، فلما سمع الأمير يشبك بذلك لم يوافق عليه وبقى مصممًا على القتال فاتقع مع باينذر وقعة عظيمة فقتل بها جماعة كثيرة من العسكر المصرى والعسكر الشامي والحلبى ولم ينجوا منهم إلا من طال عمره، ثم أسر الأمير يشبك الدوادار والأمير برسباى قرا والأمير بانى بك قرا ونائب الشام ونائب حلب وبقية النواب والذى قتل كان أكثر، وكان ذلك فى شهر رمضان من السنة المذكورة. فلما أسر الأمير يشبك وأقام عند باينذر أياماً ثم قطع رأسه وأرسل إلى يعقوب بن حسن بك وأرسل إليه النواب الذين أسروا والأمراء والعسكر أرسلهم إليه بأموالهم وسلاحهم [ق ١٣٣ ب] وكانت مصيبة عظيمة على عسكر مصر لم يسمع بمثلها . وقيل إن الذى قتل الأمير يشبك الدوادار عبد أسود من عبيد باينذر فقطع رأسه فى الليل، وصارت جثته مرمية على الأرض والناس ينظرون إليها فسبحان من يعز ويذل وهو القادر. وقد قال بعضهم فى المعنى .

ما أعجب الدهر في تقلبه والدهر لا تنقضى عجائبه
وكم رأينا في الدهر من أسد بالت على رأسه ثعالبه

وكان الأمير يشبك الدوادار أميراً ملياً مهاباً عسوفاً وقد حصل للناس الضرر الشامل لما تولى الوزارة وقطع لحوم الأيتام والأرامل التى كانت مرتبة لهم من قديم الزمان، وكذلك فعل فى الجوامك لما تولى الاستادارية وعظم أمر الأمير يشبك الدوادار فى دولة الملك الأشرف قايتباى إلى الغاية وهابته الناس. وهو الذى عمر القبة التى فى المطرية والقبة التى فى رأس دور الحسينية، وله آبار كثيرة بالديار المصرية، وكان له محاسن ومساوئ . وفى أواخر شهر شعبان سنة ست وثمانين وثمانمائة: ختن المقر الزينى أبو بكر بن مزهر كاتب السر أولاده فحضر ذلك الجمجمة بن عثمان فى بركة الرطلى فأوقدوا له وقدة عظيمة وحرقوا خرافه نفط وكانت ثلاث ليالٍ لم يسمع فى القاهرة بمثلها فيما تقدم.

ثم دخلت سنة سبع وثمانون وثمانمائة :

فيها: فتح موت الأمير يشبك الدوادار وأحضروا جثته إلى القاهرة ودفن فى تربته التى أنشأها فى الصحراء، ثم إن السلطان أخلع على المقر السيفى تمراز واستقر به أمير سلاح وأخلع على المقر السيفى آقبردى من أزدمر قريب المقام الشريف واستقر به دواداراً كبيراً عوضاً عن الأمير يشبك من مهدى وأخلع على الأمير تغرى بردى القادرى واستقر به استادارا وأعيد الصاحب قاسم إلى الوزارة ثم بعد مدة استقر الأمير آقبردى الدوادار وزيراً واستاداراً كما كان الأمير يشبك من مهدى .

ومن الحوادث أن الملك الأشرف قايتباى لعب بالأكرة فى الحوش السلطانى فكبا به الفرس ووقع فانكسرت رجله وأغمى عليه فحمله الأمير جانى بك حبيب أمير أخور ثانى ودخله إلى قاعة الدهيشة فأقام بها وهو منقطع نحو شهرين والمربين ماشين عليه وهو على سرير مفوز، وكان الأمراء والناس يدخلون إليه ويسلمون عليه إلى أن حصل له الشفاء ودخل إلى الحمام وركب وصلى الجمعة وكان له يوم مشهود بالقلعة، لما ركب وفى ذلك يقول الشيخ شهاب الدين المنصورى الهائم .

وقد زعموا أن الجواد كبا به وحاشاه من عيب يضاف إليه
[ق ١٣٤ أ] ولكن رأى سلطان عز وهيبة فقبل وجه الأرض بين يديه

وفـى أثـناء سـنة **سـبع وثمـانين وثمانمائة** : عين السلطان أزبك إلى بايندر نائب قلعة الـرها، فـلما بلـغ ذلـك إلى يعقـوب بـن حسـن بك أطلق الأمراء والنواب الذين كانوا عنده. وأرسـل يعـتذر إلى السـلطان أن الـذى جرى ليس له به علم ولا خبر وهذا فعل بايندر نائب الـرها، ثـم بعـد مدة أرسل يعقوب بن حسن بك إلى بايندر من قتله فى الدس وأرضى بذلك السلطان وخمدت الفتن بسبب ذلك .

ومـن الحـوادث المضـحكة فـى أيامـه: أن السلطان نادى فى القاهرة بأن امرأة لا تلبس عصـابة مقـتزعة ولا عصـابة قصـيرة وكتب قسايم على الذين يبيعون أوراق النسـاء بأن تكون الورقـة نصـف ذراع وهـى وجهتان حتى لا تقطعها أصابعها وصار المحتسب يطوف القاهرة والشـوارع فـإن رأى امـرأة بعصـابة مقـتزعة ضربها وجريها فى القاهرة وعصابتها فى عنقها فعسـر ذلـك عـلى النسـوان . وصـرن يخرجن إلى الأسواق وهن مكشفن الرؤوس بلا عصايب واسـتمر هـذا الأمـر مـدة يسـيرة ثم حلوا عن ذلك وبقى أكثر النساء يلبسن الطوال وفى ذلك يقول الأديب زين الدين بن النحاس رحمه الله :

أمر الإمام مليكا بعصائب فى لبسها عسر على النسـوان

فعلقن ثـم اطعنه ولبسـنها ودخلن تحت عصابة السلطان

واسـتمر الأمـر مـن بعـد ذلـك مبنـيًا عـلى السـلوك إلى أن دخلـت سنة **إحدى وتسعون وثمانمائة** . فيها : جاءت الأخبار بأن ابن عثمان ملك الروم تحرك على السلطان وأخذ فى أسـباب جمـع العسـاكر وقـد تواترت الأخبار بذلك فعند ذلك جمع السلطان الأمراء وضربوا مشـورة فـى أمـر ابـن عـثمان فأشـار الأمـراء عـلى السـلطان بأن يرسل إلى ابن عثمان قاصد وصـحبته هدايا. ويأس بينهم وبينه صلح. فعين السلطان جانى بك حبيب أمير أخور ثانى ومعـه هدايـا وتقـادم عظـيمة وتوجـه إلـيه الأمـير جـانى بـك حبيب فلما وصل إلى عند ابن عـثمان. لم يـريه وجهًـا وأخـذ مـنه الهدايا والتقادم على كره، فأقام عنده الأمير جانى بك حبيب مدة ورجع من عنده ولم يقع بينهم وبينه صلح .

فـلما أخـبر السـلطان بذلـك عين له تجريدة وعين بها من الأمراء المقدمين وهم الأتابكى أزبـك أمـير كـبير بـاش العسـاكر المنصورة والمقر السيفى تمراز الشمسى قريب المقام الشريف أمـير سـلاح والمقـر السـيفى قانصـوه خمسـمائة أمير أخور كبير والمقر السيفى أزبك اليوسفى رأس نوبـة النواب والمقر السيفى تانى بك قرا حاجب الحجاب [ق ١٣٤ ب] والمقر السيفى

تـانى بـك أمـير مجلـس وغـير ذلـك مـن الأمـراء المقدمـين والعشـراوات والمماليك السلطانية وتوجهـوا إلى قـتال عسـاكر ابـن عـثمان وخرج معهم نائب الشام ونائب حلب وبقية النواب واتقعـوا مـع عسـكر ابـن عـثمان فحصـل بينهم قتال شديد وقتل جماعة كبيرة من الفريقين وانكسـر عسـكر ابـن عـثمان وأسـروا أمـراءه وقطعـوا رؤوس جماعة كثيرة من عسكره ، فلما حصـلت هذه النصرة توجه الأمراء إلى نحو الديار المصرية وكان يوم دخولهم إلى القاهرة يوماً مشـهوداً، ودخـل الأتـابكى أزبك أمير كبير فى موكب عظيم . فلما استقروا بالقاهرة تحرك المماليك الأجـلاب عـلى السلطان وطلبوا منه نفقة بسبب هذه النصرة التى حصلت. فامتنع السـلطان مـن ذلـك، فقصـد المماليك أن يركـبوا عـلى السـلطان، فعند ذلك طلب السلطان الخليفة والقضـاة الأربعـة وسـائر الأمـراء مـن الأكابـر والأصاغر ، فلما تكامل المجلس قال السـلطان للقضـاة أشـهدوا عـلى أنى خلعت نفسى من الملك وقام وفكك إزاره فعند ذلك ضج الـناس ولم يـتمكن مـن ذلـك وتدخل عليه القضاة والأمراء ثم إن المقر السيفى تمراز الشمسى أمـير سـلاح مشـى بـين المماليك وبين السلطان فى أمر الصلح وعلى أنه يعطى المماليك لكل واحـد خمسين أشرفيًا كانوا قد صمموا على أن يأخذ كل واحد مائة دينار فتراضوا على ذلك ثـم إن القضـاة والخلـيفة جـددوا للسلطان مبايعة ثانية وكان ذلك فى يوم السبت رابع ربيع الآخر من سنة أربع وتسعين وثمانمائة بالحوش السلطانى ، ثم انفض المجلس على ذلك .

ثم إن السلطان أمر بأن يؤخذ من الأوقاف والأملاك التى فى مصر والقاهرة أجرة شهرين حـتى يـنفقها عـلى المماليك بسـبب ما تقدم ذكره. فشرعوا فى جمع ذلك فجمع ونفق على المماليك حسبما تراضوا عليه .

ثم دخلت سنة خمس وتسعون وثمانمائة :

فـيها : جـاءت الأخـبار بـأن ابـن عثمان أرسل عسكراً ثقيلاً فى البر والبحر، فلما بلغ السـلطان ذلـك عين الأتابكى أزبك باش العساكر وصحبته من تقدم ذكره من الأمراء والنواب فخـرجوا إلـيه فـى عسـكر ثقـيل واطـلاب عظـيمة وكـان يوم خروج الأمراء من القاهرة يوماً مشـهوداً ، فـلما وصـلوا إلى عسـكر ابن عثمان اتقعوا معهم وقعة عظيمة وقتل من عسكر ابن عـثمان خلـق لا تحصـى عددهـم وأسـروا من امرائه وعسكره والذى قتل هناك أكثر. وأرسل الأتـابكى، أزبـك إلى القاهـرة نحو ثلاثمائة رأس من رؤوس من [ق ١٣٥ أ] قتل من عسكر ابن عثمان فطافوا بهم فى القاهرة . ثم إن العسكر لما حصلت لهم هذه النصرة توجه إلى نحو

الديار المصرية ، وكان يوم دخول العسكر إلى القاهرة يوماً مشهوداً ، وزينت لهم القاهرة زينة عظيمة ودخل الأتابكى أزبك فى موكب عظيم والأمراء المقدمين قدامه ودخل معهم ممن أسروه من عسكر ابن عثمان وهم مشاة فى جنازير ملسعين عن رؤوسهم وصناجقهم منكسة وأمرائه فى جنازير وهم راكبون فلما طلعوا بهم إلى القلعة رسم السلطان بأن يفرق الأسرى الذين من عسكر ابن عثمان على المباشرين حتى على قضاة القضاة . وأما الأمراء توجهوا بهم إلى عند المقر السيفى قانصوه خمسمائة أمير أخور كبير فأقاموا عنده فى الاعتقال وانتهى الأمر على ذلك.

ثم دخلت سنة ست وتسعون وثمانمائة :

فيها : جاءت الأخبار بأن ابن عثمان مجتهد فى جمع عساكر وقصده العود إلى قتال عسكر مصر فعند ذلك رسم السلطان بأن يؤخذ من الأوقاف والأملاك التى فى مصر أجرة خمسة أشهر غير ما تقدم من أمر الشهرين فعند ذلك حصل للناس الضرر الشامل وكان هذا الأمر من أعظم مساوئ الملك الأشرف قايتباى وصار ذلك فى صحيفته إلى يوم القيامة. وجعل المتولى أمر ذلك الأمير تغرى بردى الاستادار وجعل له التحدث من باب زويلة إلى دير الطين وجعل القاضى علاى الدين بن الصابونى ناظر الخواص متحدثاً من باب زويلة إلى أخر دور الحسينية فصاروا يطلبون الناس من الأغنياء والفقراء بالرسل الغلاظ السداد فصاروا يشوشون على الناس ويبهدلونهم غاية البهدلة ، فأخذوا حتى من أوقاف المساجد والجوامع ومن وقف البيمارستان المنصورى. ثم إن السلطات صادر التجار وأخذ من كل واحد على قدر مقامه، حتى صادر تجار الأرياف من البرلسية وغيرهم ثم صادر طائفة من اليهود والنصارى من كل واحد حسبما يقدر عليه وحصل للناس غاية الأذى فخرجت التجريدة قبل أن تجبى الأموال وعادت واستمر المال تحت يد الاستادار وناظر الخاص إلى أن صرف فيما سيأتى ذكره، وكان السلطان يظن أن ابن عثمان يتحرك بنفسه على الديار المصرية فيحفظ ذلك ويجمع هذه الأموال فلقاه الله تعالى موته ذلك وأخذل ابن عثمان عن التحرك إلى الديار المصرية، ثم إن السلطان عين الأمير ماماى الدوادار الثانى أحد الأمراء الأربعين ومعه هدايا جليلة وتقادم عظيمة وتوجه إلى ابن عثمان ويمشى بينه وبين السلطان فى أمر الصلح ، فلما وصل إلى ابن عثمان قبل منه تلك الهدية وقام على ابن عثمان [ق ١٣٥ ب] وزراؤه وأمراؤه بأن يصطلح مع السلطان وأن يخمد هذه الفتن فوقع الصلح من

ابـن عـثمان. فـلما رجـع الأمير ماماى من عند ابن عثمان وتحقق أمر السلطان الصلح فأطلق الأمـراء الأسـرى الذيـن كـانوا مـن جماعـة ابن عثمان وأكساهم وأحسن إليهم وتوجـهوا إليه وخمدت الفتن بينهما ولله الحمد.

وكـان ذلك فى سنة **تسع وتسعين وثمانمائة**. وفى سنة ست وثمانين المقدم ذكرها ختن السلطان الأشرف قايتباى ولده المقر الناصرى محمد فزينت له القاهرة سبعة أيام حتى زينوا داخـل الأسـواق مـثل سـوق الشرب والوارقين والباسـطية وسوق الفاضل وسوق الجواهر وغير ذلـك مـن الأسـواق، وكـان العسكر غائبا فى التجريدة بسبب ابن عثمان فلما طاهر السلطان ولـده لم يكـن فى القاهرة من الأمراء سوى الأمير آقبردى الدوادار الكبير فركب ابن السلطان مـن قاعـة الـبحرة إلى باب البشارة وكان الأمير آقبردى ماسكًا لجام فرسه هو والمقر الشهاب ابـن العينى وجماعة المباشرين كلها قدامه وقاضى القضاة الحنفى ناصر الدين بن الأخميمنى وجماعـة مـن أعـيان الـناس ومـن الخاصـكية بسـاتين وقماش وبه من معه من أولاد الأعيان جماعـة مـنهم سـيدى عمر بن أمير المؤمنين عبد العزيز ومنهم ابن جمجمة بن عثمان ومنهم أولاد الجـناب المعـالى عـلى ابن خاص بك وغيرهم وجماعة كبيرة من أولاد الأمراء وغيرهم، فأقـام عمالـه بالقلعة سبعة أيام ودخل إلى السلطان تقادم كبيرة من المباشرين وأعيان الناس. وكـان مـن جملة ما أهداها المقر الشهابى أحمد بن العينى طشت وابريق ذهب برسم الطهور لولد السلطان وأشياء كثيرة غير ذلك .

ثم دخلت سنة سبع وتسعون وثمانمائة :

فـيها: هجـم الوبـاء بالديـار المصـرية وهـو ثالـث فصـل، جاء فى أيامه فذهب فيه من المماليك والعبـيد والجوارى والأطفال جانب كثير، وجاء الغلاء فى أيامه مرتين ووصل سعر القمـح فـيه إلى أربعة أشرفيات لكل أردب وصار أكثر الناس يأكلون الذرة وابيع كل بطة من الدقـيق بأربعمائـة وموجـب ذلـك أن النيل انخفض فى تلك السنة وهاف فيها الزرع ثم من بعد ذلك تراجع الأمر وانصلح الحال وابيع القمح فى أيامه كل اردب باثنى عشر نصفا وكل بطة من الدقيق بأربعة أنصاف وعم الدنيا وسـائر البلاد وصار القمح مرميًا ما يجد من يشتريه بهذا السعر ثم استمر الأمر على ذلك .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعون وثمانمائة :

فيها : سافر المقر السيفي قانصوه من طراباى الشهير بخمسمائة إلى الحجاز الشريف فخرج من [ق ١٣٦ أ] القاهرة فى نزل عظيم لم ير مثله فلما حج ورجع حصل للحجاج فى تلك السنة مشقة عظيمة وعطشة وموت جمال. فرجع الأمير قانصوه خمسمائة من الحجاز والناس غير راضية منه ولا أثنى أحد عليه جبرا فى تلك السنة واستمر الأمر مبنيًا على السكون.

إلى أن دخلت سنة تسعمائة :

فيها : وقع بين الأمير قانصوه خمسمائة وبين الأمير آقبردى الدوادار الكبير وتزايد الكلام بينهما وانتشبت الفتنة. فلما كان يوم الخميس مستهل ذى الحجة من أواخر سنة تسعمائة ركب الأمير قانصوه خمسمائة هو وحشداشينه الأمير قانصوه الألفى والأمير قانصوه الشامى وجماعة كبيرة من الأمراء والخاصكية فلبسوا آلة الحرب وتوجهوا إلى بيت الأتابكى أزبك فى الأزبكية واجتمع هناك جمع كثير من العسكر فلما بلغ السلطان ذلك خشى أن يتسع الأمر وتكثر الفتنة فنزل إلى باب السلسلة وجلس بالمقعد المطل على سوق الخيل ونادى كل من كان طايعاً أمر السلطان يطلع إلى الرملة تحت السنجق السلطانى فاجتمع أعيان وخلق لا يحصى عددهم من العسكر وطلع إلى عند السلطان من الأمراء المقدمين الأمير تمراز الشمسى قريب المقام الشريف أمير سلاح والأمير بانى بك الجمالى أمير مجلس والأمير آقبردى الدوادار والأمير أزبك اليوسفى رأس نوبة النواب والأمير تانى قرا حاجب الحجاب وغيرهم من الأمراء المقدمين والعشروات والمماليك السلطانية فلما سمع من كان عند الأتابكى أزبك من العسكر بسحب من الأزبكية وطلع إلى الرملة ووقف تحت السنجق السلطانى . فأرسل السلطان أمير أزبك اليوسفى رأس نوبة النواب إلى الأتابكى أزبك أمير كبير فأخذه وطلع به إلى القلعة. فلما طلع الأتابكى أزبك إلى القلعة كاد المماليك الأجلاب أن يقطعوه بالسيوف لكون أن الأمير قانصوه خمسمائة كان صهر الأتابكى أزبك زوج ابنته. وقيل إن الأمير آقبردى الدوادار لما طلع الأتابكى أزبك إلى القلعة أغلظ عليه كلام ووبخه. فلما وقف بين يدى السلطان قال له : ادخل إلى البحرة شفعة عليه من المماليك الأجلاب. فلما بلغ الأمير قانصوه خمسمائة أن الأتابكى أزبك عوقوه فى القلعة فخرج هو وحشداشينه من الأزبكية واحتفوا وانفض ذلك الجمع ولم يقع بينهم قتال ثم فى أثناء ذلك اليوم مسك الأمير

قانصوه الألفى من بر الجيزة [ق ١٣٦ ب] فدخلوا به إلى بيت آقبردى الدوادار الكبير فقيده وأرسله إلى السجن بقلعة صفد. وأما الأمير قانصوه الشامى فإنه طلب الأمان وظهر فأخلع عليه واستقر نائب حماة وخرج من يومه.

وأما الأمير قانصوه خمسمائة فاستمر مختفيًا هو وجماعة كبيرة من الأمراء العشراوات ممن ركبوا معه. وأما الأتابكى أزبك فإنه أقام فى البحرة ثمانية أيام.

فلما كان يوم الجمعة رسم له السلطان بأن يصلى الجمعة فلبس الشاش والقماش وصلى هو والسلطان فلما فرغ من الصلاة أراد أن ينزل إلى بيته، فقيل له متى أن نزلت إلى بيتك يقتلونك عند باب المدرج فرجع ودخل إلى البحرة وبات بها. فلما أصبح يوم السبت ثامن ذى الحجة من سنة تسعمائة طلب من السلطان أن يتوجه به إلى مكة فأذن له فى ذلك فنزل من القلعة إلى الدبش وهو بتخفيفة صغيرة ونزل معه الأمير يشبك الجمالى إلى القدس فأقام بها مدة يسيرة ومات هناك فى أثناء سنة إحدى وتسعمائة.

وأما الأتابكى أزبك فإنه أقام فى مكة إلى أن عاد إلى القاهرة كما سيأتى ذكره فى موضعه. وكان الأتابكى أزبك أميراً ملياً جليلاً مهاباً تولى الأتابكية من سنة أربع وسبعين وثمانمائة وأقام بها إلى أن توجه إلى مكة فى هذه الحركة وهو الذى انشأ الأزبكية المعروفة الآن. وكانت ساحة أرض خراب ذات كيمان وأرضها سبخة وبها أشجار زابلة.

وكانت هذه البقعة قديماً عامرة تسمى قناطر اللوق وكان بها خليج جار من بحر النيل يسمى خليج الذكر وكان بها مكان يسمى التلة من جملة متنزهات القاهرة وكانت ذات أشجار وغيطان وقناطر وذلك فى سنة خمس وخمسين وستمائة . واستمرت على ذلك إلى دولة بنى قلاوون فتلاشى أمرها إلى الخراب من يومئذ وصارت مقطع طريق إلى أن حسن ننال الأتابكى أزبك أن يعمر هناك مناخاً للجمال وكان ساكنا بالقرب من هذا المكان فلما عمر المناخ خلا له ذلك وأوسع فى العمارة ثم إنه حفر هذه البركة العظيمة وأجرى لها الماء من الخليج الناصرى وعمر القنطرة التى على فم البركة وعمر الرصيف الذى هو محيط بالبركة وعمر الجامع الكبير الذى بها الآن وعمر تلك القاعات والقصور والحمامات والربوع والقياصر وغير ذلك وكان مبتدأ عمارتها فى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة ثم عمرت الناس على تلك البرك التى بها هذه العمائر العظيمة والآزات [ق ١٣٧ أ] تتزايد فى العمارة إلى

عامنا هذا وهو عام سنة خمس وتسعمائة وكان يكسر سد هذه البركة بعد الوفاء بأيام يسيرة ويكون يوم كسرها يوما مشهوداً ويخرج الناس إليه بسبب الفرجة وكان يصنع بها حراقة نفط ووقده فى كل سنة وتكون بها ليلة من الليالى المعدودة فى الصيف والفرجة ، وينفق فى تلك الليلة جملة أموال وتجتمع فى تلك الليلة مراكب عظيمة فى البرك ويتوجه الأمراء إلى بيت الأتابكى أزبك بسبب الفرجة، وقد أنشد فى ذلك الشيخ شمس الدين القادرى مقامة عظيمة تشتمل على نظم ونثر فى هذا المعنى، فمنها هذه الأبيات.

لا أزبك مولانا المقر عمارة بها السعد يسموا النجوم السوابك
بمملكة الإسلام لم ير مثلها ولا الناس طرافى جميع الماليك
بها جامع للحسن أصبح جامعا يقربه الغبار من كل ناسك
به شرقت تلك العمائر واعتدت مكرمة عبد الملا والملايك
إذا قال قوم من أتابك للعلا يقول لهم بسعد المقر الأتابك

وقد تقدمت هذه المقامة بتمامها وكمالها فى الكتاب المسمى "بنزهة الأمم فى العجائب والحكم". ولما توجه الأتابكى أزبك إلى مكة انتقلت الوظائف من بعد ذلك إلى جماعة كبيرة من الأمراء وهم : المقر السيفى تمراز الشمسى قريب المقام الشريف اخلع عليه واستقر أتابك العساكر المنصورة بالديار المصرية عوضاً عن الأتابكى أزبك وذلك فى مستهل شهر صفر سنة إحدى وتسعمائة، وأخلع على المقر السيفى تانى بك الجمالى واستقر أمير سلاح عوضاً عن تمراز الشمسى وأخلع على المقر السيفى أزبك اليوسفى واستقر أمير مجلس عوضاً عن تانى بك الجمالى وأخلع على الأمير شادى بك واستقر أمير أخور كبير عوضاً عن المقر السيفى قانصود خمسمائة وأخلع على المقر السيفى تانى بك قرا واستقر رأس نوبة النواب عوضاً عن أزبك اليوسفى وأخلع على الأمير اينال الخسيف واستقر حاجب الحجاب عوضا عن تانى بك قرا، وأنعم على الأمير قانم قريب المقام الشريف بتقادم ألف وانعم على جماعة كبيرة من الأمراء بأمريات أربعين وأمريات عشرة ، ثم ركب مع الأمير قانصوه خمسمائة واختفى.

وفى هذه الحركة عظم أمر آقبردى الدوادار الكبير وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية واجتمعت فيه الكلمة .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعمائة:

فيها: استقر كل واحد من الأمراء فى وظيفة كما تقدم ذكره .

وفيها: نفق السلطان على [ق ١٣٧ ب] العسكر نفقة كاملة حتى على الخدام وأولاد الناس، وكانت هذه النفقة فى غير سبب ولا موجب لذلك فقيل فى رواية أن السلطان قال: أياً ما نفقت على العسكر لما سلطنه شيء وهذه النفقة عوضاً عن ذلك . وكان السلطان قد أخذ فى التضعف فى جسده. وفى رواية أخرى أن السلطان كان قصده إظهار الأمير قانصوه خمسمائة وكان له به عناية فى الباطن فينفق هذه البقعة حتى أرضى العسكر بذلك وكانت هذه النفقة مهيبة قاعدة وهى الحميمة أشهر الذى كان أخذها فى الأملاك والأوقاف بسبب ابن عثمان .

فلما خمدت الفتن من جهة ابن عثمان نفقها على مماليكه فضاعت فى البطال لا هى أنفقت فى دفع عدو ولا هى انفقت فى مصالح المسلمين بل ضاعت فى غير موجب ولا أتمه الله تعالى عند الموت أن يرد بها إلى أربابها وعمى عنه هذه السنية العظيمة لأنه شوش على جماعة كثيرة وصادر تجارًا وأعيان الناس حتى اليهود والنصارى وحصل لهم الضرر الشامل بسبب ذلك ، وقد تقدم أن الأشرف برسباى فبادر أولاد الناس من أجناد الحلقة بسبب خارجى تحرك عليه، فلما جمع منهم الأموال دخل عليه الضعف وسلسل فى المرض فأوصى عند الموت أن يرد إلى كل ذى حق حقه ، فرد على أولاد الناس ما أخذ منهم وسطر ذلك فى صحيفته .

وفى أواخر هذه السنة: ظهر المقر السيفى قانصوه خمسمائة وطلع إلى القلعة وذلك فى شهر شوال من السنة المذكورة ، فلما طلع إلى القلعة أمره السلطان أن يحمل تحت إبطه ثوبًا بعلبكيًا حتى يرق قلب العسكر عليه، يعنى جاء بكفنه تحت إبطه. فلما وقف بين يدى السلطان أخلع عليه ونزل إلى بيته فى موكب عظيم وكان معه الأتابكى تمراز والأمير آقبردى الدوادار فأوصلاه إلى بيته وذهبا. وكان الأمير قانصوه خمسمائة مختفيا من حين ركب على الأمير آقبردى وتوجه إلى بيت الأتابكى أزبك كما تقدم، وكانت هذه أولى الفتن من أواخر سنة تسعمائة ومازال الأمر يتزايد إلى أوائل سنة أربع وتسعمائة كما سيأتى ذكره فى موضعه. فلما ظهر الأمير قانصوه خمسمائة ونزل إلى بيته فلم يلبث إلا قليلاً ثم وثب المماليك الأجلاب على الأمير آقبردى الدوادار وحاصروه وهو فى بيته، فلما وصل الكلام إلى السلطان

وتحقق من ذلك نزل إلى الأسطبل وجلس بالمقعد المطل على سوق الخيل. وكان السلطان متوعكاً في جسده فلما رأى المماليك أفحشوا في حق [ق ١٣٨ أ] الأمير آقبردى وأحرقوا البيوت التي حول بيته، فشق ذلك على السلطان ثم انفض ذلك الجمع على غير صلح. وطلع السلطان إلى القلعة فلزم الفراش وثقل عليه المرض واشتد به الألم. وفي أثناء ذلك أوفى النيل المبارك فنزل الأتابكي تمراز وتوجه إلى المقياس. ثم نزل إلى الحراقة وكسر السد وانقضى ذلك، ثم إن السلطان أخذ في النزع وانقطع منه الرجا. فعند ذلك طلع الأتابكي تمراز إلى عند السلطان في يوم الجمعة خامس عشرين ذي القعدة فدخل إلى عنده. وقال يا مولانا السلطان إن الأحوال قد فسدت ومن الرأى أن يأخذ سيدي بسلطنة فلم يرد عليه السلطان جوابًا، فأقام الأتابكي تمراز عنده ساعة ثم نزل من عنده وأخذ سيدي ابن السلطان معه ونزل به إلى باب السلسلة وقعد به في المقعد المطل على سوق الخيل وأرسل خلف الأمير آقبردى الدوادار فأبطا عليه ولم يطلع فلم يشعر الأتابكي تمراز إلا وقد جاءته الطامة الكبرى وهو أن الأمير قانصوه خمسمائة والأمير كرتباى الأحمر وجماعة كبيرة من الأمراء والعسكر فملكوا باب السلسلة على حين غفلة في صبيحة يوم الجمعة المذكور أعلاه. ثم قبضوا على الأتابكي تمراز وقيدوه واسجنوه في مكان في باب السلسلة. فلما سمع الأمير آقبردى الدوادار هرب هو والأمير شادى بك أمير أخور والأمير اينال الخسيف حاجب الحجاب والأمير قائم قريب السلطان وجماعة كثيرة من الأمراء والخاصكية ممن كانوا في عصبة الأمير آقبردى الدوادار فاختفوا أجمعين. ثم إن المماليك والأعوام نهبوا بيوتهم وبيت الأتابكي تمراز. فلما كان يوم السبت اجتمع الأمراء في باب السلسلة وأحضروا الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز والقضاة الأربعة وسلطنوا بن السلطان وكل ذلك والملك الأشرف قايتباى في قيد الحياة وفيه الروح. فلما كان يوم الأحد سابع عشرين ذي القعدة من سنة إحدى وتسعمائة توفي السلطان الملك الأشرف قايتباى إلى رحمة الله تعالى فبات تلك الليلة بالقلعة، فلما كان يوم الاثنين ثامن عشرين ذي القعدة شرعوا في تجهيزه وإخراجه وكان في مدة مرضه منقطعاً في البيت الذي بالقرب من قاعة البحرة فغسل هناك. وقيل إنه مات بعلة البطن ثم أخرجوه وصلوا عليه قدام التلة التي كان يجلس عليها بالحوش السلطاني، ثم نزلوا به من القلعة والعسكر قدامه وكانت [ق ١٣٨ ب] جنازته مشهودة فتوجهوا به إلى تربته التي أنشأها بالقرب من الشيخ عبد الله المنوفي فدفن بها ومات وقد ناف على ثمان وسبعين سنة من العمر وقيل بل وعلى الثمانين. وكان رجلاً طويل القامة، عربي الوجه.

مصفر اللون، أبيض اللحية ، نحيف الجسد، مهاباً متجلاً فى موكبه . شجاعاً بطلاً، مقداماً ، موصوفاً بالفروسية ، وافر العقل ، ثابت الجنان، غير عجول فى أموره، يتروى فى عمل الشىء قبل وقوعه، بطىء العزل لأرباب الوظائف عارفاً بأحوال المملكة يضع الأشياء فى محلها غير مسرف فى الأموال وكان محباً لجمع الأموال بسبب التجاريد وقد يحزن عليه فى أيامه شاه سوار وحسن بك الطويل وابن عثمان. فجرد إليهم عدة تجاريد وانتصر عليهم وهو نائم على سرير الملك لم يتزحزح ولم يخرج إليهم وجرد فى إيامه نحو تسع تجاريد وأطاعه العسكر والأمراء ولم يختلف عليه اثنان. وحوى من المماليك ما لا حواه غيره من الملوك واجتهد فيهم وعلمهم علوم الفروسية ، وصفا له الوقت وساعدته الأقدار وطالت أيامه فى السلطنة بخلاف غيره من ملوك الترك.

فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر وواحد وعشرين يوماً ولم تتفق هذه المدة لأحد قبله من ملوك الترك فى ولاية واحدة وقد ساعده الزمان ونشأ من مبتداه إلى منتهاه فى عز وعظمة لم ينف ولم يسجن ولم يقيد ولا رأى قط ضيقة، وعاش فى أرغد عيش إلى أن مات على فراشه بعد هذه المدة الطويلة.

فائدة لطيفة

قيل إن العبد إذا جاء يوم الجمعة يكون ذلك قطع على السلطان وما ذاك إلا أنه يدعى له فى ذلك اليوم على المنابر مرتين. فقال إن فيه انتهى سعد السلطان. وقد جاء فى أيام الملك الأشرف قايتباى خمسة أعياد فى يوم الجمعة عيد فطر فى سنة ست وثمانين وعيد نحر فى سنة ثمان وثمانين وعيد نحر أيضاً فى سنة ست وتسعين وثمانمائة فهذه خمسة أعياد جاءت فى يوم الجمعة فى أيام دولته وقد مكث هذه المدة الطويلة كما قال القائل:

لا يرقب النجم فى أمر تحاوله ... فالله يفعل لا جدى ولا حمل

مع السعادة ما للنجم من أثر ... فلا يضرك مريخ ولا زحل

ومما أنشأه من العمائر فى أيام دولته : وهو المسجد النبوى الشريف بعد ما كان قد احترق، وعمر هناك مدرسة عند بيوت العشرة، وعمر مدرسة فى مكة المشرفة [ق ١٣٩ أ] عند باب السلام، وعمر مدرسة فى القدس الشريف، وعمر البرج الكبير بمدرسة الإسكندرية مكان المنار القديم وجعل به جامع يخطبه وجعل به جماعة مرابطين للجهاد فى سبيل الله وأجرى عليهم الجوامك وأشحن البرج بالسلاح وآلة الحرب، وأنشأ بالقاهرة عدة جوامع

ومساجد منها جامع بالروضة وجامع بالكبش وجامع بالصحراء وجامع بباب الخرق وعمر برجا بثغر رشيد وغير ذلك من الجوامع والمساجد، وجدد عمارة الايوان الكبير التى بالقلعة وعمر قبة الجامع الذى بالقلعة وكانت قد وقعت وعمر المقعد الكبير الذى فى الحوش السلطانى والميلين اللذين به وعمر بالقلعة أماكن كثيرة، وعمر حائط الميدان الكبير الذى فى الناصرية بعد ما كان قد تهدم وعمر قناطر بين الجيزة، وجدد قنطرة باب البحر وجدد عدة قناطر وجسور بالغربية والشرقية، وأنشأ عدة ربوع وأماكن فى القاهرة وجعلها أوقافاً على المدينة الشريفة برسم دسيسة تطبخ فى كل يوم هناك ويفرق للفقراء وقد بطل ذلك بعد موته، وله أثار كثيرة بالديار المصرية وغيرها على جهات وصدقة، وكانت له أوراد جليلة وأذكار عظيمة تتلى إلى الآن فى الجوامع عقيب صلاة الجمعة. وكان له أشياء كثيرة من المحاسن وكانت دولته ثابتة القواعد.

أما أتابكيته: فالمقر السيفى جانى بك قلقسيز أولاً ثم المقر السيفى أزبك من ططخ ثم المقر السيفى تمراز الشمسى قريب المقام الشريف وأما دوادارته: فالمقر السيفى يشبك من مهدى والمقر السيفى آقبردى من ازدمر، وأما نوابه بالشام: فالمقر الأتابكى أزبك أولاً ثم الأمير برد بك الصمودار تولى حلب ثم تولى نائب الشام والمقر السيفى برقوق الظاهرى ثم الأتابكى جانى بك قلقسيز والمقر السيفى قانصوه اليحياوى والمقر السيفى قجماس ثم أعيد المقر السيفى قانصوه اليحياوى ثانياً .

وأما خلفاؤه : المستنجد بالله يوسف والمتوكل على الله عبد العزيز. وأما قضاته الشافعية: فالقاضى ولى الدين الأسيوطى والقاضى زين الدين زكريا . وأما قضاته الحنفية : فالقاضى محب الدين بن الشحنة أولاً ثم القاضى الأمشيطى ثم أعيد الدمشقى ثم الغزى ثم القاضى ناصر الدين بن الأخميمى. وأما قضاته المالكية : فالسيد سراج الدين بن حريز أولاً وأخوه حسام الدين ثم القاضى اللقانى ثم القاضى محيى الدين بن تقى ثم أخيه . وأما قضاته الحنابلة . فالقاضى عز الدين أولاً ثم تولى السعدى الحنبلى .

وأما أرباب [ق ١٣٩ ب] وظائفه من المتعممين: فالقاضى زين الدين أبو بكر بن مزهر كاتب السر ثم من بعده ولده القاضى بدر الدين كاتب السر. وأما نظار جيشه: فالقاضى كمال الدين بن المقر الجمالى يوسف ناظر الخاص ثم بعده أخوه القاضى شهاب الدين .

وأما نظار خواصه : فالقاضى تاج الدين بن المقسى أولاً ثم القاضى بدر الدين بن القاضى كاتب السر بن مزهر والأمير بدر الدين بن الكويز والقاضى علاى الدين بن الصابونى.

وأمـا وزراؤه : فالزيـنى قاسـم أولاً والمقـر السـيفى يشـبك الدوادار تولى وزيراً واستاداراً، وتـولى الـوزارة فى أيامه أيضاً خشقدم الزمام ثم تولى المقر السيفى آقبردى الدوادار تولى وزيراً واسـتادارا أيضـاً، كمـا كـان الأمـير يشـبك من مهدى ثم تولى الاستادارية أيضاً الأمير تغرى بـردى القادرى وغير ذلك من الأعيان باشروا فى الاستادارية أيضاً فى أيامه بها ولى من تولى الوظائف السنية فى أيامه.

وأمـا نسـاؤه : فخونـدا فاطمـة بنت الجنان العلاى على بن الجناب العرشى خليل بن خـاص بـك ولم يـتزوج غيرهـا ودام معهـا إلى أن مات. ولما مات خلف من الأولاد ولده المقر الناصرى محمد الآتى ذكره فهذا جملة ما ذكر له من المحاسن .

وأمـا ذكر ما له من المساوىء فقد عد له أرباب التواريخ مساوئ كثيرة فإن المؤرخ لابد له أن يذكـر مـا يقـع مـن المحاسـن والمسـاوئ : فمنها أنه لما تولى السلطنة ندب الأمير يشبك الـدوادار لمـا تـولى الوزارة فقطع لحوم الفقهاء والأيتام والأرامل التى كانت مرتبة فى الديوان فى أيام الملوك السالفة وكذلك فى الجوامك.

ومـنها : أنـه أخـذ مـن الأملاك والأوقاف أجرة سبعة أشهر وحصل للناس بذلك الضرر الشـامل وصـادر التجار وطائفة من اليهود والنصارى وأخذ منهم حسبما اختاره من ذلك وقد حـدد هـذه السنة السنية بعدما بطلت من أيام الملك المظفر قطز لما خرج إلى قتال هولاكو ملك التتار وذلك فى سنة ثمان وخمسين وستمائة .

ومـنها أنـه اسـتقر بشـخص يسـمى شمـس الدين بن العظمة فى نظارة الأوقاف فحصل للناس والأعيان منه غاية الأذى وأحدث أموراً فى النواب من الظلم الضرر للمسلمين كما قال القائل فى المعنى .

لبــابك بــواب عـن الخــير مانع   أضاف لقبح الوجه سوء خطابه
فساويت فيه من غداً يمنع القرى   ومن يربط الكلب العقور ببــابه

[ق ١٤٠ أ]

ومنها أنه ضرب القاضي تاج الدين بن المقسى ناظر الخاص بالمقارع وفى يوم شديد البرد في الأسطبل السلطاني ثم بعد مدة سيقه على حميره من غيط الحاجب من غير ذلك . وكان ابن المقسى هذا من أعيان المباشرين عن تولى وظائف نظارة الجيش ونظارة الخاص والاستادارية وغير ذلك من الوظائف.

ومنها : أنه وسط القاضي مجد الدين بن البقرى وكان أعيان المباشرين تولى الوزارة والاستادارية وغير ذلك من الوظائف.

ومنها : أنه ضرب زين الدين الاستادار حتى مات تحت الضرب وهو في البرج .

ومنها: أنه سحل شخصا يسمى ابن الديوان من حلب وهو وولده من غير ذنب وطاف في القاهرة .

ومنها : أنه نفى جماعة كبيرة من الأمراء الاينالية وكانوا سبباً لسلطنته منهم الأمير أزدمر الطويل حاجب الحجاب نفاه إلى الصعيد ثم أرسل قطع رأسه ونفى الأمير قانصوه الخسيف أحد الأمراء المقدمين إلى مكة فمات بها ونفى الأمير خير بك من حديد أحد الأمراء المقدمين إلى مكة وكان من أعز أصحابه فمات بها، ونفى الأمير خشقدم الزمام إلى قوص فمات بها ونفى جماعة من الأمراء ووسط جماعة كبيرة من المباشرين وغيرهم. ومما عد له من النواقص أنه أبطل خدمة القصر الكبير فى أيام دولته ولم يتبع طريقة فى لبس الشاش والقماش وخدمة القصر حتى أن غالب العساكر نسى طريقة خدمة القصر، وكان له طريقة في خدمته وأبطل فى أيامه تدوير المحمل الذى كان يدور فى شهر رجب، وأبطل الرماحة الذين كانوا يسوقون فى المحمل وهم من شعار السلطنة وأبطل المركب المسمى بالدرمونة التى كانت ترسم جمل ذاهب إلى الحرمين الشريفين وكانت من شعار السلطنة وأبطل الرمايات التى كان الملوك يرمونها ويدخلون إلى القاهرة في المواكب العظيمة، وأبطل في أيامه أشياء كثيرة من هذا النمط. ولم تمش فيها على طريقة الملوك السالفة، وفى الجملة كانت محاسنه أكثر من مسائه وكان خيار ملوك الترك من الجراكسة وغيرهم ولا بقى يسمح الزمان بمثله، انتهت أخباره كى لا يطول الشرح فى ذلك .

ذكر من توفى فى أيامه من الأعيان

وهـم: أمـير المؤمـنين المسـتنجد بالله يوسـف ومن قضاة القضاة السالفة القاضى ولى الدين الأسيوطى والقاضى صلاح [ق ١٤٠ ب] الدين الحلبى والقاضى أبو السعادات البلقينى ومن قضـاة القضـاة الحنفـية الأمشـيطى والقاضـى ابـن عـيد الدمشـقى والقاضـى محب الدين بن الشـحنة وكـان مـن رؤسـاء العـلماء تـولى مـن الوظائف كتابة السر وقضائه الحنفية ومشيخة الخانقـاه الشـيخونية وغـير ذلـك من رؤساء العلماء. والقاضى برهان الدين الديرى وكان من رؤساء العلماء تولى من الوظائف نظارة الجيش وكتابة السر وقضائه الحنفية ومشيخة المؤيدية وغـير ذلك من الوظائف . ومن قضاة القضاة المالكية السيد الشريف بن حريز وأخوه واللقانى ومحـيى الدين بن تقى. ومن قضاة القضاة الحنابلة القاضى عز الدين الحنبلى . ومن مشايخ الحنفـية الشـيخ أمين الدين الأقصراى شيخ المدرسة الأشرفية والشيخ محيى الدين الكافجى شـيخ الخانقـاه الشـيخونية والشـيخ الـولى سـيف الديـن شيخ المدرسة المؤيدية والشيخ قاسـم الحـنفى والشـيخ صـلاح الدين الطرابلسى شيخ المدرسة الأشرفية والشيخ نظام الدين الحنفى والشيخ ناصر الدين قرقماش الحنفى صاحب كتاب زهر الربيع والشيخ عضد الدين الصارمى شيخ المدرسة البرقوقية والقاضى خير الدين السيسى من أكابر نواب الحنفية.

واما من مشايخ العلماء الشافعية الشيخ سراج الدين العبادى والشيخ جلال الدين البكرى شـيخ الخانقـاه البيبرسـية والشـيخ شهاب الدين الأبناسى وهو من المحدثين والشيخ برهان الديـن بـن الحمـوى توفـى بالقـرب مـن العقبة والجوحرى والشيخ تقى الدين الحصنى ومن أكابر الأعيان القاضى كاتب السر أبى بكر بن مزهر والقاضى كمال الدين ناظر الجيش توفى بمكـة. وكـان من أعيان المباشرين تولى من الوظائف ناظر الجيش وناظر الخاص ووكيل بيت المـال وغـير ذلـك مـن الوظائف والقاضى قطب الدين الأخيصرى كاتب سر الشام وكان نديم الأشـرف قايتـباى والقاضـى عـلم الديـن شاكر بن الجيعان مستوفى ديوان الجيوش المنصورة وولـده سـيدى يحـيى وولـده سـيدى عـبد الغـنى . وتوفى فى أيامه جماعة كثيرة من أولاد الجيعان والعلانى على بن خاص بك صهر الملك الأشرف قايتباى والخواجا ابن الزمن توفى بطريق الحجاز والصاحب قاسم والأشرفى يحيى بن حجى والجمالى يوسف بن تغرى بردى صـاحب تـاريخ الـنجوم الزاهرة، ومن مشايخ الزهاد الشيخ أبى المواهب بن رعدان من أكابر الشـاذلية والشـيخ إبراهـيم المبـتولى [ق ١٤١ أ] الـزاهد توفى بازدود ودفن بها والشيخ أبى

المراحم من أولاد ابن أبى الوفاء والشيخ أحمد بن عقبة اليمانى والشيخ محمد السداد المجذوب والشيخ على القليوبى والشيخ حسن الأجرب، ومن أعيان الشعراء الشيخ شهاب الدين المنصورى الهائم وكان من فحول الشعراء والشيخ شمس الدين القادرى وكان من فحول الشعراء والأديب زين الدين بن النحاس وغيرهم وجماعة كثيرة يطول الشرح فى ذكرهم من أعيان الناس وأعيان العلماء وأعيان الزهاد والشعراء وغير ذلك .

٤٣ـ ذكر سلطنة الملك الناصر أبو السعادات ناصر الدين محمد المحمودى(١)

صاحب اللقبين وقد تلقب أولاً بالناصر ثم تلقب بالأشرف بن الملك الأشرف أبى النصر قايتباى الظاهرى . وهو الثانى والأربعون من ملوك الترك وأولادهم، تسلطن فى يوم السبت سادس عشرين ذى القعدة من سنة إحدى وتسعمائة وذلك فى الساعة الرابعة من اليوم المذكور، وتلقب بالملك الناصر ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعاء ودقت له البشائر ولبس خلعة السلطنة من الحراقة وطلع إلى القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباس له الأمراء الأرض وكان له من العمر لما تسلطن نحو خمسة عشرة سنة وقد قارب البلوغ وأمه أم ولد جركسية الجنس تسمى وردقان ومولده فى سنة تسع وثمانين وثمانمائة . وفى ذلك يقول بعض الشعراء.

إن العناصر فى سلطاننا اجتمعت　　　شمائلا بهرت من حين مولده
وقد ناسب النار عزما والهوى خلقا　　　والبحر جودا وملك الأرض فى يده

وتسلطن الملك الناصر محمد ولم يعهد إليه والده الأشرف قايتباى رحمه الله بالسلطنة ولا كان قصده أن يتسلطن ولده وكان قصده أن يكون مقيماً بالقاهرة من غير سلطنة مثل ابن السلطان خشقدم وغيره من أولاد الملوك ويكون ساكنا فى البيت الذى أنشأه له على بركة الفيل فما تم له ما أراد وجاءه الاعتقاد كما يقال فى المعنى.

يريد المرء أن يعطى مناه　　　ويأتى الله إلا ما أراد

---

(١) انظر ترجمته فى : بدائع الزهور ٢/ ٣٠٣ ، شذرات الذهب ٨/ ٢٢، تاريخ المماليك لووليم موير ١٦٣.

وما كـان أحـد مـن الناس يشك بأن الأتابكى تمراز يتسلطن بعد الملك الأشرف قايتباى فـإن الأتـابكى تمـراز كـان يقـرب إليه وكان من خيار الأمراء فى الدين والعقل والرأى وكان كفئًا للسلطنة عارفاً بأحوال المملكة ولكن كما قيل [ق ١٤١ ب] فى المعنى.

وكم فى العرش أرى من عروس ولكن العـروس الوقت سـاعد

ومـا كـان مسـتهل ذى الحجـة مـن سـنة إحـدى وتسعمائة بقى الأتابكى تمراز إلى ثغر الإسكندرية قد تقدم ما جرى له حين يشبك فى باب السلسلة واستمر إلى أن توجهوا به ثغر الإسـكندرية وهـو مقـيد بقـيدين وخلفه أوجاقى بخنجر إلى أن ركب إلى البحر ورأى العرافة ومضـى إلى السـجن بـثغر الإسـكندرية ، وفـى عقيـب ذلك حضر الأمير تانى بك قرا الاينالى وكـان مسـافرا إلى الحجـاز فلما حضر قيدوه وأرسلوه إلى السجن بثغر الإسكندرية وما تم أمر الناصـر وتقلـده السـلطنة مـع عـلى مـن يذكـر مـن الأمـراء وهم المقر السيفى قانصوه الشـهير بخمسـمائة أخلـع علـيه واسـتقر بـه أتابك العسكر بالديار المصرية عوضاً عن الأتابكى تمراز الشمسـى قريـب المقـام الشـريف وأخلـع على الأمير تانى بك الجمالى واستقر به أمير سلاح عـلى عادتـه وأخلـع عـلى الأمير أزبك اليوسفى واستقر أمير مجلس على عادته وأخلع على الأمـير كرتـباى الأحمـر كاشف البحيرة واستقر مقدم ألف . ولما حضر الأمير قانصوه الشامى وكـان نائـبًا لحمـاة كمـا تقـدم فلما حضر من حماة أخلع عليه واستقر رأس نوبة النواب وما حضـر الأمـير قانصـوه الألفـى وكـان مسجونا بقلعة صفد فلما حضر أخلع عليه واستقر أمير أخـور كـبير وأخلـع عـلى الأمير جان بلاط من يشبك وقرر فى الدوادارية الكبرى عوضاً عن الأمير آقبردى وأنعم على الأمير ماماى من أحد أمراء العشرة الدوادار بتقدمة ألف وأنعم على الأمـير كسـباى الدوادار الثانى بتقدمة ألف وأنعم على الأمير يشبك قمر بتقدمة ألف واستقر الأمـير مصـراباى الغـور والى القاهـرة وأنعم على جماعة كثيرة من الأمراء بتقادم ألوف وعلى جماعة منهم بأمريات أربعين وأمريات عشرة ، وأما القضاة والمباشرون على حالهم كل أحد فى وظيفته واستمر الأمير آقبردى الدوادار مختفيًا هو وجماعة كثيرة من الأمراء واستمر الأمر يمضـى عـلى السـنين ثم كثر الكلام بين الأمراء والعسكر فعند ذلك أحضر السلطان المصحف العـثمانى وطلـع بـه إلى القلعـة وحلف عليه سائر الأمراء والعسكر طبقة طبقة بأن يكون لكل حشداشـين عـلى بعضـهم مـتفقين عـلى فعـل الخـير والمعـروف فحلفـوا عـلى ذلك . ثم إن السـلطان نادى فى القـاهرة بأن الأمـراء الغبـاء يظهروا ولهم الأمـان فظهر الأمير شـادى بك

[ق ١٤٢ أ] أمير أخور كبير والأمير جانم مصبغة والأمير أينال الخسيف حاجب الحجاب والأمير قانم قريب السلطان وغيرهم من الأمراء. فلما ظهروا وطلعوا إلى القلعة فأخلع عليهم ونزلوا إلى بيوتهم .فلما كان بعد العصر من ذلك اليوم أرسل الأتابكى قانصوه خمسمائة خلف الأمراء الذين ظهروا على أنه عد لهم مدة فى بيته الذى فى قناطر السباع، فتوجه إليه الأمير شادى بك والأمير أينال الخسيف والأمير قانم وتعوق الأمير جانم مصبغة ولم يتوجه معهم. فلما حضروا إلى بيت الأتابكى قانصوه خمسمائة أقاموا عنده إلى ثلث الليل فكان آخر العهد بهم . فلما كان يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء من عشرين جمادى الأول سنة اثنتين وتسعمائة ركب الأتابكى قانصوه خمسمائة على الملك الناصر محمد وركب معه سائر الأمراء المقدمين والعشروات وسائر العسكر قاطبة، فلما ركب فى ليلة الأربعاء طلع إلى باب السلسلة فملكها وكان الأمير قانصوه الألفى أمير أخور كبير وهو من حشداشين الأتابكى قانصوه خمسمائة، فلما أصبح يوم الأربعاء وقد ملك باب السلسلة والأسطبل السلطانى أرسل خليفة أمير المؤمنين المتوكل على الله عبد العزيز والقضاة الأربعة وكان عنده سائر الأمراء فتسلطن وباس له الأمراء الأرض وتلقب بالملك الأشرف ونودى باسمه فى القاهرة غير أنه لم يبايعه الخليفة ولا لبس خلعة السلطنة ولا جلس على سرير الملك ولم يكتب له تقليد من أمير المؤمنين ، ثم إنه أرسل إلى الملك الناصر محمد يطلب منه النمجاه والترس وأمره أن يدخل إلى قاعة البحرة ولم يكن عند الملك الناصر من الأمراء سوى بعض مماليك أبيه الذى صاروا من خرجة يسمونها الناصرية وكان عنده خاله الأمير قانصوه فتعصبوا له ولم يمنعوه من الدخول إلى البحرة وفتحوا باب الزردخاناه ولبسوا له آلة الحرب وركبوا المكاحل فى القلعة وحاربوا الأتابكى قانصوه خمسمائة فأقاموا على ذلك من يوم الأربعاء إلى يوم الجمعة بعد الصلاة وهم يحاصرونه ويرمون عليه بالنشاب والكفيات حتى أجبروه وأخرجوه من باب السلسلة هو ومن معه من الأمراء فوقف عند سيل المؤمنى ساعة فصاروا يرمون عليه من السوة وملكوا منه باب السلسلة فوقف ساعة فما يشعر إلا وقد جاءه سهم فى رأسه وقيل كتفه فسقط عن ظهر فرسه وقد غشى عليه فحمله الغلمان على أكتافهم ونزلوا به من الصليبة، وقيل إنه فى أثناء الطريق أركبوه على حمار وهو مغمى عليه إلى أن اختفى ثم انهزم ذلك الجمع [ق ١٤٢ ب] وولوا الدبر وسلموا أجمعين فكان كما قيل.

ولا تحتقر كيد الصغير فربما   تموت الأفاعى من سموم العقارب

وبين اختلاف الليل والصبح معرك   يكر علينا جيشه بالعجـــــائب

ثم نزل المماليك الأجلاب على من بباب السلسلة من القضاة والخليفة فنهبوا كل ما كان عـندهم وما سلموا من القتل إلا سلامه، وهذه النصرة قط ما وقعت لأحد من أبناء الملوك قبله أن يملكوا منهم باب السلسلة ويخرجوا منه على أقبح وجه وكان هذا الأمر من غرائب صنع الله تعالى كما قيل.

الأساس من فرج ولطف   وقوة تظهر بعد ضعف

فلما كـان يـوم السـبت مسـتهل جمـادى الآخـر من سنة اثنتين وتسعمائة طلع الخليفة والقضاة الأربعة حيوا السلطان بالشهر وبهذه النصرة التى حصلت له فقال السلطان:

فرشـد فـى ذلـك الـيوم بحضـرة الخـليفة والقضـاة الأربعـة ولمـا انكسر الأتابكى قانصوه خمسـمائة واخـتفى الأمـراء وأقامت القاهرة نحو أربع عشرة ليلة لم يدق فيها طبلخاناه على بـاب أمـير، وكـان عـدة من ركب مع الأتابكى قانصوه من الأمراء المقدمين ثلاثة عشر أميرًا غـير الأمـراء الأربعيـنات والعشـروات ، ثـم جـاءت الأخـبار من ثغر الإسكندرية بأن الأمير قانصوه الشامى توجه إلى ثغر الإسكندرية هو ومصر باى الوالى ليقتلا الأتابكى تمراز الشمسى والأمـير تـانى بك قرا وكانا فى السجن فتكاثر العربان على الأمير قانصوه الشامى ومصرباى فمسـكوا قانصـوه وسـجن بـثغر الإسـكندرية وأمـا مصـر باى فقتل هناك فى المعركة وقطعت رأسـه. وأمـا قانصـوه الشـامى فأقـام فى السجن مدة يسيرة وأرسل السلطان بقتله فقتل وهو بالسجن فكان كما قال القائل:

وكـم طـالب يسعى لشىء   وفيه هلاكه لو كان يدرى

ثـم إن السـلطان أمـر بالإفـراج عـن الأتـابكى تمراز الشمسى والأمير تانى بك قرا فدخلا القاهـرة وكـان بهمـا يوماً مشهوداً ، فأخلع على الأتابكى تمراز واستقر أميرًا كبيرًا كما كان وأخلع على الأمير تانى بك قرا واستقر أمير مجلس عوضاً عن الأمير أزبك اليوسفى، واستمر الأمـير أزبـك اليوسفى بطالاً فى بيته واستمر الأتابكى قانصوه خمسمائة مختفيًا هو وجماعة كـثيرة مـن الأمـراء والأمـر يتزايد فى الاضطراب والأحوال غير صالحة، ثم إن السلطان رسـم للأتـابكى تمـراز [ق ١٤٣ ب] بـأن يقـيم فـى الجامع الذى بالحوش السلطانى هو والأمير تانى بك قرا خوفا عليهما من القتل من المماليك فأقاما هناك مدة .

فلما كان يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأخر من السنة المذكورة ظهر الأتابكى قانصوه خمسمائة هو وحشداشينه قانصوه الألفى وماماى وكسباى ويشبك قمر وغيرهم من الأمراء ولبسوا آلة الحرب وتوجهوا إلى الميدان الكبير الذى فى الناصرية ثم توجهوا إلى بيت أزبك أمير كبير الذى فى الأزبكية فدخل الأتابكى قانصوه إلى هناك فلم يتوجه إليه من العسكر إلا قليل فأقام هناك يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فنزل إليه المماليك الأجلاب الناصرية من القلعة ما بين مشاة وركاب، فما سمع الأتابكى قانصوه بذلك هرب هو ومن معه من العسكر وخرج من الأزبكية إلى الفضاء وهذه ثالث كسرة وقعت للأتابكى قانصوه خمسمائة فكان كما قيل:

فموتى فى الوغى عيشى لأنى رأيت العيش فى أرب النفوس

فلما هرب الأتابكى قانصوه من الأزبكية نزل المماليك الأجلاب نهبوا كل ما فى الأزبكية وأحرقوا أبواب الأتابكى أزبك التى بها والبيوت التى حوله ونهبوا قماش الناس حتى بسط الجامع والحصر والقناديل وحواصل كانت للأتابكى أزبك فيها نشاب وسكر وغير ذلك فكان كما قال القائل.

وجرم جره سفها قوم فجل نعير جانبه العذاب

ثم جاءت الأخبار بأن الأتابكى قانصوه خمسمائة لما تسحب من الأزبكية توجه إلى نحو مدينة غزة وكان الأمير آقبردى الدوادار لما مسك الأتابكى تمراز وتسلطن الملك الناصر محمد فاستمر الأمير آقبردى مختفيًا فى القاهرة مدة ، ثم توجه فى الحفنة إلى عند الأمير آقباى نائب غزة فأقام عنده فلما انكسر الأتابكى قانصوه توجه إلى نحو غزة ليقتل الأمير آقبردى فلما تلاقى معه وقعت بينهما هناك مقتلة عظيمة وقتل فيها جماعة كبيرة وانكسر الأتابكى قانصوه كما سيأتى ذكره فى موضعه.

ولما كان يوم السبت تاسع عشرين جمادى الأخر من السنة المذكورة حصل بين المماليك الأجلاب فى الحوش السلطانى تشاجر وقالوا للأمراء غيروا لقب السلطان وسموه الملك الأشرف مثل والده فقال لهم الأمراء وكيف يكون ذلك بعد ما قد خرجت عدة مناشر ومربعات باسم الناصر وشاع ذلك فى البلاد الشامية [ق ١٤٣ أ] والمصرية فصمموا على ذلك وقالوا لابد من ذلك وإلا تقع فتنة عظيمة بين المماليك فعند ذلك نادوا فى القاهرة بأن السلطان صار لقبه الملك الأشرف فتعجب الناس من ذلك بعد مدة سبعة أشهر وهذه الواقعة

قـط مـا اتفقـت لأحد من أبناء الملوك قبله سوى ما وقع للملك الصالح أمير حاج بن الأشرف شعبان فإنه لما سلطنوه لقبوه بالملك الصالح. فلما خلعه الملك الظاهر برقوق ثم أعيد ثانى مرة فلقبوه بـالملك المنصـور وكان سبب تغيير لقب الناصر محمد بن الأشرف قايتباى أن مماليك أبـيه صـاروا يسـمون الأشرفية والخرج الذى أخرجه ابن الناصر صاروا يسمون الناصرية فعز ذلـك عـلى مماليك أبيه وقالوا لقبوه الأشرف مثل والده ونصرة الأشرفية فموجب ذلك غيروا لقبـه وسموه الأشرف فاستمروا يكتبون فى المراسم والمربعات والمناشير باسـم الناصر ولم يسمع لهم شيء وصار الخطباء بعضهم يخطب باسم الناصر وبعضهم يخطب باسـم الأشرف.

لـما كـان مسـتهل شـهر رجـب مـن السـنة المذكورة جاءت الأخبار بأن الأتابكى قانصوه خمسمائة لما تلاقى مع الأمير آقبردى الدوادار على خان يونس بالقرب من غزة فوقع بينهما وقعة عظيمة لم يسمع بمثلها ودخل الأمير آقبردى إلى خان يونس وحاصره الأتابكى قانصوه خمسـمائة بمـن معـه مـن العسـكر أشـد الحصـار حتى أن الأمير آقبردى طلب من الأتابكى قانصـوه الأمـان. ثـم بعـد سـاعة وقد أدركه الأمير آقباى نائب غزة والأمير أينال باى نائب طـرابلس وشـيخ العـرب ابـن نـيعه وكانوا من عصبة الأمير آقبردى فوقع هناك مقتله عظيمة فقتل فيها جماعة كثيرة من الأمراء قانصوه الألفى والأمير كسباى والأمير يشبك قمر وجماعة كـبيرة مـن الأمـراء والعسـكر فمـنهم الأمـير ماماى الدوادار أحد الأمراء المقدمين والأربعينات والعشـروات وقـتل الأمـير فيروز الزمام وكان صحبة الأتابكى قانصوه لما توجه إلى نحو غزة. وأمـا الأتـابكى قانصوه خمسمائة فمن الناس من يقول إنه قتل مع جملة من قتل ومن النـاس مـن يقـول إنـه نجـا بنفسه على فرس وهرب تحت الليل والله أعلم بحقيقة ذلك وهذه رابع كسرة وقعت للأتابكى قانصوه خمسمائة كما يقال فى المعنى.

والنفس لا تنتهى عن نيل مرتبة حتى يروم الذى من دونها العطب

ثـم إن الأمـير آقـبردى أرسـل إلى القاهرة رؤوس من قتل هناك من الأمراء والعسكر منهم رأس الأمـير مامـاى والأمـير فـيروز الـزمام وغـير ذلـك من الأمراء [ق ١٤٤ أ] والخاصكية جماعـة كـبيرة نحـو أربعـة وثلاثـين رأسًـا وهـم عـلى رماح مشهورة. وكان يوم دخولهم إلى القاهـرة يومـاً مشـهوداً لم ير مثله ودقت بسبب هذه النصرة الكوسات سبعة أيام وعلقوا تلك الـرؤوس عـلى بـاب زويلة يومين فكان ذلك يوم الخميس رابع شهر رجب فعند ذلك أرسل السـلطان خلـف الأمـير آقـبردى الدوادار فلما وصل إلى قرب قطبا كان معه من الأمراء الذين

كانوا أسروا فى هذه الوقعة وهم الأمير قانصوه الألفى والأمير كسباى المحتسب والأمير يشبك قمر فأرسل إليه السلطان مراسيم يقتلهم فقتلوا هناك وقتل معهم جماعة من الأمراء والعشروات وصار العسكر ضدين ولعب فيهم السيف كما قيل فى المعنى.

ومثلما تعمل شاه الحماه   فى مرض يعمل فى جلدها

ولما كان يوم الأحد رابع عشر رجب من السنة المذكورة : دخل الأمير آقبردى إلى القاهرة فزينت له وكان يوم دخوله إليها يوماً مشهوداً ودخل بطلب عظيم وكان معه الأمير أينال باى نائب طرابلس والأمير آقباى نائب غزة وشيخ العرب ابن نيعه فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان وعلى من معه من النواب ونزل إلى بيته فلما كان يوم الخميس أخلع السلطان على الأمير آقبردى واستقر أمير سلاح دوادارًا كبيرًا ووزيرًا واستادارًا كما كان الأمير يشبك من مهدى وأخلع على الأمير آقباى نائب غزة واستقر رأس نوبة النواب، وأما الأمير أينال باى أقام مدة ورجع إلى طرابلس على عادته. واستمر الأمر على ذلك مدة يسيرة.

فلما كان يوم السبت رابع شهر رمضان من السنة المذكورة ثارت الفتنة بين المماليك الأجلاب وبين الأمير آقبردى ولبسوا آلة الحرب واتقعوا ذلك اليوم فانكسر الأمير آقبردى وهرب تحت الليل هو والأمير آقباى نائب غزة واختفى من ركب معهما من الأمراء والعسكر . ثم جاءت الأخبار بأن الأمير آقبردى توجه إلى نحو بلاد الصعيد هو ومن معه من عصبيته فأقام هناك ولما حضر الأمير آقبردى إلى القاهرة ، وكان يظن أن الوقت قد صفا له بعد قتله[1] فأولاً الأمراء فجاء الأمر بخلاف ذلك وجاءه ما أفاد وقد ذهب فى هذه المرة المقر السيفى قانصوه خال السلطان الملك الناصر محمد بن [ق ١٤٤ ب] الأشرف قايتباى واستقر أمير أربعين ساد السربخاه الشريفة وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية واجتمعت فيه الكلمة وقلب الناس على الأمير آقبردى بواسطة ما تقدم منه فى حق الناس فى أيام الأشرف قايتباى والتف على الأمير قانصوه خال السلطان بمن كان من عصبة الأتابكى قانصوه خمسمائة وصار العسكر عرضين جماعة مع الأمير آقبردى وجماعة مع خال السلطان حتى العرب فى البلاد صاروا عرضين واضطربت أحوال الديار المصرية فى هذه الأيام صارت المياسر دائرة فى الليل تهجم على الأسواق وتفتح الدكاكين ففعلوا ذلك فى سوق مرجوش وسوق جامع طولون وسوق تحت الربع وغير ذلك من الأسواق والأماكن وصاروا يدورون معهم

(١) بيض فى الأصل.

بمشعل ورماه بالنشاب. واستمرت الفتن قائمة فى الشرقية والغربية وكانت تلك الأيام أشد أيام ثم إن السلطان أرسل الأمير أبا يزيد الصغير إلى الأمير آقبردى لما توجه إلى الصعيد ومعه فرس بسرج ذهب وكنبوش وخلعه إلى الأمير آقبردى بأن يكون على عادته فى وظائفه. فعظم أمر الأمير آقبردى فى بلاد الصعيد والتف عليه جماعة كثيرة من العربان. ثم إن السلطان صار فى قلق من أمر الذين كانوا ركبوا مع الأتابكى قانصوه خمسمائة. فلما انكسر اختفوا فى القاهرة وهم: الأمير كرتباى الأحمر والأمير جان بلاط الدوادار والأمير فنت الرحبى والأمير قرقماس وغير ذلك من الأمراء المقدمين والعشروات فأرسل السلطان إلى الأمير آقبردى لسحبه فى الحضور إلى القاهرة . فلما كان أواخر ذى القعدة من السنة المذكورة وصل الأمير آقبردى إلى بر الجيزة فخرج إليه الناس قاطبة من الأمراء والعسكر إلى ملتقاه وهو فى بر الجيزة، ولم يخرج إليه الأمير قانصوه خال السلطان فقوى عليه الأتابكى تمراز وبقية الأمراء فخرج وتوجه على أنه يعدى إلى بر الجيزة فمنعه خشداشته من أن يعدى إلى الأمير آقبردى وقالوا له متى أن رحت إليه قتلك. فعند ذلك رجع الأمير قانصود من أثناء الطريق. فلما بلغ الأمير آقبردى ذلك عدى من بر الجيزة إلى نحو طرا وأرسل خلف الأتابكى تمراز والأمير تانى بك قرا أمير مجلس وبقية الأمراء ممن كان من عصبته فتوجهوا إليه واجتمع عنده من العسكر مالا يحصى لكثرته فأقام هناك يومين ثم زحف حتى وصل إلى القرافة الكبرى . فنزل إليه بعض مماليك من [١٤٥ أ] القلعة فاتقعوا معه عند باب الزغلة، فقتل من المماليك اثنان وتجرح بعض غلمان وقتل بعض جماعة من المتفرجين وكان الأمير آقبردى أحضر معه من العربان جماعة كثيرة فصاروا لعرقلة الناس فى باب الزغله واذوا جماعة كثيرة من المتفرجين . ثم إن الأمير قانصوه خال السلطان شاد السربخاناه الشريفة طلع إلى القلعة وحصنها بالمدافع والرماه.

فلما كان يوم السبت ثامن عشرين ذى القعدة من السنة المذكورة . دخل الأمير آقبردى الدوادار إلى القاهرة ومعه الأتابكى تمراز والأمير تانى بك قرا وكان يوم دخول الأمير آقبردى يوماً عبوساً قمطريرا فدخل من على المشهد الفنيسى وشق من الصليبة وتوجه إلى سكنه فى البيت الكبير الذى عند حدرة البقر فأقام هناك ودخل معه بذلك العربان الذين جمعهم فدخلوا وفى أيديهم رماح طوال وانفقد لهم عنار فى الشوارع والأسواق . فلما بلغ الأمير قانصوه خال السلطان بأن الأمير آقبردى دخل معه جماعة من العربان أرسل الآخر أحضر عربان بنى حرام، فصار مع آقبردى فريق من العربان ومع خال السلطان فريق من العربان

فصار الأتراك يتقعون مع بعضهم والعربان يتقعون مع بعضهم والحرب ثائر بينهم ويتزايد كل يوم وصار يقتل في كل يوم من الفريقين جماعة كبيرة. ثم إن الأمير آقبردى أرسل أحضر أخشابًا كثيرة برسم عمل الطوارق وأحضر نحاسًا بسبب سبك مكاحل، وكان له همة عالية وأصرف من ماله في هذه الحركة أكثر من خمسين ألف دينار، وصار يمد في كل ليلة سماطًا عظيمًا لمن عنده من الأمراء والعسكر وكان عنده من الأمراء المقدمين الأتابكى تمراز الشمسى والأمير تانى بك قرا أمير مجلس والأمير آقباى نائب غزة رأس نوبة النواب والأمير جانم مصبغة حاجب الحجاب والأمير كرتباى أمير أخور كبير والأمير جانم الأجرود والأمير برد بك الخازندار والأمير برد بك نائب جده والأمير كرتباى أخو الأمير آقبردى الدوادار والأمير قنب بك نائب الإسكندرية فهذه عدة من كان مع الأمير آقبردى من الأمراء المقدمين غير الأمراء الأربعينات والعشروات وجماعة كثيرة من العسكر.

وأما ما كان فوق القلعة عند السلطان من الأمراء المقدمين الأمير سودون العجمى والأمير جان بلاط الغورى الأمير قانى باى الرماح، ومن الأمراء الأربعينات [١٤٥ ب] الأمير قانصوه خال السلطان وغير ذلك جماعة كبيرة من الأمراء العشراوات وأكثر العساكر كان فوق القلعة ثم طلع الأمير أزبك اليوسفى إلى القلعة وكان بطالا ولما طال أمر الأمير آقبردى في القتال فظهر الأمير كرتباى الأحمر والأمير جان بلاط الدوادار والأمير فنت الرحبى والأمير قرقماس والأمير قانصوه المحمدى الشهير بالبرجى وكانوا هؤلاء قد اختفوا من حين ركبوا مع الأتابكى قانصوه خمسمائة . فلما طلعوا إلى القلعة اشتد القتال وصاروا يرمون بالمدافع والبندق والرصاص من فوق القلعة وكانوا مالكين باب السلسلة وباب المدرج والنسوة، وكان الأمير آقبردى معه من باب القرافة إلى عند مدرسة السلطان حسن وصار مع الأمير آقبردى صنجق سلطانى وصار مع من بالقلعة صنجق سلطانى والكل يقولون الله ينصر السلطان فتحير بينهما العسكر ولا بقى أحد يعرف طريق الجيزة في أى الفريقين ولا يعرف العاصى مع الطايع وداموا على ذلك والحرب كل يوم عمال، وصار يقتل في كل يوم من الفريقين جماعة كثيرة من مماليك السلطان ومن العربان فدخل عيد النحر وهم على ذلك وكان لهم في يوم عيد النحر أشد قتال. ثم إن الأمير آقبردى فرق على العسكر أضحية من ماله وأعطاهم جامكية شهر معجلاً ولم يضح في تلك السنة من الناس إلا القليل ولا وجدت الأضحية في تلك السنة من عظم الفتن في البر والبحر وكانت جميع أسواق القاهرة معطلة من البيع والشراء وتشحطت الغلال في تلك الأيام وقل الخير من الأسواق وتوقف النيل في

تلك الأيام ليالى الوفاء حتى مضى من مسرى سبعة وعشرون يوما ثم أوفى بعد ذلك فى سابع عشرين مسرى وكسر فى ثامن عشرين مسرى وذلك يوم الاثنين ثانى عشرين ذى الحجة من سنة اثنتين وتسعمائة . فلما أوفى النيل فزاد عن الوفاء أربعة أصابع فمضى والى القاهرة وقت الصبح وكسر السد ، وقيل إن الشيخ عبد القادر الدسطوفى هو الذى كسر السد قبل مجىء الوالى وكانت الحرب قائمة ولم يلتفت أحد إلى كسر السد ولا إلى الوفاء ولو لم يف النيل فى تلك السنة لحزنت مصر عن أخرها وهمت أهلها بالخلا مما وقع فى تلك السنة من الفتن والشرور وانتهى سعر القمح فى تلك الأيام إلى ستمائة درهم كل أردب وتشحطت سائر الغلال جميعها بسبب اضطراب البلاد وفتن العربان فى بعضهم وخرب فى هذه الحركة غالب بلاد الشرقية [١٤٦ أ] والغربية ونهبوا الجرون وحرقوا الغلال وصار العربان عرضين فبنى حرام من عرض الأمير قانصوه خال السلطان وبنى وائل وغزالة من عرض الأمير آقبردى، ولما أوفى النيل فى تلك السنة قال بعضهم فى المعنى:

أتطلب من زمانك ذا وفاء   وتنكر ذاك جهلا من بنيه

لقد عدم الوفاء به وإنى   لأعجب من وفاء النيل فيه

ثم إن النيل نزل فى تلك السنة بسرعة ولم يغلق تسعة عشر ذراعا وسرقت فى تلك السنة غالب البلاد لعدم عمارة الجسور، واستمرت الحرب ثائرة بين الفريقين وكان السلطان لما ركب الأتابكى قانصوه وانكسر واختفى سد باب السلسلة بالحجر المسقط وسد باب الميدان والباب الذى من جهة باب القرافة وصار الناس يدخلون إلى الأسطبل السلطانى من الباب الشامى واستمر الأمر على ذلك نحو شهرين ولما ركب الأمير آقبردى وظهر الأمراء الذين كانوا قد اختفوا كما تقدم، فلما طلعوا إلى القلعة فتحوا باب السلسلة وركبوا عليه مكحلة عظيمة فصاروا يرمون بها على من بمدرسة السلطان حسن حتى تسقفت حيطانها. فلما طال الأمر على من كان يقاتل مع الأمير آقبردى فصاروا ينسحبون من عنده ويطلعون إلى القلعة فتلاشى أمره وظهر عليه العجز. فلما كان يوم الجمعة قرب المغرب جمع الأمير كرتباى الأحمر جميع المماليك الذين فى الطباق وكلهم ينزلون إلى تحت القلعة ورجعوا إلى عند مدرسة السلطان حسن. فلما بلغ الأمير آقبردى ذلك ركب بعد العشاء فى نفر قليل من العسكر وقد انفلوا من حوله وقت الحاجة فلما طلع الأمير آقبردى إلى الرملة لم يجد معه من الأمراء سوى الأمير آقباى نائب غزة فاتقع مع المماليك الذين نزلوا من قلعة الربع الذين

كانوا حول مدرسة السلطان حسن والبيوت التى كانت حول السور وسبيل المؤمنى فعند ذلك هرب الأمراء الذين كانوا فى مدرسة السلطان حسن من عصبة الأمير آقبردى وكان بها من الأمراء المقدمين ستة.

فلما دخل المماليك إلى مدرسة السلطان حسن نهبوا كل ما كان فيها من قماش الأمراء وقتلوا هناك الأمير كرتباى أمير أخور كبير وهرب بقية الأمراء الذين كانوا هناك. فلما بلغ الأمير آقبردى ذلك وقد [ق ١٤٦ ب] طلع النهار فتوجه إلى بيته الذى فى حدرة البقر وانحدر ردخانته ومماليكه وكان الأتابكى تمراز مقيماً عنده من أول هذه الوقعة فأرسل خلفه فأبطأ عليه فمضى الأمير آقبردى ولم يأخذ معه الأتابكى تمراز فخرج معه من الأمراء المقدمين الأمير تانى بك قرا والأمير آقباى نائب غزة والأمير جانم مصبغة والأمير كرتباى أخو الأمير آقبردى والأمير قنبك وبقية الأمراء وممن كان معه من الأمراء العشروات والمماليك السلطانية وغير ذلك فخرج الأمير آقبردى فى عسكر عظيم نحو من ألفين مملوك من مماليك السلطان ومماليك الأمراء وخرج من بين الدروب التى عند حمام الفارقانى ومعه "طبلين" وزمرين إلى أن خرج من عند المدرسة الصرغتمشية فطلع من على قناطر السباع ومضى إلى بولاق وخرج من على جزيرة الفيل وخرج إلى الفضاء وتوجه للبلاد الشرقية وكان ذلك فى صبيحة يوم السبت سابع عشرين ذى الحجة من سنة اثنتين وتسعمائة وهذه ثالث كسرة وقعت للأمير آقبردى الدوادار بالديار المصرية كما قيل فى المعنى :

وقايله إلى دهمتك الهموم   وأمرك ممتثل فى الأمم

فقلت ذريتى على غصتى   فان الهموم بقدر الهمم

وكان مبتدأ هذه الفتنة من حين عدى الأمير آقبردى من بر الجيزة وأتى إلى طرا فى يوم الجمعة سابع عشرين ذى القعدة ودخل إلى المدينة فى يوم السبت ثامن عشرين ذى القعدة واستمرت الحرب ثائرة بينهم إلى حين انكسر الأمير آقبردى فى يوم السبت سابع عشرين ذى الحجة من سنة اثنتين وتسعمائة فكانت مدة هذه الفتنة من المبتدأ إلى المنتهى واحد وثلاثين يوما هذا ما كان من أمر الأمير آقبردى. وأما ما كان من أمر الأتابكى تمراز الشمسى بعد كسرة الأمير آقبردى فإنه أقام فى بيت الأمير آقبردى إلى حين أشرقت الشمس وهو يشك فى أمر الكسرة فلبس قماشه وركب فرسه وخرج إلى أن وصل إلى بيت الأمير تانى بك قرا فجاء إليه جماعة من المماليك الأجلاب ومسكوا لجام فرسه ودخلوا به إلى بيت الأمير

تانى بك قرا ثم أخرجوه وأتوا به رأس الصليبة عند السكاكينى فجاء إليه جماعة من المماليك فطعنوه بالرماح إلى أن وقع من على فرسه فقبض عليه بعض المماليك وطلعوا به على دكان فى رأس الصليبة وقطعوا رأسه هناك وأخذوه فى فوطة وطلعوا به إلى القلعة وأقامت جثته رمية على الدكان فأحضروا له [ق ١٤٧ أ] تابوتًا وأخذوا فيه جثته ومضوا بها إلى مكان عند بيت الأمير تغرى بردى الاستادار ثم أحضروا جثة الأمير كرتباى أمير أخور كبير الذى قتل فى مدرسة السلطان حسن فغسلوهما هناك. ثم إن السلطان أرسل رأس الأتابكى تمراز ومعه ثلاثون ديناراً وثوبان بعلبكى فخيطوا رأس الأتابكى تمراز على جثته وكفنوهما وأخرجوهما ومضوا بهما إلى تربة الملك الأشرف قايتباى بعد أن صلوا عليهما فدفنوا الأتابكى تمراز على السلطان قايتباى ودفنوا الأمير كرتباى على الأمير جانم قرابة السلطان قايتباى وفى ذلك أقول مع التضمين فى معنى ذلك مرثية :

أرغمت يا دهر أنوف الورى   بقتل تمراز ويتم العباد
أتابك العسكر ذا رأفة   بالجود قد شاع لأقصى البلاد
أخطأت يا قاتله كيف قد   قتلت من يقمع أهل العناد
مصيبة جلت فمن أجلها   قد أطلقت فى كل قلب زناد
لكن فى قتله أسوة   إلى الحسين بن على الجواد
مذ أودعوه الرمس ما أنصفوا   بل كان يحيى فى صميم الفؤاد
فالله يأجره على ما جرى   من قتله بالعفو يوم المعاد

وأما ما كان من أمر المماليك الأجلاب فى يوم السبت المذكور بعد قتل الأتابكى تمراز فحصل للناس منهم غاية الأذى فنهبوا بيوت الأمراء الذين ركبوا مع الأمير آقبردى ونهبوا مدرسة السلطان حسن وأخذوا بسطها وأخذوا رخام المدفن الذى بها وأخذوا الشبابيك النحاس وصاروا ينهبون الحارات وبيوت الناس الذين قبالهم ونهبوا حارة زويلة بسبب أن بها حاصل للأمير آقبردى فأخرجوا من هناك من الأموال ما لا تحصى لكثرته ثم صاروا ونهبوا حتى الربع الذى يسكن فيها العوام وصاروا كل من ظفروا به يقتلونه ممن كانوا من حاشية الأمير آقبردى فقتلوا المعلم دمنيكوا الذى سبك المكحلة للأمير آقبردى فقطعوا رأسه ثم علقوه على باب السلسلة وأقام المماليك على القتل والنهب يومين لم يجدوا من يزجرهم عن ذلك وقد وقع منهم فى حق الناس مالا وقع من غيرهم من المماليك السلطانية الذين

كانوا قبلهم وقد أفحشوا فى الأذى وأسرفوا فى القتل ، فكان ممن قتل من الأمراء المقدمين فى هذه السنة المذكورة وهم : [١٤٧ ب] منادى بك أمير أخور كبير والأمير اينال الخسيف حاجب الحجاب والأمير قانم قرابة السلطان بها ولا قتلوا أولاً وقد تقدم سبب قتلهم ثم قتل الأمير قانصوه الشامى وهو فى السجن بثغر الإسكندرية ثم قتل الأمير قانصوه الألفى والأمير كسباى المحتسب والأمير يشبك قمر وذلك لما انكسر الأتابكى قانصوه خمسمائة عند خان يونس بالقرب من غزة، فلما أسروا بها ولا الأمراء قتلوا بالقرب من قطيا وقد تقدم سبب قتلهم وقتل عند خان يونس الأمير ماماى أحد الأمراء المقدمين وقتل هناك الأمير فيروز الزمام وجماعة كبيرة من الأمراء الأربعينات والعشروات والخاصكية. ثم قتل فى هذه الحركة التى وقعت بالقاهرة الأتابكى تمراز والأمير كرتباى أمير أخور كبير والأمير جانم الأجرود ودخل فى القلعة فأقام أياما ومات بخرجه وهو مختفى فكان عدة من قتل من الأمراء المقدمين اثنى عشر أميراً بالأتابكى قانصوه خمسمائة إن صح موته، ومن الأمراء الأربعينات والأمراء العشروات نحو عشرين أميراً، وكانت هذه الواقعة لم يسمع بمثلها فيما تقدم من السنين الماضية .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعمائة :

فكان مستهلها فى يوم الثلاثاء وافق ذلك يوم النيروز وهو أول السنة القبطية بموجب تحولها إلى السنة العربية وفى ذلك اليوم تولى الشيخ برهان الدين بن الكركى قاضى القضاة الحنفية بمصر عوضاً عن الأخميمى وتولى القاضى الشيشينى قاضى قضاة الحنابلة بمصر عوضاً عن السعدى الحنبلى وأخلع على الشيخ عبد البر بن الشحنة واستقر شيخ المدرسة الأشرفية مع ما بيده من مشيخة الشيخونية فأقام بها ثلاثة أشهر وأعيدت إلى قاضى القضاة برهان الدين بن الكركى وفيها أخلع على الأمير قانصوه خال السلطان واستقر دواداراً كبيراً عوضاً عن الأمير آقبردى الدوادار.

وفى أثناء هذا الشهر: استقر الأمير قانصوه المذكور وزيراً واستادارا كما كان الأمير آقبردى.

وفيها : أخلع على الأمير جان بلاط الدوادار واستقر نائب حلب.

وفيها: أخلع على الأمير كرتباى الأحمر واستقر أمير سلاح عوضا عن الأمير آقبردى فأقام بها مدة واستقر نائب الشام عوضاً عن قانصوه اليحياوى وأخلع على الأمير أزبك

اليوسفى واستقر مشير المملكة، وأخلع على الأمير قانصوه المحمدى الشهير بالنرجى واستقر أمير مجلس، وأخلع على الأمير قتب الرحبى [ق ١٤٨ أ] واستقر حاجب الحجاب وأخلع على الأمير قانى باى الرماح استقر أمير أخور كبير وأخلع على الأمير جان بلاط الغورى واستقر رأس نوبة النواب وأخلع على الأمير طومان باى واستقر أمير دوادار ثانى وأنعم على جماعة كثيرة من الأمراء بأمريات عشرة وأمريات أربعين واستمر الأمر على ذلك ثم بعد مدة رسم السلطان بإحضار الأتابكى أزبك من مكة فلما حضر أخلع عليه واستقر به أتابك العساكر كما كان أولاً فكانت مدة غيبته من حين توجه إلى مكة إلى أن حضر سنتين وثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً، وكان حضوره فى يوم الخميس ثامن عشرين ربيع الأول من سنة ثلاث وتسعمائة .

وفيها : جاءت الأخبار بأن الأمير آقبردى لما توجه من القاهرة بعد الكسرة توجه إلى دمشق وحاصرها واتقع مع أهلها فقاتلوه. أشد القتال فولى مهزومًا من الشام وتوجه إلى حلب وحاصرها فقاتله أهلها أشد القتال فولى مهزومًا من حلب وتوجه إلى عند دولات أخو سوار فأقام عنده هو ومن معه من الأمراء والعسكر. فلما بلغ الأمير كرتباى الأحمر ذلك وكان فى دولة الناصر محمد صاحب الحل والعقد ، وكان الناصر يخشى منه فعين الأمير كرتباى الأحمر تجريدة للأمير آقبردى وكان الأمير كرتباى الأحمر باش التجريدة وكان استقر نائب الشام وتوجه فيها الأمير جان بلاط وكان استقر نائب حلب . توجه فيها جماعة من الأمراء المقدمين ومن الأمراء العشروات ومن المماليك السلطانية نحو ألفين مملوك وخرجوا من القاهرة فى يوم الثلاثاء رابع ربيع الأخر من سنة ثلاث وتسعمائة فلما خرج الأمير كرتباى الأحمر من القاهرة صفاً للسلطان الملك الناصر الوقت وخرج عن الحد فى المحفة واللعب وصار ينزل فى كل ليلة وقدامه فانوسان وأربع مشاعل ويطوف المدينة فى نفر قليل من الخاصكية ومعه جماعة كبيرة من العبيد والأعوام فإن صدف فى الطريق أحداً ماشياً من بعد العشاء يقطع أنفه وأذنيه ولو أنه ليس له سيئة بين الناس وضرب جماعة كثيرة بالمقارع ووسط جماعة كبيرة تحت الليل من غير ذنب . ثم إنه نادى فى القاهرة أن يجعلوا على كل دكان قنديلاً على كل طاقة قنديلاً وصار ينزل ويكشف على ذلك بنفسه فى كل ليلة ومن وجد دكانه بلا قنديل يسمرها وهو واقف بنفسه .

ثـم إنه نادى فى القاهرة بأن أصحاب الدكاكين التى فى الشوارع يبيضونـها ويزخرفونها بالدهان فحصل لأصحاب الدكاكين بسبب ذلك خلعة زائدة . وكان ينزل إلى بولاق فى ليالى سـيدى اسماعـيل [ق ١٤٨ ب] الايـنالى ويشـق الـبحر فـى مركـب ومعه جماعة من العوام والمغـانى عـلى الـنداء والإجهـار وتحـرق فى الليل حراقة نفط فى بولاق وقد جاوز الحد فى الـلهو وبهـدل حـرمة المملكـة فى أيامه. وكان ينزل إلى قبة الأمير يشبك التى فى المطرية ثم يشـق المديـنة وقدامـه "طـبلين" و "زمـرين" وجماعـة كثيرة من العبيد يرمون بالنفط مكاحل هـندية وكـان يـنقل عليه ركوب الأمراء المقدمين معه فما كان يركب معه فى غالب الأوقات إلا خالـه الأمـير قانصـوه وقـد خرج عن طور الملوك فى أفعاله. ثم إنه رسم للأمراء المقدمين بأن يضاف إلى كل أمير منهم ثلاثون مملوكاً من الأجلاب يأخذون من إقطاعه ، لكل مملوك عشرة آلاف درهم، وجعلوا على كل أمير كبير أربعين مملوكاً، وجعلوا على كل أمير أربعين عشـرة مماليـك وعـلى كل أمير عشرة خمسة مماليك، فحصل من ذلك الضرر الشامل للأمراء وصـار المماليك يدخلـون إلى مـوت الأمراء ويتبهدلون من مباشريهم ولا بقى لأحد من الأمراء عندهم حرمة.

ثم إن السلطان نادى فى القاهرة بأن الأمراء الذين كانوا قد اختفوا يظهروا ولهم الأمان، فظهـر الأمـير تانى بك الجمالى وكان مختفيًا من حين ركب مع الأتابكى قانصوه خمسمائة. فلما ظهر أخلع عليه واستقر أمير سلاح على عادته عوضاً عن الأمير كرتباى الأحمر.

ثم إن السلطان أمر بالإفراج عن الأمير مصرباى من السجن بثغر الإسكندرية وكان الأمير مصـرباى مـن عصبة الأمير آقبردى الدوادار ثم ظهر الأمير أبا يزيد الصغير والأمير قنبك أبو شـامة وجماعـة كـبيرة ممـن ركـبوا مـع الأمـير آقبردى. فلما ظهروا وطلعوا إلى القلعة ورهج السـلطان وعـين الأمـير مصـرباى أمـير أخور كبير وعين الأمير أبا يزيد الصغير دوادارًا ثانيًا وعـين الأمـير قنـبك أبـو شامة نائب القلعة . فلما بلغ الأمراء الذين على الأمير آقبردى بأن السـلطان له عـناية بـالأمير آقـبردى وجماعـته فاستوزوا فى بعضهم وتغيرت خواطرهم على السلطان واستأنفت فتنة أخرى.

فـلما كان يوم الخميس حادى عشر جمادى الأول من السنة المذكورة: وثب المماليك فوق القلعـة عـلى الأمـراء الذيـن ظهـروا مـن عصـبة الأمـير آقبردى فقتلوا الأمير أبا يزيد الصغير وقطعوه بالسيوف فنزلوا بجثته على حمار.

وأما الأمير مصرباى وقنبك أبو شامة فهربا ونزلا من القلعة واختفيا ، ثم إن المماليك نزلوا من القلعة إلى المدينة ونهبوا بيوت جماعة ممن كانوا ركبوا مع الأمير آقبردى الدوادار وثارت الفتنة بعدما كانت خمدت واضطربت الأحوال فعند ذلك طلع الأتابكى أزبك أمير كبير والأمير تانى بك الجمالى أمير سلاح [ق ١٤٩ أ] وبقية الأمراء ولاموا السلطان على رهجه فى الأمور ، ثم خمدت الفتنة وسكن الأمر ثم تزايد جور المماليك فى حق الناس بالظلم وصاروا يأخذون أموال الناس بغير حق وتزايد منهم الضرر فعند ذلك وقع الوباء بالديار المصرية وكان مبتدأه من جمادى الأخر من سنة ثلاث وتسعمائة ولا يسلسل إلى شوال فمات فيه جماعة كثيرة المماليك والعبيد والجوارى والأطفال والغرباء وتوفى عقيب ذلك الأمير جان بلاط الغورى رأس نوبة النواب والأمير صنطباى المبشر وجماعة كبيرة من المماليك ومن الخاصكية وبقى الفصل عمال والمماليك تشوش على الناس وفى ذلك أقول .

قل للوباء أنت والمماليك   جاوزتما الحد فى النكاية

ترفقا بالورى قليلا   فى واحد منكما كفاية

ولما كان رابع عشر شوال من السنة المذكورة حضر إلى القاهرة خاصكى من حلب وأخبر بأن العسكر لما وصل إلى حلب وقع بينه وبين العسكر الذين مع الأمير آقبردى وقعة عظيمة فهرب الأمير آقبردى وعدى من الفرات إلى قلعة البيرة فأقام بها وقتل فى هذه المعركة أينال نائب حلب وكان قد توجه من حلب، صحبة الأمير آقبردى وقتل بها أحد أولاد على دولات أخو سوار وجماعة كثيرة من المماليك والتراكمة الذين كانوا مع الأمير آقبردى فأحضروا رءوس من قتل فى هذه الوقعة إلى القاهرة وطافوا بها المدينة على أرماح فكانت عدة الرءوس التى طافوا به واحد وثلاثين رأساً ثم علقوها على أبواب المدينة، وكان يوم دخولهم إلى القاهرة يوماً مشهوداً.

وفيها : توجه المقر السيفى قانصوه خال السلطان إلى الشرقية والغربية بسبب تمهيد البلاد فكانت مدة غيبته واحد وستين يوماً فلما كان يوم السبت مستهل ذى الحجة من السنة المذكورة: دخل المقر السيفى قانصوه خال السلطان إلى القاهرة فزينت له ودخل فى موكب عظيم وطلع إلى القلعة ولبس خلعة عظيمة فلما نزل من القلعة أحاط به المماليك الأجلاب فى وسط الرماية وقالوا له :اطلب لنا من السلطان نفقة بسبب النصرة التى حصلت ووقعة الأمير آقبردى فما نزل الأمير قانصوه إلى بيته إلا بألف جهد.

فلما كان يوم الاثنين خامس عشرين ذى الحجة من السنة المذكورة وثب المماليك الأجلاب على السلطان [ق ١٤٩ ب] بسبب النفقة وطلع الأتابكى أزبك وبقية الأمراء إلى القلعة وتقرر الحال مع السلطان بأن يعطى المماليك نفقة لكل مملوك خمسين أشرفيًا فتراضوا على ذلك، وخمدت الفتنة ثم إن السلطان شكى وقال قد نفد ما فى الخزائن من المال ولم يبق بها شىء ، ثم إن السلطان اشتور مع الأمراء بسبب ذلك فتقرر الحال مع السلطان والأمراء بأن يوزعوا هذه النفقة على المباشرين وأعيان الناس فندبوا لذلك المقر السيفى قانصوه خال السلطان الأمير الدوادار والقاضى ناصر الدين الصفدى فكتبوا قوائم ووزعوا ذلك على المباشرين وهم: القاضى كاتب السر والقاضى ناظر الجيش والقاضى ناظر الخاص والقاضى صلاح الدين بن الجيعان ومباشرون الأسطبل ومباشرون الزردخاناه حتى قضاة القضاة الأربعة وجماعة كثيرة من أولاد الناس وتجار الأسواق. ثم إن معلم المعلم ابن الجناب الزينى حسن بن الطولونى وزع ما جاء عليه من المغرم على جماعة البنائين والنجارين والمهندسين وكذلك فعل المحتسب ووزع ما جاء عليه على أعيان السيوفة من الرعايين وغيرهم، وكذلك وزعوا على طائفة اليهود والنصارى وكانت هذه المصادرة عامة على جميع الناس وحصل بذلك الضرر الشامل لأعيان الناس، والذى حصل فى أواخر هذه السنة من الحوادث لم يحصل من غيرها من السنين الماضية وقد اجتمع فيها الغلاء والفناء وأخذ أموال الناس بغير حق وجور المماليك فى الرعية ونهب أموالهم فى الوقعات وجور العربان فى البلاد وتأخر النيل عن الوفاء وحصل الاضطراب من كل جانب كما قيل فى المعنى:

كم زمان بكيت منه فلما　　　صرت فى غيره بكيت عليه

ثم دخلت سنة أربع وتسعمائة :

فيها : أوفى النيل المبارك فى تاسع عشرين مسرى الموافق الرابع المحرم، فلما أوفى النيل نزل السلطان بعد العشاء وكسر السد، ولذلك سد قنطرة قد يدار فأصبح الناس ولم يشعروا إلا والماء قد عم الخلجان والبرك وبطل فرحة الناس بيوم الوفاء.

وفى أثناء ذلك : توجه السلطان إلى نحو جسر بنى منجا وكسره أيضاً بنفسه. ثم إن السلطان صار ينزل إلى بركة الرطلى ويشق فيها فى مركب وأمر سكان البركة أن يوقدوا فى كل بيت وقدة فأقاموا على ذلك نحو عشرين يوماً وكان الملك الناصر قصده أن ينزل فى يوم الوفاء ويحلق المقياس ويكسر السد كعادة السلاطين فمنعه [ق ١٥٠] مماليك أبيه فحنق

منهم ونزل بعد العشاء فى نفر قليل من الغلمان والعبيد وبعض مماليك فكسر السد وهو واقف على فرسه وكذلك سد قنطرة قديدار ثم طلع إلى القلعة. ثم إن السلطان خطر بباله بأن يتوجه إلى نحو حلب فعبى له سنيج وهجن فى الحفنة فقيل إنه قصد بأن يتوجه الأمير آقبردى الدوادار وقيل بل رأى نفسه فى خصومة مع مماليك أبيه فقصد بأن يتوجه إلى نحو البلاد الشامية فلما علم مماليك أبيه بذلك نهبوا السنيج وضربوا الغلمان ومنعوه عن السفر وذلك فى العشرين من المحرم . فلما كان مستهل شهر صفر اضطربت الأحوال وعين للسلطان تجريدة إلى نحو البحيرة فلم يخرج إليها أحد من العسكر وكثر الكلام فى ذلك .

ثم إن السلطان حسن بباله أن تمسك جماعة من الأمراء فلما علموا بذلك امتنعوا عن الطلوع إلى القلعة وصاروا يجتمعون فى بيت المقر السيفى قانصوه خال السلطان ولم يطلعوا إلى القلعة؟ ثم إن السلطان نادى للعسكر بالعرض فى الميدان.

فلما كان يوم الاثنين تاسع عشرين صفر طلعوا إلى الرملة فلم ينزل السلطان إليهم فوقفوا ساعة ثم انفض المجلس مانع. فلما كان مستهل شهر ربيع الأول طلع القضاة يهنئون بالشهر فرسم السلطان لهم بأن يقعدوا فى باب المدرج وأحضر المصحف العثمانى وصار يحلف عليه المماليك طبقة طبقة بحضرة القضاة، ثم الأمراء والمماليك أرسلوا يقولون للسلطان مثلما حلفنا للسلطان يحلف لنا أيضاً ما له لا يمسك أحدًا منا فلم يحلف لهم السلطان عن ذلك .

وكان المتكلم بينهم وبين السلطان الأمير تانى بك الجمالى أمير سلاح فانفضوا والمجلس مانع أيضاً فأقاموا نحو اثنى عشر يوماً لم يطلع من الأمراء أحد إلى القلعة واستمرت الأحوال مضطربة إلى أن كان يوم المولد السلطانى فلم يطلع من الأمراء أحد سوى الأتابكى أزبك والأمير تانى بك الجمالى أمير سلاح وبعض أمراء عشروات وخاصكية.

فلما انقضى أمر المولد أراد الأمراء أن ينزلوا إلى بيوتهم فقاسوا من المماليك الأجلاب الذين فى الطباق ما لا خير فيه وكبوا على رأس أمير كبير أزبك ماء متنجسًا وما نزل الأمراء إلى بيوتهم إلا بعد مشقة زائدة ، ثم إن العسكر التفوا على المقر السيفى قانصوه خال السلطان وصاروا لا يمكنوه من الطلوع إلى القلعة ولا إلى صلاة الجمعة فوق القلعة.

وقيل إن السلطان كان قد عون على مسك خاله الأمير قانصوه [ق ١٥٠ ب] ومعه ستة من الأمراء من مماليك أبيه وهم : الأمير طومان الدوادار الثانى والأمير طراباى والأمير أزدمر

والأمير أنس باى وغير ذلك من الأمراء ممن نقل عليه أمره، ثم إن السلطان أرسل يقول لهم وللأمراء مع نقيب الجيش السلطانى اكتبوا وصية واخرجوا من مصر إلى أى مكان يختارونه فلم يلتفتوا إلى كلامه وقد تغير خاطر العسكر قاطبة على السلطان بسبب هذه الأفعال القبيحة التى تقع منه فى حق الناس من الظلم والجور وقد خرج عن الحد فى تلك الأيام وزاد من الأذى كما يقال :

بث فى قلوب أسود　　لا فى قلوب رجال

فالكبد للناس لا　　للبهائم الجهال

ثم إن السلطان لما انقضى أمر المولد وكان المولد فى يوم السبت فنزل السلطان فى يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول من السنة المذكورة إلى نحو قناطر العسرة وعدى إلى بر الجيزة على سبيل التنزه فلم يتوجه معه أحد من الأمراء حتى خاله المقر السيفى قانصوه فأقام هناك من يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء وهو فى أرغد عيش وأحضر عنده مغانى عرب وخيال ظل وغير ذلك من أنواع اللهو والفتك. فلما كان يوم الأربعاء صلى العصر وركب وقصد التوجه إلى القلعة وكانت ليلة جامكية، فلما مر من على الطالبية خرج عليه جماعة من مماليك أبيه وكانوا قد اكمنوا عليه كمينًا على الطريق الذى لابد له من المرور عليه. فلما مر من عليهم خرجوا عليه وقتلوه هناك.

فلما قتل السلطان كان معه أولاد عمه الأمير قين الرزدكاس وهما جانم وأخوه فقتلا معه وقتل من السلحدارية الذين كانوا مع السلطان اثنان وصار السلطان مرميًا على الأرض ومن قتل معه فأدخلوهم فى مسجد هناك وكانت قتلة السلطان الملك الناصر محمد بن الأشرف قايتباى فى يوم الأربعاء بعد العصر وذلك فى خامس عشر ربيع الأول سنة أربع وتسعمائة . فلما قتل السلطان جاءت الأخبار إلى القاهرة بعد المغرب فماجت المدينة ولبس المماليك آلة الحرب وباتوا تلك الليلة على ذلك .

فلما أصبحوا يوم الخميس توجه العسكر إلى بيت المقر السيفى قانصوه خال السلطان ثم اشتوروا فيمن تولونه السلطنة واستمر العسكر لابسين آلة الحرب فى ذلك اليوم [ق ١٥١ أ] ثم إن الأمير قانصوه خال السلطان أرسل إلى بر الجيزة توابيت فأحضر جثة الملك الناصر وأولاد عمه والسلحدارية الذين قتلوا هناك فى الطالبية فلما حضروا بهم أدخلوا السلطان وأولاد عمه فى البيت الذى أنشأه الملك الأشرف قايتباى بالقرب من حمام

الفارقانى فغسلوا السلطان وأولاد عمه هناك وصلوا عليهم فى باب الوزير وتوجهوا بالسلطان إلى تربة أبيه الملك الأشرف قايتباى فدفن السلطان على أبيه ثم دفنوا أولاد عمه إلى جانب داخل القبة. وقتل الملك الناصر محمد بن قايتباى وله من العمر ست عشرة سنة وكسور. وكان حسن الشكل، أبيض اللون، عربى الوجه، معتدل القامة، بهى المنظر ولولا أقواله القبيحة لكان خيار أبناء الملوك وأكرمهم ومما رثى به الملك الناصر قول بعضهم :

يا قبر لا تظلم عليه فطالما جلى بطلعته دجى الإظلام

طوبى لقبر قد حواه كيف لا يحكى السماء وفيه بدر تمام

فكانت مدة سلطنة الملك الناصر محمد بن قايتباى بالديار المصرية سنتين وثلاثة أشهر وتسعة عشر يوماً. وكانت أشد أيام ووقع منه فى أيامه أمور لا ينبغى ذكرها والسكوت عنها أجمل وكان موجب ما حصل له بدعاء الناس عليه فإنه فى آخر دولته تزايد فى الأذى والظلم للرعية فكان كما قيل فى معنى ذلك :

فاستعن بالسمع عن مراهم عظه فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم

ذكر من توفى فى أيامه من الأعيان

أمير المؤمنين المتوكل على الله عبد العزيز وقاضى القضاة السعدى الحنبلى وقاضى القضاة ناصر الدين بن الأخميمى الحنفى والقاضى أبو البقاء بن الجيعان مات قتيلا قتل قتلة بعض الأتراك وهو طالع من بيته إلى القلعة وقت الصبح . ومات فى أيامه جماعة كثيرة من الأمراء وقد تقدم ذكرهم. انتهت أخبار دولة الملك الناصر محمد بن الأشرف قايتباى وذلك على سبيل الاختصار .

٤٤ـ ذكر سلطنة الملك الظاهر أبى سعيد قانصوه الأشرفى(١)

وهو الثالث والأربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، وهو السابع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم، أصله جركسى الجنس قدمه الأمير قانصوه الألفى إلى الملك الأشرف قايتباى فى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة فظهر أنه أخو سرية الملك الأشرف

---

(١) انظر المزيد فى : بدائع الزهور ٢/ ٣٤٩ ، الاعلام ٦ / ٢٤

قايتباى وهى أم ولده الناصر محمد [١٥١ ب] ومات الملك الأشرف قايتباى وهو من جملة المماليك الجمدارية ، فلما تسلطن الملك الناصر محمد جعله خازندار كيس، وصار يدعى خال السلطان ثم بقى أمير أربعين مستد السربخاناه الشريفة فعظم أمره وعلا قدره ثم بقى مقدم ألف ودوادارًا كثيرًا فى أوائل المحرم سنة ثلاث وتسعمائة .

فلما انكسر الأمير آقبردى وتوجه نحو البلاد الشامية ثم إنه استقر وزيراً واستادارا واستمر على ذلك وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية ، فلما قتل الملك الناصر محمد وذلك فى يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الأول سنة أربع وتسعمائة فاستمرت الأحوال مضطربة من يوم الأربعاء إلى يوم الجمعة والعسكر لابس آلة الحرب فاجتمع الأمراء فى بيت المقر السيفى قانصوه خال السلطان الملك الناصر محمد واشتوروا فيمن يولونه سلطانا فوقع الاختيار على سلطنة المقر السيفى قانصوه خال السلطان فركبوه من البيت الذى عند الفارقان فطلعوا به إلى باب السلسلة واجتمع الأتابكى أزبك أمير كبير والأمير تانى بك الجمالى والأمير أزبك اليوسفى وبقية الأمراء وأحضروا الخليفة المستمسك بالله يعقوب بن أمير المؤمنين عبد العزيز والقضاة الأربعة فأشاعوا فى ذلك اليوم أن الأتابكى قانصوه خمسمائة على قيد الحياة وهو مختفى فنادوا فى القاهرة بأن الأتابكى قانصوه خمسمائة يظهر وله الأمان وكرروا النداء بذلك. فلم يظهر فى ذلك اليوم أحد فعند ذلك سألوا الأتابكى أزبك أمير كبير يتسلطن فأبيا وحلف عن ذلك وكذلك الأمير تانى بك الجمالى أمير سلاح والأمير أزبك اليوسفى أمير مجلس فأبيا أن يتسلطنا، فعند ذلك وقع الاختيار من الأتابكى أزبك وبقية الأمراء على سلطنة المقر السيفى قانصوه خال السلطان ، فأحضروا له خلعة السلطنة فلبسها من الحراقة التى فى الاسطبل السلطانى وطلع إلى القصر الكبير والأتابكى أزبك حامل العاسبة الذهب على رأسه وذلك لعدم وجود القبة والطير من الزردخاناه. وكانت سلطنته فى يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول سنة أربع وتسعمائة وذلك فى أواخر الساعة الرابعة وهى لزحل، فجلس على سرير الملك ثم قَبَّل له الأمراء الأرض ونودى باسمه فى القاهرة وتلقب بالملك الظاهر وضج الناس له بالدعاء ودقت له البشائر وخطب باسمه فى ذلك اليوم على المنابر بمصر والقاهرة .

أقول والسعد الذى وقع للملك الظاهر قانصوه لم يقع لأحد قبله من الملوك لا فى الجاهلية ولا فى الإسلام [ق ١٥٢ أ] . فكان بين دخوله إلى مصر وبين سلطنته نحو ست

سنين وتولى الملك وله من العمر نحو سبعة وعشرين سنة وكان ذلك وعداً من الله أن وعد الله حق إن الله لا يخلف الميعاد، وفى ذلك أقول مع التضمين.

إذا خصص الرحمن عبدا بنعمة فكل حسود بعد ذلك مقمع

فيا طالب العلياء مهلا ولا تطل فليس بسعى المرء ما شاء يصنع

ولما تم أمره فى السلطنة أخلع علي من يذكر من الأمراء وهم: المقر الأتابكى أزبك واستقر أتابك العساكر على عادته، وأخلع على الأمير تانى بك الجمالى واستقر أمير سلاح على عادته، وأخلع على الأمير طومان باى واستقر به دوادارًا كبيرًا عوضاً عن نفسه، وأنعم على الأمير أزدمر بتقدمة ألف وأخلع على الأمير طراباى واستقر به دوادارًا ثانيًا.

وفى أثناء ذلك حضر سيف الأمير كرتباى الأحمر نائب الشام وقيل مات فجأة . وكان الملك الناصر محمد يتمنى كرتباى الأحمر بموت فمات الملك الناصر قبل ذلك ولم ير ذلك اليوم .

ثم إن السلطان أرسل إلى المقر السيفى جان بلاط خلعة بأن يكون نائب الشام عوضاً عن كرتباى الأحمر وأخلع على الأمير قصروه واستقر به نائب حلب عوضاً عن الأمير جان بلاط. ثم أخلع السلطان على القاضى زين الدين عبد القادر القصروى واستقر به ناظر الجيوش المنصورة عوضاً عن القاضى شهاب الدين بن الجمالى يوسف ناظر الخاص ثم إن المماليك الناصرية وثبوا على الأمير طومان باى الدوادار الكبير ولبسوا آلة الحرب وتوجهوا إلى بيته فلم يطلع من يدهم شيء وانفضوا من غير طايل، فلما بلغ السلطان ذلك أمر بمسك جماعة منهم ونفاهم إلى قوص، فعظم أمر الأمير طومان باى الدوادار وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية ثم إن الأمير طومان باى قبض على الريس نور الدين بن رحاب المغنى وضربه مقرحًا وجرسه فى القاهرة وهو عريان مكشوف الرأس على حمار، وكان ابن رحاب ظالمًا فإنه تعصب للأمير آقبردى الدوادار وصار يطلق لسانه فى حق الأمراء بما لا يليق ودخل فى شيء لا يعنيه بين الأكابر فأدبوه بذلك . ثم إن المماليك طلبوا من السلطان نفقة السلطنة فشكا وقال إن الخزائن قد نفدت من الأموال فلم يبق بها شيء فبريسوا عليه وأغلظوا عليه فى القول، فقال لهم: اصبروا علينا حتى تجمع الأموال من البلاد وغيرها وصار يسلسل عليهم نحو أربعة أشهر حتى [ق ١٥٢ ب]أنفق عليهم .

وفى أثناء دولته: جاءت الأخبار من البلاد الحلبية بأن الأمير آقبردى يحاصر مدينة حلب وقد أشرف على أخذها والتف عليه جماعة كثيرة من التركمان والعربان وغير ذلك.

وقد أحرق البيوت التى خلف السور ونهب حارات المدينة وضياعها. وكان المقر السيفى جان بلاط نائب حلب فحصن المدينة وقاتل الأمير آقبردى أشد القتال تعصب أهل حلب على الأمير آقبردى وأرموا عليه بالنشاب من أعلا السور وقتلوا منهم جماعة.

فلما بلغ السلطان الملك الظاهر قانصوه هذه الأخبار فعين تجريدة للأمير آقبردى وعين بها من الأمراء: الأمير تانى بك الجمالى أمير سلاح والأمير قانى باى الرماح أمير أخور كبير والأمير سودون العجيمى والأمير يلباى المؤيدى وجماعة من الأمراء العشراوات والمماليك السلطانية وخرجوا من القاهرة فى يوم الاثنين عاشر جمادى الأول فى السنة المذكورة.

فلما وصلوا إلى حلب وجدوا العليق والبقسماط عاليًا وما يوجد فتقلب العسكر من ذلك وأرسلوا يطلبون من السلطان نفقة ثانية للعسكر، فعين السلطان الأمير ماماى الصغير حاجب ثانى وعلى يده نفقة ثانية للعسكر، وخرج فى ثانى جمادى الأخر وفى هذا الشهر فى سادس عشرينه قتل الأمير قنبك أبو شامة وكان من عصبة الأمير آقبردى الدوادار وكان مختفيًا من حين انكسر الأمير آقبردى فعثر عليه فى مكان بالقرب من حارة زويلة وهجموا عليه وقطعوه بالسيوف.

ولما كان يوم الجمعة رابع شهر رجب توجه المقر السيفى طومان باى الدوادار الكبير إلى نحو بلاد الصعيد بسبب إصلاح الوجه القبلى . وكان شيخ العرب الزينى حميد من أولاد ابن عمر قد أظهر العصيان فلما قاتل الأمير طومان باى قبض عليه وقطع رأسه وأرسله إلى القاهرة فعلق على باب زويلة وذلك فى ثانى عشرين شهر شعبان.

وفى هذا الشهر حضر الأمير خاير بك أخو الأمير قانصوه البرجى أمير مجلس وكان الملك الناصر أرسله إلى ابن عثمان وصحبته تقدمة عظيمة. فلما وصل إلى ابن عثمان أكرمه وقبل منه الهدية . وقيل إنه فرح بتولية الملك الناصر لكونه أنه ابن باش مثله واسمه محمد ثم بلغه بعد ذلك قتله فقيل حنق عليه ذلك ولام مماليك أبيه فيما فعلوا من قبله، وأشاعوا فى القاهرة بأنه يقصد التحرك إلى نحو البلاد السلطانية ثم سكن هذا الأمر.

وفيها فى يوم الاثنين حادى عشر [ق ١٥٣ أ] شهر رمضان تولى القاضى بهاى الدين ابن قدامه قاضى قضاة الحنابلة بمصر عوضاً عن القاضى الشيشينى الحنبلى فأقام بها شهراً وأربعة أيام ، ثم أعيد القاضى الشيشينى إلى وظيفته واستقر القاضى بهاى الدين بن قدامه قاضى قضاة الحنابلة بدمشق.

ولما كان يوم الأحد رابع عشرين شهر رمضان من السنة المذكورة توفى الأتابكى أزبك بن ططخ أمير كبير وكانت جنازته مشهودة. ونزل السلطان وصلى عليه ودفن فى تربة الأمير قانى باى الجركسى ، ومات الأتابكى أزبك وقد ناف على الثمانين سنة من العمر. وكان أميراً ملياً مهاباً ذا شهامة وحرمة وكان كفئًا للتجاريد وطرد العدو. وكان له همة عالية وكلمة نافذة. وهو الذى أنشأ الأزبكية المنسوبة إليه وقد تقدم ذلك وأصله من مماليك الأشرف برسباى الكتابية . فلما مات الأشرف وتولى الظاهر جقمق اشتراه من الأمير جاسون وصى الأشرف برسباى هو وجماعة كثيرة من المماليك واعتقهم فصاروا من معاتيق الملك الظاهر جقمق وتأمر فى أيام الملك الظاهر أمرية عشرة ثم بقى أمير أربعين ثم زوجه الملك الظاهر بابنته التى من بيت البارزى فماتت معه فتزوج بابنة الظاهر أيضاً . فقامت معه إلى أن مات وكان الملك الأشرف قايتباى يعظم الأتابكى أزبك غاية التعظيم لكونه من حشداشنه وكان أكبر منه فى المنزلة ففاتته السلطنة عدة مرات، فتولى نيابة الشام فى دولة الملك الظاهر يلباى وأقام بها إلى دولة الملك الأشرف قايتباى فأحضره إلى القاهرة واستقر به أتابك العساكر بالديار المصرية وذلك فى سنة **أربع وسبعين وثمانمائة** فكانت مدته فى الأتابكية ثلاثين سنة. وفى أواخر يوم الأحد المذكورة إعلاه توفى المقر السيفى أزبك اليوسفى أمير مجلس. كان هو أيضاً من معاتيق الملك الظاهر جقمق توفى هو والأتابكى أزبك فى يوم واحد وذلك بعد العصر من اليوم المذكور فنزل السلطان وصلى عليه أيضاً فنزل السلطان فى ذلك اليوم مرتين فلما صلوا عليه فى سبيل المؤمنى رجعوا به إلى مدرسته التى أنشأها فى درب ابن البابا فدفن بها، وكان أميراً ديناً خيراً كثير البر والمعروف قليل الأذى ومات وقد ناف فى العمر على الثمانين سنة ومات وهو طرخان مقيم فى بيته وقد أخرج السلطان تقدمته إلى الأمير أزدمر قبل موته بمدة [ق ١٥٣ب] يسيرة واستمر بطالا إلى أن مات وقد قيل فى المعنى:

يسعى ابن ادم فى قضا أوطاره　　والموت يتبعه على اثاره
يلهو وكف الموت فى أطواقه　　كالكبش يلعب فى بدى حزاره
يمشى وقد أنس الحوادث ليلة　　فلربما تطرقه فى أسحاره
من راد يعلم كيف تصبح دارم　　من بعده فلتصير بجواره

ولما مات الأتابكى أزبك وقع بين ولديه الناصرى محمد والأشرفى يحيى فترافعا قدام السلطان ووقع بينهما ما لا خير فيه، فقيل وجد له من الذهب العين ما ينيف على مائة

ألف ألف دينار وذلك خارجاً عن البرك والقماش والمماليك وما وجد فى الحواصل من الأصناف وغير ذلك من التحف والجواهر ما لا ينحصر فكان كما قال القائل فى المعنى :

وأعلم بأنك ما قدمت من عمل   فحصى عليك وما خلفت موروث

ولما كان يوم السبت وهو أخر يوم من شهر رمضان: فيه جاءت الأخبار بأن عرب غزالة نهبوا بعض ضياع من الغربية فمشى عليهم الكاشف فهربوا وعدوا من البحر وطلعوا من الشرقية ثم توجهوا من وراء الجبل الأحمر ونزلوا فى المعيصرة وهى اسم بلد. فلما بلغ السلطان ذلك فعين لهم الأمير قانصوه البرجى أمير مجلس والأمير قرقماس رأس نوبة النواب والأمير قنب الرحبى حاجب الحجاب والأمير سيباى احد الأمراء المقدمين والأمير طراباى الدوادار الثانى وغير ذلك من الأمراء الأربعينات والعشروات فخرجوا إليهم فى ليلة عيد الفطر فلما كان يوم العيد آخر النهار جاءت الأخبار من المعيصرة بأن العسكر والأمراء قد انكسروا من العرب كسرة قوية وقتل من المماليك السلطانية ومماليك الأمراء نحو خمسين مملوكا ومن الغلمان والعبيد جماعة كبيرة ونهب العرب جميع تركهم؛ وخرج من الأمراء جماعة كثيرة منهم الأمير قرقماش رأس نوبة النواب والأمير طراباى الدوادار الثانى وغيرهما من الأمراء.

فلما جاءت هذه الأخبار يوم العيد ماجت القاهرة واضطربت ونادى السلطان للعسكر قاطبة بالخروج إلى العرب فى ذلك اليوم فخرج جميع العسكر على وجوهم وهم لابسين آلة الحرب.

فلما كان ثانى العيد جاءوا بجماعة من العسكر الذين قتلوا هناك فى مراكب [ق ١٥٤] فصاروا يحملون كل اثنين فى تابوت ويحضروهم إلى بيوتهم وحضر الأمير طراباى وهو مجروح جرح بالغ وكذلك بقية الأمراء وقد نهبت جميع تركهم وقماشهم ، وصارت فى المدينة صعقات مثل أيام الفصول وسبب ذلك أن الترك استخفوا بالعرب فأمكن لهم العرب كمينًا فخرجوا من ورائهم وانكسروا بهذه الكسرة. وكانت هذه الحادثة لم يشيع بمثلها وقد ذهبت حرمة الملكة وتبهدلت الترك وفى ذلك أقول مضمنا.

ألا قولوا لعرب قد تجروا   على حرب فهل يخشوا عقيبه
سهام مليكنا أضحت نفوذا   ونرجو أن تكون لكم مصيبة

فلما كان يوم الثلاثاء رابع لشوال: حضر العسكر الذى خرج بسبب العرب فلم يظفروا بهم وزعموا أن العرب هربت من وجهتهم إلى الجبال.

ومن الحوادث فى هذا الشهر وهو شهر شوال : أن الأمير دولات باى الفلاح أحد الأمراء المقدمين خرج فى يوم الأربعاء إلى نحو الرصد ليلعب بالكرة فساق الفرس فانصدم مع شخص من الأمراء الذين كانوا معه، فوقع على حجر هناك فأغمى عليه فحملوه على قفص حمال من هناك وهو لا يعى وأتوا به إلى بيته فمات من وقته فنزل السلطان وصلى عليه ، ثم توجه إلى بيت الأمير طراباى الدوادار الثانى فسلم عليه وكان منقطعا من حين خرج من العرب كما تقدم.

وفى يوم الخميس تاسع عشر شوال : خرج المحمل الشريف من القاهرة فى محمل زايد. وفى ذلك اليوم : جاءت الأخبار بأن الأمير طومان باى فى الوجه القبلى بسبب إصلاح البلاد فلما بلغه ذلك زحف على العرب من هناك زحفة هو والأمير جمال الدين بن الزرايرى كاشف الوجه القبلى فحاصروا عرب عزاله وكسروهم كسرة قوية ونهبوا أغنامهم وقتلوا منهم جماعة كثيرة وأحضروا إلى القاهرة نحو ستين رأسًا من رءوس العرب الذين قتلوا فى هذه المعركة فطافوا بها فى القاهرة فى يوم خروج المحمل ثم علقوها على أبواب القاهرة .

فلما كان يوم الخميس رابع ذى القعدة من السنة المذكورة : دخل المقر السيفى طومان باى الدوادار الكبير إلى القاهرة فى موكب عظيم فطلع من الصليبة فى ذلك الموكب وكان من قدامه جماعة كثيرة ممن [ق ١٥٤ ب] أسرهم من عرب غزاله وهم نحو ثلاثمائة إنسان ما بين رجال ونساء وصغار، فأما الرجال ففى جنازير وأما النساء والصغار ففى حبال وهم متبعوه وعلقوا فى رقاب النساء رؤوس من قتل من أزواجهن فى هذه المعركة. فلما طلع الأمير الدوادار إلى القلعة وعرض هؤلاء الأمراء الذين أسروا من عرب غزالة على السلطان فأمر بأن يسمروا الرجال ويشنكلوهم على أبواب القاهرة . وأمر بأن يسحبوا نساءهم فى الحجرة، ثم انفض الموكب ونزل الأمير طومان باى إلى بيته فى موكب عظيم وأخلع السلطان عليه خلعة سنية وأركبه فرسًا بسرج ذهب وكنبوش ثم سمروا من عرب غزالة نحو مائة إنسان وطافوا بهم فى القاهرة ثم شنكلوهم على أبواب المدينة جميعا على كل منها جماعة، وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً يقرب من يوم دخول سوار القاهرة وقد أقامت حرمة

المملكة بعد أن كانت قد انحطت حرمة الترك بسبب ما تقدم من العرب فى حق العسكر من القتل والنهب. وهذه الواقعة بقرب مما جرى فى أيام الظاهر برقوق مع بدر بن سلام من عربان البحيرة وذلك فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة وقد تقدم ذلك فى أول التاريخ فكان القال بالمنطق فيما قتله فى أمر العرب.

ولما كان يوم الثلاثاء حادى عشرين ذى الحجة وذلك بعد العصر الموافق الخامس يوم من مسرى وكانت زيادته فى هذه السنة أمرًا عظيمًا فإنه زاد فى ثالث يوم من مسرى ثلاثين إصبعا وفى رابع يوم منها أربعين أصبعا وفى خامس يوم منها عشرين إصبعا فأوفى فى خامس مسرى وكسر فى يوم السادس منها الموافق الحادى عشرين ذى الحجة وهو يوم الثلاثاء . فلما أوفى النيل رسم السلطان للمقر السيفى طومان باى الدوادار الكبير بكسر السد فتوجه إلى المقياس وخلق العامود ونزل فى الحراقة وتوجه إلى السد وكسره. وكان له موكب عظيم وفرق فى ذلك اليوم على الناس وهو فى الحراقة نحو مائة فجمع حلوى ومشنات فاكهة. وأظهر من العظمة أمرًا عظيمًا .

وسبب توجهه إلى كسر السد أن الأتابكى أزبك كان قد توفى ولم يستقر بمصر أتابك وكان أكثر الأمراء غائبين فى التجريدة ولم يكن فى مصر أكبر من الأمير طومان باى الدوادار فكسر السد فى تلك السنة .

ثم دخلت سنة خمس وتسعمائة:

فيها: أخلع السلطان على الأمير قانصوه اليحياوى واستقر به نائب صفد وأصله من مماليك الأشرفى [١٥٥ أ] يحيى بن يشبك الفقيه الدوادار .

وفيها فى ثامن المحرم : قبض السلطان على القاضى علاى الدين بن الصابونى ناظر الخاص وأقام فى الترسيم مدة ثم استقر القاضى شهاب الدين بن الرملى فى نظارة الخاص عوضاً عن ابن الصابونى وذلك فى يوم الخميس ثامنه.

وفيها : دخل العسكر الذى كان توجه بسبب قتال الأمير آقبردى دوادار ثم شاعت الأخبار بأن الأمير آقبردى توفى إلى رحمة الله تعالى، وكان العسكر لما دخل إلى حلب قلق بسبب الغلاء الذى وقع فى حلب لما كان الأمير آقبردى محاصراً لها فصار العسكر يقصدون الصلح مع الأمير آقبردى فمشى فى ذلك الأمير قصروه نائب حلب وجماعة من الأمراء. وكان الأمير آقبردى مقيماً بالمرعش عند على دولات أخو سوار فقيل إن الأمير قانباى الرماح

أمير أخور كبير توجه إلى الأمير آقبردى فى أمر الصلح وحلف له سائر الأمراء فلما وثق منهم آقبردى بذلك أذعن للصلح وعين له خلعة وفرسًا بسرج ذهب وكنبوش ورسم للأمير آقبردى بأن يكون نائب طرابلس وكان أمره قد راج إلى الخير والله غالب على أمره .

ثم جاءت الأخبار فى أثناء ذلك بأن الأمير آقبردى توفى إلى رحمة الله تعالى وقيل مات بأكلة طلعت له فى وجهه فمات بها وهو فى حلب فى ثامن ذى الحجة سنة أربع وتسعمائة ودفن عند سيدى سعد الأنصارى ثم نقل من بعد ذلك إلى القاهرة ودفن فى تربته التى أنشأها فى الصحراء وذلك فى أواخر شهر صفر سنة خمس وتسعمائة. وكان أميراً ملياً مهاباً فتاكاً جريئًا، وكان أسمر اللون عربى الوجه طويل القامة نحيف الجسد بشوش الوجه ومات وله من العمر نحو أربعين سنة وكسور وكان فى دولة الأشرف قايتباى صاحب الحل والعقد بالديار المصرية والكلمة مجتمعة فيه. وكان فى أخر أمره فى دولة الملك الناصر محمد بقى أمير سلاح ودوادارًا كبيرًا ووزيراً واستادارا وغير ذلك من الوظائف وكان حاذقًا إلى الغاية فإنه أقام يحارب عسكر مصر بمفرده نحو ثلاث سنين ولم يسلم نفسه عن عجز ولا سجن ولا تقيد قط ويهب له فى هذه الحركات ما لا ينحصر ولم يظهر عليه [ق ١٥٥ ب] العجز عن ذلك وقد تقدم ما وقع فى الحروب بالديار المصرية والبلاد الشامية والبلاد الحلبية وهو لا يكل من الحروب ولا يمل إلى أن مات على فراشه وفى ذلك أقول مضمنا مقتبساً.

مات آقبردى الأمير وولى بعد عز وحاز جاها ومالا
فأتاه من بعد ذا ريب دهر نال منه من العنا ما أنالا
وقضى نحبه بغير قتال وكفى الله المؤمنين القتالا

ولما مات الأمير آقبردى رسم السلطان للأمراء الذين كانوا معه وهم الأمير تانى بك قرا والأمير آقباى نائب غزة والأمير جانم مصبغة والأمير قنبك نائب الإسكندرية وغير ذلك من الأمراء ممن كانوا معه، فالأمير تانى بك قرا والأمير آقباى نائب غزة فتوجها إلى القدس الشريف، فأقام الأمير آقباى هناك مدة ومات بالقدس واستمر الأمير تانى بك قرا مقيماً بالقدس. وأما الأمير جانم مصبغة فإنه أقام بالشام عند الأمير قصروه نائب الشام .

وفى هذه السنة: خرجت العرب على الحجاج عند عودتهم من مكة بالقرب من الشرفة فأخذوا الركب العراوى ونهبوا جميع ما فيه وأسروا جماعة كثيرة من الرجال والنساء

والصغار وكذلك فعل العرب بالركب الأول المصرى، وكان أمير الحاج الأول الجناب الناصر محمد بن حاض بك صهر الملك الأشرف قايتباى وكان أمير المحمل الأمير قرقماش رأس نوبة النواب ولولا أنه أدرك الركب الأول لاخذ عن آخره وقد قاسى الحجاج فى هذه السنة مالا خير فيه وحصل لهم الضرر الشامل عند عودتهم إلى القاهرة .

وفيها فى سادس صفر: حضر المقر السيفى جان بلاط من يشبك نائب الشام إلى الديار المصرية. فلما حضر اخلع عليه واستقر به أتابك العساكر بمصر عوضاً عن الأتابكى أزبك من ططخ فنزل من القلعة فى موكب عظيم إلى الأزبكية فسكن بها فى بيت الأتابكى أزبك وذلك فى يوم الخميس سادس شهر صفر سنة خمس وتسعمائة .

ثم إن السلطان أرسل إلى المقر السيفى قصروه نائب حلب خلعه واستقر نائب الشام عوضاً عن المقر السيفى جان بلاط وفى ثالث عشر هذا الشهر وتوفى الشيخ [ق ١٥٦ أ] الزاهد أبو العباس أحمد الغمرى ودفن فى يوم الجمعة رابع عشر صفر فى جامع والده الذى بالقرب من باب القوس.

وفيها فى سلخ ربيع الأول من السنة المذكورة: جاء للسلطان الملك الظاهر قانصوه ولد ذكر من خوند جان كلدى وسماه أحمد العزيز وأقام المهم عمال بالقلعة سبعة أيام، فلما كان يوم السبوع اجتمع بالقلعة سائر المغانى من النساء واجتمع أعيان الأكابر وجعل الأمير بالزمام جوهر المعينى القبة والطير على رأس خوند ونثروا عليها الذهب والفضة وكان يوماً مشهودا بالقلعة.

وفيها فى يوم الاثنين ثانى عشر جمادى الأول: نزل السلطان إلى قبة الأمير يشبك الدوادار التى بالمطرية وبات هناك وطلع إلى القلعة ودخل من باب النصر وشق المدينة وزينت له وطلع من الصليبة وكان معه الأتابكى جان بلاط والأمير تانى بك الجمالى أمير سلاح وسائر الأمراء والعسكر المباشرين ونثروا عليه الفضة فى عدة مواضع حتى طلع إلى القلعة .

وفيها فى يوم الجمعة ثامن جمادى الأخر: كان عقد الأتابكى جان بلاط على خوند مستولدة الأشرف قايتباى وهى أم ولده الملك الناصر محمد وهى أيضاً أخت الملك الظاهر قانصوه فعقد العقد بجامع القلعة بحضرة السلطان والقضاة وسائر الأمراء. وفى هذا الشهر توفى الشيخ المبارك أحمد البتوانى المجذوب وكان من الصالحين ولما كان يوم الثلاثاء ثانى

عشر جمادى الأخر فيه توجه الأمير طومان باى الدوادار إلى نحو البلاد الشرقية والغربية بسبب إصلاح البلاد فأحاط على خيول العربان جميعها ولم يترك بالشرقية والغربية فرسًا فأقام فى سرجته هذه إلى مستهل شهر شعبان فدخل إلى القاهرة فى موكب عظيم وطلع إلى القلعة ولبس خلعة سنية ونزل إلى بيته .

ولما كان يوم الثلاثاء حادى عشر رجب: قبض السلطان على القاضي بدر الدين ابن مزهر كاتب السر وأقام فى البرنسيم ثم استقر بأخيه القاضى جمال الدين عوضاً عنه. وفى يوم السبت خامس عشر رجب نزل جهاز خوند أم الناصر محمد من القلعة وشق من القاهرة وتوجه إلى بيت الأتابكى جان بلاط بالأزبكية وكان له يوم مشهود فى القاهرة وأقام الجهاز تنسحب من ضحوة النهار [ق ١٥٦ ب] إلى بعد الظهر وكان عدة الحمالين به أربعمائة فقص حمال ومن البغال مائتا بغل وقد اشتمل على أشياء كبيرة عربية من الأنواع وعن الملوك فلا تسأل وفى يوم الأربعاء تاسع عشر رجب نزلت خوند أم الملك الناصر أخت الملك الظاهر قانصوه من القلعة إلى الأزبكية فى موكب عظيم وهى فى محفة زركش وكان قدامها جماعة من رءوس النواب ومن الخدام وهم بساتين وقماش ومشى قدامها الزمام وجماعة من المباشرين وهم القاضى كمال الدين كاتب السر والقاضى زين الدين عبد القادر القصروى ناظر الجيش والقاضى صلاح الدين بن الجيعان نائب كاتب السر وجماعة كثيرة من المباشرين والأعيان مشاة، فلما وصلت إلى بيت الأتابكى جان بلاط الأزبكية فرشت الشقق الحرير من باب البيت إلى أن نزلت دور الحرم وأقام المهم عمال سبعة أيام ، فكان كما قيل:

إذا هبت رياحك فاغتنمها　　فإن لكل جامعة سلون

ولما كان يوم السبت سادس شهر شعبان من السنة المذكورة : حضر سيف الأمير تانى بك قرا واشيعت الأخبار بأنه مات خنقا وهو بالقدس الشريف ودفن هناك وذلك فى يوم السبت ثامن عشرين شهر رجب ، وكان أميراً ديناً خيراً وافر العقل مشهوراً بالفروسية، وأصله من مماليك الأشرف أينال فتأسفت عليه الناس، ومما رثيته به وهو قولى :

يأتى بك المدعو فى الأمراء قراه　　للنسخ بالعلم القدر ما قراه[1]
قد كنت أحذر من وقوع حمامه　　والآن دمعى كالدماء وقد جرى

(١) لم يرد هذا البيت فى المصادر والمراجع

لم قـتلوه فـوق ظهـر جـواده   لكـن قاتلـه تعـدى وافـترى
يـالهف قلـبى قـد تجـرع فقـده   وتجـددت أحـزانه بـين الـورى
قـد غـادر الأمـراء جـور زمـانهم   فـالحكم للـرحمن قـيما قـدراً
يارب فاجـعل قبرهم فى روضـة   واجعل برحمتك الجنان لهم قـرا

ولما كـان يـوم الخمـيس حـادى عشر شهر شعبان: توجه الأمير قانصوه الخازندار أحد الأمـراء الأربعـين أرسـله السلطان إلى ابن عثمان ملك الروم وصحبته هدايا وتقادم عظيمة إلى ابـن عـثمان لتسـع المـودة بيـنهما . ولما كان يوم السبت ثالث عشر شعبان فيه : توفى ولد السـلطان المقـدم ذكـره فكانـت مدة حياته إلى أن مات أربعة أشهر وثلاثة عشر يوماً . فكان كما قال بعضهم فى المعنى : [ق ١٥٧ أ]

بدا وفى حاله توارى   فيـالها طلعة شـريفة
جـوهرة ما عملت إلا   دموع عينى لها عقيقة

وفـى أواخـر هـذا الشـهر : توفـى القاضـى شـهاب الديـن بن الصيرفى وكان من أعيان النواب الشافعية ، ولما كان يوم الثلاثاء وهو مستهل شهر رمضان منه أخلع على المقر السيفى قـرقماس رأس نوبـة الـنواب واسـتقر نائـب حلـب عوضاً عن الأمير دولات باى بتاخ وترك القلعة فى موكب عظيم. وفى سادس شهر رمضان فيه: أن أعرض السلطان المحابيس الذين فـى الجـيوش حـتى النسـاء اللائى فى الحجرة وصالح عنهم أرباب الديوان وربما ضاع على الـناس حقوقهـم فأطلق نحو من مائتين إنسان من أصحاب الجرائم وغير ذلك فكان كما قال القائل فى المعنى.

رام نفعا فضر من غير قصد   ومن البر ما يكون عقوقـا

ولـما كـان يوم الاثنين رابع عشر شهر رمضان فيه: خرجت التجريدة التى كان السلطان عيـنها إلى الكـرك قـبل تاريخـه بسبب فساد العربان الذين قطعوا الطريق على الحجاج كما تقدم ذكـره. وكـان بـاش العسـكر الأمـير سيباى نائب سيس أحد الأمراء المقدمين وصحبته جماعـة مـن الأمـراء العشـروات والمماليـك السلطانية فخرجوا فى تحمل زائد، وطلب عظيم ونـزل الموكـب صـحبة الأمـير سـيباى مـن القلعـة، ولـما كان يوم الأربعاء سادس عشر شهر رمضـان فـيه جـاءت الأخـبار مـن دمشق بأن نائب الشام المقر السيفى قصروه قد خرج على الطاعـة وأظهـر العصـيان وأنه عوق عنده الأمير قانصوه الخازندار الذى كان السلطان أرسله

إلى ابـن عثمان كما تقدم ذكره فعند ذلك اضطربت الأحوال وثارت الفتن بعدما كان قد سكن الأمـر فـى هـذه المـدة فعـند ذلك برز أمر السلطان للجناب السيفى قنبك أحد الدوادارية بأن يسـافر إلى أن يكشـف الأخـبار فسار فى ليلة الأحد فى العشرين من شهر رمضان فكان كما قيل فى الأمثال:

لا تغـترر بالحـفظ والسـلامة فإنمـا الحـياة كالمدامـة

والعمر مثل الكاس والدهر القدر والصـفو لابـد له من الكدر

[ق ١٥٧ ب]

ولما كـان يـوم الجمعـة ثـانى شـهر شوال : فيه توجه المقر السيفى طومان باى الدوادار الكـبير إلى نحـو بـلاد الصـعيد بسـبب فسـاد العـربان فى الوجه القبلى فنزل من القلعة فى موكـب عظـيم ومعه جميع الأمراء المقدمين فأوصلوه إلى البحر ورجعوا وسـافر معه جماعة من الأمـراء مـن معاونـيه ومن المماليك السلطانية . وفى ذلك اليوم : توجه الأمير آقباى الطويل أحـد الأمراء الأربعين ناظر الجوالى إلى البلاد الشامية بسبب المقر السيفى قصروه نائب الشام لكـى يمشـى بيـنه وبين السلطان فى أمر الصلح، على أنه تسلم قلعة الشام إلى من تستقر به السـلطان وكـان هذا سبب إظهار عصيان الشام يقول: أنا أكون واضع اليد على قلعة الشام كمـا كـان الأمـير كرتـباى الأحمـر نائـب الشام، والسلطان يقول: لا أنا أولى بها من اختار. فهذا كان سبب الفتنة بين السلطان وبين نائب الشام .

ومـن الحوادث: أنه فى يوم عيد الفطر صلى السلطان صلاة العيد وخرج من الجامع فى موكـب عظـيم إلى أن دخـل الحـوش السـلطانى والأمـراء مشـاة بين يديه، وكان قدامه ثمان طوايل الخيل بأربعة وستين فرسًا من الخيول الملونة وهى سروج ذهب وكنابيش ذهب وكان السـلطان راكـبًا عـلى فـرس ثـور أبيض شديد البياض وهى منعول بانعال من الفضة والخيط الـذى فـى عـنق الفرس أبيض واللجام كفت فضة ببيضه بدوال سير أبيض منقوش والدبوس فضـة بيضـة كعـب واللنـب أبـيض والمتتر حرير أبيض والأمارين حرير أبيض وعليه كشوش حريـر أبيض مزركش بفضة بيضة والغاشية حرير أبيض . وكان السلطان فى ذلك اليوم قلع الصـوف ولـبس الأبـيض وصـلى صـلاة العـيد وعلـيه فوقانى بعلبكى أبيض بطرز فضة يسير أبـيض وتحـته مقعـد أبـيض وفطـر ذلك اليوم على لبن، فلما بلغ بعض اللطفان ذلك فقال:

ياليته لو كانت لحيته بيضاء لكان مكملاً فى البياض وكان السلطان أبيض اللون صافى البياض جدا فكان كما قال الشاعر:

أقبل من أهواه فى حله   بيضا والجسم لكافور

[١٥٨ أ]

فقلت لم تحترزا ملبساً   فقال لى نور على نور

ومما أحدثه فى أيامه : أنه فطر فى شهر رمضان ليلتين فى الأيوان الكبير بالقلعة ومد به السماط وهذا لم يفعله أحد من الملوك قبله .

ولما كان يوم الاثنين تاسع عشر شوال من السنة المذكورة خرج المحمل الشريف من القاهرة فى محمل زايد وموكب عظيم وكان أمير المحمل فى تلك السنة المقر السيفى قانصوه البرجى أمير مجلس وأمير اول والأمير جان بلاط المحتسب . ولما أخلع عليهم السلطان ونزلوا من القلعة نزل معهم الأتابكى جان بلاط والمقر السيفى تانى بك الجمالى أمير سلاح وبقية الأمراء المقدمين واستمروا معهم إلى عند قبة الأمير يشبك الدوادار التى فى رأس الحسينية .

وفى هذه السنة : لم يشيل المحمل من بركة الحاج إلا ليلة الخامس والعشرين من شوال وهذا لم يقع قط للحج وحصل لهم غاية الضرر . وكان أمر الحج فى تلك السنة أمر ضعف من قلة الأمن وفساد العربان وشدة الحر وخلف الأمراء فى بعضهم وعصيان نائب الشام وقد قاسوا فى السنة الحالية ما لاخير منه كما تقدم ولم يأخذ لهم أحد بتار ولا انبطحت فى ذلك شاتين وراح على الناس أموالهم وأسر منهم من أسر عند العربان فاللهم الطف بهم فى هذه السنة المشقة . ولما كان يوم الاثنين ثالث ذى القعدة: أخلع على الأمير قنب الرحبى حاجب الحجاب واستقر نائب طرابلس وأخلع على الأمير قانصوه الغورى واستقر رأس نوبة النواب وأنعم على الأمير طراباى الدوادار الثانى بتقدمة ألف وأنعم على الأمير أنس باى شاد السربخاناه بتقدمة ألف.

وفى هذه الأيام: اضطربت الأحوال وتواترت الأخبار بأن نائب الشام قصروه تمادى على العصيان وقد التف عليه جماعة كثيرة من النواب، واضطربت أحوال البلاد الشامية بسبب ذلك وتعطلت أحوال التجار وقل الحالب الذى كان يحضر من البلاد الشامية إلى الديار المصرية من البضائع وغيرها.

وفى يوم الاثنين عاشر ذى القعدة أعرض السلطان العسكر وكتب تجريدة وعين ثمانية أمراء مقدمين ألوف بأن يتوجهوا إلى نحو الشام بسبب نائب الشام وأنفق فى ذلك [١٥٨ ب] على جماعة من المماليك السلطانية المعنيين للسفر.

وفى ذلك اليوم أشيع بأن الأمير قنبك الدوادار الذى كان أرسله السلطان من البحر إلى حلب بسبب كشف الأخبار وقد تقدم ذكر ذلك بأنه توفى إلى رحمة الله تعالى وأحضروا سيفه وكثر العمال والقتل فى القاهرة بسبب عصيان نائب الشام الأمير قصروه .

ولما كان يوم الخميس ثالث عشر ذى القعدة حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير آقباى الطويل ناظر الجوالى من الشام.

وكان السلطان أرسله إلى نائب الشام ليمشى بينهما فى أمر الصلح فقيل إن الأمير قصروه نائب الشام أبى الصلح ورد الجواب عن ذلك غير صالح فلبس الأمير آقباى خلعة ونزل إلى بيته.

وفى يوم السبت ثانى عشرين ذى القعدة: جاءت الأخبار بأن نائب الشام قصروه ملك مدينة غزة بالسيف وأن العسكر الذى توجه من مصر مع الأمير سيباى كما تقدم قيل توجهوا كلهم إلى نائب الشام ودخلوا تحت طاعته وهو قاصد نحو الديار المصرية وأشاعوا عن نائب الشام أنه ردم الآبار التى فى الطريق كلها حتى يهلك العسكر الذى يخرج من مصر بالعطش وهذا غاية الضرر فى حق المسلمين. فلما سمع ذلك اضطربت أحواله وأرسل خلف الأمراء بعد انفضاض الموكب وضربوا مشورة فى ذلك وأرسلوا خلف الأمير طومان باى الدوادار من الصعيد، وقد أمر سفره إلى الصعيد بسبب عهد البلاد من فساد العربان فتوجه إليه الأمير طراباى الدوادار الثانى فى ليلة السبت واشيع بين الناس أن السلطان تغير على الأمير طومان باى الدوادار فأرسل إليه السلطان أمانًا على يد الأمير طراباى وصورة حلف فى ورقة فلم يثق بذلك فى الباطن وكثر فى ذلك القال والقيل بين الناس فلما كانت ليلة الثلاثاء فى الخامس والعشرين من ذى القعدة: هجم المنسر على سوق الوراقين وسوق الهرامزة ونهبوا عدة دكاكين وفقد للتجار أشياء كثيرة قيل بنحو اثنى عشر ألف دينار ، وقيل إن المنسر كانوا نحو مائة إنسان ومعهم قيسان ونشاب وصاروا يهجمون الأسواق فى الليل، ولم ينبطح فى ذاك شاتين . فلما أصبح التجار وقفوا للسلطان وأغلظوا عليه فى القول فرسم للوالى أن يفحص عن آخر هذا المنسر وكان فى ذلك الشهر قد اضطربت أحوال الديار

المصرية إلى الغاية ولما [ق ١٥٩ أ] توجه الأمير طراباى الدوادار الكبير نحو بلاد الصعيد وقد تقدم ذلك فرجع من عنده ولم يحضر الأمير طومان باى صحبته فأشاعوا فى القاهرة بأن الأمير طومان باى يقصد الوثوب على السلطان. وقيل إنه فى الباطن له تعصب إلى الأمير قصروه نائب الشام وقد أخذ السلطان حذره منه وقد أخذ الآخر حذره من السلطان واستمر الأمر على ذلك وبقى الأمير طومان باى مكسلاً فى بر الجيزة وخرج الأمراء قاطبة وأخذ السلطان فى أسباب تحصين القلعة وملأ الصهاريج التى بها وادخر فيها أشياء كثيرة من البقسماط وغيره .

واستمرت الأحوال تتزايد فى الاضطراب كل يوم . وفى يوم الأربعاء ساس عشرينه مسكوا جماعة من المنسر التى فعلوا ما تقدم ذكره فمسكوا منهم سبع أنفس ووجدوا معهم هرمزيًا فى ركايب فقبض عليهم بعض مشايخ عربان الشرقية بالقرب من بلبيس ثم إن فى الأربعاء المذكور وصل الأمير طومان باى الدوادار إلى الجيزة وضرب خيامه هناك. فخرجت إليه الأمراء والعساكر قاطبة .

ثم إن الأمير طومان باى لما وصل إليه الأمراء فقبض على جماعة منهم وهم الأمير قانى باى الرماح أمير أخور كبير والأمير طراباى والأمير انص باى والأمير تمر قرابة السلطان الذى كان تولى محتسبًا.

فلما كان يوم الأربعاء سادس عشرينه: عدى الأمير طومان باى الدوادار من بر إمبابه وطلع من بولاق وتوجه إلى بيت الأتابكى جان بلاط فى الأزبكية واجتمعت عنده الأمراء.

فلما كان يوم الخميس سابع عشرين ذى القعدة لبس العسكر آلة الحرب وركب الأتابكى جان بلاط هو والأمير طومان باى وبقية الأمراء من الأزبكية وتوجهوا إلى بيت الأمير طومان باى الذى عند القبو وحاصروا الملك الظاهر قانصوه وهو فى القلعة ولم يكن عنده أحد من الأمراء ومماليكه واستمرت الحرب ثائرة بينه وبين الأمراء من يوم الخميس إلى يوم الجمعة بعد الصلاة ، فانكسر الملك الظاهر قانصوه . فلما كان يوم السبت تاسع عشرين ذى القعدة هرب الملك الظاهر قانصوه من القلعة ونزل وهو فى زى امرأة بابرار ونقاب. فلما نزل إلى المدينة اختفى فكانت النصرة للأمير طومان باى على الملك الظاهر قانصوه فلما كان يوم الأحد مستهل ذى الحجة وقع الاختيار على سلطنة الأتابكى جان بلاط [ق ١٥٩ ب] بعد تمنع كثير من المماليك ولم يحصل فى ذلك توفيق بين المماليك وبين الأمراء . فلما كان

يوم الاثنين ثاني ذى الحجة تسلطن الأتابكي جان بلاط [1] وطلع إلى الاسطبل السلطانى وأحضروا الخليفة والقضاة الأربعة وبايعه الخليفة ثم أحضروا له خلعة السلطنة فلبسها وركب وطلع إلى القصر وجلس على سرير الملك ويلقب بالملك الأشرف ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعاء ودقت له البشائر. هذا ما جرى من بعد اختفاء الملك الظاهر قانصوه. ثم إن الظاهر قانصوه استمر مختفيًا من حين نزل من القلعة وهو فى زى امرأة كما تقدم فصاروا يكبسون عليه البيوت والحارات فى كل يوم وليلة .

فلما كان يوم الأحد ثانى عشرين ذى الحجة: قبضوا على السلطان الملك الظاهر قانصوه من مكان فى الدير المعلق إلى سويقة صفية من بيت شخص من أولاد الناس يقال له محمد ابن أينال ، فلما قبضوا على الظاهر قانصوه توجهوا به إلى بيت الأمير أزدمر أحد الأمراء المقدمين فأقام عنده حتى كتب وصيته ثم قيدوه وتوجهوا به إلى ثغر مدينة الإسكندرية وذلك فى ليلة الثلاثاء خامس عشرين ذى الحجة من السنة المذكورة فنزل فى مركب وكان المستقر عليه الأمير أزدمر فأوصله إلى ثغر الإسكندرية فسجن بها ورجع الأمير أزدمر إلى القاهرة . فكانت مدة سلطنة الملك الظاهر قانصوه بالديار المصرية سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً وكان ملكاً هينا لينا قليل الأذى وساس الملك فى هذه المدة أحسن سياسة ، وقد انصلحت أحوال البلاد الشرقية والغربية على أيامه من فساد العربان وقمع المماليك عما كانوا يفعلون بالناس من الأذى، وكانت أيامه أحسن من أيام الملك الناصر محمد بن قايتباى. على كل انتهت أخبار دولة الملك الظاهر وذلك على سبيل الاختصار منها.

ثم انجزوا المبارك من "جواهر السلوك فى الخلفاء والملوك" تأليف فقير رحمة ربه الوفى محمد بن أحمد بن إياس الحنفى ونقل ذلك فقير رحمة ربه أحمد بن على البواب بالجامع الأزهر من نسخة مصنفها ومؤلفها على التمام والكمال، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وسلم [2]

---

(١) انظر المزيد فى : شذرات الذهب ٨/ ٢٨ ، بدائع الزهور ٢/ ٣٧٠.

(٢) هذا آخر المخطوطة.

الكشـــاف العــام

١ - الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ش)

(ظ)

(ع)

(١) فى بعض المصادر تكتب "علاى" وأخرى "علاء" وهو الشائع.

(ق)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

٢ - الأماكن الجغرافية

(أ)

(ب)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

٣ ـ البطون والقبائل

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

٤ـ الآيات القرآنية

٥ـ الأحاديث النبوية

٥ـ الكتب الواردة فى النص

٦ـ الأشعار

(أ)

(ب)

(ق)

(ى)

الكشـــاف التاريخى الإسلامى

١ – الخلفاء الراشدون

١١هـ-٤٠هـ/٦٣٢م-٦٦١م

١ ـ أبو بكر الصديق " رضى الله عنه " ١١ هـ / ٦٣٢م

٢ـ عمر بن الخطاب "رضى الله عنه" ١٣هـ / ٦٣٤م

٣ـ عثمان بن عفان "رضى الله عنه" ٢٣هـ / ٦٤٤م

٤ ـ على بن أبى طالب "رضى الله عنه" ٣٥هـ ـ ٤٠هـ / ٦٥٦م ـ ٦٦١م

ثم تنازل الحسن بن على رضى الله عنهما عن الخلافة لمعاوية.

٢ـ بنو أمية

الخلفاء الأمويون

١ – معاوية بن أبى سفيان ٤١هـ/ ٦٦١م

٢ ـ يزيد "الأول" بن معاوية ٦٠هـ/٦٨٠م

٣ ـ معاوية الثانى "بن يزيد ٦٤هـ/ ٦٨٣م

بنو مروان

١ ـ مروان بن الحكم ٦٤هـ/ ٦٨٤م

٢ ـ عبد الملك بن مروان "أبو الخلفاء" ٦٥هـ/ ٦٨٥م

٣ ـ الوليد بن عبد الملك ٨٦هـ/ ٧٠٥م

٤ ـ سليمان بن عبد الملك ٩٦هـ/ ٧١٥م

٥ـ عمر بن عبد العزيز ٩٩هـ/ ٧١٧م

٦ـ يزيد بن عبد الملك "الثانى" ١٠١هـ/ ٧٢٠م

٧ ـ هشام بن عبد الملك ١٠٥هـ / ٧٢٤م

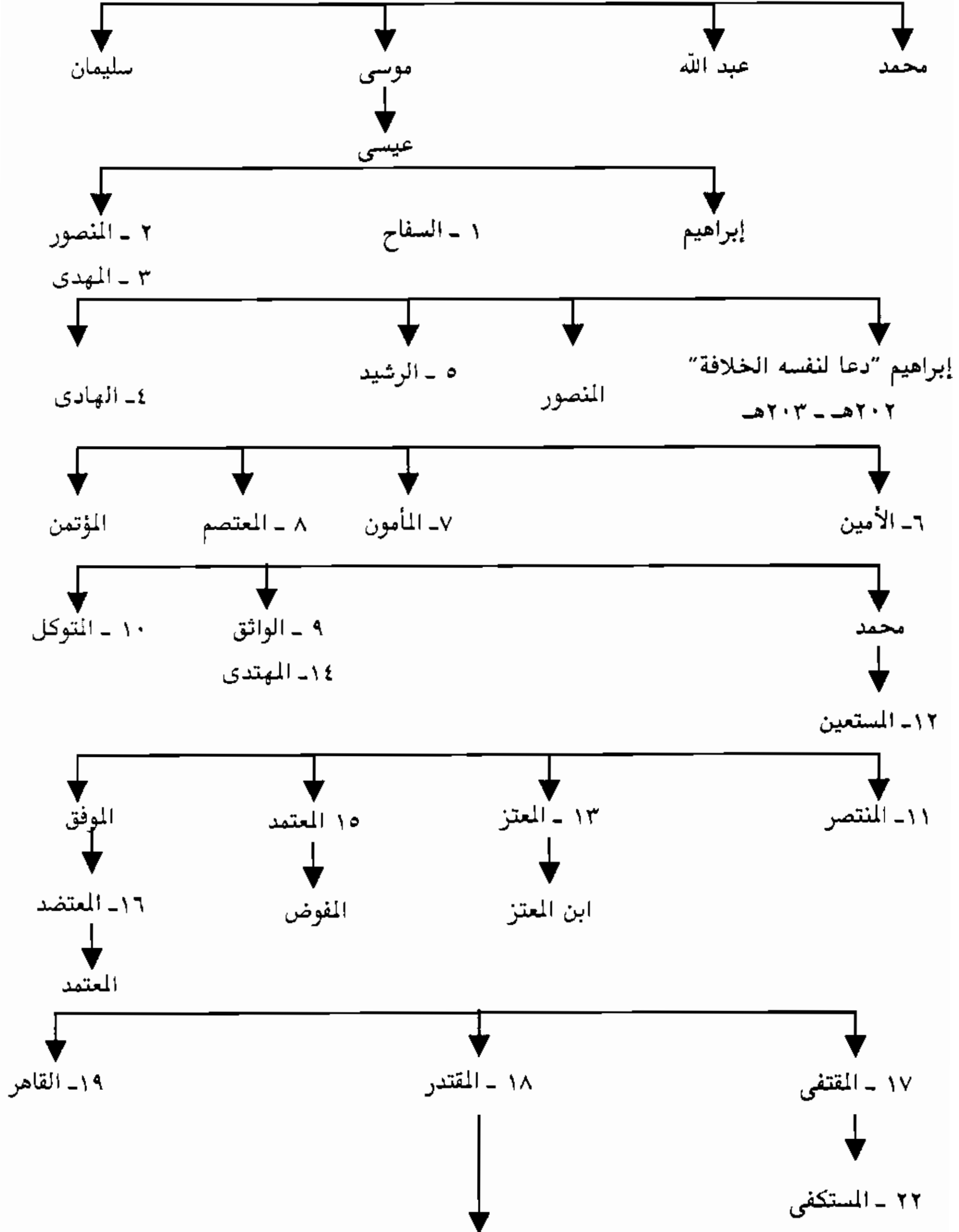
٨ ـ الوليد "الثانى ١٢٥هـ/ ٧٤٣م

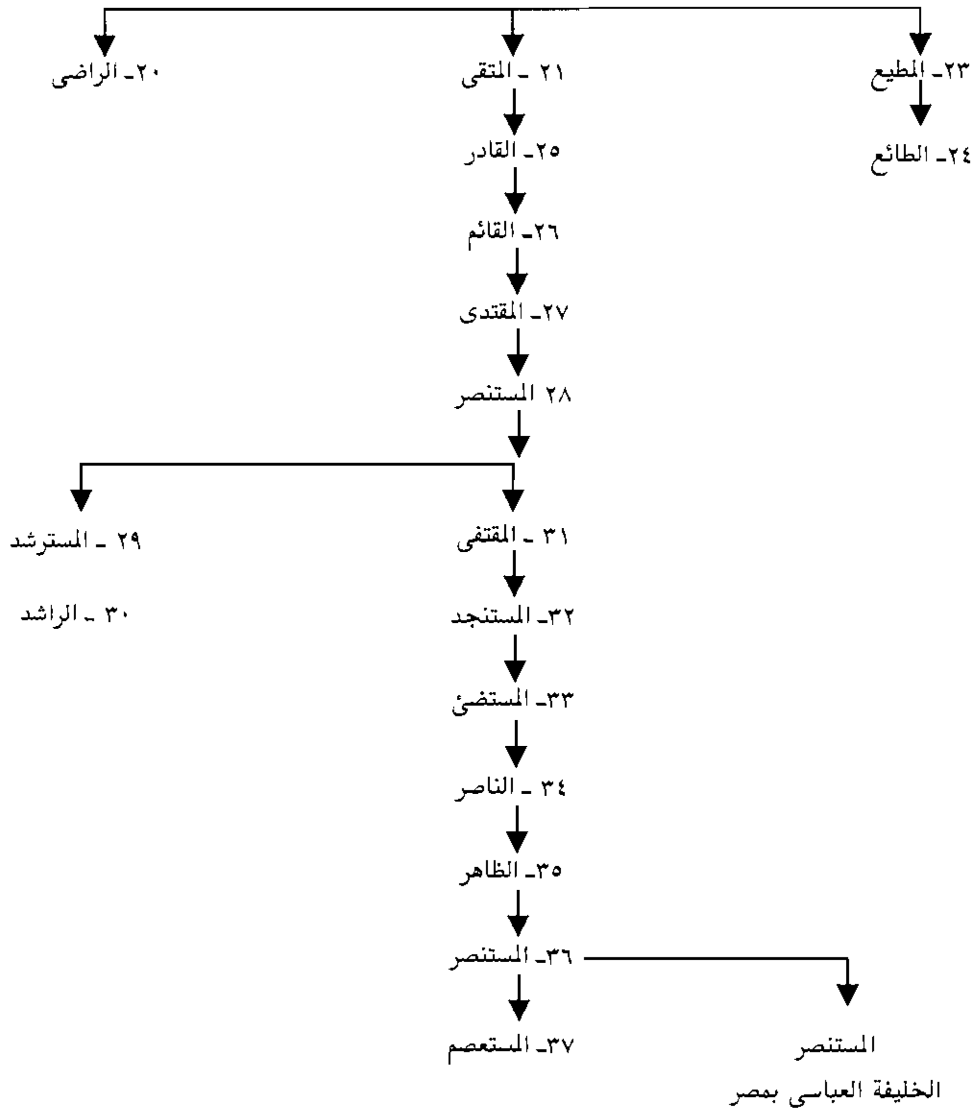
٩ـ يزيد "الثالث" ١٢٦هـ/ ٧٤٤م

١٠ـ إبراهيم ١٢٦هـ / ٧٤٤م

١١ـ مروان الثانى "الحمار" ١٢٧هـ ١٣٢هـ / ٧٤٤م ـ ٧٥٠م

البيت العباسى




٢٠- الراضى
٢١ - المتقى
٢٣- المطيع
٢٤- الطائع
٢٥- القادر
٢٦- القائم
٢٧- المقتدى
٢٨ المستنصر
٢٩ - المسترشد
٣٠ - الراشد
٣١ - المقتفى
٣٢- المستنجد
٣٣- المستضئ
٣٤ - الناصر
٣٥- الظاهر
٣٦- المستنصر
٣٧- المستعصم
المستنصر
الخليفة العباسى بمصر

٣. تسلسل نسب الخلفاء العباسيين

١٣٢هـ ٦٥٦هـ / ٧٥٠م ـ ١٢٥٨م

١- ١٣٢هـ السفاح ٧٥٠م
٢- ١٣٦هـ المنصور ٧٥٤م
٣- ١٥٨هـ المهدى ٧٨٥م
٤- ١٦٩هـ الهادى ٧٧٦م
٥- ١٧٠هـ الرشيد ٧٨٥م
٦- ١٩٣هـ الأمين ٨٠٩م
٧- ١٩٨هـ المأمون ٨١٣م
٨- ٢١٨هـ المعتصم ٨٣٣م
٩- ٢٢٧هـ الواثق ٨٤٢م
١٠-٢٣٢هـ المتوكل ٨٤٧م
١١-٢٤٧هـ المنتصر ٨٦١م
١٢-٢٤٨هـ المستعين ٨٦٢م
١٣-٢٥٢هـ المعتز ٨٦٦م
١٤-٢٥٥هـ المهتدى ٨٦٩م
١٥-٢٥٦هـ المعتمد ٨٧٠م
١٦-٢٧٩هـ المعتضد ٨٩٢م
١٧-٢٨٩هـ المكتفى ٩٠٢م
١٨-٢٩٥هـ المقتدر ٩٠٨م
١٩-٣٢٠هـ القاهر ٩٣٢م
٢٠-٣٢٢هـ الراضى ٩٣٤م
٢١-٣٢٩هـ المتقى ٩٤٠م
٢٢-٣٣٣هـ المستكفى ٩٤٤م
٢٣-٣٣٤هـ المطيع ٩٤٦م
٢٤-٣٦٣ هـ الطائع ٩٧٤م
٢٥-٣٨١هـ القادر ٩٩١م
٢٦-٤٢٢ هـ القائم ١٠٣١م
٢٧-٤٦٧ هـ المقتدى ١٠٧٥م
٢٨-٤٨٧هـ المستظهر ١٠٩٤
٢٩-٥١٢هـ المسترشد ١١١٨م
٣٠-٥٢٩هـ الراشد ١١٣٥م
٣١-٥٣٠هـ المقتفى ١١٣٦م
٣٢-٥٥٥هـ المستنجد ١١٦٠م
٣٣-٥٦٦هـ المستضئ ١١٧٠م
٣٤-٥٧٥هـ الناصر ١١٨٠
٣٥-٦٢٢هـ المستنصر ١٢٢٦م
٣٦-٦٤٠هـ ٦٥٦هـ المستعصم ١٢٤٢م ـ ١٢٥٨م

الخلفاء العباسيون فى القاهرة

٦٥٩هـ ـ ٩٢٣م / ١٢٦١م ـ ١٥١٧م

١ ـ المستنصر ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م
٢ ـ الحاكم الأول ٦٦٠هـ / ١٢٦١م
٣ ـ المستكفى الأول ٧٠١هـ / ١٣٠٢م
٤ ـ الواثق الأول ٧٤٠هـ / ١٣٤٠م
٥ ـ الحاكم الثانى ٧٤١هـ / ١٣٤١م
٦ ـ المعتضد الأول ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م
٧ ـ المتوكل الأول للمرة الأولى ٧٦٣هـ / ١٣٦٢
٨ ـ المعتصم للمرة الأولى ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م
٩ ـ المتوكل الأول للمرة الثانية ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م
١٠ ـ الواثق الثانى ٧٨٥هـ /١٣٨٣م
١١ ـ المتعصم للمرة الثانية ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م
١٢ ـ المتوكل الأول للمرة الثالثة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م
١٣ ـ المستعين ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م
١٤ـ المعتضد الثانى ٨١٦هـ/ ١٤١٤م
١٥ ـ المستكفى الثانى ٨٤٥هـ / ١٤٤١م
١٦ ـ القائم ٨٥٥هـ / ١٤٥١م

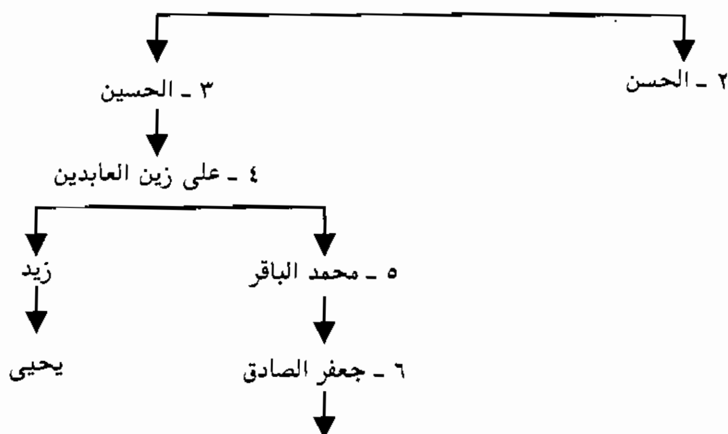
١٧ - المستنجد ٨٥٩هـ / ١٤٥٥م
١٨- المتوكل الثانى ٨٨٤ هـ ١٤٧٩م
١٩ - المستمسك للمرة الأولى ٩٠٣هـ /١٤٩٧م
٢٠ - المتوكل الثالث للمرة الأولى ٩١٤هـ / ١٥٠٨م
٢١ - المستمسك للمرة الثانية ٩٢٢هـ / ١٥١٦م
٢٢ - المتوكل الثالث للمرة الثانية ٩٢٣هـ / ١٥٧١م
ثم الفتح العثمانى

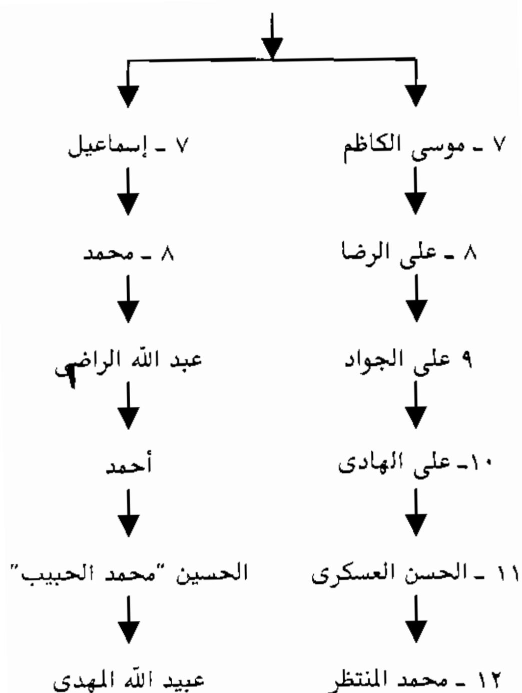
٥ - الطولونيون

٢٥٤هـ - ٢٩٢هـ / ٨٦٨م - ٩٠٥م

١ - أحمد بن طولون ٢٥٤هـ / ٨٦٨م
٢ - خماروية ٢٧٠هـ/ ٨٨٤م
٣ - جيش ٢٨٢هـ ، ٨٩٦م
٤ - هارون ٢٨٣هـ / ٨٩٦م
٥ - شيبان ٢٩٢هـ / ٩٠٥م
٦ - الأخشيديون
١ - محمد بن طغج الأخشيد ٣٢٣هـ / ٩٣٥م
٢ - أنوجور ٣٣٤هـ / ٩٤٦م
٣- على ٤٣٩هـ / ٩٦١م
٤ - كافور "كان أصلاً وصيًا على على" ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م
٥ - أحمد ٣٥٧هـ - ٣٥٨هـ / ٩٦٨م - ٩٦٩م

الإسماعيلية والاثنا عشرية





٦ ـ الخلفاء الفاطميون

١ ـ عبيد الله المهدى



٢ ـ القائم



٣ ـ المنصور



٤ ـ المعز



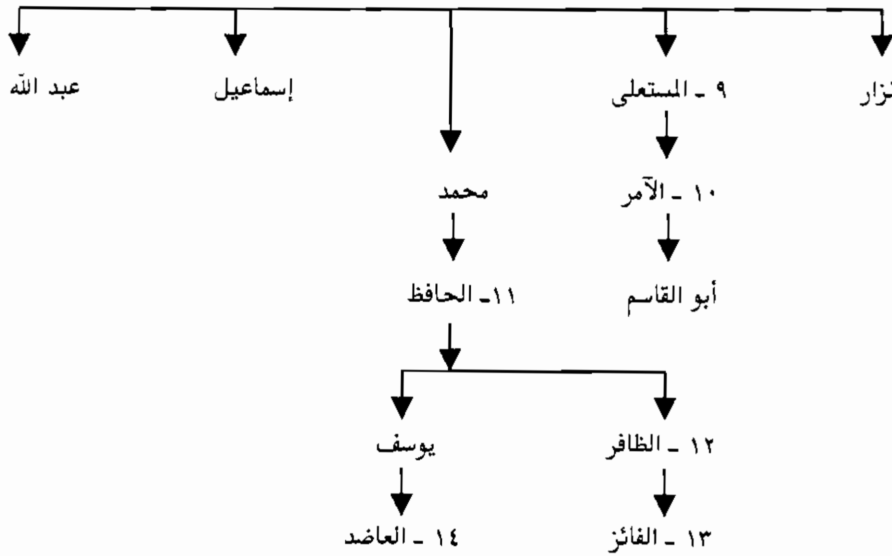
٥ ـ العزيز



٦ ـ الحاكم



٧ ـ الظاهر

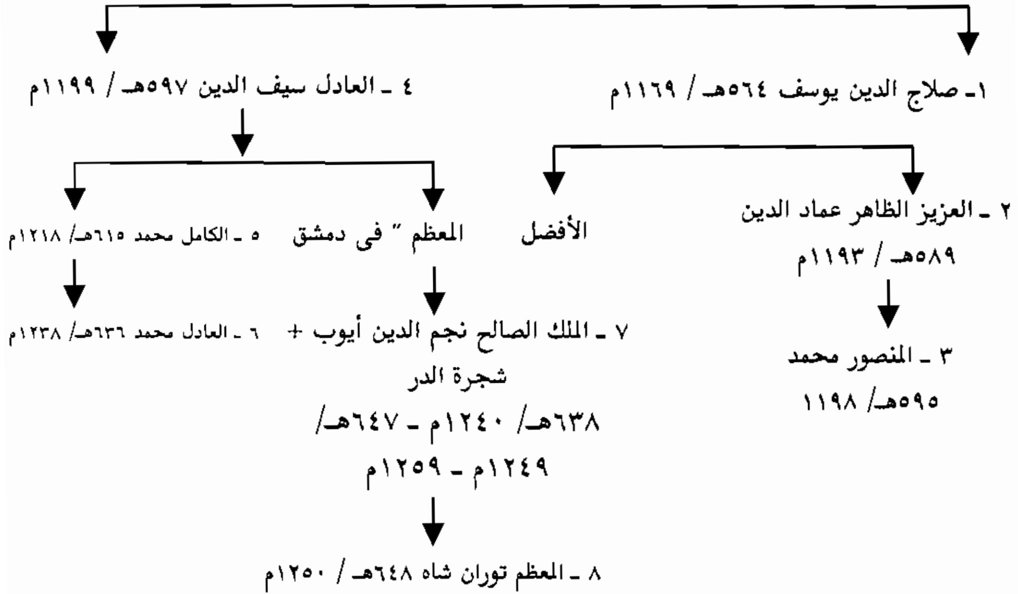


الخلفاء الفاطميون

١ ـ عبيد الله المهدى ٢٩٧هـ ـ ٣٢٢هـ (٩٠٩م ـ ٩٣٤م)
٢ ـ القائم (محمد أبو القاسم) ٣٢٢هـ ـ ٣٣٤هـ (٩٣٤م ـ ٩٤٥م)
٣ ـ المنصور (إسماعيل أبو طاهر) ٣٣٤هـ ـ ٣٤١هـ (٩٤٥ ـ ٩٥٢م)
٤ ـ المعز لدين الله (معد أبو تميم) ٣٤١هـ ـ ٣٦٥هـ (٩٥٢م ـ ٩٧٥م)
٥ ـ العزيز بالله (نزار أبو منصور) ٣٦٥هـ ـ ٣٨٦هـ (٩٧٥م ـ ٩٩٦م)
٦ ـ الحاكم بأمر الله (المنصور أبو على) ٣٨٦هـ ٤١١هـ (٩٦٦م ـ ١٠٢٠م)
٧ ـ الظاهر لإعزاز دين الله (على أبو الحسن) ٤١١هـ ـ ٤٢٧هـ (١٠٢٠م ـ ١٠٣٥م)
٨ ـ المستنصر بالله (معد أبو تميم) ٤٢٧هـ ـ ٤٨٧هـ (١٠٣٥م ـ ١٠٩٤م)
٩ ـ المستعلى (أحمد بن القاسم) ٤٨٧هـ ـ ٤٩٥هـ (١٠٩٤م ـ ١١٠١م)
١٠ـ الأمر (المنصور أبو على) ٤٩٥هـ ـ ٥٢٤هـ (١١٠١م ـ ١١٣٠م)
١١ـ الحافظ (عبد المجيد أبو الميمون) ٥٢٤هـ ـ ٥٤٤هـ (١١٣٠م ـ ١١٤٩م)
١٢ـ الظافر (إسماعيل أبو المنصور) ٥٤٤هـ ـ ٥٤٩هـ (١١٤٩م ـ ١١٥٤م)
١٣ ـ الفائز (عيسى أبو القاسم) ٥٤٩هـ ـ ٥٥٥هـ (١١٥٤م ـ ١١٦٠م)
١٤ العاضد (عبد الله أبو محمد) ٥٥٥هـ ـ ٥٦٧هـ (١١٦٠م ـ ١١٧١م)

٧ـ تسلسل نسب الأيوبيين

نجم الدين أيوب



١ـ أيوبية مصر

من سنة ٥٦٩هـ ـ ٦٥٠هـ/ ١١٧٤م ـ ١٢٥٢م

١ـ الناصر صلاح الدين الأيوبى "زمن الولاية" ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م
٢ ـ الناصر صلاح الدين الأيوبى "زمن السلطنة" ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م
٣ ـ العزيز عماد الدين عثمان ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م
٤ ـ المنصور محمد ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م
٥ ـ العادل الأول سيف الدين أبو بكر ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م
٦ ـ الكامل ناصر الدين محمد ٦١٥هـ/ ١٢١٨م
٧ ـ العادل الثانى سيف الدين أبو بكر ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م
٨ ـ الصالح نجم الدين أيوب ٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م
٩ ـ المعظم توران شاه ٦٤٧ هـ/ ١٢٥٠م
١٠ ـ شجرة الدر "زوجة الصالح نجم الدين أيوب" ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م
١١ـ الأشرف مظفر الدين موسى ٦٤٨هـ ـ ٦٥٠هـ/ ١٢٥٠م ـ ١٢٥٢م

٢ـ أيوبية دمشق

من سنة ٥٨٩هـ ـ ٦٥٨هـ / ١١٩٣م ـ ١٢٦٠م

١ ـ الأفضل نور الدين على ٥٨٩هـ / ١١٩٣م
٢ ـ العادل الأول سيف الدين أبو بكر ٥٩٢هـ / ١١٩٧م
٣ ـ اتحد مع مصر ٥٩٦هـ ، ٦١٥هـ / ١١٩٩م ـ ١٢١٨م
٤ ـ المعظم شرف الدين عيسى ٦١٥هـ / ١٢١٨م
٥ ـ الناصر صلاح الدين داود ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م
٦ ـ الأشرف مظفر الدين موسى ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م
٧ ـ الصالح عماد الدين إسماعيل ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م
٨ ـ الكامل محمد ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م
٩ ـ الصالح نجم الدين أيوب ٦٣٧هـ / ١٢٤٠م
١٠ ـ الصالح عماد الدين إسماعيل ٦٣٧هـ / ١٢٤٠م
١١ـ الصالح ندم الدين أيوب المعظم توران شاه ٦٤٣هـ ، ٦٤٧هـ / ١٢٤٥م ـ ١٢٤٩م
١٢ ـ الناصر صلاح الدين يوسف ٦٤٨هـ ـ ٦٥٨هـ / ١٢٥٠م ـ ١٢٦٠م

٣ـ أيوبية حلب

من سنة ٥٨٩هـ ـ ٦٥٨هـ / ١١٩٣م ـ ١٢٦٠م

١ ـ الظاهر غياث الدين غازى ٥٨٩هـ / ١١٩٣م
٢ ـ العزيز غياث الدين محمد ٦١٣هـ / ١٢١٦م
٣ ـ الناصر صلاح الدين يوسف ٦٣٤هـ ـ ٦٥٨هـ / ١٢٣٦م ـ ١٢٦٠م

٤ـ أيوبية حماه

من سنة ٥٧٤هـ ـ ٦٤٢هـ / ١١٧٨م ـ ١٣٤١م

١ ـ المظفر الأول تقى الدين عمر ٥٧٤هـ / ١١٧٨م
٢ ـ المنصور الأول محمد ٥٨٧هـ / ١١٩١م
٣ ـ الناصر قليج أرسلان ٦١٧هـ / ١٢٢٩م
٤ ـ المظفر الثانى تقى الدين محمود ٦٢٦هـ / ١٢٣٦م
٥ ـ المنصور الثانى محمد ٦٤٢هـ / ١٢٤٠م
٦ ـ المظفر الثالث محمود ٥٨٣هـ ـ ٦٩٨هـ / ١٢٨٤م ـ ١٢٩٨م

٥ـ أيوبية حمص

من سنة ٥٤٧هـ ـ ٦٦١هـ / ١١٧٨م ـ ١٢٦٢م

١ـ المظفر الأول تقى الدين عمر ٥٧٤هـ / ١١٧٨م
٢ ـ المنصور الأول محمد ٥٨٧هـ / ١١٩١م
٣ ـ الناصر قليج أرسلان ٦١٧هـ / ١٢٢٩م
٤ ـ المظفر الثانى تقى الدين محمود ٦٢٦هـ / ١٢٣٧م
٥ ـ المنصور الثانى محمد ٦٤٢هـ / ١٢٤٠م
٦ ـ المظفر الثالث محمود ٦٨٣هـ ـ ٦٩٨هـ / ١٢٨٤م ـ ١٢٩٨م

٦ ـ أيوبية حمص

من سنة ٥٤٧هـ ـ ٦٦١هـ / ١١٧٨م ـ ١٢٦٢م
١ ـ محمد ٥٧٤هـ / ١١٧٨م
٢ ـ المجاهد شيركوه ٥٨١هـ / ١١٨٥م
٣ ـ المنصور إبراهيم ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م
٤ ـ المظفر الدين موسى "الأشرف" ٦٤٤هـ ـ ٦٦١هـ / ١٢٤٥م ـ ١٢٦٢م

٧ ـ أيوبية ميافارقين ـ فى الجزيرة

من سنة ٥٦٩هـ ـ ٦٥٨هـ / ١٢٠٠م ـ ١٢٦٠م

١ ـ الأوحد نجم الدين أيوب ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م
٢ ـ الأشرف مظفر الدين موسى ٦٠٧هـ / ١٢١٠م
٣ ـ المظفر شهاب الدين غازى ٦١٧هـ /١٢٢٠م
٤ ـ استيلاء المغول المؤقت ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م
٥ ـ الكامل ناصر الدين محمد ٦٤٢هـ ـ ٦٥٨هـ / ١٢٤٤م ـ ١٢٦٠م

٨ ـ أيوبية حصن كيفا

١ ـ الصالح نجم الدين أيوب ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م
٢ ـ المعظم توران شاه ٦٣٦هـ / ١٢٣٧م
٣ ـ الموحد تقى الدين عبد الله ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م
٤ ـ استيلاء المغول ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م
٥ ـ الكامل أبو بكر الأول ٦٥٨هـ
٦ ـ العادل مجير الدين محمد ٦٥٨هـ
٧ ـ العادل شهاب الدين غازى ٦٥٨هـ
٨ ـ الصالح أبو بكر الثانى ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م

٩ ـ العادل فخر الدين "أوعز الدين" سليمان ٨٧٠هـ / ١٢٧٨م
١٠ـ الأشرف شرف الدين أحمد الأول
١١ـ الصالح " ومن بعده الكامل" صلاح الدين خليل الأول ٨٣٦هـ/ ١٣٢٤م
١٢ـ الناصر ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م
١٣ـ الكامل أحمد الثانى ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م
١٤ـ العادل خلف ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م
١٥ـ إستيلاء آلاف قينونلية ٨٦٦هـ / ١٤٦١م
١٦ـ خليل الثانى
١٧ ـ سليمان الثانى
١٨ـ خليل الثانى "مرة أخرى"
١٩ـ حسين
٢٠ـ سليمان الثانى "مرة أخرى" ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤
ثم حكم العثمانيين

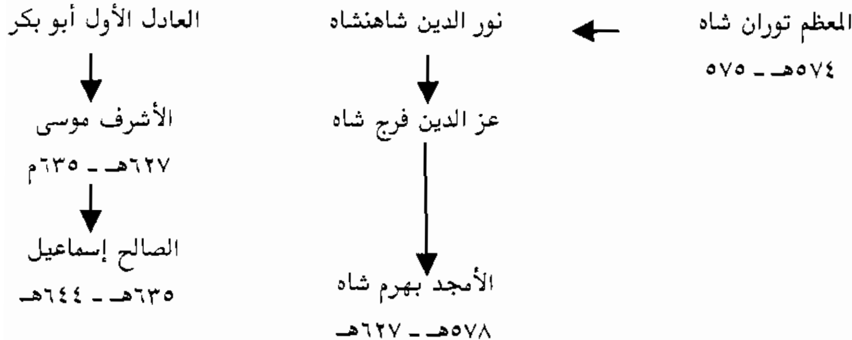
٩ـ أيوبية اليمن

من سنة ٥٦٩هـ ـ ٦٢٦هـ / ١١٧٣م ـ ١٢٢٩م

١ ـ المعظم شمس الدين توران شاه ٥٦٩هـ / ١١٧٣م
٢ ـ سيف الإسلام طغتكين أحمد ٥٧٧هـ / ١١٨١م
٣ ـ معز الدين إسماعيل ٥٩٣هـ / ١١٩٦م
٤ ـ الناصر أيوب ٥٩٨هـ / ١٢٠١م
٥ ـ المظفر سليمان ٦١١هـ / ١٢١٤م
٦ ـ المسعود صلاح الدين يوسف ٦١٢هـ ـ ٦٢٦هـ / ١٢١٥م ـ ١٢٢٩م

١٠ـ أيوبية بعلبك

نجم الدين أيوب ـ من سنة ٥٣٣هـ ـ ٥٤١هـ

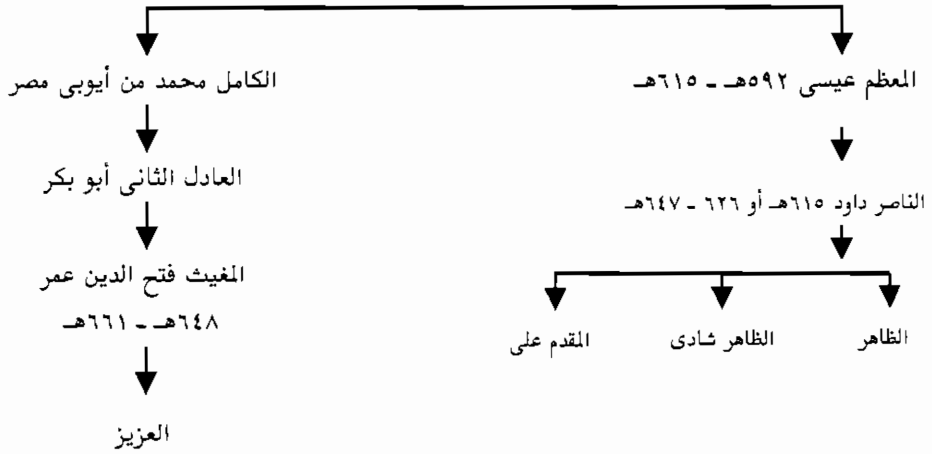


أيوبية الكرك

نجم الدين أيوب

العادل الأول

من سنة ٥٨٤هـ ـ ٨٩٢هـ



المماليك

١ ـ سلالة المماليك البحرية

٦٤٨هـ ـ ٧٩٢هـ / ١٢٥٠ ـ ١٣٩٠م

١ ـ شجرة الدر ٦٤٨هـ ـ ١٢٥٠م

٢ ـ المعز عز الدين أيبك ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م

٣ ـ المنصور نور الدين على ٦٥٥هـ ١٢٥٧م

٤ ـ المظفر سيف الدين قطز ٦٥٧هـ ١٢٥٩م

٥ ـ الظاهر ركن الدين بيبرس الأول البندقدارى ٦٥٨هـ ١٢٦٠م

٦ ـ السعيد ناصر الدين بركه أو بيرك خان ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م

٧ ـ العادل بدر الدين سلامش ٦٧٨هـ / ١٢٨٠م

٨ ـ المنصور سيف الدين قلاوون الألفى ٦٧٨هـ / ١٢٨٠م

٩ ـ الأشرف صلاح الدين خليل ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م

١٠ ـ الناصر ناصر الدين محمد للمرة الأولى ٦٩٣هـ / ١٢٩٤م

١١ـ العادل زين الدين كتبغا ٦٩٤هـ / ١٢٩٥م

١٢ ـ المنصور حسام الدين لاجين ٦٩٦هـ ١٢٩٧م

١٣- الناصر ناصر الدين محمد للمرة الثانية ٦٩٨هـ /١٢٩٩م

١٤- المظفر ركن الدين بيبرس الثانى الجاشنكير ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م

١٥- الناصر ناصر الدين محمد للمرة الثالثة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م

١٦- المنصور سيف الدين أبو بكر ٧٤١هـ / ١٣٤٠م

١٧- الأشرف علاء الدين كجك ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م

١٨- الناصر شهاب الدين أحمد ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م

١٩- الصالح عماد الدين إسماعيل ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م

٢٠- الكامل سيف الدين شعبان الأول ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م

٢١- المظفر سيف الدين حاجى الأول ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م

٢٢- الناصر ناصر الدين حسن للمرة الأولى ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م

٢٣- الصالح صلاح الدين صالح ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م

٢٤- الناصر ناصر الدين حسن للمرة الثانية ٧٥٥هـ/ ١٣٥١م

٢٥- المنصور صلاح الدين محمد ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م

٢٦- الأشرف ناصر الدين شعبان الثانى ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣م

٢٧- المنصور علاء الدين ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م

٢٨- الصالح صلاح الدين حاجى الثانى للمرة الأولى ٧٨٣هـ/ ١٣٨٢م

٢٩- الظاهر سيف الدين برقوق "برجى" ٧٨٤ هـ/ ١٣٨٢م

٣٠- حاجى الثانى "للمرة الثانية- حاملا لقب المظفر أو المنصور" ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م

٢- سلالة المماليك البرجية

٧٨٤هـ- ٩٢٢هـ / ١٣٨٢م- ١٥١٧م

١ - الظاهر سيف الدين برقوق للمرة الأولى ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢م

٢- حاجى الثانى "للمرة الثانية" بحرى ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م

٣- الظاهر سيف الدين برقوق للمرة الثانية ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م

٤ - الناصر ناصر فرج للمرة الأولى ٨٠١هـ/ ١٣٩٩م

٥ - المنصور عز الدين عبد العزيز ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م

٦ - الناصر ناصر الدين فرج للمرة الثانية ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م

٧ - العادل المستعين "الخليفة العباسى - الذى نصب سلطانًا" ٨١٥هـ/ ١٤١٢م

٨ - المؤيد سيف الدين شيخ ٨١٥هـ/ ١٤١٢م

٩ - المظفر أحمد ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م

١٠- الظاهر سيف الدين ططار "ططر" ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م

١١- الصالح ناصر الدين محمد ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م

١٢- الأشرف سيف الدين برسباى ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م

١٣- العزيز جمال الدين يوسف ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م

١٤- الظاهر سيف الدين جقمق ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م

١٥- المنصور فخر الدين عثمان ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م

١٦ـ الأشرف سيف الدين إينال ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م
١٧ـ المؤيد شهاب الدين أحمد ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م
١٨ـ الظاهر سيف الدين خوش قدم ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م
١٩ـ الظاهر سيف الدين بلباى ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م
٢٠ـ الظاهر تيمور بوغا ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م
٢١ـ الأشرف سيف الدين قايتباى ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م
٢٢ـ الناصر محمد ٩٠١هـ/ ١٤٩٦م
٢٣ـ الظاهر قانصوه ٩٠٣هـ ١٤٩٨م
٢٤ـ الأشرف جانبلات ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م
٢٥ـ العادل سيف الدين تومان باى ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م
٢٦ـ الأشرف قنصوه الغورى ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م
٢٧ـ الأشرف طومان باى ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م

الغزو العثمانى

أمويو الأندلس

١ ـ عبد الرحمن الأول الداخل ١٣٨هـ/ ٧٥٦م
٢ ـ هشام الأول ١٧٢هـ/ ٧٨٨م
٣ ـ الحكم الأول ١٨٠هـ/ ٧٩٦م
٤ ـ عبد الرحمن الثانى المتوسط ٢٠٦هـ/ ٨٢٢م
٥ ـ محمد الأول ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م
٦ ـ المنذر ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م
٧ ـ عبد الله ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م
٨ ـ عبد الرحمن الثالث الناصر ٣٠٠هـ/ ٩١٢م
٩ ـ الحكم الثانى المستنصر ٣٥٠هـ/ ٩٦١م
١٠ـ هشام الثانى المؤيد للمرة الأولى ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م
١١ـ محمد الثانى المهدى للمرة الأولى ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م
١٢ـ سليمان المستعين للمرة الأولى ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م
١٣ـ محمد الثانى للمرة الثانية ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م
١٤ هشام الثانى للمرة الثانية ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م
١٥ـ سلميان للمرة الثانية ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م
١٦ـ على الناصر الحمودى ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م
١٧ـ عبد الرحمن الرابع المرتضى ٤٠٨هـ/ ١٠١٨م
١٨ـ القاسم المأمون الحمودى ـ للمرة الأولى ٤٠٨ هـ/ ١٠١٨م
١٩ـ يحيى المعتلى الحمودى للمرة الأولى ٤١٢ هـ/ ١٠٢١م
٢٠ـ القاسم الحمودى ـ للمرة الثانية ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م
٢١ـ عبد الرحمن الخامس المستظهر ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م
٢٢ـ محمد الثالث المستكفى ٤١٤هـ/ ١٠٢٤م
٢٣ـ يحيى الحمودى ـ للمرة الثانية ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م
٢٤ـ هشام الثالث المعتد ٤١٨هـ ـ ٤٢٢هـ/ ١٠٢٧م ـ ١٠٣١م

ثم ملوك الطوائف

١ ـ آل حمود فى مالقة

١ـ على الناصر ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م
٢ ـ القاسم الأول المأمون ـ للمرة الأولى ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م
٣ ـ يحيى الأول المعتلى ـ للمرة الأولى ٤١٢هـ/ ١٠٢١م
٤ ـ القاسم الأول ـ للمرة الثانية ٤١٣هـ/ ١٠٢٣م
٥ ـ يحيى الأول ـ للمرة الثانية ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م
٦ ـ إدريس الأول المتأيد ٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م
٧ ـ يحيى الثانى ٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م
٨ ـ الحسن المستنصر ٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م
٩ ـ إدريس الثانى ـ العالى للمرة الأولى ٤٣٤هـ/ ١٠٤٣م
١٠ـ محمد الأول المهدى ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م
١١ـ محمد الثانى المعتصم ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م
١٢ـ القاسم الثانى الواثق ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م
١٣ـ إدريس الثالث الموفق ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م
١٤ـ إدريس الثانى للمرة الثانية ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م
١٥ـ محمد المستعلى ٤٤٧هـ ـ ٤٤٩هـ / ١٠٥٥م ـ ١٠٥٧م

هـزيمة الفـرع الرئيسـى للأسـرة فـى مالقـة عـلى يد " الزيريون" حكام غرناطة وهزيمة الفرع الثانوى فى الجزيرة على يد "بنو عباد".

٢ ـ بنو عباد فى إشبيلية

١ ـ محمد الأول بن عباد ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م
٢ ـ عباد المعتضد ٤٣٣هـ/ ١٠٤٢م
٣ ـ محمد الثانى المعتمد ٤٦١هـ ـ ٣٨٣هـ / ١٠٦٩م ـ ١٠٩١م

غزو المرابطين لإشبيلية

٣ ـ آل جهور فى قرطبة

١ ـ جهور ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م
٢ ـ محمد الراشد ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م
٣ ـ عبد الملك ٤٥٠هـ ـ ٤٦١هـ / ١٠٥٨م ـ ١٠٦٩م

غزو "بنو عباد لقرطبة.

٤ـ بنو الأفطس فى بطليوس

١ ـ عبد الله المنصور ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م

٢ ـ محمد المظفر ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م

٣ ـ عمر المتوكل ٤٦٠هـ ـ ٤٨٧هـ / ١٠٦٨م ـ ١٠٩٤م

غزو المرابطين لبطليوس

٥ـ ذو النون فى طليطلة

١ ـ عبد الرحمن بن ذى النون

٢ ـ إسماعيل الظافر ٤١٩هـ/ ١٠٢٨م

٣ ـ يحى المأمون ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م

٤ ـ يحيى القادر ٤٦٧هـ ـ ٤٧٨هـ / ١٠٧٥م ـ ١٠٨٥م

غزو طليطلة على يد ألفونسو السادس حاكم ليون وقشتالة.

٦ ـ العامريون فى بلنسية

١ ـ عبد العزيز المنصور ٤١٢هـ/ ١٠٢١م

٢ ـ عبد الملك المظفر ٤٥٣هـ / ١٠٦١م

غزو ذو النون لبلنسية ٤٥٧هـ ـ ٤٦٨هـ / ١٠٦٥م ـ ١٠٧٦م

٣ ـ أبو بكر ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦ك

٤ ـ القاضى عثمان ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م

٥ ـ ذو النون يحيى القادر ٤٧٨هـ ـ ٤٨٣هـ / ١٠٨٥م ـ ١٠٩٦م

٦ ـ القاضى جعفر ٤٨٣هـ ـ ٤٨٩هـ / ١٠٩٠م ـ ١٠٩٦م

غزو السيد لبلنسية ثم فتح المرابطين لها.

٧ـ بنو تجيب وبنو هود فى سرقسطة وغيرها

أولا: بنو تجيب

١ ـ منذر الأول المنصور ٤١٠هـ/ ١٠١٩م

٢ ـ يحيى المظفر ٤١٤هـ / ١٠٢٣م

٣ ـ معز الدولة منذر الثانى ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م

ثانيا بنو هود

١ ـ سليمان المستعين ٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م

٢ ـ أحمد الأول المقتدر ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م

٣ ـ يوسف المؤتمن ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م

٤ ـ أحمد الثاني المستعين ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م

٥ ـ عماد الدولة عبد الملك ٥٠٣هـ/ ١١١٠م
٦ ـ أحمد الثالث المنتصر ٥١٣هـ ـ ٥٣٦هـ / ١١١٩م ـ ١١٤٢م تحت سلطان المرابطين
ثم غزو ألفونسو الأول "البطل" لسرقسطة بالاشتراك مع رومير الثانى حاكم "أراجوان"

بنو نصر أو بنو الأحمر

١ ـ محمد الأول الغالب المسمى ابن الأحمر ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م
٢ ـ محمد الثاني العقيه ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م
٣ ـ محمد الثالث المخلوع ٧٠١هـ/ ١٣٠٢م
٤ ـ نصر ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م
٥ ـ إسماعيل الأول ٧١٣هـ/ ١٣١٣م
٦ ـ محمد الرابع ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م
٧ ـ يوسف الأول ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م
٨ ـ محمد الخامس الغاني ـ للمرة الأولى ٧٥٥ هـ/ ١٣٥٤م
٩ ـ إسماعيل الثاني ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م
١٠ـ محمد السادس ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م
١١ـ محمد الخامس للمرة الثانية ٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م
١٢ـ يوسف الثاني ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م
١٣ـ محمد السابع المستعين ٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م
١٤ـ يوسف الثالث ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م
١٥ـ محمد الثامن المستمسك للمرة الأولى ٨٢٠ هـ/ ١٤١٧م
١٦ـ محمد التاسع الصغير للمرة الأولى ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م
١٧ـ محمد الثامن للمرة الثانية ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م
١٨ـ محمد التاسع للمرة الثانية ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م
١٩ـ يوسف الرابع ٨٣٥هـ/ ١٤٣٢م
٢٠ـ محمد التاسع للمرة الثالثة ٨٣٥هـ/ ١٤٣٢م
٢١ـ محمد العاشر الاحنف للمرة الأولى ٨٤٨هـ/ ١٤٤٥م
٢٢ـ يوسف الخامس للمرة الأولى ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م
٢٣ـ محمد العاشر للمرة الثانية ٨٤٩هـ/ ١٤٤٦م
٢٤ـ محمد التاسع للمرة الرابعة ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م
ومن ٨٥٤هـ ـ ٨٥٥هـ / ١٤٥١م ـ ١٤٥٢م بالاشتراك مع محمد الحادى عشر.
٢٥ ـ سعد المستعين للمرة الأولى ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣ م وقد قيل ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م
٢٦ ـ يوسف الخامس للمرة الثانية ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م
٢٧ـ سعد للمرة الثانية ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م
٢٨ـ على للمرة الأولى ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م
٢٩ـ محمد الحادى عشر "بوعبديل" أولا بمفرده ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م
٣٠ـ على للمرة الثانية ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م
٣١ـ محمد الثاني عشر الزغل ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م
٣٢ـ محمد الحادى عشر للمرة الثانية ٨٩٢هـ ـ ٨٩٧هـ / ١٤٨٧م ـ ١٤٩٢م
ثم الغزو الأسبانى

الأدارسة ـ فى المغرب

١٧٢هـ ـ ٣١٤هـ / ٧٨٩م ـ ٩٢٦م

١ ـ إدريس الأول ١٧٢هـ/ ٧٨٩م
٢ ـ إدريس الثاني ١٧٧هـ/ ٧٩٣م
٣ ـ محمد المنتصر ٢١٣هـ / ٨٢٨م
٤ ـ على الأول ٢٢١هـ / ٨٣٦م
٥ ـ يحى الأول ٢٣٤هـ/ ٨٤٩م
٦ ـ يحيى الثاني

٧ ـ على الثانى
٨ ـ يحيى الثالث المقدام
٩ ـ يحيى الرابع ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م
١٠ـ الحسن الحجام ٣١٠هـ ـ ٣١٤هـ / ٩٢٢م ـ ٩٢٦م
ثم الغزو الفاطمى.

الرستميون "الخوارج الإباضية"

١٦٠هـ ـ ٢٩٦هـ / ٧٧٧م ـ ٩٠٩م

فى غربى الجزائر

١ ـ عبد الرحمن بن رستم ١٦٠هـ/ ٧٧٧م
٢ ـ عبد الوهاب أو عبد الوارث بن عبد الرحمن ١٦٨هـ/ ٧٨٤م
٣ ـ أبو سعيد أفلح ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م
٤ ـ أبو بكر بن أفلح ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م
٥ ـ أبو اليقظان محمد
٦ ـ أبو حاتم يوسف للمرة الأولى ٢٨١هـ/ ٨٩٤م
٧ ـ يعقوب بن أفلح ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م
٨ ـ أبو حاتم يوسف للمرة الثانية ٢٨٨هـ/ ٩٠١م
٩ ـ يقظان بن محمد ٢٩٤هـ ـ ٢٩٦هـ / ٩٠٧م ـ ٩٠٩م
سقوط تاهرت فى يد الزعيم الفاطمى الداعى أبو عبد الله.

الأغالبة

١٨٤هـ ـ ٢٩٦هـ / ٨٠٠ ـ ٩٠٩م

١ ـ إبراهيم الأول بن الأغلب ١٨٤هـ/ ٨٠٠م
٢ ـ عبد الله الأول ١٩٧هـ/ ٨١٢م
٣ ـ زيادة الله الأول ٢٠١هـ/ ٨١٧م
٤ ـ أبو عقال الأغلب ٢٢٣هـ / ٨٣٨م
٥ ـ محمد الأول ٢٢٦هـ/ ٨٤١م
٦ ـ أحمد ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م
٧ ـ زيادة الله الثانى ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م
٨ ـ أبو الغرانيق محمد الثانى ٢٥٠هـ/ ٨٦٣م
٩ ـ إبراهيم الثانى ٢٦١هـ/ ٨٧٥م
١٠ ـ عبد الله الثانى ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م
١١ـ زيادة الله الثالث ٢٩٠هـ ـ ٢٩٦هـ / ٩٠٣م ـ ٩٠٩م
ثم الغزو الفاطمى

الزيريون والحماديون

٣٦١هـ ـ ٥٤٧هـ / ٩٧٢م ـ ١١٥٢م

١ ـ الزيريون

١ ـ يوسف بلكين الأول بن زيرى ٣٦١هـ/ ٩٧٢م
٢ ـ المنصور بن لكين ٣٧٣هـ/ ٩٨٤م
٣ ـ ناصر الدولة باديس ٤٨٦هـ/ ٩٩٦م
٤ ـ شرف الدولة المعز ٤٠٦هـ/ ١٠١٦م
٥ ـ تميم ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م
٦ ـ يحيى ٥٠١هـ/ ١١٠٨م

٧ ـ على ٥٠٩هـ / ١١١٦م

٨ ـ الحسن ٥١٥هـ ـ ٥٤٣هـ / ١١٢١م ـ ١١٤٨م

ثم الغزو النورماندى ثم الفتح الموحدى

٢ ـ الحماديون

١ ـ حماد بن بلكين الأول بن زيرى ٤٠٥هـ/ ١٠١٥م

٢ ـ القائد ٤١٩هـ/ ١٠٢٨م

٣ ـ محسن ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م

٤ ـ بلكين الثانى ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م

٥ـ الناصر ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م

٦ ـ المنصور ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م

٧ ـ باديس ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م

٨ ـ العزيز ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م

٩ ـ يحيى ٥١٥هـ أو ٥١٨هـ ـ ٥٤٧هـ / ١١٢١م أو ١١٢٤م ـ ١١٥٢م

ثم الغزو الموحدى

المرابطون فى المغرب والأندلس

٤٤٨هـ ـ ٥١٤هـ/ ١٠٥٦م ـ ١١٤٧م

١ ـ يحيى بن إبراهيم

٢ ـ يحيى بن عمر

٣ ـ أبو بكر اللمتونى ٤٤٨هـ ـ ٤٨٠هـ / ١٠٥٦م ـ ١٠٧٣م

٤ ـ يوسف بن تاشفين ٤٥٣هـ/ ١٠٦٢م

٥ ـ على ٥٠٠هـ / ١١٠٦م

٦ ـ تاشفين ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م

٧ ـ إبراهيم ٥٤٠هـ / ١١٤٦م

٨ ـ إسحاق ٥٤٠هـ ـ ٥٤١هـ / ١١٤٦م ـ ١١٤٧م

ثم الغزو الموحدى

الموحدون

٥٢٤هـ ـ ٦٦٧هـ / ١١٣٠م ـ ١٢٦٩م

١ ـ محمد بن تومرت ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م

٢ ـ عبد المؤمن

٣ـ أبو يعقوب يوسف الأول ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م

٤ ـ أبو يوسف يعقوب المنصور ٥٨٠هـ / ١١٨٤م

٥ ـ محمد الناصر ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م

٦ ـ أبو يعقوب يوسف الثانى المستنصر ٦١١هـ / ١٢٢٤م

٧ ـ عبد الواحد الأول المخلوع ٦٢٠هـ/ ١٢٢٤م

٨ ـ أبو محمد عبد الله العادل ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م

٩ ـ يحيى المعتصم ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م

١٠ـ أبو العلاء إدريس المأمون ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م

١١ـ أبو محمد عبد الواحد الثانى الراشد ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م

١٢ـ أبو الحسن على السعيد المعتضد ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م

١٣ـ أبو حفص عمر المرتضى ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م

١٤ـ أبو العلاء الواثق ٦٦٥هـ ـ ٦٦٧هـ / ١٢٦٦م ـ ١٢٤٩م

ثم الغزو المسيحى لكافة أسبانيا فيما عدا غرناطة وتقسيم أملاك أفريقيا الشمالية بين بنى عبد الواد والحفصبون وبنى مرين.

المرينيون والوطاسيون

١ ـ بنو مرين

١ ـ أبو محمد عبد الحق الأول ٥٩٢هـ/ ١١٩٦م

٢ ـ عثمان الأول ٦١٤هـ/ ١٢١٧م

٣ ـ محمد الأول ٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م

٤ ـ أبو يحيى أبو بكر ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م

٥ ـ أبو يوسف يعقوب ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م

٦ ـ أبو يعقوب يوسف ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م

٧ ـ أبو ثابت أمير ٧٠٦هـ/ ١٣٠٧م

٨ ـ أبو ربيع سليمان ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م

٩ ـ أبو سعيد عثمان الثانى ٧١٠هـ/ ١٣١٠م

١٠ـ أبو الحسن على الأول ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م

١١ـ أبو عنان فارس ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م

١٢ـ محمد الثانى السعيد ٧٥٩هـ/ ١٣٥٩م

١٣ـ أبو سالم على الثانى ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م

١٤ـ أبو عمر تاشفين ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م

١٥ـ عبد الحليم "فى فاس أولا ثم فى سجلماسة" ٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م

١٦ـ أبو زيان محمد الثالث ٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م

١٧ـ أبو فارس عبد العزيز الأول ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م

١٨ـ أبو زيان محمد الرابع ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م

١٩ـ أبو العباس أحمد للمرة الأولى ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م

٢٠ـ موسى ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م

٢١ـ أبو زيان محمد الخامس ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م

٢٢ـ محمد السادس ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م

٢٣ـ أبو العباس أحمد للمرة الثانية ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م

٢٤ـ أبو الفارس ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م

٢٥ـ عبد العزيز الثانى ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م

٢٦ـ عبد الله ٨٠٠هـ/ ١٣٩٨م

٢٧ـ أبو سعيد عثمان الثالث ٨٠١هـ/ ١٣٩٩م

الفترة من ٨٢٣هـ ـ ٨٣١هـ / ١٤٢٠م ـ ١٤٢٨م فاصلة زمنية حكم خلالها حاكم تلمسان أبو ملك عبد الواحد من "بنو زيان" أو "بنو عبد الواد".

٢٨ـ أبو محمد عبد الحق الثانى ٨٣١هـ ـ ٨٦٩ هـ / ١٤٢٨م ـ ١٤٦٥م

٢ـ سلالة الوطاسيون

١ ـ أبو زكريا يحيى ٨٣١هـ / ١٤٢٨م

٢ ـ على أوصياء على عبد الحق الثانى المرينى ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م

٣ ـ محمد الأول الشيخ ٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م

٤ ـ محمد الثانى البرتقالى ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م

٥ ـ أحمد للمرة الأولى ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م

٦ ـ محمد الثالث القسرى ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م

٧ ـ أحمد للمرة الثانية ٩٥٤هـ ـ ٩٥٦هـ / ١٥٤٧م ـ ١٥٤٩م

ثم ظهور الشرفاء.

الحفصيون

٦٢٥هـ-٩٨٢هـ / ١٢٢٨م-١٥٧٤م

١ ـ أبو زكرياء يحيى الأول ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م

٢ ـ أبو عبد الله محمد الأول المنتصر ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م

٣ ـ أبو زكريا يحيى الثانى الواثق ٦٧٥هـ / ١٢٧٧م

٤ ـ أبو اسحاق إبراهيم الأول ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م

٥ ـ اغتصاب أحمد بن أبى عمارة للحكم ٦٨١ هـ / ١٢٨٢م

٦ ـ أبو حفص عمر الأول " تونس" ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م

٧ ـ أبو زكرياء يحيى الثالث المنتخب "فى بوجيه وقسطنطينة حتى ٦٨٩هـ / ١٢٩٩م"

٨ ـ أبو عبد الله أو أبو عصيدة محمد الثانى المنتصر ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م

٩ ـ أبو يحيى أبو بكر الأول الشهيد ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م

١٠ـ أبو البقاء خالد الأول الناصر ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م

١١ـ أبو يحيى زكرياء الأول اللحيانى "فى تونس" ٧١١هـ/ ١٣١١م

١٢ـ أبو ضربة محمد الثالث المستنصر اللحيانى "فى تونس" ٧١٧هـ/ ١٢١٧م

١٣ـ أبو يحيى أبو بكر المتوكل ٧١٨هـ/ ١٣١٨م

١٤ـ أبو حفص عمر الثانى ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م

ثم الاحتلال المرينى الأول لتونس ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م

١٥ـ أبو العباس أحمد الأول الفضل المتوكل "فى تونس" ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م

١٦ـ أبو اسحاق إبراهيم الثانى المستنصر للمرة الأولى ٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م

ثم الاحتلال الثانى لبنى مرين لتونس ٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م

١٧ـ أبو اسحاق إبراهيم الثانى للمرة الثانية "فى تونس" حتى ٧٧٠هـ/ ١٣٦٩م، أمراء حفصيون آخرون فى بوجيه وقسطنطينة"

١٨ـ أبو البقاء خالد الثانى "فى تونس" ٧٧٠ هـ/ ١٣٦٩م

١٩ ـ أبو العباس أحمد الثانى المستنصر ٧٧٢ هـ/ ١٣٧٠م

٢٠ـ أبو فارس عبد العزيز المتوكل ٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م

مصادر ومراجع التحقيق

أولا: المصادر المخطوطة

١- ابن إياس الحنفى محمد بن أحمد. جواهر السلوك فى الخلفاء والملوك مخط أحمد الثالث رقم ٣٠٢٦، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٠٥ تاريخ.

٢- ابن تغرى بردى جمال الدين أبو المحاسن يوسف مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة، مخط فيض الله رقم ١٤٠٦ وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٥٣٥ - تاريخ.

٣- ابن حبيب الحسن بن عمر درة الأسلاك فى دولة الأتراك مخط أحمد الثالث رقم ٣٠٠١، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ١/٢٣٥ تاريخ.

٤- ابن حجر العسقلانى أحمد بن على:

ذيل الدرر الكامنة، مخط دار الكتب المصرية رقم ٦٤٩ - تيمورية.

رفع الإصر عن قضاة مصر مخط فيض الله رقم ١٤٥٥، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ١/٢٦٠ - تاريخ.

المجمع المؤسس للمعجم المفهرس مخط. الأزهرية رقم (٨٧٨) ١٣٦٠ - مصطلح.

٥- الحسن بن داود الملك الأمجد: الفوائد الجلية فى الفرائد النصرية. مخط دار الكتب المصرية رقم ٢٢٩٣ - أدب، مصورة عن مخط أيا صوفيا رقم ٤٨٢٣.

٦- ابن خطيب الناصرية على بن محمد بن سعد: الدر المنتخب فى تكملة تاريخ حلب مخط الأحمدية رقم ٢٠٣٦، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٦٥٠. تاريخ.

٧- الكلاعى، سليمان بن موسى بن سالم. الاكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء، مخط، طلعت رقم ٢٠٧٤ - تاريخ.

٨- مسلم القشيرى، مسلم بن الحجاج بن مسلم بن كوشاذ الطبقات مخط. أحمد الثالث رقم ٦٢٤ (٢٦) وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣٩٤ - تاريخ.

ثانيا : المصادر المطبوعة

١- ابن أبي بكر الأشعرى المالقى، محمد بن يحيى (ت ٧٤١هـ) التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان ت. محمود يوسف زايد بيروت، دار الثقافة، ط ١ ـ ١٩٦٤.

٢- ابن أبي حاتم الرازى أبو محمد عبد الله (ت ٣٢٧هـ الهند دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٩٥٢ وما بعهدها.

٣- ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن القاسم الرعينى القيروانى المؤنس فى أحبار أفريقيا وتونس. ت محمد شمام، تونس، العتيقة، ١٩٦٧.

٤- ابن أبى يعلى أبو الحسن محمد . طبقات الحنابلة، بيروت، المعرفة، بدون تاريخ.

٥- ابن الأثير الجزرى، على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى (٦٣٠هـ).

٦- أسد الغابة فى معرفة الصحابة. القاهرة، الشعب، ١٩٧٠.

٧- التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية (بالموصل). عبد القادر أحمد طليمات القاهرة، دار الكتب الحديثة، بدون تاريخ.

٨- الكامل فى التاريخ، بيروت، الكتاب العربى، ط٢، ١٩٦٧.

٩- الأصفهانى، حمزة بن الحسن. تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، بيروت، الحياة بدون تاريخ.

١٠- الأصفهانى أبو الفرج (ت ٣٥٦) مقاتل الطالبيين. السيد أحمد صقر بيروت، المعرفة، بدون تاريخ.

١١- ابن الأكفانى محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى (ت٧٤٩هـ) نخب الذخائر فى أحوال الجواهر بيروت عالم الكتب، بدون تاريخ.

١٢- الأنبارى أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ـ نزهة الألبا فى طبقات الأدباء ت . محمد أبى الفضل إبراهيم. القاهرة، نهضة مصر، بدون تاريخ.

١٣- ابن إياس الحنفى، محمد بن أحمد بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ت. محمد مصطفى. مختلفة.

١٤- ابن أيبك الدوادارى أبو بكر بن عبد الله، كنز الدرر وجامع الغرر، القاهرة، مختلفة.

١٥- بحشل أسلم بن سهل الرزاز الواسطى (ت ٢٩٢هـ) تاريخ واسط ت. كوركيس عواد، بغداد، المجتمع العلمى ١٩٦٧.

١٦- البخارى أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفى (ت ٢٥٦هـ) التاريخ الكبير، الهند، دائرة المعارف العثمانية، بدون تاريخ.

١٧- البستى محمد بن حبان مشاهير علماء الأمصار ت. م فلايشهمر بيروت العلمية، بدون تاريخ.

١٨- البسنوى علاء الدين على بن دده السكتوارى محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر بيروت. الكتاب العربى، ط٢ ١٩٧٨.
١٩- ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة ، بيروت، صادر ١٩٨٠.
٢٠- البغدادى صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ) مراصد الإصلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ت. على محمد البجاوى القاهرة. الحلبى. ط١ ١٩٥٥.
٢١- ابن بكار الزبير الأخبار الموفقيات، ت. د سامى مكى العانى بغداد الأوقاف ١٩٧٢.
٢٢- البلاذرى أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف. مخلفة.
٢٣- البلخى أبو زيد أحمد بن سهل البدء والتاريخ ت. كلمان هوار. باريس ١٨٩٩.
٢٤- البكرى أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ).
٢٥- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ت مصطفى السقا القاهرة: اللجنة. المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب (جـ من المسالك والممالك) بغداد، المثنى.
٢٦- البلوى أبو محمد عبد الله بن محمد المدينى. سيرة أحمد بن طولون. ت. محمد كرد على دمشق، مجمع اللغة العربية.
٢٧- البندارى الأصفهانى، الفتح بن على بن محمد سنا البرق الشامى ت. د. فتحية النبراوى. القاهرة، الخانى، ١٩٧٩.
٢٨- البيرونى أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ): الآثار الباقية عن القرون الخالية بغداد، المثنى، بدون تاريخ.
٢٩- ساقطات الآثار الباقية عن القرون الخالية، تهران، الجعفرى ١٩٦٩.
٣٠- ابن تغرى بردى جمال الدين أبو المحاسن يوسف (٨٧٤هـ).
٣١- الدليل الشافى على المنهل الصافى. ت. فهيم محمد شلتوت. مكة، جامعة أم القرى. بدون تاريخ.
٣٢- المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى مج ١، ٢ القاهرة، مختلفة.
٣٣- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . القاهرة، مختلفة.
٣٤- ابن تميم التميمى محمد بن أحمد (ت ٣٣٣هـ) المحن ت. د. يحيى وهيب الجبورى، بيروت، الغرب الإسلامى ، ط١ ، ١٩٨٣م.
٣٥- التيفاشى أحمد بن يوسف (ت ٦٥١هـ) أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار ت. د. محمد يوسف حسن وغيره القاهرة، الهيئة العامة ١٩٧٧م.
٣٦- الجاحظ أبو عمرو عثمان بن بحر (ت ٢٥٥هـ) البرصان والعرجان والعميان والحولان، ت. عبد السلام محمد هارون بغداد الإعلام ١٩٨٢م.
٣٧- ابن الجزرى شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ) غاية النهاية فى طبقات القراء ت. ج برجستراسر القاهرة الخانجى ١٩٣٢م.

٣٨- ابـن جماعـة الحمـوى مختصـر فـى فضـل الجهاد. ت. د. أسامة ناصر النقشبندى بغداد، الإعلام ١٩٨٣م.
٣٩- الجهشيارى أبو عبد الله بن عبدوس (ت ٣٣١هـ).
٤٠- نصوص ضائعة مـن كـتاب الـوزراء والكـتاب. ت. ميخائيل عواد بيروت الكتاب اللبنانى ١٩٦٤م.
٤١- الوزراء والكتاب. ت. مصطفى السقا وغيره، القاهرة، الحلبى. ط١ ١٩٣٨م.
٤٢- ابن الجوزى أبو الفرج عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧هـ):
٤٣- تـاريخ عمـر بـن الخطـاب رضـى الله تعـالى عنه. ت. أسامة عبد الكريم الرفاعى. دمشق. إحياء علوم الدين.
٤٤- المصباح المضئ فى خلافة المستضئ. ناحية عبد الله إبراهيم بغداد الأوقاف ١٩٧٧م.
٤٥- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم. الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٥٧هـ وما بعدها.
٤٦- ابـن حبيـب أبـو جعفـر محمـد (ت ٢٤٥هـ) المحبر ت. د. ايلزه ليختن شنيتر بيروت، المكتب التجارى، بدون تاريخ.
٤٧- ابـن حبيب الحسـن بن عمر بن الحسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ) تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه، ٢ جـ. ت. د. محمد محمد أمين، القاهرة، دار الكتب ١٩٧٦ وما بعدها.
٤٨- ابن حجر العسقلانى شهاب الدين أحمد بن على (ت ٨٥٢هـ).
٤٩- الإصـابة فـى تمييـز الصـحابة . ت . عـلى محمـد الـبجاوى القاهـرة، نهضة مصر، بدون تاريخ.
٥٠- إنـباء الغمـر بأنباء العمر. ت. د. حسن حبشى القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٩ وما بعدها.
٥١- تقريب التهذيب ت. عبد الوهاب عبد اللطيف بيروت، المعرفة، ط٢ ١٩٧٥م.
٥٢- تهذيب التهذيب بيروت، صادر، عن ط الهند ١٣٢٥ وما بعدها.
٥٣- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة بيروت، الجيل، بدون تاريخ، عن ط الهند.
٥٤- ابـن حـزم الأندلسـى، أبـو محمـد عـلى بـن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ) جمهرة أنسـاب العرب. ت. عبد السلام محمد هارون، القاهرة، المعارف، ط٢ ، ١٩٧١م.
٥٥- الحمـيرى محمـد بـن عـبد المـنعم الروض المعطار فى خبر الأقطار، ت. د. إحسان عباس. بيروت، دار مكتبة لبنان، ١٩٧٥م.
٥٦- ابن حوقل. صورة الأرض، بيروت، الحياة ١٩٧٩.
٥٧- أبـو حـيان التوحـيدى. مثالـب الوزيرين (أخلاق الصاحب ابن عباد وابن العميد) دمشق، دار الفكر ١٩٦١م.
٥٨- الخـزاعى التلمسـانى، أبو الحسن على بن محمد (ت ٧٨٩هـ) تخريج الدلالات السماعية، ت. أحمد محمد أبو سلامة، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٨١م.

٥٩- الخطيب البغدادى أبو بكر أحمد بن على (ت ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد أو مدينة السلام. بيروت، الكتاب العرب، بدون تاريخ.
٦٠- ابن خلدون تاريخ ابن خلدون. بيروت، البيان، بدون تاريخ.
٦١- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت ٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ت. د. إحسان عباس، بيروت/ صادر بدون تاريخ.
٦٢- خليفة بن خياط أبو عمرو: تاريخ خليفة بن خياط. ت . أكرم ضياء العمرى. بغداد، المجمع العلمى ط١ ١٩٦٧. الطبقات ت. د. أكرم ضياء العمرى. الرياض. طيبة . ط ٢ ١٨٩٢م.
٦٣- الخيارى المدنى، إبراهيم بن عبد الرحمن (ت ١٠٨٣هـ) تحفة الأدباء وسلوة الغرباء د. رجاء محمود السامرائى بغداد، الإعلام ١٩٨٠.
٦٤- ابن الداية، أبو جعفر أحمد بن يوسف الكتاب. المكافأة. ت. أحمد أمين وغيره القاهرة، ط ١، ١٩٤١.
٦٥- ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ) الأشنقاق. ت. عبد السلام محمد هارون . القاهرة، الخانجى، ١٩٥٨م.
٦٦- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى. الانتصار لواسطة عقد الأمصار. (جـ ٤، ٥) بيروت، المكتب التجارى.
٦٧- الدولابى، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد (ت ٣١٠هـ) الكنى والأسماء. الهند. دائرة المعارف النظامية ١٣٢٢هـ.
٦٨- الدينوورى أحمد بن داود (ت ٢٨٢هــ) الأخبار الطوال. عبد المنعم عامر. تهران. ط١. ١٩٦٠م.
٦٩- الذهبى شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ): تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام (١ - ٦). حسام الدين القدسى. القاهرة القدسى جـ ١٨ ت. د. بشار عواد معروف. القاهرة، الحلبى، ط٢، ١٩٧٧م.
٧٠- تجريد أسماء الصحابة. بيروت، المعرفة، بدون تاريخ.
٧١- تذكرة الحفاظ. بيروت، إحياء التراث العربى. عن ط. الهند ، ١٩٥٥م وما بعدها.
٧٢- دول الإسلام، ت. فهيم محمد شلتوت وغيره القاهرة، الهيئة المصرية العامة ، ١٩٧٤م.
٧٣- العبر فى خبر من عبر. ت. د. صلاح الدين المنجد، الكويت، الإعلام، ١٩٦٠وما بعدها.
٧٤- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال. ت. على محمد البجاوى بيروت، المعرفة، بدون تاريخ.
٧٥- الراوندى محمد محمد بن على بن سليمان. راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية. ت. إبراهيم الشواربى وغيره القاهرد، ١٩٦٠م.
٧٦- الزبيدى، السيد محمد مرتضى الحسينى تاج العروس من جواهر القاموس. ت. عبد الستار أحمد فراج وغيره. الكويت، الإعلام.

٧٧- الزبيدى المرتضى ترويح القلوب فى ذكر ملوك بنى أيوب، ت. د. صلاح الدين المنجد دمشق مجمع اللغة العربية ١٩٦٩م.
٧٨- ابن الزيات شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الأنصارى، الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة. بغداد، المثنى. بدون تاريخ.
٧٩- السبتى القاسم بن يوسف التجيبى، مستفاد الرحلة والاغتراب، ت. عبد الحفيظ منصور تونس. الدار العربية للكتاب، ١٩٧٥.
٨٠- سبط ابن الجوزى شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلى (ت ٦٥٤هـ) مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان (مج ٨) الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥١م وما بعدها.
٨١- السبكى. تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى. بيروت، المعرفة. ط٢.
٨٢- السخاوى شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، الحياة، بدون تاريخ.
٨٣- السدوسى مؤرخ بن عمرو حذف من نسب قريش. ت. د. صلاح الدين المنجد، القاهرة، العروبة، ١٩٦٠م.
٨٤- ابن سعد الطبقات الكبرى، بيروت، صادر، بدون تاريخ.
٨٥- ابن سعيد المغربى: المغرب فى حلى المغرب (القسم الخاص بمصر). ت. د. زكى محمد حسن وغيره، القاهرة، الجامعة ١٩٥٣م، ط١.
٨٦- النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة (القسم الخاص بالقاهرة) ت. د. حسين نصار القاهرة، دار الكتب ١٩٧٠م.
٨٧- السهمى (ت ٤٢٧هـ) تاريخ جرجان، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨١م.
٨٨- ابن سيد الناس، عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير. بيروت، الجيل، ط٢ ١٩٧٤م.
٨٩- السيوطى جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (٩١١هـ): بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة. ت محمد أبى الفضل إبراهيم القاهرة، الحلبى، ط١، ١٩٦٤م.
٩٠- تاريخ الخلفاء، بيروت، الثقافة، بدون.
٩١- حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الحلبى ط١ ١٩٦٧م.
٩٢- الوسائل إلى معرفة الأوائل ت. د. على عمر وغيره. القاهرة، الخانجى بدون.
٩٣- ابن شاكر الكتبى محمد بن أحمد (ت ٧٦٤هـ): عيون التواريخ. مج ١، ت. حسام الدين القدسى، القاهرة، النهضة المصرية ١٩٨٠م، فوات الوفيات. ت. محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥١م.
٩٤- أبو شامة المقدسى، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم: الذيل على الروضتين، بيروت، الجبل، ط ٢ ، ١٩٧٤م.

٩٥- الروضتين فى أخبار الدولتين، بيروت، الجيل، بدون تاريخ.
٩٦- ابـن شـاهين الظاهـرى. غرس الدين خليل، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك. ت. بولس راويس باريس ١٨٩٤م.
٩٧- الشـجاعى شمـس الديـن. تـاريخ الملـك الناصـر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده (تاريخ الشجاعى) ت. بربارة شيفر. فيسبادن ١٩٧٨م.
٩٨- ابـن شـداد بهاء الدين. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، أو سيرة صلاح الدين. ت. د. جمال الدين الشيال. القاهرة، الدار المصرية، ط ١ ١٩٦٤م.
٩٩- ابـن شداد عز الدين أبو عبد الله محمد بن على بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ) الأعلاق الخطيرة فـى ذكـر أمـراء الشـام والجزيـرة. ت. دومينـيك سـورديل وغيره دمشق، المعهد الفرنسى. ١٩٥٣م وما بعدها.
١٠٠- الشـوكانى، محمـد بـن عـلى (ت ١٢٥١هـ) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة، الحلبى، بدون تاريخ.
١٠١- الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبرى (ت ٤١٣هـ) الإرشاد بيروت. الأعلمى. ط ٣، ١٩٧٩.
١٠٢- الشـيرازى أبو إسحاق (ت ٤٧٦هـ) طبقات الفقهاء ت. د. إحسان عباس، بيروت. الرائد العربى، ١٩٧٠م.
١٠٣- ابـن صصـرى محمـد بن محمد، الدرة المضية فى الدولة الظاهرية. ت . د. وليم. م، برينر كاليفورنيا، ١٩٦٣م.
١٠٤- الصـفدى صـلاح الديـن خلـيل بن أيبك، الوافى بالوفيات. ت. هلموت ريتر وغيره. فرانز شتايز ط٢، ١٩٨١م.
١٠٥- ابـن صـفوان النصـرى عـبد الـرحمن بـن عمـرو بن عبد الله (ت ٢٨١هـ) تاريخ أبى زرعة الدمشقى . ت . شكر الله نعمة الله القوجانى دمشق مجمع اللغة العربية.
١٠٦- الصـقاعى، فضـل الله بن أبـى الفخـر، تالى وفـيات الأعيان. ت. جاكلين سوبلة. دمشق المعهد الفرنسى. ١٩٧٤م.
١٠٧- ابـن الصـيرفى أمـين الديـن تـاج الرياسـة أبـو القاسم على بن منجب، الإشارة إلى من نال الوزارة . ت. عبد الله مخلص، القاهرة، المعهد الفرنسى، ١٩٢٤م.
١٠٨- ابـن الصيرفى الخطيب الجوهرى على بن داوود، نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الأمان. ت . د. حسن حبشى القاهرة، دار الكتب، ١٩٧٠ وما بعدها.
١٠٩- الصـيمرى أبـو عـبد الله حسين بن على (ت ٤٣٦هـ) أخبار أبى حنيفة وأصحابه. الهند. لجنة إحياء المعارف العثمانية، ١٩٧٤م.
١١٠- الطـبرى أبو جعفر محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ) تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك) ت. محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، المعارف، ط٢.

١١١- الطبرى محب الدين أحمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ) السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين. القاهرة، الأزهرية، ١٩٨٢م.
١١٢- ابن الطقطقا. محمد بن على بن طباطبا الفخرى فى ألآداب السلطانية والدول الإسلامية بيروت، صادر ١٩٦٦م.
١١٣- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر (ت ٢٨٠هـ) بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية بغداد، المثنى ١٩٦٨م.
١١٤- العامرى اليمنى يحيى بن أبى بكر. الرياض المستطابة فى جملة من روى فى الصحيحين من الصحابة. بيروت. المعارف. ط١ ١٩٧٤م.
١١٥- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب. ت . على محمد البجاوى القاهرة نهضة مصر، بدون تاريخ.
١١٦- ابن عبد ربه. أبو عمر أحمد بن محمد العقد. الفريد. ت. أحمد أمين وغيره. القاهرة، النهضة المصرية ١٩٦٣م.
١١٧- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله . فتوح مصر وأخبارها بغداد، المثنى، عن ط . ليدن ١٩٢٠م.
١١٨- ابن عبد الظاهر، محيى الدين (ت ٦٩٢هـ)
١١٩- تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور. ت. د. مراد كامل، القاهرة، الشركة العربية ، ط ١. ١٩٦١م.
١٢٠- الروض الزاهر فى مسيرة الملك الظاهر. ت. عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط ١، ١٩٧٦م.
١٢١- ابن العبرى غريغوريوس الملطى، تاريخ مختصر الدول. ت. أنطون صالحانى اليسوعى. بيروت، الكاثوليكية، ١٩٥٨م.
١٢٢- ابن عذارى المراكشى البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب. ت. ج. س. كولان وغيره. بيروت، الثقافة. بدون تاريخ.
١٢٣- ابن عساكر، أبو القاسم الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت ٥٧١هـ): تاريخ مدينة دمشق حماها الله، وذكر فضلها، وتسمية من حلها من الأماثل. واجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها (حرف العين). ت . شكرى فيصل. غيره. دمشق. مجمع اللغة العربية. بدون تاريخ.
١٢٤- تهذيب، تاريخ دمشق الكبير، تهذيب الشيخ عبد القادر بدران. بيروت. المسيرة ط٢، ١٩٧٩م.
١٢٥- على مبارك باشا الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة. القاهرة، بولاق، ١٣٠٥هـ.
١٢٦- ابن على يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (١١٠٠) غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ت. د. سعيد عبد الفتاح عاشور. القاهرة، الكتاب العربى ١٩٦٨م.

١٢٧– ابن العماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب. بيروت، المكتب التجاري، بدون تاريخ.
١٢٨– ابن العماد الكاتب (ت ٥٩٧هـ) الفتح القسي في الفتح القدسي . ت . محمد محمود صبيح القاهرة، بدون تاريخ.
١٢٩– ابن العمراني محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠) الإنباء في تاريخ الخلفاء ت. قاسم السمرائي. ليدن، ١٩٧٣م.
١٣٠– ابن العمرى شهاب الدين التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة ١٣١٢هـ.
١٣١– القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي. ت ٥٤٤هـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ت. د. أحمد بكير محمود. بيروت، الحياة، ١٩٦٧م.
١٣٢– القاضي تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني (ت ٨٣٢هـ) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. ت. فؤاد سيد، القاهرة، مطبعة السند المحمدية.
١٣٣– أبو الفداء عماد الدين (ت ٧٣٢هـ) المختصر في أخبار البشر. القاهرة، الحسينية، ١٣٢٥ هـ.
١٣٤– ابن الفرات ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات مج ٨، ت. د. قسطنطين زريف وغيره. بيروت الجامعة الأمريكية ٣٦ ـ ١٩٤٢م. مج ٤، ٥ ت. د. حسين الشماع. البصرة ١٩٦٧م. وما بعدها.
١٣٥– ابن فاض شهبة تقي الدين أبو بكر بن أحمد (ت ٨٥١هـ) تاريخ ابن قاض شهبة. جـ ٣ ت. د. عدنان درويش، دمشق، المعهد الفرنسي ١٩٧٧م.
١٣٦– القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم، الأمالي. القاهرة، الهيئة المصرية ١٩٧٥م.
١٣٧– ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ).
١٣٨– الإمامة والسياسة. ت محمد الزيني، القاهرة، الحلبي، (بدون تاريخ ـ منسوب إليه).
١٣٩– المعارف . ت . د. ثروت عكاشة، القاهرة، المعارف، ط٢ ١٩٦٩م.
١٤٠– قدامة بن جعفر، الخراج وصنعة الكتابة. ت. د. محمد حسين الزبيدى، بغداد الإعلام. ١٩٨١م.
١٤١– القرشي عماد الدين إدريس (ت ٨٧٢هـ) عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، ت. د. مصطفى غالب. بيروت. الأندلس، بدون تاريخ.
١٤٢– القرشي محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله بن سالم (ت ٧٧٥هـ) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ت. د. عبد الفتاح الحلو. القاهرة، الحلبي، ط ١.
١٤٣– ابن قرة ثابت، غيره أخبار القرامطة (في الإحساء ـ الشام ـ العراق ـ مصر) ت . د. سهيل زكار، بيروت، حسان ، ط ٢ ١٩٨٢م.

١٤٤- القزوينى زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العبار بيروت، دار بيروت، ١٩٧٩م.
١٤٥- ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة ذيل تاريخ دمشق بيروت، اليسوعية، ١٩٠٨.
١٤٦- القلقشندى أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ).
١٤٧- صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء . القاهرة، الأميرية، ط ١ ١٩٠٣م.
١٤٨- مآثر الإناقة فى معالم الخلافة. ت. عبد الستار أحمد فراج، الكويت، الإعلام ١٩٦٤م.
١٤٩- ابن قنفذ القسنطينى أبو العباس أحمد بن حسن بن على بن الخطيب. الوفيات. عادل نويهض. بيروت ، المكتب التجارى. ط ١ ١٩٧١م.
١٥٠- قنيتون الأربيلى، عبد الرحمن بن سنبط (ت ٧١٧هـ) خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك. مكى السيد هاشم، بغداد، المثنى، بدون تاريخ.
١٥١- ابن كثير، أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية بيروت، المعارف، ط١ ١٩٦٦م.
١٥٢- ابن ماسويه يحيى (ت ٢٤٣هـ) الجواهر وصفاتها وفى أى بلد هى صفة الغواصين والتجار، ت. د. عماد عبد السلام. القاهرة، الهيئة العامة ١٩٧٧م.
١٥٣- المتنبى ديوان المتنبى، بيروت، المعرفة، بدون تاريخ.
١٥٤- مجهول نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدين الحمادانى. ت. ماريس كانار، الجزائر ، ١٩٣٤م.
١٥٥- مجهول العيون والحدائق فى أخبار الحقائق . مختلفة
١٥٦- مجهول أخبار الدولة العربية، وفيه أخبار العباس وولده ت. د. عبد العزيز الدورى. بيروت، الطليعة ١٩٧١م.
١٥٧- ابن المحسن الصابى: الوزراء والكتاب، أو تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ت. عبد الستار أحمد فراج، القاهرى، الحلبى ١٩٥٨م.
١٥٨- المسبحى عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد (ت ٤٢هـ) أخبار مصر جـ ٤٠ ت أيمن فؤاد سيد وغيره. القاهرة، المعهد الفرنسى: بدون تاريخ.
١٥٩- المسعودى أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦هـ): التنبيه والإشراف، بيروت، خياط، بدون تاريخ.
١٦٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر. ت. محمد محيى الدين عبد الحميد. القاهرة. التحرير، ١٩٦٦م.
١٦١- مسكويه أبو على أحمد بن محمد تجارب الأمم. أميدور، بغداد، المثنى، بدون تاريخ.
١٦٢- ابن المصعب الزبيرى أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ) نسب قريش. ت. أ. ليفى برفنسال، القاهرة، المعارف، ط ٢ ١٩٧٦م.

١٦٣- المقريزى أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ): إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء. ت. د. جمال الدين الشيال وغيره. القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٧م وما بعدها.
١٦٤- الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك. ت . د. جمال الدين الشيال. القاهرة. الخانجى ١٩٥٥م.
١٦٥- السلوك لمعرفة دول الملوك ت. د. محمد مصطفى زيادة، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، مختلفة.
١٦٦- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت ، صارر عن ط بولاق.
١٦٧- ابن مماتى، الأسعد (ت ٦٠٦هـ) قوانين الدواوين. عزيز سوريال عطية القاهرة. ١٩٤٣م.
١٦٨- المنذرى زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى (ت ٥٦٥هـ) التكملة لوفيات النقلة ت. د. بشار عواد بيروت، الرسالة ط ٢ ١٩٨١م.
١٦٩- ابن منظور، لسان العرب، القاهرة المعارف، بدون تاريخ.
١٧٠- ابن ميسر، تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن جلب راغب (ت ٦٧٧هـ) المنتقى من أخبار مصر (انتقاء المقريزى). ت. أيمن فؤاد سيد، القاهرة، المعهد الفرنسى، بدون تاريخ.
١٧١- النديم أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب إسحاق الفهرست ت. رضا ـ تجدد. تهران، بدون تاريخ.
١٧٢- النرشخى أبو بكر محمد بن جعفر (ت ٣٤٨هـ) تاريخ بخارى . ت. د. أمين عبد المجيد بدوى وغيره. القاهرة، المعارف بدون تاريخ.
١٧٣- ابن نظيف الحموى، أبو الفضل محمد بن على. التاريخ المنصورى، تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان. أبو العيد دودو دمشق، مجتمع اللغة العربية، بدون تاريخ.
١٧٤- النعمان القاضى، ابن محمد (ت ٣٦٣هـ): رسالة افتتاح الدعوة . ت. د. ودار القاضى بيروت ١٩٧٠م.
١٧٥- المجالس والمسايرات. ت. والحبيب الفقى وغيره. تونس، الجامعة، ١٩٧٨م.
١٧٦- النعيمى عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧هـ) الدارس فى تاريخ المدارس. ت. جعفر الحسنى. دمشق، المجتمع العلمى العربى، ١٩٤٨م.
١٧٧- النويرى أبو زكريا محيى الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ) تهذيب الأسماء واللغات. بيروت. الكتب العلمية، بدون تاريخ.
١٧٨- النويرى شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ) نهاية الأرب فى فنون الأدب القاهرة مختلفة.
١٧٩- ابن هشام السيرة النبوية. ت . مصطفى السقا وغيره. القاهرة، مصطفى الحلبى ط ٢، ١٩٥٥م.

١٨٠- الهمداني حسين بن فيض الله في نسب الخلفاء الفاطميين. القاهرة الجامعة الأمريكية، ١٩٥٩م.
١٨١- الهمداني محمد بن طاهر بن علي (ت ٩٨٦هـ) المغنى في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم. بيروت . الكتاب العربى . ١٩٧٩م.
١٨٢- ابن واصل الحموى جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ) مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب ت. د. جمال الدين الشيال وغيره. القاهرة، ١٩٥٣، وما بعدها.
١٨٣- ابن الوردى زين الدين عمر تتمة المختصر، فى أخبار البشر (تاريخ ابن الوردى) ت.. أحمد رافع البدراوى بيروت، المعرفة ط ١ ١٠٧٠م.
١٨٤- اليافعي أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٨٦٨هـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، الهند، دائرة المعارف العثمانية ١٣٣٧ وما بعدها.
١٨٥- ياقوت بن عبد الله الحموى شهاب الدين أبو عبد الله: المشترك وضعا والمفترق صقعا، بغداد المثنى.
١٨٦- معجم الأدباء. ت. أحمد فريد الرفاعى القاهرة ، الحلبى، بدون تاريخ.
١٨٧- معجم البلدان بيروت، صادر ١٩٧٧م.
١٨٨- ابن يزيد أبو عبد الله محمد تاريخ الخلفاء ت. محمد مطيع حافظ. بيروت، الرسالة، ط ١ ١٩٧٩م.
١٨٩- اليعقوبى أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، تاريخ اليعقوبى بيروت صادر فى ١٩٦٠م.
١٩٠- مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم فى كل عصر، ت. محمد كمال الدين عز الدين القاهرة، عالم الكتب، بدون تاريخ.
١٩١- اليونيني البعلبكى قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد (ت ٧٢٦هـ) ذيل مرآة الزمان. الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٤ وما بعدها.

الفهـــرس

من تراث مصر وكنوز ابن إياس

جواهر السلوك
في أمر الخلفاء والملوك

ابن إياس الحنفي

تقديم وتحقيق وتعليق

الدكتور محمد زينهم

الدار الثقافية للنشر